

شَرْحُ الْحَقَائِدِ الْخَالِئَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



للطباعة والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثانية

الإصدار الثاني

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٥ م

و ط م المصنعة
شارع حبيب أبي شمس
بناية المسكن
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢
فاكس: ٨١٨٦١٥ (٩٦١١)
صرب: ١١٧٤٦٠
بيروت - لبنان

*Resalah
Publishers*

Tel: 319039 - 815112
Fax: (9611) 818615
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

Email:
resalah@resalah.com

Web Location:
Http://www.resalah.com

حقوق الطبع محفوظة © ١٩٨٧ م. لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر. (١٨)

شرح العقيدة الطحاوية

تأليف

الإمام القاضي علي بن محمد بن أبي الوزة الدمشقي

المتوفى سنة ٧٩٢ هـ

حققه وعلقه عليه وخرجه أماريته وقدم له

شعيب الأرنؤوط

الدكتور عبد الله بن عبد الحميد التركي

الجزء الثاني

مؤسسة الرسالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله: «وَتُؤْمِنُ بِاللُّوحِ وَالْقَلَمِ، وَبِجَمِيعِ مَا فِيهِ قَدْ رُقِمَ»

الإيمان باللوح
المحفوظ
والقلم

ش: قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢٢﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٣﴾﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢] رَوَى الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَوْحًا مَّحْفُوظًا مِنْ ذُرَّةٍ بَيْضَاءَ، صَفَحَاتُهَا مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، قَلَمُهُ نُورٌ، وَكِتَابُهُ نُورٌ، اللَّهُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سِتُّونَ وَثَلَاثَ مِثَّةٍ لَخِطَّةٍ، يَخْلُقُ وَيَرْزُقُ، وَيُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ»^(١).

اللُّوحُ الْمَذْكُورُ: هُوَ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ فِيهِ، وَالْقَلَمُ الْمَذْكُورُ: هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ، وَكَتَبَ بِهِ فِي اللُّوحِ الْمَذْكُورِ الْمَقَادِيرَ، كَمَا فِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ (رضي الله عنه)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَارَبِّ، وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: أَكْتُبُ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٢).

اختلف
العلماء في
القلم والعرش
أيهما خلق
أولاً؟

واختلف الْعُلَمَاءُ: هَلِ الْقَلَمُ أَوَّلُ الْمَخْلُوقَاتِ، أَوِ الْعَرْشُ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ، ذَكَرَهُمَا الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ^(٣)، أَصْحُهُمَا: أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلَ الْقَلَمِ، لَمَّا

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» بِرَقْمٍ (١٢٥١١) مِنْ طَرِيقِ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبِكَائِيِّ، عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ - وَكِلَاهُمَا ضَعِيفٌ - عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَرَوَاهُ (١٠٦٠٥) مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى مَوْقُوفًا عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَفْظُهُ: لَوَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْقَدَرِ فَوَجَّاتُ رَأْسَهُ، قَالُوا: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ لَوْحًا مَّحْفُوظًا مِنْ ذُرَّةٍ بَيْضَاءَ، دَفَنَاهُ يَاقُوتَةَ حَمْرَاءَ، قَلَمُهُ نُورٌ، وَكِتَابُهُ نُورٌ، وَعَرَضَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يَنْظُرُ فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سِتِّينَ وَثَلَاثَ مِثَّةٍ نَظْرَةً، يَخْلُقُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ مَا يَشَاءُ. وَسَنَدُهُ حَسَنٌ. وَانْظُرْ «مَجْمَعَ الزَّوَائِدِ» ١٩١/٧.

(٢) حَدِيثٌ صَحِيحٌ، أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٧٠٠) فِي السَّنَةِ: بَابُ فِي الْقَدَرِ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢١٥٥) فِي الْقَدَرِ، وَ (٣٣١٩) فِي التَّفْسِيرِ، وَأَحْمَدُ ٣١٧/٥، وَأَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ (٥٧٧)، وَالْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» ص ١٧٧، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» ص ٣٧٨، وَأَبُو نَعِيمٍ ٢٤٨/٥، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ جَرِيرٍ ٢٩/ ١١، وَأَبُو يَعْلَى ١/١٢٦، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ» ص ٣٧٨ بِلَفْظٍ: «إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَأَمَرَهُ، فَكَتَبَ كُلَّ شَيْءٍ» وَرَجَّاهُ ثِقَاتٌ.

(٣) هُوَ: الْحَافِظُ الْعَلَّامَةُ الْمُقَرَّرُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ =

ثبت في «الصحيح» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَدَّرَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(١). فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث^(٢) عبادة هذا، ولا يخلو قوله: «أول ما خلق الله القلم»... إلخ، إما إن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة - وهو الصحيح - كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: «اكتب»، كما في اللفظ: «أول ما خلق الله القلم»، قال له: «اكتب» بنصب «أول» و«القلم»، وإن كان جملتين، وهو مروي برفع «أول» و«القلم»، فيتعين حملُهُ على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم، وفي اللفظ الآخر: «لما خلق الله القلم قال له: اكتب».

فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها، وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿بِذِكْرِ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٣) [القلم: ١].

والقلم الثاني: قلم الوحي: وهو الذي يكتب به وحي الله إلى أنبيائه

= محمد بن سهل العطار، شيخ همذان المتوفى (٥٦٩هـ). وصفه السمعاني بقوله: حافظ متقن، ومقرئ فاضل، حسن السيرة، مرضي الطريقة، عزيز النفس، سخي بما يملكه، مكرم للغرباء، يعرف القراءات، والحديث، والأدب معرفة حسنة سمعت منه. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٢١ / رقم الترجمة (٢).

(١) تقدم تخريجه ص ١١٣.

(٢) في (ب): لحديث.

(٣) واستظهر ابن كثير في تفسيره ٢١٢ / ٨: أنه جنس القلم الذي يكتب به، كقوله: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فهو قسم منه تعالى، وتنبه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعاليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾، وقال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني وما يكتبون، وقال أبو الضحى عن ابن عباس: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي وما يعملون.

ورسله، وأصحابُ هذا القلم هم الحُكَّامُ على العالم، والأقلامُ كلها خَدَمُ لأقلامهم، وقد رُفِعَ النبي ﷺ لَيْلَةً أُسْرِيَ به إلى مستوى يَسْمَعُ فيه^(١) صَرِيفَ الأقلام، فهذه الأقلامُ هي التي تَكْتُبُ ما يُوحِيهِ الله تبارك وتعالى من الأمور التي يدبُرُ بها أَمْرَ الْعَالَمِ الْعُلُوي وَالسُّفْلِي.

قوله: «فَلَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَائِنٌ، لِيَجْعَلُوهُ غَيْرَ كَائِنٍ، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى شَيْءٍ كَتَبَهُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ أَنَّهُ غَيْرُ كَائِنٍ لِيَجْعَلُوهُ كَائِنًا، لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

جف القلم بما
هو كائن إلى
يوم القيامة

ش: تَقَدَّمَ حَدِيثُ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، بَيْنَ لَنَا دَيْنَانَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ، فِيمَ الْعَمَلُ الْيَوْمَ؟ أَفِيْمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ؟ أَمْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ، وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: «اخْفِظِ اللَّهَ يَخْفِظَكَ، اخْفِظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». رواه الترمذي^(٣)، وقال: حديث حسن صحيح.

(١) في (ب): فيه يسمع، والنص قطعة من حديث أنس المطول في الإسراء. أخرجه البخاري (٣٤٩) و (١٦٣٦) و (٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣). وصريف الأقلام: تصويتها حالة الكتابة.

(٢) رواه مسلم، وقد تقدم تخريجه ص ٣١٨ تعليق (٣).

(٣) هو في «سنن الترمذي» (٢٥١٦) في صفة القيامة من طريق عبد الله بن المبارك، عن الليث بن سعد وابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعاني، عن عبد الله بن عباس، وهذا سند قوي، وأخرجه أحمد ٢٩٣/١ من طريق ليث عن قيس بن الحجاج به، وأخرجه أيضاً ٣٠٣/١ من طريق يحيى بن إسحاق عن ابن=

وفي رواية غير الترمذي: «أَحْفَظُ اللَّهَ تَجِدُهُ أَمَامَكَ، تَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَغْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(١).

وقد جاءت «الأقلام» في هذه الأحاديث وغيرها مجموعة، فدل ذلك على أن للمقادير أقلاماً غير القلم الأول، الذي تقدّم ذكره مع اللوح المحفوظ. والذي دلت عليه السُّنة أن الأقلام أربعة، وهذا التقسيم غَيْرُ التقسيم المقدم ذكره.

الأقلام أربعة

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي تقدّم ذكره مع اللوح.

القلم الثاني: حين خلق آدم ﷺ، وهو قلم عام أيضاً، لكن لبني آدم، ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وأجالهم وسعادتهم وعقوب خلق أبيهم.

= لهيعة، عن نافع بن يزيد، أن قيس بن الحجاج حدثه أن حنشاً حدثه أن ابن عباس حدثه. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٨) و (١٢٩٨٩) من طريقين عن قيس بن الحجاج، وله طرق أخرى عند الطبراني (١١٢٤٣) و (١١٤١٦) و (١١٥٦٠). وأبي نعيم في «الحلية» ٣١٤/١، و «أخبار أصبهان» ٢٠٤/٢.

(١) هذا اللفظ أورده النووي في «الأربعين» بإثر الرواية الأولى، وقال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» ص ١٧٤: رواه عبد بن حميد في «مسنده» بإسناد ضعيف، عن عطاء، عن ابن عباس، وأخرجه بلفظ أتم أحمد في «المسند» ١/ ٣٠٧ من ثلاث طرق اثنان منهما فيهما انقطاع، والثالث متصل صحيح، ولفظه: «يا غلام أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ فقلت: بلى، فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت، فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله، قد جف القلم بما هو كائن، فلو أن الخلق كلهم جميعاً أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً».

القلم الثالث: حين يُرسلُ المَلَكُ إلى الجنين في بطنِ أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمرُ بأربع كلمات: يكتبُ رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد^(١)، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

القلم الرابع: الموضوعُ على العبدِ عندَ بلوغه، الذي بأيدي الكرامِ الكَاتِبِينَ، الذين يكتبون ما يَفْعَلُهُ بنو آدمَ، كما ورد ذلك في الكتابِ والسنة^(٢).

الواجب
إفراد الله
بالخشية
والتقوى

وإذا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ كَلَامَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ، فالواجب إفراده سبحانه بالخشية والتقوى. قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٠]. ﴿وَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشَوْنَ﴾ [البقرة: ٤١]. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾^(٣) فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ [النور: ٥٢]. ﴿هُوَ أَهْلُ الْفَقْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦]، ونظائر هذا المعنى في القرآن كثيرة. ولا بدُّ لكل عبد أن يتقي أشياء، فإنه لا يعيش وحده، ولو كان مَلِكاً مطاعاً، فلا بد أن يتَّقِيَ أشياء يُراعي بها رعيته، فحينئذ فلا بد لكل إنسان أن يتقي، فإن لم يتَّقِ الله، اتقى المخلوق، والخلق لا يتَّقِ حُبُّهُمْ كُلَّهُمْ وبغضهم، بل الذي

(١) تقدم تخريجه ص ٣٢٠ تعليق (١).

(٢) أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَأَن عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ وأما السنة، فقوله ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، والمجنون حتى يعقل، وعن الصبي حتى يحتلم» وهو حديث صحيح، ورد من حديث عائشة وأبي قتادة الأنصاري، وعلي بن أبي طالب.

(٣) قرأ نافع في رواية الحلواني: ﴿وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ﴾ بالاختلاس، وهو الاختيار عند أهل النحو، لأن في الفعل قبل الجزم أن تقول: «يتقيه» وبالاختلاس، فلما سقطت الياء للجزم بقيت الحركة مختلصة كأول وهلة. وقرأ أبو عمرو، وأبو بكر: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ ساكنة الهاء، كما في الأصل، وقالوا: إن الهاء لما اختلطت بالفعل، ثقلت الكلمة، فخففت بالإسكان، وقرأ حفص: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بإسكان القاف وكسر الهاء، وله حجتان، إحداهما: أنه كره الكسرة في القاف، فأسكنها تخفيفاً، والعرب تقول: هذا فيخذ وفخذ، وكبد وكبد، ويجوز أن يكون أسكن القاف والهاء، فكسر الهاء لالتقاء الساكنين، وقرأ الباقون: ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بكسر الهاء المجاورة القاف المكسورة، يتبعون الهاء ياء التقوية: انظر: «حجة القراءات» ص ٥٠٣ - ٥٠٤.

يريده هذا يُبغضه هذا، فلا يُمكن إرضاؤهم كُلهم، كما^(١) قال الشافعي رحمه الله: رَضِيَ النَّاسُ غَايَةً لَا تُدْرَكُ، فَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُصْلِحُكَ فَالزَّمْهُ، وَدَعْ مَا سِوَاهُ، فَلَا تُعَانِيهِ، فَإِرضَاءُ الْخَلْقِ لَا مَقْدُورٌ وَلَا مَأْمُورٌ، وَإِرضَاءُ الْخَالِقِ مَقْدُورٌ^(٢) وَمَأْمُورٌ.

وأيضاً فالمخلوق لا يُغني عنه من الله شيئاً، فإذا اتقى العبدُ ربَّه، كفاه مؤونة الناس، كما كتبت عائشة إلى معاوية رضي الله عنهما، روي مرفوعاً، ورُوي موقوفاً عليها: «مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسُخْطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسُخْطِ اللَّهِ، عَادَ حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ دَائِمًا»^(٣).

(١) ليست في (ب).

(٢) في (ب): فمقدور.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤١٤) في آخر كتاب الزهد، وابن المبارك في «الزهد» (١٩٩) و(البغوي (٤٢١٣)، من طريق عبد الوهاب بن الورد، عن رجل من أهل المدينة، قال: كتب معاوية إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن اكتبني إلى كتاباً توصيني فيه، ولا تكثري عليّ، فكتبت عائشة إلى معاوية: سلام عليك؛ أما بعد، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ التَّمَسَّ رَضَى اللَّهُ بِسُخْطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللَّهُ مَوْنةَ النَّاسِ، وَمَنْ التَّمَسَّ رَضَى النَّاسَ بِسُخْطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ. وَهَذَا سَنَدٌ ضَعِيفٌ لَجَهَالَةِ الرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْمَعْ، لَكِنْ رَوَاهُ ابْنُ حِبَانَ (٢٧٦) وَالْقُضَاعِيُّ فِي «مُسْنَدِ الشَّهَابِ» رَقْم (٤٩٩) وَ (٥٠٠)، وَابْنُ عَسَاكِر ١٥/٢٧٨ مِنْ طَرِيقِ عِثْمَانَ بْنِ وَقْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدَرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ بِهِ مَرْفُوعاً بَلْفَظٍ: «مَنْ التَّمَسَّ رَضَى اللَّهُ بِسُخْطِ النَّاسِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنْ التَّمَسَّ رَضَى النَّاسَ بِسُخْطِ اللَّهِ، سُخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ» وَسَنَدُهُ حَسَنٌ. عِثْمَانُ بْنُ وَقْدٍ: صَدُوقٌ رُبَّمَا وَهْمٌ، وَبَاقِي رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَرَوَاهُ الْحَمِيدِيُّ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢٦٦) وَمِنْ طَرِيقِ الْبَيْهَقِيِّ فِي «الزَّهْدِ الْكَبِيرِ» (٨٨١) عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ زَكْرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، عَنْ عَبَّاسِ بْنِ ذَرِيحٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: كَتَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ إِلَى عَائِشَةَ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْ بِشْيءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ مَنْ يَعْمَلُ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ يَعُودُ حَامِدَهُ مِنَ النَّاسِ دَائِمًا» وَهَذَا سَنَدٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

وصححه ابن حبان (٢٧٧) أيضاً من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، عن عثمان بن عمر، عن شعبة، عن واقد بن محمد، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة مرفوعاً. وهو في مسند الشهاب (٥٠١) و «الزهد الكبير» (٨٨٥) فيتقوى =

فَمَنْ أَرْضَى اللَّهَ، كَفَّاهُ مَوْنَةَ النَّاسِ وَرَضِيَ عَنْهُ، ثُمَّ فِيمَا بَعْدَ يَرْضَوْنَ، إِذِ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ، فَيُحِبُّهُ النَّاسُ، كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ، نَادَى: يَا جَبْرِيلُ، إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ، فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جَبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ»^(١)، وَقَالَ فِي الْبَغْضِ مِثْلَ ذَلِكَ.

فَقَدْ بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ مِنْ أَنْ يَتَّقِيَ إِمَّا الْمَخْلُوقَ، وَإِمَّا الْخَالِقَ، وَتَقْوَى الْمَخْلُوقِ ضَرَرُهَا رَاجِعٌ عَلَى نَفْعِهَا مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ، وَتَقْوَى اللَّهِ هِيَ الَّتِي يَخْصُلُ بِهَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ أَهْلٌ لِلتَّقْوَى، وَهُوَ أَيْضاً أَهْلٌ لِلْمَغْفِرَةِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، لَا يَقْدِرُ مَخْلُوقٌ عَلَى أَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ وَيُجِيرَ مِنْ عَذَابِهَا غَيْرُهُ، وَهُوَ الَّذِي يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ. قَالَ بَغْضُ السَّلَفِ: مَا احتَاجَ تَقِيٌّ قَطُّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطَّلَاق: ٢ - ٣]، فَقَدْ ضَمَّنَ اللَّهُ لِلْمُتَّقِينَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ مَخْرَجاً مِمَّا يَضِيقُ عَلَى النَّاسِ، وَأَنْ يَرْزُقَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ، فَإِذَا لَمْ يَخْصُلْ ذَلِكَ، دَلٌّ عَلَى أَنَّ فِي التَّقْوَى خَلْلاً، فَلَيْسَتْ غَفْرَةُ اللَّهِ، وَلَيْتَبَّ إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاق: ٣]، أَي: فَهُوَ كَافِيهِ، لَا يُخَوِّجُهُ إِلَى غَيْرِهِ.

وَقَدْ ظَنَّ بَغْضُ النَّاسِ أَنَّ التَّوَكُّلَ يُنَافِي الْاِكْتِسَابَ، وَتَعَاطِي الْأَسْبَابِ،

= الحديث، ويصح، وأخرجه الترمذي (٢٤١٤) من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة موقوفاً، وسنده صحيح، ورواه ابن المبارك (٢٠٠) من طريق آخر موقوفاً عليها أيضاً.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٩) و (٦٠٤٠) و (٧٤٨٥)، ومسلم (٢٦٣٧) في البر والصلة: باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده، ومالك ٩٥٣/٢، وأحمد ٢٦٧/٢ و ٣٤١ و ٤١٣ و ٥٩٠ و ٥١٤، والترمذي (٣١٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ٧/ ١٤١، والطيالسي (٢٤٣٦)، والبغوي (٣٤٧٠) من حديث أبي هريرة.

وأن الأمور إذا كانت مُقَدَّرَةً، فلا حاجة إلى الأسباب! وهذا فاسد^(١)، فإن الاكتساب: منه فَرَضٌ، ومنه مُسْتَحَبٌّ، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، كما قد عُرِفَ في موضعه. وقد كان النبي ﷺ أَفْضَلَ المتوكلين، يَلْبَسُ لَأَمَّةَ الْحَرْبِ، ويمشي في الأسواق للاكتساب، حتى قال الكافرون: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَتَشَاوَى فِي الْفِرَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]. ولهذا تجد كثيراً ممن يرى أن الاكتساب يُنافي التَّوَكُّلَ يُزَوِّدُونَ على يد مَنْ يُعْطِيهِمْ، إما صدقةً، وإما هَدِيَّةً، وقد يكون ذلك من مَكَّاسٍ^(٢)، أو والي شُرْطَةٍ، أو نحو ذلك، وهذا مبسوط في موضعه، لا يَسَعُهُ هذا المختصر، وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الأقوال التي في تفسير^(٣) قوله تعالى: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

وأما قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال البغوي: قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا: إن الله لا يقضي يَوْمَ السَّبْتِ شيئاً^(٤)! قال المفسرون: مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُحْيِي وَيُمِيتَ، وَيَرْزُقَ، وَيُعْزِزَ قَوْمًا، وَيُذِلَّ آخَرِينَ، وَيَشْفِي مَرِيضًا، وَيَقْلُعَ عَانِيًا، وَيُفَرِّجَ مَكْرُوبًا^(٥)، وَيُجِيبُ دَاعِيًا، وَيُعْطِي سَائِلًا، وَيَغْفِرُ ذَنْبًا، إِلَى مَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْمَالِهِ وَإِحْدَاثِهِ فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ^(٦).

قوله: «وَمَا أَخْطَأَ الْعَبْدَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ».

(١) انظر بسط الكلام على هذه المسألة في «الفتاوى» ٥٢٦/٨ - ٥٣٩ و ٦٨/٨ - ٧٣ و ١٣٨ - ١٣٩ و ١٧٥ - ١٧٨ و ٢٧٧، و «مدارج السالكين» ٤٩٥/٣ - ٥٠١.

(٢) في «المصباح المنير» المكس: الجبابة، وهو من باب ضرب، وفاعله: مَكَّاسٌ، ثم سمي المأخوذ مكساً تسميةً بالمصدر، وجمع على مكوس مثل فُلَسْ وفُلُوسْ، وقد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوانُ السلطان ظلماً عند البيع والشراء.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) تفسير البغوي ٢٧٠/٤، ونقله أيضاً عن مقاتل ابن الجوزي في «زاد المسير» ٨/١١٤.

(٥) في (ب): كرباً.

(٦) انظر ابن كثير ٤٦٩/٧ - ٤٧٠.

سبق علم الله
بالكائنات قبل
خلقها

ش: هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة، ولقد أحسن القائل:

مَا قَضَى اللَّهُ كَائِنًا لَا مَحَالَةَ وَالشَّقِيُّ الْجَهُولُ مَنْ لَمْ حَالَهُ^(١)

وقال لآخر:

اَفْتَنَعْ بِمَا تُزَرِّقُ يَا ذَا الْفَتَى فَلَيْسَ يَنْسَى رَبُّنَا نَمْلَهُ
إِنْ أَقْبَلَ الدَّهْرُ فَكُنْ قَائِمًا وَإِنْ تَوَلَّى مُذْبِرًا نَمْ لَهُ

قوله: «وَعَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَبَقَ عِلْمُهُ فِي كُلِّ كَائِنٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَقَدَّرَ ذَلِكَ تَقْدِيرًا مُحْكَمًا مُبْرَمًا، لَيْسَ فِيهِ نَاقِضٌ، وَلَا مُعَقَّبٌ وَلَا مُزِيلٌ وَلَا مُغَيِّرٌ، وَلَا مُحَوَّلٌ وَلَا نَاقِصٌ، وَلَا زَائِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِهِ».

ش: هذا بناء على ما تقدم. من أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها، كما قال ﷺ: «قَدَّرَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢) فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها، على ما اقتضته حكمته البالغة، فكانت كما علم^(٣)، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إيجادها إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٤) ١٤٨ [الملك: ١٤].

وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزل، وقالوا: إن الله تعالى

(١) في هذا البيت من علم البديع الجنس التام بين: «لا محاله» و «لام حاله» وقد عرفوه بأنه ما اتفق فيه اللفظان في نوع الحروف وعددها، وهيأتها الحاصلة من الحركات والسكنات والترتيب مع اختلاف المعنى، وكذلك في البيتين التاليين بين: «نملة» و «نم له».

(٢) تقدم تخريجه ص ١١٣، تعليق رقم (١).

(٣) جملة: «فكانت كما علم» سقطت من (ب).

لا يَغْلَمُ أفعالَ العباد حتى يفعلوا^(١)! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ناظروا القَدْرِيَّةَ بالعلم، فإن أقرّوا به، خُصِمُوا، وإن أنكروا، كفروا، فالله تعالى يَغْلَمُ أن هذا مُسْتَطِيعٌ يَفْعَلُ ما استطاعه، فيُثَبِّه، وهذا مستطيعٌ لا يَفْعَلُ ما استطاعه، فيُعَذِّبه، فإنما يُعَذِّبُهُ، لأنه لا يفعل مَعَ القُدرة، وقد عَلِمَ الله ذلك منه، ومن لا يَسْتَطِيعُ لا يأمره ولا يُعَذِّبُهُ على ما لم يستطعه.

وإذا قيل: فَيَلْزَمُ أن يَكُونَ العَبْدُ قادراً على تغيير علم الله، لأن الله عَلِمَ أنه لا يفعل، فإذا قَدَرَ على الفعل، قَدَرَ على تغيير عِلْمِ الله.

قيل: هذه مَغْلَطَةٌ، وذلك أن مجرد قُدْرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، وإنما يَظُنُّ مَنْ يظن تغيير العلم إذا وَقَعَ الفِعْلُ، ولو وقع الفعل، لكان المعلوم وقوعه لا عَدَم وقوعه، فَيَمْتَنِعُ أن يَحْصُلَ وَقُوعُ الفعلِ مع علم الله بعدم وقوعه، بل إن وقع، كان الله قد عَلِمَ أنه يقع، وإن لم يقع، كان الله قد عَلِمَ أنه لا يقع، ونحن لا نعلم عِلْمَ الله إلا بما يظهر، وعِلْمُ الله مطابق للواقع، فَيَمْتَنِعُ أن يقع شيء يستلزم تَغْيِيرَ العلم، بل أي شيء وقع كان هو المَعْلُومَ، والعَبْدُ الذي لم يفعل لم يأت بما يُغَيِّرُ العِلْمَ، بل هو قادر على فَعْلٍ لم يقع، ولو وقع، لكان الله قد عَلِمَ أنه يقع، لا أنه لا يقع.

وإذا قيل: فمع عَدَم وقوعه يعلم الله أنه لا يقع، فلو قَدَرَ العَبْدُ على وقوعه، قَدَرَ على تغيير العلم؟ قيل: ليس الأمرُ كذلك، بل العَبْدُ يقدر على وقوعه وهو لم يُوقِعْهُ، ولو أوقعه، لم يَكُنِ المَعْلُومُ إلا وقوعه، فمقدور العبد إذا وقع، لم يَكُنِ المَعْلُومُ إلا وقوعه، وهؤلاء فرضوا وَقُوعَهُ مع العلم بعدم وقوعه! وهو فرضٌ محال، وذلك بمنزلة مَنْ يقول: افرض وقوعه مع عَدَم وقوعه! وهو جَمْعٌ بَيْنَ النقيضين

فإن قيل: فإذا كان وقوعه مع عِلْمِ الرب بعدم وقوعه محالاً لم يَكُنْ

(١) «حتى يفعلوا» ساقطة من (ب).

مقدوراً؟ قيل: لَفَظُ المحالِ مُجْمَلٌ، وهذا ليس محالاً لعدم استطاعته له، ولا لِعَجْزِهِ عنه، ولا لامتناعه في نفسه، بل هُوَ ممكن مَقْدُورٌ مُسْتَطَاعٌ، ولكن إذا وقع، كان الله عالماً بأنه سيقع، وإذا لم يَقَعْ، كان عالماً بأنه لا يقع، فإذا فُرِضَ وَقُوعُهُ مع انتفاء لازم الوقوع، صار محالاً مِنْ جهة إثبات الملزوم بدون لازمة. وكلُّ الأشياء بهذا الاعتبار هي محال!

١٤٩

ومما يلزم هؤلاء: أن لا يبقى أحدٌ قادراً على شيء، لا الربُّ، ولا الخلقُ، فإن الربَّ إذا عَلِمَ من نفسه أنه سيفعل كذا لا يَلْزَمُ مِنْ عِلْمِهِ ذلك انتفاء قدرته على تركه، وكذلك إذا عَلِمَ من نفسه أنه لا يَفْعَلُهُ لا يَلْزَمُ مِنْهُ انتفاء قدرته على فعله، فكَذَلِكَ ما قَدَرَهُ من أفعال عبادِهِ. والله تعالى أعلم.

قوله: «وَذَلِكَ مِنْ عَقْدِ الْإِيمَانِ، وَأُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، وَالْاِغْتِرَافِ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى وَرُبُوبِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُءُوهُ فَتَقَرَّرَ تَقْدِيرُهُ﴾ [الفرقان: ٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

ش: الإشارةُ إلى ما تَقَدَّمَ من الإيمانِ بِالْقَدَرِ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ خَلْقِهَا، قال ﷺ في جواب السائل عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ^(١) وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»، وقال ﷺ في آخر الحديث: «يَا عُمَرُ، أَتَذَرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قال: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَأْكُمُ يَعْلَمُكُمْ دِينَكُمْ». رواه مسلم^(٢).

(١) سقطت من (ب).

(٢) برقم (٨) في الإيمان، وأخرجه أبو داود (٤٦٩٥)، وابن ماجه (٦٣)، والنسائي ٨/٩٧، ١٠١، والطيالسي ص ٥، وأبو يعلى (٢٤٢)، وأحمد ١/٢٨ و ٥١، ٥٢، وابن حبان (١٦٨)، والترمذي (٢٦١٠)، والبخاري (٢)، والآجري في «الشرعية» ص ١٨٨ - ١٨٩، وابن منده في «الإيمان» (١) و (٢) و (٤) و (٥) و (٦) و (٧) و (٨) و (٩) و (١٠) و (١١) و (١٢) و (١٣) و (١٤) من حديث عمر رضي الله عنه، وأخرج نحوه البخاري (٥٠) و (٤٧٧٧)، ومسلم (٩)، وابن ماجه (٦٤)، والنسائي ٨/١٠١ - ١٠٣، وابن أبي شيبة ٥/١١، وابن حبان (١٥٩)، وأحمد ٢/٤٢٦، وابن منده (١٥) و (١٦). ورواه من حديث جرير بن عبد الله: الآجري ص ١٨٩ - ١٩٠، ورواه من حديث ابن عباس، أحمد ١/٣١٩، والبخاري (٢٤).

وقوله: «والاعتراف^(١) بتوحيد الله وربوبيته» أي: لا يَتِمُّ التوحيد والاعتراف بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى، فإن من زعم خالقاً غَيْرَ الله، فقد أشرك، فكيف بمن يزعم أن كُلَّ أَحَدٍ يَخْلُقُ فعَلَهُ؟! ولهذا كانت القَدَرِيَّةُ مَجُوسَ هذه الأمة، وأحاديثهم في «السنن».

أحاديث في ذم
القدرية

روى أبو داود عن ابن عُمر، عن النبي ﷺ قال: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِنْ مَرَضُوا، فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا، فَلَا تَشْهَدُوهُمْ»^(٢).

وروى أبو داود أيضاً عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا قَدْرَ، مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ، فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ، وَمَنْ مَرَضَ مِنْهُمْ فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَالِ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمُ بِالْدَّجَالِ»^(٣).

(١) في (ب): الإقرار.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٩١) في السنة: باب القدر، والحاكم ٨٥/١ من طريق أبي حازم سلمة بن دينار، عن ابن عمر، وهو منقطع، لأن أبا حازم لم يسمع من ابن عمر، ورواه اللالكائي في «شرح السنة» (١١٥٠)، والآجري في «الشرية» ص ١٩٠ من طريق زكريا بن منظور، عن أبي حازم، عن نافع، عن ابن عمر... وزكريا بن منظور ضعيف، وقال الدارقطني: متروك، وفي الباب عن سهل بن سعد عند اللالكائي (١١٥٢)، وفي سنده يحيى بن سابق المدني، قال: ابن حبان: يروي الموضوعات عن الثقات، وقوله: «مجوس هذه الأمة»، قال ابن الأثير: قيل إنما جعلهم مجوساً لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصليين، وهما النور والظلمة، ويزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، وكذا القدرية يضيفون الخير إلى الله والشر إلى الإنسان والشيطان، والله تعالى خالقهما معاً لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما عملاً واكتساباً.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٢)، وأحمد ٤٠٧/٥، واللالكائي (١١٥٥)، من طريق الثوري، عن عمر ابن محمد، عن عمر مولى غفرة، عن رجل من الأنصار، عن حذيفة، وعمر مولى غفرة على ضعفه قد اضطرب فيه، وشيخه مجهول، فأخرجه أحمد ٨٦/٢ من طريق عمر مولى غفرة، عن ابن عمر، وعمر على ضعفه لم يلق ابن عمر، وأخرجه أحمد ١٢٥/٢ وابن أبي عاصم (٣٢٩) من طريق عمر مولى غفرة، عن نافع، عن ابن عمر، وأخرجه اللالكائي (١١٥٣) من طريق عمر مولى =

وروى أبو داود أيضاً عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْقَدْرِ وَلَا تُفَاتِحُوهُمْ»^(١).

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ لَيْسَ لَهُمَا فِي الْإِسْلَامِ نَصِيبٌ: الْمُرْجِيَّةُ وَالْقَدَرِيَّةُ»^(٢).

لكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصحح الموقوف منها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ، وَكَذَّبَ بِالْقَدْرِ، نَقَضَ تَكْذِيبُهُ تَوْحِيدَهُ^(٣) وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم، وما أظهر من علمه بخطابه وكتابه مقادير الخلائق، وقد ضل في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة^(٤) وغيرهم، ممن يُنْكِرُ علمه بالجزئيات أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يَدْخُلُ في التكذيب بالقدر.

= غفرة، عن عمر بن محمد بن زيد، عن نافع، عن ابن عمر، ورواه الآجري ص ١٩٠ من طريق أبي مصعب، عن الحكم بن سعيد السعدي، عن الجعيد بن عبد الرحمن، عن نافع، عن ابن عمر. والحكم بن سعيد، قال البخاري: منكر الحديث، وقال الأزدي: ضعيف. وأخرجه ابن ماجه (٩٢) من حديث جابر بن عبد الله، وفي سنده ثلاثة مدلسون، وقد عنعنوا.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧١٠) و (٤٧٢٠) وأحمد ٣٠/١، واللالكائي (١١٢٤)، والحاكم ٨٥/١، وفي سنده حكيم بن شريك الهذلي، وهو مجهول.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤٩) في القدر: باب ما جاء في القدرية، وابن ماجه (٦٢) و (٧٣) في المقدمة: باب في الإيمان، وفي سنده نزار بن حيان مولى بني هاشم، وهو ضعيف، ورواه الطبراني في «الكبير» (١١٦٨٢) وفي سنده سلام بن أبي عمرة، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح السنة» (١١١٢)، وأحمد في «السنة» (٧٦١) ص ١٤١، والآجري في «الشرعة» ص ٢١٥، وابن بطة في «الإبانة» ٢٣٤/٢ - ٢٣٥، وفيه من لم يُسَمَّ، ورواه الطبراني في «الأوسط مرفوعاً، كما في «المجمع» ١٩٧/٧، وفي سنده هانئ بن المتوكل، وهو ضعيف. قال ابن حبان في «المجروحين» ٩٧/٣: كان يَدْخُلُ عليه لما كَبُرَ، فيجيب، فكثير المناكير في روايته، فلا يجوز الاحتجاج به بحال.

(٤) في الأصول: «الفلاسفة» بلا واو.

وأما قدره الله على كل شيء، فهو الذي يُكذِّبُ به القَدَرِيَّةُ جملةً، حيث جعلوه لم يَخْلُقْ أفعالَ العباد، فأخرجوها عن قدرته وخلقه.

والقدر الذي لا ريبَ في دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه، وأن الذي جحدوه هُم القَدَرِيَّةُ المحضة بلا نزاع: هو ما قَدَّرَه الله مِن مقاديرِ العباد، وعامة ما يُوجَدُ مِن كلام الصحابة والأئمة في ذمَّ القَدَرِيَّةِ يعني به هؤلاء، كقول ابن عمر رضي الله عنهما، لما قيل له: يزعمون أن لا قَدَرَ، وأن الأمر أُنْفٌ^(١): أَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَأَنَّهُمْ مِنِّي بُرَّاءٌ.

والقدر الذي هو التقدير المطابق للعلم: يتضمَّنُ أصولاً عظيمة: أَحَدُهَا: أَنَّهُ عَالَمٌ بِالْأُمُورِ الْمَقْدَرَةِ قَبْلَ كَوْنِهَا، فَيُثَبِّتُ عِلْمَهُ الْقَدِيمُ، وَفِي ذَلِكَ الرُّدُّ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ عِلْمَهُ الْقَدِيمَ.

الثاني: أَنِ التَّقْدِيرَ يَتَضَمَّنُ مَقَادِيرَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمَقَادِيرُهَا هِيَ صِفَاتُهَا الْمَعْيَنَةُ الْمُخْتَصَّةُ بِهَا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢] فَالْخَلْقُ يَتَضَمَّنُ التَّقْدِيرَ: تَقْدِيرَ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ، بِأَنْ يُجْعَلَ لَهُ قَدْرٌ، وَتَقْدِيرُهُ قَبْلَ وَجُودِهِ، فَإِذَا كَانَ قَدْ كَتَبَ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ قَدْرَهُ الَّذِي يَخُصُّهُ فِي كَمِّيَّتِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ، كَانَ ذَلِكَ أُبْلَغَ فِي الْعِلْمِ بِالْأُمُورِ الْجُزْئِيَّةِ الْمَعْيَنَةِ، خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْكُلِّيَّاتِ دُونَ الْجُزْئِيَّاتِ! فَالْقَدْرُ يَتَضَمَّنُ الْعِلْمَ الْقَدِيمَ، وَالْعِلْمَ بِالْجُزْئِيَّاتِ.

الثالث: أَنَّهُ يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ أَخْبَرَ بِذَلِكَ وَأَظْهَرَهُ قَبْلَ وَجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ إِخْبَارًا مَفْصَلًا، فَيَقْتَضِي أَنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَعْلَمَ الْعِبَادُ الْأُمُورَ قَبْلَ وَجُودِهَا عِلْمًا مَفْصَلًا، فَيَدُلُّ ذَلِكَ بِطَرِيقِ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْخَالِقَ أَوْلَى بِهَذَا الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ عِبَادَهُ بِذَلِكَ^(٢)، فَكَيْفَ لَا يَعْلَمُهُ هُوَ؟!

(١) أي: مستأنف، لم يتقدم فيه قدر ولا مشيئة، يقال: روضته أنف: إذا لم ترع، وأنف الشيء: أوَّلُه.

(٢) سقطت من (ب).

الرابع: أنه يَتَضَمَّنُ أنه مختار لما يفعله، مُخْدِتٌ له بمشيئته وإرادته، ليس لازماً لذاته.

الخامس: أنه يَدُلُّ على حدوث^(١) هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يُقَدَّرُه، ثم يَخْلُقُه.

قوله: «قَوْلٌ لِمَنْ صَاعَ لَهُ فِي الْقَدْرِ قَلْباً سَقِيماً - وفي نسخة: قَوْلٌ لِمَنْ صَارَ قَلْبُهُ فِي الْقَدْرِ قَلْباً سَقِيماً - لَقَدْ التَّمَسَ بِوَهْمِهِ فِي فَخْصِ الْغَيْبِ سِرّاً كَتِيماً، وَعَادَ بِمَا قَالَ فِيهِ أَفْكَأُ أَثِيماً».

ش: القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن، قال تعالى: «أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَتْ مَوْتَناً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» [الأنعام: ١٢٢]. أي: كان ميتاً بالكفر، فأحييناه بالإيمان، فالقَلْبُ الصحيح الحَيُّ إذا عُرِضَ عليه الباطل والقَبَائِحُ، نَفَرَ منها بطبعه، وأبغضها، ولم يَلْتَفِتْ إليها، بخلاف القَلْبِ الميت، فإنه لا يَفْرُقُ بين الحسن والقبيح، كما قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: هَلَكَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَلْبٌ يَعْرِفُ بِهِ الْمَعْرُوفَ وَالْمُنْكَرَ^(٢).

وكذلك القَلْبُ المريضُ بالشهوة، فإنه لِضَعْفِهِ يَمِيلُ إِلَى مَا يَغْرِضُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ قُوَّةِ الْمَرَضِ وَضَعْفِهِ.

وَمَرَضُ الْقَلْبِ نَوْعَانِ، كَمَا تَقْدُمُ: مَرَضُ شَهْوَةٍ، وَمَرَضُ شَبْهَةٍ، وَأَرَدُوهُمَا مَرَضُ الشَّبْهَةِ، وَأَرَادُوا الشُّبْهَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْقَدْرِ. وَقَدْ يَمْرَضُ الْقَلْبُ، وَيَشْتَدُّ مَرَضُهُ، وَلَا يَعْرِفُ بِهِ صَاحِبَهُ، لاشتغاله وانصرافه عن معرفة

(١) سقطت من (ب).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٥٦٤) من طريق سفيان، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، قال: جاء عتريس بن عرقوب الشيباني إلى عبد الله، فقال: هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، فقال: بل هلك من لم يعرف قلبه المعروف، وينكر قلبه المنكر. وقال الهيثمي في «المجمع» ٢٧٥/٧: ورجاله رجال الصحيح.

صحته وأسبابها، بل قد يَمُوتُ وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تُؤْلَمُهُ جِرَاحَاتُ القَبَائِحِ، ولا يُوجِعُهُ جَهْلُهُ بِالْحَقِّ وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة، تألم بورود القبيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته و:

..... مَا لِيُجْزَحَ بِمَيِّتٍ إِسْلَامٌ^(١)

وقد يَشْعُرُ بمرضه، ولكن يَشْتَدُّ عليه تَحَمُّلُ مرارة الدواء والصبر عليها، فيؤثِّرُ بقاء ألمه على مشقة الدواء، فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أَضْعَبُ شَيْءٍ على النفس، وليس له أنفع منه.

وتارة يُوطِنُ نفسه على الصبر، ثم يَنْفَسِخُ عزمه، ولا يستمر معه، لضعف علمه وبصيرته وصبره، كمن دخل في طريق مخوف مُقْبِضٌ إلى غاية الأمن، وهو يَعْلَمُ أنه إن صَبَرَ عليه، انقضى الخوف، وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة صبر، وقوة يقين بما يصيرُ إليه، ومتى ضَعُفَ صَبْرُهُ وِيقِينُهُ، رجع من الطريق، ولم يتحمَّلْ مشقتها، ولا سيما إن عَدِمَ الرفيق، واستوحش من الوَحْدَةِ، وجعل يقول: أين ذَهَبَ النَّاسُ، فلي أَسْوَأَ بهم! وهذه حَالُ أَكْثَرِ الخلق، وهي التي أهلكتهم، فالْبَصِيرُ الصَادِقُ لا يستوحش من قلة الرفيق، ولا من فقدته، إذا استشعر قلبه مرافقة الرَّعِيلِ الأول: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وما أَحْسَنَ ما قال أبو محمد عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ المعروف

(١) عجز بيت للمتنبى، وصدرة:

مَنْ يَهْنُ يَنْهَلُ الْهَوَاؤَ عَلَيْهِ

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد المري الخراساني، مطلعها:

لا افْتِخَارَ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ مُذْرِكُ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ

وقبل البيت المستشهد به:

ذُلٌّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بَعِيشَ رَبِّ عَيْشٍ أَخْفُ مِنْهُ الْجَمَامُ

كُلُّ جَلَمٍ أَتَى بِغَيْرِ اقْتِدَارٍ حُجَّةٌ لَأَجَى إِلَيْهَا النَّامُ

انظر «الديوان» بشرح العكبري ٩٢/٤ - ١٠١.

بأبي شامة^(١) في كتاب «الحوادث والبدع»: «حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان الممتسك به قليلاً، والمخالف له كثيراً، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا نظر^(٢) إلى كثرة أهل الباطل بعدهم» وعن الحسن البصري^(٣) - رحمه الله - أنه قال: «السنة - والذي لا إله إلا هو - بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رجمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف^(٤) في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكَذلك، فكونوا».

١٥٢

وعلاوة مرض القلب عُدُولُهُ عن الأغذية النافعة الموافقة له إلى الأغذية الضارة، وعُدُولُهُ عن دوائه النافع إلى دوائه الضار.

فها هنا أربعة أشياء: غذاء نافع، ودواء شافٍ، وغذاء ضار، ودواء مُهلك.

فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك.

(١) هو الحافظ العلامة المجتهد المتفطن، شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي صاحب كتاب «الروضتين» و«البدع والحوادث». كان مع براعته في العلوم متواضعاً، تاركاً للتكلف، كان فوق حاجبه الأيسر شامة كبيرة، دخل عليه اثنان في صورة مستفتيين، فضربه، فمات منها، وذلك سنة (٦٦٥) هـ. انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» ٤/ ١٤٦٠.

(٢) في (د): ننظر، وهي كذلك في مطبوعة مكة، وفي «إغاثة اللهفان» ١/ ٦٩: ولأنظر.

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري الأنصاري مولا لهم، وصفه محمد بن سعد في «الطبقات» بقوله: كان الحسن - رحمه الله - جامعاً، عالماً، رفيعاً، فقيهاً، ثقة، حجة، مأموناً، عابداً، ناسكاً، كثير العلم، فصيحاً، جميلاً، وسيماً، وما أرسله فليس بحجة، توفي سنة ١١٠ هـ. له ترجمة حافلة في «السير» ٤/ رقم الترجمة (٢٢٣).

(٤) في (ب): الإسراف، وهو خطأ.

وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء^(١)، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة، فهو من أجهل الجاهلين، وأضل الضالين، فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٧) [الإسراء: ٨٢]. و«من» في قوله: ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ لبيان الجنس، لا للتبعض، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧) [يونس: ٥٧].

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدوية القلبية والبدينية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به. وإذا أحسن العليل التدوي به، ووضعه على دائه بصديق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاوم الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدوية كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدعها، أو على الأرض لقطعها! فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحكمة منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه.

وقوله: «لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرّاً كتيماً» أي: طلب بوهمه في البحث عن الغيب سرّاً مكتوماً، إذ القدر سرُّ الله في خلقه، فهو يروم ببحثه الاطلاع على الغيب، وقد قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]، إلى آخر السورة.

وقوله: «وعاد بما قال فيه» أي: في القدر: «أفاكاً»: كذاباً. «أثيماً» أي: مأثوماً.

قوله: «والعرش والكُرسي حق».

(١) انظر «إغاثة اللهفان» ٦٨/١ - ٧٠.

ش: كما بَيَّنَّ تعالى في كتابه، قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝﴾ [البروج: ١٥]. ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝﴾ [طه: ٥]. ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، في غير ما آيةٍ مِنَ الْقُرْآنِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝﴾ [النمل: ٢٦]. ﴿الَّذِينَ يَجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [غافر: ٧]. ﴿وَيَجُولُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَمِينٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥].

وفي دُعَاءِ الْكَرْبِ الْمَرْوِيِّ فِي «الصَّحِيحِ»: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في حديث الأَوْعَالِ عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَذَرُونَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ^(٣) خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكَثْفُ^(٤) كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَفَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ الْعَرْشُ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

(١) سقطت من (ب).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٥) و (٦٣٤٦) و (٧٤٢٦) و (٧٤٣١)، ومسلم (٢٧٣٠) والترمذي (٣٤٥٣)، وأحمد ٢٢٨/١ و ٢٤٥ و ٢٥٩ و ٢٦٨ و ٢٨٠ و ٣٣٩ و ٣٥٦، وابن أبي شيبة ١٩٦/١٠، وابن ماجه (٣٨٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٠٠) و (٧٠٢)، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٥٠) و (١٠٧٧٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. وفي الباب عن علي في «عمل اليوم والليلة» لابن السني رقم (٣٤٣).

(٣) سقطت من (ب).

(٤) بكسر الكاف وفتح الثاء المثناة، بوزن غَلَطَ، ومعناه.

والأرض، والله فوق ذلك، لَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ شَيْءٌ^(١).
ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

وروى أبو داود وغيره بسنده إلى رسول الله ﷺ، من حديث الأبيط،
أنه ﷺ قال: «إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ كَهَاكَذَا^(٢)» وقال بأصابعه، مِثْلَ الْقُبَّةِ
الحديث^(٣).

وفي «صحيح البخاري» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ
الْجَنَّةَ^(٤)» فسأله الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الْجَنَّةِ، وَأَوْسَطُ الْجَنَّةِ^(٥)، وَفَوْقَهُ عَرْشُ
الرَّحْمَنِ^(٦). يروى: «وفوقه» بالنصب على الظرفية، وبالرفع على الابتداء،
أي: وسقفه.

(١) أخرجه أحمد ٢٠٦/١، ٢٠٧، وأبو داود (٤٧٢٣) في السنة: باب في الجهمية،
والترمذي (٣٣٢٠) في التفسير: باب ومن سورة الحاقة، وابن ماجه (١٩٣) في
المقدمة: باب فيما أنكرت الجهمية، وعثمان الدارمي ص ٩٠، ٩١، والبيهقي في
«الأسماء والصفات» ص ٣٩٩، والحاكم في «المستدرک» ٥٠٠/٢ - ٥٠١ من حديث
عبد الله بن عميرة، عن الأحنف بن قيس، عن العباس بن المطلب. وعبد الله بن
عميرة، مجهول لم يوثقه غير ابن حبان على عادته في توثيق المجاهيل، وقال
البخاري: لا يعلم له سماع من الأحنف، وقال ابن العربي في «عارضته»: إن خبر
الأوعال متلف من الإسرائيليات.

(٢) كذا الأصل، وفي «سنن أبي داود»: لهكذا.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص ١٠٣ - ١٠٤، والدارمي
في «الرد على الجهمية» ص ٢٤، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٤١٧ -
٤١٨، والطبراني (١٥٤٧)، في «شرح السنة» (٩٢)، وابن أبي عاصم (٥٧٥) و
(٥٧٦)، والأجري في «الشریعة» ص ٢٩٣ من طريق ابن إسحاق، عن يعقوب بن
عتبة، عن جبير بن محمد بن جبير، عن أبيه، عن جده، وهذا سند ضعيف لعنة
ابن إسحاق، ولجهالة جبير بن محمد، فإنه لم يوثقه غير ابن حبان، وللحافظ ابن
عساكر جزء سماه: «بيان وجوه التخليط في حديث الأبيط».

(٤) لم ترد هذه اللفظة عند البخاري.

(٥) كذا في الأصول، ولفظ البخاري: «فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة».

(٦) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٧٤٢٣)، وأحمد ٣٣٥/٢ من حديث أبي
هريرة.

وذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك^(١) مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه: الفلك الأطلس، والفلك التاسع. وهذا ليس بصحيح، لأنه قد ثبت في الشرح أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال ﷺ: «فإنَّ النَّاسَ يَضَعُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيْقُ، فإذا أَنَا بِمُوسَى آخِذَ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فلا أَذْري أَفاقَ قَبْلِي أَمْ جُوزِي بِصَغْفَةِ الطُّورِ»^(٢).

والعرش في اللغة: عِبَارَةٌ عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. وليس هو فلكاً، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن، إنما نزل بِلُغَةِ الْعَرَبِ، فهو سرير ذو قوائم^(٣) تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات، فمن شعر أمية بن أبي الصلت^(٤):

مَجَّدُوا اللَّهَ فَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ رُبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا
بِالْبَنَاءِ الْعَالِي الَّذِي بَهَرَ النَّاسَ سَنَ وَسَوَى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا

(١) سقطت من (ب).

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في الصفحة ١٥٩.

(٣) في (ب): قائم.

(٤) هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي، حكيم من أهل الطائف. قال ابن سلام في طبقاته: ومن شعراء الطوائف أمية بن أبي الصلت، وهو أشعرهم، وكان كثير العجائب، يذكر في شعره خلق السماوات والأرض، ويذكر الملائكة، ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء، وكان قد شام أهل الكتاب، وقال ابن قتيبة: وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء، ويأتي بالفاظ كثيرة لا تعرفها العرب، يأخذها من الكتب المتقدمة، وبأحاديث من أحاديث أهل الكتاب، ثم سرد شيئاً منها، ثم قال: وهذه أشياء منكورة، وعلمائنا لا يرون شعره حجة في اللغة. ولما بلغه خروج رسول الله ﷺ وقصته، كفر حسداً له، ولما أنشد رسول الله شعره، قال: آمن لسانه، وكفر قلبه. انظر «الشعر والشعراء» ص ٤٥٩ طبع دار المعارف، تحقيق أحمد محمد شاكر و «الأغاني» ١٢٠/٤ - ١٣٣، و «طبقات فحول الشعراء» ١/٢٦٢ - ٢٦٧، وصحيح مسلم (٢٢٥٥)، و «تهذيب ابن عساکر» ٣/١١٨ - ١٣١، و «خزانة الأدب» ١/١١٩ - ١٢٢.

شَرْجَعًا لَا يَنَالُهُ بَصَرُ الْعَيْنِ بِنِ تُرَى حَوْلَهُ الْمَلَائِكُ صُورًا^(١)
 الصُّور هنا: جمع أضْوَر: هو المائل العُنُقِ لِنَظَرِهِ إِلَى الْعُلُو.
 والشَرْجَعُ: هو العالي المنيف، والسريزُ: هو العرش في اللغة.

وَمِنْ شَعَر عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ عليه السلام، الَّذِي عَرَّضَ بِهِ عَنِ الْقِرَاءَةِ لَامْرَأَتِهِ
 حِينَ اتَهَمَتْهُ بِجَارِيَتِهِ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعَدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
 وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 وَتَحْمِيلُهُ مَلَائِكَةً شِدَادًا مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَ
 ذكره ابنُ عبد البر وغيره من الأئمة^(٢).

وروى أبو داود عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أُذِنَ لِي أَنْ أَحْدِثَ عَنْ مَلِكٍ
 مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ: إِنْ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ^(٣) إِلَى عَاتِقِهِ
 مَسِيرَةُ سَبْعِ مِثْقَالِ عَامٍ»^(٤). ورواه ابن أبي حاتم، ولفظه: «مَخْفِقُ الطَّيْرِ سَبْعِ
 مِثْقَالِ عَامٍ».

وَأَمَّا مَنْ حَرَّفَ كَلَامَ اللَّهِ، وَجَعَلَ الْعَرْشَ عِبَارَةً عَنِ الْمُلْكِ، كَيْفَ يَصْنَعُ
 بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَلَكٌ كَبِيرٌ﴾ [الحاقة: ١٧]. وقوله:
 ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]. أَيْقُولُ: وَيَحْمِلُ مُلْكَهُ يَوْمَئِذٍ

(١) ديوان أمية ص ٣٩٩ - ٤٠٠.

(٢) قال أبو عمر بن عبد البر في ترجمة عبد الله بن رواحة في «الاستيعاب» ٢/ ٢٨٧:
 وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة روينها من وجوه صحاح، إلا أن
 الذهبي تعقبه في «العلو» ص ١٠٦ بقوله: روي من وجوه مرسلة، ثم ذكرها.
 والأبيات في «الرد على الجهمية» ص ٢٧، و«أمالى اليزيدي» ١٠٢، و«جمع
 الجواهر» ص ٣١ للقيرواني، و«سير أعلام النبلاء» ١/ ٢٣٨، و«تاريخ دمشق» لابن
 عساكر ص ٣٤٠ و ٣٤٢، و«تهذيبه» ٧/ ٣٩٥.

(٣) كذا في الأصول، ولفظ أبي داود: «ما بين شحمة أذنه».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، والخطيب في «تاريخه» ١٠/ ١٩٥ والبيهقي في «الأسماء
 والصفات» ص ٣٩٨ من حديث جابر بن عبد الله، وإسناده صحيح.

ثمانية؟! وكان مُلْكُه على الماء! ويكون موسى ﷺ آخذاً بقائمة من قوائم المُلْك! هل يقول هذا عاقلٌ يدري مايقول؟!

وأما الكرسيُّ، فقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد قيل: هو العرش، والصحيح أنه غَيْرُه، نُقِلَ ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، روى ابنُ أبي شَيْبَةَ^(١) في كتاب «صفة العرش»، والحاكم في «مستدركه»، وقال: إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه، عن سعيد بن جبیر^(٢) عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أنه قال: الكرسيُّ موضعُ القدمين، والعرش لا يَقْدُرُ قَدْرُهُ إلا الله تعالى^(٣). وقد روي مرفوعاً^(٤)، والصوابُ أنه موقوف على ابن عباس.

(١) هو أبو بكر عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شَيْبَةَ، إبراهيم بن عثمان بن خُواستِي، الإمام، العلم، سيد الحفاظ، العبسي مولاهم، الكوفي، صاحب «المسند» و «المصنف»، و «التفسير»، توفي سنة (٢٣٥هـ). مترجم في «السير» ١١ / (٤٤).

(٢) هو الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد سعيد بن جبیر الأسدي الوالي مولاهم الكوفي، أحد الأعلام، توفي ﷲ سنة (٩٥هـ). له ترجمة حافلة في «السير» ٤ / رقم الترجمة (١١٦).

(٣) هو في «صفة العرش» ورقة ١١٤، و «المستدرک» ٢٨٢/٢ من طريق أبي عاصم الضحاك بن مخلد، حدثنا سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس. وأخرجه الطبري (٥٧٩٢)، والطبراني (١٢٤٠٤)، والدارقطني في «أحاديث النزول» ص ٤٩ من طريق عن أبي عاصم به، وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٦ / ٣٢٣ عن الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٤) وهم في رفعه شجاع بن مخلد الفلاس أبو الفضل البغوي وهو ثقة من رجال «التهذيب». فقد قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» ٤٥٧/١ بعد أن أورده من طريق شجاع بن مخلد: أخبرنا أبو عاصم عن سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس قال: سئل النبي ﷺ عن قول الله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال: كرسية موضع قدميه... كذا. أورد هذا الحديث الحافظ أبو بكر بن مردويه من طريق شجاع بن مخلد الفلاس فذكره، وهو =

وقال السُّدي: السَّمَاوَات والأَرْض فِي جَوْفِ الْكَرْسِيِّ وَالْكَرْسِيُّ بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ^(١).

وقال ابن جرير: قال أبو ذر رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الْكَرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أَلْقَيْتَ بَيْنَ ظَهْرِي فَلَاةٌ مِنَ الْأَرْضِ»^(٢).

= غلط، وقد رواه وكيع في تفسيره: حدثنا سفيان، عن عمار الدهني، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: الكرسي موضع القدمين... وأورده من طريق شجاع بن مخلد ابن منده في «الرد على الجهمية» ص ٤٤ - ٤٥، وقال: هكذا رواه شجاع بن مخلد في التفسير مرفوعاً عن النبي ﷺ، وقال إسحاق بن سيار في حديثه، عن أبي عاصم من قول ابن عباس، وكذلك رواه أصحاب الثوري عنه، وكذلك روي عن عمار الدهني موقوفاً، ورواه أبو بكر الهذلي وغيره عن سعيد بن جبير من قوله. وقال الدارقطني في «كتاب النزول» ص ٤٩ بعد أن رواه من طريق أحمد بن منصور الرمادي، عن أبي عاصم: رفعه شجاع إلى النبي ﷺ، ولم يرفعه الرمادي.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٧٩٠) عن موسى بن هارون، عن عمرو بن حماد القناد، عن أسباط بن نصر الهمداني - وهو كثير الخطأ - عنه وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ١٨/٢، وزاد نسبه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٥٧٩٤) من طريق يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي قال: قال أبو ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد بين ظهري فلاة من الأرض» وهذا سند ضعيف جداً، ابن زيد: هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، ضعفه علي بن المديني جداً، وقال ابن خزيمة: ليس هو ممن يحتج أهل العلم بحديثه، لسوء حفظه، وهو رجل صناعته العبادة والتقشف، ليس من أحلاس الحديث، وأبو زيد لم يسمع من أبي ذر، وقد وهم الشيخ ناصر الدين الألباني في صحيحه (١٠٩)، فظن ابن زيد عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب الثقة.

وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» ٤٠٤ - ٤٠٥ من طريق الحسن بن عرفة العبدي، عن يحيى بن سعيد السعدي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير الليثي، عن أبي ذر، ويحيى بن سعيد السعدي قال العقيلي في «الضعفاء» ٤/٤٠٤: لا يتابع على حديثه، وقال ابن حبان في «المجروحين» ١٢٩/٣: يروي المقلوبات والملاقات لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وابن جريج مدلس وقد عمن.

ثم أخرجه من طريق الحسن بن سفيان بن عامر، عن إبراهيم بن هشام بن يحيى بن =

وقيل: كُرْسِيُّهُ عِلْمُهُ، وَيُنْسَبُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ^(١)، والمحمفوظ عنه ما رواه ابنُ أبي شيبة، كما تقدم، وَمَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَيْسَ لَهُ دَلِيلٌ إِلَّا مُجَرَّدُ الظن، والظاهر أنه مِنْ جِرَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ، كما قيل في العرش. وإنما هو كما قال غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: بَيْنَ يَدَيِ الْعَرْشِ كَالْمِرْقَاةِ إِلَيْهِ.

قوله: «وَهُوَ مُسْتَغْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَمَا دُونَهُ، مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه».

ش: أما قوله: «وهو مستغن عن العرش وما دونه» فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وإنما قال الشيخ رحمته الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دُون العرش، ليبين أن خلقه للعرش واستواءه عليه ليس لحاجته إليه، بلْ له في ذلك حكمة اقتضته، وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي،

١٥٥
الله سبحانه
مستغن عن
العرش محيط
بكل شيء
وفوقه

= يحيى الغساني، حدثنا أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر. وهذا سند تالف، إبراهيم بن هشام بن يحيى، كذبه أبو حاتم، وأبو زرعة. كما في «الميزان» ٧٢/١ - ٧٣.

وأخرجه من طريق آخر عن أبي ذر محمد بن أبي شيبة في كتاب «العرش» ورقة ١/١١٤ وفي سنده ضعيف ومجهول، ورواه ابن مردويه، كما في ابن كثير من طريق آخر أيضاً، وفيه مجهول وضعيفان.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥٧٨٧) و (٥٧٨٨) من طريقين، عن مطرف، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس: «وسع كرسيه» قال: كرسيه علمه، وقد تقدم في الصفحة (٣٦٩) ما روي عن ابن عباس في تفسير الكرسي بأنه موضع القدمين، وهو أصح إسناداً. ويراجع ما تعقب به الأستاذ محمود شاكر على الإمام الطبري - رحمته الله - في ترجيحه لرواية تفسير الكرسي بالعلم، وذلك في كتاب التفسير ٤٠١/٥ - ٤٠٢.

كما يراجع في ترجيح رواية أن الكرسي موضع القدمين: الأسماء والصفات للبيهقي: ٣٥٤، الرد على الجهمية لابن مندة: ٤٤ - ٤٦، ميزان الاعتدال للذهبي ٤١٧/١. ففيها من كلام أهل العلم واللغة ما يرجح ويؤيد رواية أن الكرسي موضع القدمين على رواية أنه العلم، والله أعلم.

محيطاً به، حاملاً له ولا^(١) أن يَكُونَ الأعلى مفتقراً إليه. فانظر إلى السماء، كيف هِيَ فَوْقَ الأرض وليست مفتقرةً إليها؟ فالربُّ تعالى أعظمُ شأنًا، وأجلُّ مِن أن يلزم مِن علوه ذلك، بل لَوَازِمُ علوه من خصائصه، وهي حَمْلُهُ بقدرته للسافل، وفَقْرُ السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته عَزَّ وجلَّ به، فهو فَوْقَ العرش مع حمله بقدرته^(٢) للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم متتفية عن المخلوق.

وَنُفَاةُ العلوِ أهلُ التعطيل^(٣) لو فَضَّلُوا هذا التفصيل، لَهُدُّوا إلى سواءِ السبيل، وَعَلِمُوا مطابقةَ العقلِ للتنزيل، ولسلكوا خَلْفَ الدليل، ولكن فارقوا الدليلَ، فَضَّلُوا عن سواءِ السبيل، والأمرُ في ذلك كما قال الإمامُ مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لما سُئِلَ عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْمَرْثَى﴾ [الأعراف: ٥٣] كيف استوى؟ فقال: الاستواءُ معلومٌ والكَيْفُ مجهول. وَيُرَوَّى هذا الجوابُ عن أم سلمة^(٤) رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي ﷺ^(٥).

(١) في (أ) و (ب) و (د) لا، والمثبت من (ج) ومطبوعة مكة.

(٢) في (ب): وقدرته، وليس بشيء.

(٣) في (ب): العلو، وهو خطأ.

(٤) هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، من المهاجرات الأول، كانت قبل النبي ﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، الرجل الصالح، دخل بها النبي ﷺ في سنة أربع من الهجرة، وكانت من أجل النساء وأشرفهن نسباً، وأرجحن عقلاً، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين سنة تسع وخمسين هجرية، مترجمة في «سير أعلام النبلاء» ٢/٢٠٢ - ٢١٠.

(٥) قال شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٥/٣٦٥: وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. قلت: وأخرجه من قول أم سلمة اللالكائي في «شرح السنة» ٣/٣٩٧، وفي سننه محمد بن أشرس السلمي، وهو متهم في الحديث، تركه غير واحد، وقول مالك أورده اللالكائي ٣/٣٩٨، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٤٠٨، وابن حجر في «الفتح» ١٣/٤٠٦، وجود ابن حجر أحد أسانيده.

وأما قوله: «محيطٌ بِكُلِّ شيءٍ وفوقه» وفي بعض النسخ: «محيطٌ بِكُلِّ شيءٍ فوقه». بغير واوٍ من قوله: «فوقه». والنسخة الأولى هي الصحيحة، ومعناها: أنه تعالى محيطٌ بِكُلِّ شيءٍ وفوق كل شيء. ومعنى الثانية: أنه محيطٌ بكل شيء فوق العرش. وهذا - والله أعلم - إما أن يَكُونُ أسقطها بعضُ النساخ سهواً، ثم استنسخ بعضُ الناس من تلك النسخة، أو أن بعضَ المحرِّفين الضالين أسقطها قصداً للفساد، وإنكاراً لصفة الفوقية، وإلاَّ فقد قام الدليلُ على أن العرشَ فوقَ المخلوقات، وليس فوقه شيء من المخلوقات، فلا يبقى لقوله: محيطٌ بكل شيء فوق العرش - والحالة هذه - معنى؛ إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يُحاطُ به؛ فتعين ثبوت الواو، ويكون المعنى: أنه سبحانه محيطٌ بكل شيء، وفوق كل شيء.

أما كونه محيطاً بكل شيء، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ۝١٥٦﴾ [البروج: ٢٠] ﴿أَلَا إِنَّكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤]. ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝١٢٦﴾ [النساء: ١٢٦]. وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاتة المقدسة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد: إحاطة عظيمة وسعة وعلم وقُدرة، وأنها بالنسبة إلى عظمتها كالخردلة، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، والأَرْضُونَ السَّبْعُ وما فيهن وما بيّهن في يد الرحمن، إلا كخردلة في يد أحدكم.

ومن المعلوم - والله المثل الأعلى - أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاطت قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مُبَايِنٌ لها، عالٍ عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يُحِيطُ بعظمته وَضْفٌ وَاصِفٌ، فلو شاء لَقَبَضَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الْيَوْمَ، وفعل بها كما يَفْعَلُ بها يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فإنه لا يتجددُ له إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يَسْتَبْعِدُ الْعَقْلُ مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته؟ أو يُدْنِي إليه من يشاء من خلقه؟ فمن نفى

ذلك، لم يَقْدُرْهُ حَقُّ قدره، وفي حديث أبي رَزِينِ المشهور الذي رواه عن النبي ﷺ في رؤية الربِّ تعالى: فقال له أبو رزين^(١): كيف يسعنا - يا رسول الله - وهو واحد ونحن جميع؟ فقال: «سَأَبْتُكَ بِمَثَلِ ذَلِكَ فِي آلاءِ الله: هَذَا الْقَمَرُ، آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الله، كُلُّكُمْ يَرَاهُ مُخْلِياً بِهِ، والله أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ^(٢)» وإذا قال تَبَيَّنَ أَنَّهُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. فهذا يُزِيلُ كُلَّ إشْكَالٍ، وَيُبْطِلُ كُلَّ خِيَالٍ.

وأما كونه فوق المخلوقات، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَايُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١]. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. وقال ﷺ في حديث الأوعال المتقدم: «والعرشُ فَوْقَ ذَلِكَ، والله فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ^(٣)». وقد أنشد عَبْدُ الله بْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شِعْرَهُ المذكورَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ، وأقرَّه على ما قال، وَضَحِكَ مِنْهُ^(٤). وكذا أنشده حسانُ بن ثابت رضي الله تعالى عنه قوله:

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مِنْ عَلَـ

(١) العقيلي: له صحبة من رسول الله ﷺ، وعداده في أهل الطائف، وهو لقيط بن عامر بن صَبْرَةَ بن عبد الله بن المنتفق، ويقال: لقيط بن صبرة هكذا ذكره البخاري، وابن أبي حاتم وغيرهما، وقيل: هما اثنان، ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة، وتناقض فيه الحافظ المزي، فجزم في «تحفة الأشراف» ٣٣١/٨ - ٣٣٢ بأنهما اثنان، وفي «تهذيب الكمال» ورقة ٥٧٦ بأنهما واحد، ورجح الحافظ في «الإصابة» ٣١١/٣ أنهما اثنان، ودل عليه بأن لقيط بن عامر معروف بكنيته، ولقيط بن صَبْرَةَ لم يذكر كنيته إلا ما شذ به ابن شاهين، فقال: أبو رزين العقيلي أيضاً، والرواية عن أبي رزين جماعة، ولقيط بن صبرة لا يعرف له راوٍ إلا ابنه عاصم، وإنما قوى كونهما واحداً عند من جزم به، لأنه وقع في صفة كل واحد منهما أنه وافد بني المنتفق، وليس بواضح، لأنه يحتمل أن يكون كل منهما رأساً.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٣١) في السنة: باب في الرؤية، وابن ماجه (١٨٠) في المقدمة، وأحمد ١١/٤ و ١٢، والطيالسي (١٠٩٤) وإسناده ضعيف، لجهالة وكيع بن عدس أو حدس أحد رواه.

(٣) ضعيف، وقد تقدم تخريجه ص ٣٦٥.

(٤) تقدم أنها رويت من وجوه مرسله.

وَأَنْ أبا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا لَهُ عَمَلٌ مِنْ رَبِّهِ مُتَقَبَّلٌ
وَأَنَّ الَّذِي عَادَ الْيَهُودُ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ آتَى مِنْ عِنْدِ ذِي الْعَرْشِ مُرْسَلٌ
وَأَنَّ أَخَا الْأَخْقَافِ إِذْ قَامَ فِيهِمْ يُجَاهِدُ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ ^(١) وَيَعْدِلُ ^(٢)
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَأَنَا أَشْهَدُ» ^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» ^(٤) وفي رواية: «تَغْلِبُ غَضَبِي» رواه البخاري وغيره.

وروى ابن ماجه عن جابر ^(٥) يرفعه، قال: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الْجَبَّارُ جَلُّ جَلَالُهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النِّعَمِ مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ» ^(٦).

وروى مسلم عن النبي ﷺ، في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] بقوله: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ

(١) في (ج): يقوم بذات الله فيهم... وهي في (ب) نسخة، أما (أ) فقد ذكر الروايتين، وقال عن الأولى: صح.

(٢) ديوان حسان ص ٤٠٣.

(٣) أورده مع الأبيات المزي في «تهذيب الكمال» ٢١/٦، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٥١٨/٢ - ٥١٩، وأبو الفرج في «الأغاني» ١٥١/٤ - ١٥٢، وهو مرسل كما قال الذهبي، وأبو يحيى: هو زكريا رضي الله عنه، وأخو الأحقاف: هو هود عليه السلام.

(٤) أخرجه البخاري (٣١٩٤) و (٧٤٠٤) و (٧٤٢٢) و (٧٤٥٣) و (٧٥٥٣) و (٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١) وابن ماجه (٤٢٩٥)، وأحمد ٢٤٢/٢ و ٢٥٨ و ٢٦٠ و ٢٩٣ و ٣٥٨ و ٣٨١ و ٣٩٧ و ٤٣٣ و ٤٦٦، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٠١/١٠، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٣٤٠/٢، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٧٧) و (٤١٧٨).

(٥) عن جابر: ساقط من (ب).

(٦) ضعيف، وقد تقدم تخريجه ص ١٧٧.

الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ قَوْفَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ، فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(١).

والمراد بالظهور هنا: العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾^(٢) أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴿[الكهف: ٩٧]، أَي يَغْلُوهُ.

فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته، واسمان لعلوه وقربه.

وروى أبو داود عن جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَهِدْتَ الْإِنْفُسَ، وَنَهَكْتَ الْأَمْوَالَ، أَوْ هَلَكْتَ، فَاسْتَسْقِ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟! وَسَبِّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيْحَكَ! أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ، وَإِنَّهُ لَيُطِّطُ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ الْجَدِيدِ بِالرَّايِبِ»^(٣).

وفي قصة سعد بن معاذ يوم بني قريظة، لما حكم فيهم أن يُقتل مُقاتلتهم، وتُسبى ذراريهم، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»^(٤). وهو حديث صحيح، أخرجه

(١) تقدم تخريجه ص ٧٥.

(٢) في (ب) و (د): «استطاعوا» وهي قراءة شاذة لم يقرأ بها غير الأعمش، فقد جاء في «حجة القراءات» ص ٤٣٥: قرأ حمزة: (فما استطاعوا) بتشديد الطاء، أراد: فما استطاعوا، فأدغم التاء في الطاء، لأنهما أختان، وحجته قراءة الأعمش: «فما استطاعوا» بالتاء، وقرأ الباقون: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ بتخفيف الطاء، والأصل: «فما استطاعوا» فحذفوا التاء كراهة الإدغام، والجمع بين حرفين متقاربي المخرج.

(٣) ضعيف، وقد تقدم تخريجه ص ٣٦٥.

(٤) أخرجه من حديث سعد بن مالك بن سنان أبي سعيد الخدري دون قوله: «من فوق» =

الأموي^(١) في «مغازيه»، وأضله في «الصحيحين».

وروى البخاري عن زينب رضي الله عنها: «أُتِيَها كَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَقُولُ: زَوَّجَكُنْ أَهْلِيكَنْ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»^(٢).

وعن عُمَرَ ﷺ: أَنَّهُ مَرَّ بِعَجُوزٍ، فَاسْتَوْقَفْتَهُ، فَوَقَّفَ مَعَهَا يُحَدِّثُهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسْتَ النَّاسَ بِسَبَبِ هَذِهِ^(٣) الْعَجُوزِ؟ فَقَالَ: وَيْلَكَ! أَتَدْرِي مَنْ هَذِهِ؟ هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللَّهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، هَذِهِ خَوْلَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِيَّكَ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ١]. أخرجه الدارمي^(٤).

= سبع سماوات: البخاري (٣٠٤٣) و (٣٨٠٤) و (٤١٢١) و (٦٢٦٢)، ومسلم (١٧٦٨)، وأحمد ٢٢/٣، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣/٣٢٧، والطبراني (٢٢٤٠)، وابن أبي شيبة ١٤/٤٢٥، وأبو نعيم في «الحلية» ٣/١٧١، وأبو يعلى في «مسنده» (١١٨٨)، والطبراني في «الكبرى» (٥٣٢٣)، وأما الزيادة، فقد رواها ابن سعد في «الطبقات» ٣/٤٢٦، وأوردها الذهبي في «العلو» ص ١٠٢، وصححها كالشارح مع أنه تفرد بها محمد بن صالح التمار، ومثله لا يُقبل تفردُه كما يتبين من مراجعة ترجمته في «التهذيب» ٩/٢٢٥ - ٢٢٦، وسعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الأشهل السيد الكبير الشهيد، أبو عمرو الأنصاري الأشعري البصري، الذي اهتز لموته العرش، صاحب المناقب المشهورة المنتورة في الصحاح والسيرة مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١/٢٧٩ - ٢٩٧.

(١) هو يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الإمام المحدث، الثقة النبيل، أبو أيوب القرشي الأموي الكوفي، المتوفى سنة (١٩٤هـ). مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٩/١٣٩ - ١٤٠.

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠)، والترمذي (٣٢١٣)، والنسائي ٦/٨٠، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ١/٢٩٧ من حديث أنس. وزينب: هي زينب بنت جحش بن رثاب ابنة عمه النبي ﷺ، أمها أميمة بنت عبد المطلب، من المهاجرات الأول، كانت عند زيد مولى النبي ﷺ فزوجه الله تعالى نبيه بنص كتابه بلا ولي ولا شاهد، وكانت من سادة النساء ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً، وحديثها في الكتب الستة. مترجمة في «السيرة» ٢/٢١١ - ٢١٨.

(٣) في الأصول: «هذا» والمثبت من «الرد على الجهمية» ومطبوعة مكة.

(٤) في «الرد على الجهمية» ص ٢٦ من طريق أبي يزيد المدني، عن عمر، قال الذهبي =

وروى عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لَا تَبْتَغُوا مِنْ يَدَيْهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، قال: ولم يستطع أن يقول: مِنْ فَوْقِهِمْ، لأنه قد عَلِمَ أن الله سبحانه مِنْ فوقهم^(١).

ومن سَمِعَ أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف، وَجَدَ منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر.

ولا ريب أن الله سبحانه لما خَلَقَ الخلق، لم يَخْلُقْهُمْ في ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك، فإنه الأخذ الصمد الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ، فتعَيَّنَ أنه خلقهم خارجاً عن ذاته، ولو لم يَتَّصِفْ سبحانه بفوقية الذات، مع أنه قائم بنفسه، غَيْرُ مخالط للعالم، لكان مُتَّصِفاً بِضِدِّ ذلك، لأن القابل للشيء لا يخلو منه، أو مِنْ ضده، وضد الفوقية: السفول، وهو مذموم على الإطلاق، لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده.

فإن قيل: لا نُسَلِّمُ أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها. قيل: لو لم يكن قابلاً للعلو والفوقية، لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها، فمتى أَقَرَرْتُمْ بأنه ذات قائم بنفسه، غَيْرُ مخالط للعالم، وأنه موجود في الخارج،

= في «العلو» ص ١١٣: وهذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عُمر. وخولة: هي خولة - وقيل: خويلة - بنت ثعلبة بن أصرم، امرأة أوس بن الصامت أخي عبادة بن الصامت، وهي التي نزل فيها، وفي زوجها قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ الآيات. انظر «أسد الغابة» ٩١/٧ - ٩٣، و «الإصابة» ٢٨٢/٤ - ٢٨٣.

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤٣٨٢)، وفي سنده حفص بن عمر العدني، وهو ضعيف، وشيخه فيه - وهو الحكم بن أبان، صدوق له أوهام. وهو في «شرح السنة» ٣٩٧/٣ للالكائي من طريق الحكم بن أبان عن ابن عباس. وأخرج الطبري (١٤٣٧٢) عن قتادة قوله: ﴿لَا تَبْتَغُوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية: أتاهم من بين أيديهم، فأخبرهم أنه لا بعث، ولا جنة، ولا نار، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من أمر الدنيا، فزيناها لهم، ودعاهم إليها، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ من قبل حسناتهم بطأهم عنها، ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ زين لهم السيئات والمعاصي، ودعاهم إليها وأمرهم بها، أنك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله.

ليس وجوده ذهنيًا فقط، بل وجوده خارج الأذهان قطعاً، وقد عليم العقلاء كلهم بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك، فهو، إما داخل العالم، وإما خارج عنه، وإنكار ذلك إنكار ما^(١) هو أجلى وأظهر الأمور البديهيات الضرورية بلا ريب، فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمبينة أظهر منه، وأوضح وأبين، وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال، لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصاً ولا يوجب محذوراً، ولا يخالف كتاباً، ولا سنة، ولا إجماعاً، فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلاً. فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله، والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله إلا بذلك؟! فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والنصوص الواردة المتنوعة المحكّمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده التي تقرب من عشرين نوعاً^(٢):

النصوص
الواردة المتنوعة
في إثبات العلو

أحدها: التّصريح بالفوقية مقروناً بأداة «من» المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].
الثاني: ذكرها مُجَرَّدَةً عن الأداة، كقوله: ﴿وَهُوَ أَلْفَاظُهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨ و ٦١].

الثالث: التّصريح بالمُزَوَّج إليه نحو: ﴿تَنَزَّجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وقوله ﷺ: «فَيُزَوِّجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ»^(٣).

(١) في «مختصر الصواعق» ٢/ ٢١٥: وإنكار ذلك إنكار لما هو من أجلى البديهيات.
(٢) انظر «مختصر الصواعق المرسلة» ٢/ ٢٠٥ - ٢١٧.
(٣) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٥٥٥) و (٣٢٢٣) و (٧٤٢٩) و (٧٤٨٦)، ومسلم (٦٣٢)، والنسائي ١/ ٢٤٠ و ٢٤١، ومالك ١/ ١٧٠، وأحمد ٢/ ٢٥٧ و ٣١٢ و ٤٨٦ من حديث أبي هريرة، ولفظه بتمامه: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون».
وهو في صحيح ابن خزيمة (٣٢١) و (٣٢٢) وابن حبان (١٧٢٨) و (١٧٢٩)، والبخاري في «شرح السنة» (٣٨٠).

الرابع: التصريح بالصُّعُودِ إليه، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

الخامس: التَّضَرُّعُ برفعه بَعْضُ المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ^(١) وَرَافِعَكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

١٥٩

السادس: التَّضَرُّعُ بِالْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الدَّالُّ عَلَى جميع مراتب العلو، ذاتاً وقدراً وشرفاً، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَعْلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ﴿وَهُوَ أَعْلَى الْكَرِيِّ﴾ [سبا: ٢٣] ﴿إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ﴾ [الشورى: ٥١].

السابع: التَّضَرُّعُ بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]. ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]. ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢] ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢]. ﴿حَمَّ﴾ [وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾

(١) للمفسرين في معنى التوفي في هذه الآية قولان: أحدهما: الرفع إلى السماء، والثاني: أنه الموت، فعلى القول الأول، يكون نظم الكلام مستقيماً من غير تقديم ولا تأخير، ويكون معنى: «متوفيك»: قابضك من الأرض وافيئاً تاماً من غير أن ينال منك اليهود شيئاً، من التوفي: وهو أخذ الشيء وافيئاً تاماً، وهذا قول الحسن وابن جريج، وابن قتيبة، واختاره الفراء، والطبري، ومما يشهد لهذا الوجه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: رفعتني إلى السماء من غير موت، لأنهم بدلوا بعد رفعه لا بعد موته. وعلى القول الثاني، يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره: إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد ذلك. هذا قول الفراء والزجاج في آخرين، فتكون الفائدة في إعلامه بالتوفي تعريفه أن رفعه إلى السماء لا يمنع من موته. انظر «غريب القرآن» ص ٣٤٦، و«معاني القرآن» ٢١٩/١ للفراء، والطبري ٤٥٥/٦ - ٤٦٢، وزاد المسير ٣٩٦/١ - ٣٩٧، وابن كثير ٣٨/٢ - ٣٩، وفي فوائد في مشكل القرآن» للعز بن عبد السلام ص ١٠٥: والإجماع منعقد على أنه لم يرفع ميتاً، بل أجمعوا على أنه رفع حياً.

إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤﴾ [الدخان: ١ - ٥].^(١)

الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ [الأنبياء: ١٩]. ففرق بين «من له» عموماً وبين «من عنده» من ممالكه وعبيده خصوصاً، وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الربُّ تعالى على نفسه: «أَنَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»^(٢).

التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين: إما أن تكون «في» بمعنى «على»، وإما أن يُراد بالسماء العلو، لا يختلِفون في ذلك، ولا يجوزُ الحمل على غيره. العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة «على» مختصاً بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر لأداة «ثم» الدالة على الترتيب والمُهلة.

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: يقول الله تعالى مخبراً عن القرآن العظيم، أنه أنزله في ليلة مباركة - وهي ليلة القدر - كما قال عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان - كما روي عن عكرمة - فقد أبعد النجعة، فإن نص القرآن أنها في رمضان، والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح، عن الليث، عن عقيل، عن الزهري، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس، أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى» فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض به النصوص، وقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتب أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال، والأرزاق، وما يكون إلى آخرها، وهكذا روي عن ابن عمر، ومجاهد، وأبي مالك، والضحاك، وغير واحد من السلف. قلنا: وحديث عثمان بن محمد بن المغيرة رواه الطبري في «جامع البيان» ١٠٩/٢٥، والبغوي في «معالم التنزيل» ٤/ ١٤٨ - ١٤٩، ونسبه السيوطي في «الدر المنثور» ٤٠١/٧ إلى البيهقي في «شعب الإيمان». وعثمان بن محمد، قال النسائي: ليس بذلك القوي.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٧٦.

الحادي عشر: التَّضَرُّيخُ برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ «إِنَّ اللَّهَ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدُهُ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا»^(١) صَفْرًا^(٢). والقولُ بِأَنَّ الْعُلُوَّ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ فَقَطْ بَاطِلٌ بِالضَّرُورَةِ وَالْفِطْرَةِ، وهذا يجده مِنْ نَفْسِهِ كُلُّ دَاعٍ، كما يَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الثاني عشر: التَّضَرُّيخُ بنزوله كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَالنَّزُولُ الْمَعْقُولُ عِنْدَ جَمِيعِ الْأُمَمِ إِنْ مَا يَكُونُ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سَفْلٍ.

الثالث عشر: الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ حِسًّا إِلَى الْعُلُوِّ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ بِهِ وَبِمَا يَجِبُ لَهُ، وَيَمْتَنِعُ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْبَشَرِ، لَمَّا كَانَ بِالْمَجْمَعِ الْأَعْظَمِ الَّذِي لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ، فِي الْيَوْمِ الْأَعْظَمِ، فِي الْمَكَانِ الْأَعْظَمِ^(٣)، قَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ مَسْؤُولُونَ عَنِّي، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدْبَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَرَفَعَ أَصْبَعَهُ الْكَرِيمَةَ إِلَى السَّمَاءِ، رَافِعًا لَهَا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهَا وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، قَائِلًا: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(٤). فَكَأَنَّا نَشَاهِدُ تِلْكَ الْأَصْبَعِ الْكَرِيمَةَ وَهِيَ مَرْفُوعَةٌ إِلَى اللَّهِ، وَذَلِكَ اللَّسَانَ الْكَرِيمَ وَهُوَ يَقُولُ لِمَنْ رَفَعَ أَصْبَعَهُ إِلَيْهِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، وَنَشْهَدُ أَنَّهُ بَلَغَ الْبَلَاحَ الْمُبِينَ، وَأَدَّى رِسَالَةَ رَبِّهِ كَمَا أَمَرَ، وَنَصَحَ أُمَّتَهُ غَايَةَ النَّصِيحَةِ، فَلَا يُخْتِاجُ مَعَ بَيَانِهِ وَتَبْلِيغِهِ وَكَشْفِهِ

١٦٠

(١) فِي (ب): يَرُدُّهَا.

(٢) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ، أَحْمَدُ ٤٣٨/٥، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٣٤٠/١٠، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِهِ» ٢٣٥/٣ - ٢٣٦ و ٣١٧/٨، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٨٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٤٨٨) وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٥٥١)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٨٦٥)، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٢٣٩٩) وَ (٢٤٠٠)، وَالْحَاكِمُ ٤٩٧/١، وَحَسَنَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» ١٢١/١١، وَيَشْهَدُ لَهُ حَدِيثُ أَنَسٍ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي «الْمُصَنَّفِ» (١٩٦٤٨)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١٣٨٦) وَفِي سَنَدِهِ أَبَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَبَاقِي رِجَالِهِ ثِقَاتٌ فَهُوَ حَسَنٌ بِمَا قَبْلَهُ. وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ ٤٩٧/١ - ٤٩٨ طَرِيقَ عَامِرِ بْنِ يَسَافٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَنَسٍ. وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ، فَتَعَقَّبَهُ الذَّهَبِيُّ بِقَوْلِهِ: عَامِرٌ ذُو مَنَاكِيرٍ.

(٣) مِنْ قَوْلِهِ: «الَّذِي لَمْ» وَإِلَى هُنَا سَقَطَ مِنْ (ب).

(٤) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ الْمَطْوُولِ فِي حُجَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٢١٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٩٠٥)، وَابْنُ مَاجَةَ (٣٠٧٤)، وَالدَّارِمِيُّ ٤٥/٢ - ٤٩، وَابْنُ الْجَارُودِ (٤٦٩)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» ٨/٥، وَابْنُ خُزَيْمَةَ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٨٠٩).

وإيضاحه إلى تَنْطُحِ المتنطعين، وحذلقه المتحذلقين! والحمد لله رب العالمين.

الرابع عشر: التَّضْرِيحُ بلفظ «الآين» كقولِ أعلمِ الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يُوهِمُ بِإِطْلَاقِ بَوَجه: «أَيْنَ الله»^(١)، في غير موضع.

الخامس عشر: شَهَادَتُهُ ﷺ لمن قال: إِنَّ رَبَّهُ فِي السَّمَاءِ بِالْإِيمَانِ.

السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعونَ أَنَّهُ رَامَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ لِيُطَّلِعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى، فَيُكْذِبُهُ فِيمَا أَخْبَرَهُ مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ، فَقَالَ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنَّ آيِنِ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَتْلُعُ﴾ الْأَسْبَبُ (٣٦) أَتَسْبَبُ السَّمَوَاتِ فَأُطَّلِعَ إِلَيْكَ إِلَهَ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ كَذِبًا ﴿[غافر: ٣٦ - ٣٧]، فَمَنْ نَفَى الْعُلُوَّ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ فَهُوَ فِرْعَوْنِي، وَمَنْ أَثْبَتَهُ فَهُوَ مُوسَى مُحَمَّدِي.

السابع عشر: إخباره ﷺ أَنَّهُ تَرَدَّدَ بَيْنَ مُوسَى ﷺ وَبَيْنَ رَبِّهِ لَيْلَةً الْمِعْرَاجِ بِسَبَبِ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ، فَيَضَعُدُ إِلَى رَبِّهِ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مُوسَى عِدَّةً مَرَارًا^(٢).

الثامن عشر: التَّضَوُّصُ الدَّالُّهُ عَلَى رُؤْيَا أَهْلِ الْجَنَّةِ لَهُ تَعَالَى مِنْ

(١) أخرجه مسلم (٥٣٧) في المساجد وموضع الصلاة فيها: باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته، وأبو داود (٩٣٠) في الصلاة: باب تسميت العاطس في الصلاة، والنسائي ١٤/٣ - ١٩ في الصلاة: باب الكلام في الصلاة، وأحمد ٤٤٧/٥ و ٤٤٨، وابن أبي شيبة ١٩/١١ - ٢٠، والطيالسي (١١٠٥)، وابن أبي عاصم (٤٨٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٤٢٢، وفي «سننه» ٣٨٧/٧، والدارمي في «الرد على الجهمية» ص ٢١ و ٢٢، والطبراني في «الكبير» ١٩/ (٩٣٧) و (٩٣٨) من حديث معاوية بن الحكم السلمي، أن النبي ﷺ قال للجارية: «أين الله؟»، قالت: في السماء، قال: «من أنا؟»، قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة».

(٢) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه في الصفحة ٢٧٥، وقد وقع في (أ) و (ج) و (د): عدة مراراً، والمثبت من (ب).

الكتاب والسنة، وإخبار النبي ﷺ أنهم يَرَوْنَهُ كَرُوءَةِ الشَّمْسِ والقمر لَيْلَةَ البدر ليس دونَه سحاب، ولا يرونه إلا من فوقهم، كما قال ﷺ: «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] ثُمَّ يَتَوَارَى عَنْهُمْ، وَتَبَقَّى رَحْمَتُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ». رواه الإمام أحمد في «المسند»، وغيره، من حديث جابر رضي الله عنه (١).

ولا يَتَمُّ إنكارُ الفوقية إلا بإنكار الرؤية، ولهذا طُرِدَ الجهمية النفيين، وصَدَّقَ أهل السنة بالأمرين معاً، وأَقَرُّوا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلوّ مذبذباً بينَ ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وهذه الأنواع من الأدلة لو بُسِطَتْ أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يُجيبَ عن ذلك كُلِّهِ! وهيئات له بجواب صحيح عن بعض ذلك!

وكلامُ السلف في إثبات صفة العلو كثير جداً: فمنه ما روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه «الفاروق» (٢) بسنده إلى أبي مطيع البلخي: أنه سأل أبا حنيفة عمن قال: لا أعْرِفُ ربي في السماء أم في الأرض؟ فقال: قد كفر، لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وعَرْشُهُ فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، قُلْتُ: فإن قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السَّماءِ، فمن أنكر أنه في السَّماءِ، فقد كفر. وزاد غَيْرُهُ: لأن الله في أعلى عليين، وهو يُدْعَى مِنْ أَعْلَى، لا مِنْ أَسْفَل. انتهى.

كلام السلف
في إثبات صفة
العلو

١٦١

ولا يُلْتَفَتُ إلى مَنْ أنكر ذلك ممن يَنْتَسِبُ إلى مذهب أبي حنيفة، فقد

(١) سنده ضعيف، لضعف أبي عاصم العباداني، وشيخه الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي، وليس هو في «مسند أحمد» وقد تقدم تخريجه ص ١٧٧.

(٢) نقل الإمام الذهبي في «العلو» ص ١٠٣ كلام أبي حنيفة، وعزاه إلى «الفاروق»، ونقله الشيخ علي القاري في «شرح الفقه الأكبر» ص ١٧١ عن الشارح.

انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد يُنسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يُخالِفُهُم في بعض اعتقاداتهم. وقصة أبي يوسف في استتابته لبشر المريسي لما أنكَّرَ أن يَكُونَ الله فَوْقَ الْعَرْشِ مشهورة. رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم وغيره.

ومن تأول «فوق»، بأنه خَيْرٌ من عباده وأفضلُ منهم، وأنه خَيْرٌ من العرش وأفضلُ منه، كما يقال: الأمير فَوْقَ الوزير، والديَّارُ فَوْقَ الدرهم، فذلك مما تَنَفَّرَ عنه العقولُ السليمة، وتَشَمَّزُ منه القلوبُ الصحيحة. فإنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ ابتداء: الله خَيْرٌ من عباده، وخَيْرٌ من عرشه؛ من جنس قوله: الثلج بارد، والنارُ حارة، والشمسُ أضوأ من السراج، والسماءُ أعلى من سقف الدار، والجبل أثقلُ من الحصى، ورسولُ الله أفضلُ من فلان اليهودي، والسماءُ فَوْقَ الأرض!! وليس في ذلك تَمَجِيدٌ، ولا تعظيم، ولا مدح، بل هو مِنْ أَرْدَلِ الْكَلَامِ، وأسمجه، وأهجنه! فكيف يَلِيْقُ بكلام الله، الذي لو اجتمع الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثله، لما أَتَوْا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً!! بل في ذلك تنقُّصٌ، كما قيل في المثل السائر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرَهُ إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا^(١)
ولو قال قائل: الجَوْهَرُ فَوْقَ قِشْرِ البصل وقشر السمك! لضحك منه العقلاء، للتفاوت الذي بينهما، فالتفاوت الذي بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ أَغْظَمُ وَأَعْظَمُ، بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن كان احتجاجاً على مُبْطِلٍ، كما في قول يوسف الصديق ﷺ: ﴿أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]. وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣].

(١) أورده الثعالبي في «تمة اليتمة» ٢٩٩/٥ مع بيت قبله هو: متى ما أقل مولاي أفضل منهم أكن للذي فضله متنقصاً ونسبهما لأبي درهم البندنجي.

وإنما يَثْبُتُ هذا المعنى مِنَ الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة مِنْ كل وجه، فله سبحانه وتعالى فَوْقِيَّةُ القهر، وفَوْقِيَّةُ القدر، وفَوْقِيَّةُ الذات، ومن أَثْبَتَ البَعْضَ، ونفى البَعْضَ، فقد تَنَقَّصَ.

وَعُلُوُّه تعالى مطلق مِنْ كُلِّ الوجوه، فإن قالوا: بل علو المكانة لا المكان؛ فالمكانة: تأنيث المكان، والمنزلة: تأنيث المنزل، فلفظ: «المكانة والمنزلة» يُسْتَعْمَلُ في المكاناتِ النفسانية والروحانية، كما يُسْتَعْمَلُ لَفْظُ: «المكان والمنزل» في الأمكنة الجسمانية، فإذا قيل: لك في قلوبنا منزلة، وَمَنْزِلَةٌ فلانٍ في قلوبنا وفي نفوسنا أَعْظَمُ مِنْ مَنْزِلَةِ فلان، كما جاء في الأثر^(١): «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَتُهُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ أَنْزَلَ الْعَبْدَ مِنْ قَلْبِهِ». فقولُه: «منزلة الله في قلبه»: هو ما يَكُونُ في قلبه مِنْ معرفة الله ومحبة وتعظيمه وغير ذلك، فإذا عُرِفَ أن: «المكانة والمنزلة»: تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرْعٌ على المذكر في اللفظ والمعنى، وتَابَعَ له، فَعُلُوُّ المثل الذي يكون في الذَّهْنِ يتبع عُلُوَّ الحقيقة، إذا كان مطابقاً كان حقاً، وإلا كان باطلاً.

فإن قيل: المرادُ عُلُوُّه في القُلُوبِ، وأنه أعلى في القُلُوبِ مِنْ كُلِّ شيء.

وقيل: وكذلك هو، وهذا العُلُوُّ مطابق لِعُلُوِّه في نفسه على كُلِّ شيء، فإن لم يكن عالياً بنفسه على كُلِّ شيء، كان عُلُوُّه في القلوب غَيْرَ مطابقٍ، كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى.

ثبوت علو الله
سبحانه بالعقل
من وجوه

وَعُلُوُّه سبحانه وتعالى كما هو ثابتٌ بالسمع ثابتٌ بالعقل والفطرة، أما ثبوتُه بالعقل، فمن وجوه:

(١) أطلق المؤلف كلمة الأثر، على المأثور من كلام السلف، كما هو اصطلاح الفقهاء، فإن النص الذي أورده ليس بحديث.

أحدهما: العِلْمُ البديهي القاطعُ بأن كُلَّ مَوْجُودَيْنِ، إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر، قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً من الآخر.

والثاني: أنه لما خَلَقَ العالم، فإما أن يكونَ خلقه في ذاته، أو خارجاً عن ذاته، والأول باطل، أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانياً: فلأنه يَلْزَمُ أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والثاني: يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً فتعيّنت المباينة، لأن القول بأنه غَيْرُ متّصلٍ بالعالم، وَغَيْرُ منفصل عنه غَيْرُ معقول.

الثالث: أن كَوْنَهُ تعالى لا دَاخِلَ الْعَالَمِ ولا خَارِجَهُ يقتضي نَفْيَ وجوده بالكُلِّيَّةِ، لأنه غَيْرُ معقولٍ، فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجاً، والأول باطل، فتعين الثاني، فلزمت المباينة.

وأما ثبوته بالفطرة، فَإِنَّ الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السَّليمة يَرْفَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عند الدُّعاء، وَيَقْصِدُونَ جِهَةَ الْعُلُوِّ بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى، وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشَّيْخَ أبا جَعْفَرِ الْهَمْدَانِي حُضِرَ مَجْلِسَ الْأَسْتَاذِ أَبِي الْمَعَالِي الْجَوْنِيِّ المعروف بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي نَفْيِ صِفَةِ الْعُلُوِّ، وَيَقُولُ: كَانَ اللَّهُ وَلَا عَرْشٌ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ! فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ: أَخْبِرْنَا يَا أَسْتَاذُ عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي قُلُوبِنَا؟ فَإِنَّهُ مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا اللَّهُ، إِلَّا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ ضَرُورَةَ تَطَلُّبِ الْعُلُوِّ، لَا يَلْتَفِتُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً، فَكَيْفَ نَدْفَعُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ أَنْفُسِنَا؟ قَالَ: فَلَطَمَ أَبُو الْمَعَالِي عَنْ رَأْسِهِ وَنَزَلَ! وَأَظْنَهُ قَالَ: وَيَكِي! وَقَالَ: حَيَّرَنِي الْهَمْدَانِي^(١)

(١) هو الشيخ الإمام الحافظ الرحال الزاهد أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله الهمداني، ولد بعد الأربعين وأربع مئة، كان من أئمة أهل الأثر، ومن كبراء الصوفية، توفي سنة (٥٣١). مترجم في «السير» ٢٠ / رقم الترجمة (٦١). وانظر الخبر في «العلو» للذهبي ص ١٨٨ - ١٨٩، و«طبقات السبكي» ٥ / ١٩٠.

حَيَّرَنِي الهمذاني^(١) ! أراد الشيخ: أَنَّ هَذَا أَمْرَ فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَلَقَّوْهُ مِنَ الْمُعَلِّمِينَ، يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ طَلَباً ضَرُورِيّاً يَتَوَجَّهُ إِلَى اللهِ، وَيَطْلُبُهُ فِي الْعُلُوِّ^(٢).

وقد اعترض على الدليل العقلي بإنكار بداهته، لأنه أنكره جمهور العقلاء، فلو كان بديهياً، لما كان مُخْتَلَفاً فِيهِ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ، بل هو قضية وهمية خيالية.

والجواب عن هذا الاعتراض مبسوط في موضعه، ولكنه أُشِيرَ إِلَيْهِ هُنَا إشارةً مختصرة، وهو أن يُقَالَ: إِنَّ الْعَقْلَ إِنْ قَبِلَ قَوْلَكُمْ، فَهُوَ لِقَوْلِنَا أَقْبَلُ، وَإِنْ رَدَّ الْعَقْلُ قَوْلَنَا، فَهُوَ لِقَوْلِكُمْ أَعْظَمُ رَدّاً، فَإِنْ كَانَ قَوْلُنَا بَاطِلاً فِي الْعَقْلِ، فَقَوْلُكُمْ أَبْطَلُ، وَإِنْ كَانَ قَوْلُكُمْ حَقّاً مَقْبُولاً فِي الْعَقْلِ، فَقَوْلُنَا أَوْلَى أَنْ يَكُونَ مَقْبُولاً فِي الْعَقْلِ، فَإِنْ دَعَوَى الضَّرُورَةُ مُشْتَرَكَةً.

فإننا نقول: نَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ بُطْلَانَ قَوْلِكُمْ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ كَذَلِكَ، فَإِذَا قُلْتُمْ: تِلْكَ الضَّرُورَةُ الَّتِي تَحْكُمُ بِبُطْلَانِ قَوْلِنَا هِيَ مِنْ حُكْمِ الْوَهْمِ لَا مِنْ حُكْمِ الْعَقْلِ، قَابِلِنَاكُمْ بِنَظِيرِ قَوْلِكُمْ، وَعَامَّةُ فَطَرَ النَّاسَ - لَيْسُوا مِنْكُمْ وَلَا مِنَّا - يُوَافِقُونَا عَلَى هَذَا، فَإِنْ كَانَ حُكْمُ فَطَرَ بَنِي آدَمَ مَقْبُولاً، تَرَجَّحْنَا عَلَيْكُمْ، وَإِنْ كَانَ مُرَدوداً غَيْرَ مَقْبُولٍ، بَطَلَ قَوْلُكُمْ بِالْكَلِيَّةِ، فَإِنَّكُمْ^(٣) إِنَّمَا بَيَّنَّاهُمْ قَوْلَكُمْ عَلَى مَا تَدْعُونَ أَنَّهُ مَقْدِمَاتٌ مَعْلُومَةٌ بِالْفِطْرَةِ الْآدَمِيَّةِ، وَبَطَلَتْ عَقْلِيَّاتُنَا أَيْضاً، وَكَانَ السَّمْعُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مَعَنَا لَا مَعَكُمْ، فَتَخَنُ مُخْتَصِّصُونَ بِالسَّمْعِ دُونَكُمْ، وَالْعَقْلُ مُشْتَرَكٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.

فإن قُلْتُمْ: أَكْثَرُ الْعُقَلَاءِ يَقُولُونَ بِقَوْلِنَا، قِيلَ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَإِنَّ الَّذِينَ يُصَرِّحُونَ بِأَنَّ صَانِعَ الْعَالَمِ لَيْسَ هُوَ فَوْقَ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ

(١) في (أ): حيرني الهمذاني، مرة واحدة.

(٢) انظر «الفتاوى» ٤٤/٤ و ٦١.

(٣) تحرفت في (ب) إلى: «فإننا».

(٤) سقطت من (ب).

شيء موجود وأنه لا مُباينٌ لِلْعَالَمِ ولا حالٌ في العالم^(١)، طائفةٌ مِنَ النَّظَارِ، وأول من عرف عنه ذلك في الإسلام جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وأتباعه.

واعترضَ على الدليل الفطري: أن ذلك إنما كان لكون السماء قبلةً للدعاء، كما أن الكعبة قبلةً للصلاة، ثم هو منقوضٌ بوضع الجبهة على الأرض مع أنه لَيْسَ في جهة الأرض، وأجيب، عن هذا الاعتراضِ مِنْ وجوه^(٢):

أحدها: أن قولكم: إنَّ السماءَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ لم يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ، ولا أنزل الله به مِنْ سُلْطَانٍ، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يَجُوزُ أن يخفى على جميع سَلَفِ الأُمَّةِ وعلمائها.

الثاني: أن قِبْلَةَ الدُّعَاءِ هي قِبْلَةُ الصلاة، فإنه يُسْتَحَبُّ للداعي أن يستقبل القِبْلَةَ، وكان النبي ﷺ يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ في دعائه في مواطن كثيرة^(٣)، فمن قال: إن للدعاء قِبْلَةً غَيْرَ قِبْلَةِ الصلاة، أو إن له قِبْلَتَيْنِ: إحداهما الكعبةُ، والأخرى السماءُ، فقد ابتدَعَ في الدين، وخَالَفَ جماعة المسلمين.

الثالث: أن القِبْلَةَ: هي ما يَسْتَقْبِلُهُ العابدُ بوجهه، كما تُسْتَقْبَلُ الكعبةُ في الصلاة والدعاء والذكر والذبح، وكما يُوجَّهُ الْمُخْتَضِرُ والمدفون، ولذلك سُمِّيَتْ وُجْهَةً، والاستقبالُ خِلافُ الاستدبار، فالاستقبالُ بالوجه، والاستدبارُ بالدُّبُرِ، فأما ما حاذاه الإنسانُ برأسه أو يديه أو جنبه، فهذا لا يُسَمَّى قِبْلَةً، لا حقيقةً ولا مجازاً، فلو كانت السماءُ قِبْلَةَ الدُّعَاءِ، لكان المشروعُ أن يُوجَّهَ الداعي وَجْهَهُ إِلَيْهَا، وهذا لم يُشْرَعْ، والموضعُ الذي تُرْفَعُ اليَدُ إِلَيْهِ لا يُسَمَّى

(١) في (ب): ولا حال للعالم.

(٢) في (ب): بوجوه.

(٣) أخرج البخاري (٣٩٦٠)، ومسلم (١٧٩٤) (١١٠) من حديث ابن مسعود قال: استقبل رسول الله ﷺ البيت، فدعا على ستة نفر من قريش، وفي الباب عن عمر عند مسلم (١٧٦٣)، والترمذي (٣٠٨١) و(٣١٧٢)، وأحمد ٣٠/١ و٣٢، وعن عائشة عند أحمد ١٣٣/٦ و ١٨٠ و ٢٥٩. وعن الطفيل بن عمرو السدوسي عند أحمد ٢٤٣/٢.

قبلة، لا حقيقة ولا مجازاً، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرُّسُلُ أن الداعي يستقبل السَّماءَ بوجهه، بل نهوا عن ذلك، ومعلوم أن التوجه بالقلب، واللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري، يفعلُه المسلم والكافر، والعالم والجاهل، وأكثر ما يفعلُه المضطرُّ والمستغيثُ بالله، كما فُطِرَ على أنه إذا مسَّهُ الضُّرُّ يدعو الله، مع أن أمر القبلة مما يقبلُ النسخَ والتحويلَ، كما تحوَّلت القبلة من الصخرة إلى الكعبة^(١).

وأمر التوجُّه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركوز^(٢) في الفِطَرِ، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجَّه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرِّحمةَ أن تنزلَ مِنْ عنده.

وأما النقضُ بوضع الجبهة، فما أفسدَه مِنْ نقضٍ، فإن واضع الجبهة إنما قصَّده الخضوعُ لمن فوقه بالذلِّ له، لا بأن يميلَ إليه إذ هو تحته، هذا لا يخطرُ في قلب ساجد، لكن يُحكى عن بشر المريسي أنه سَمِعَ وهو يقول في سجوده^(٣): سبحانَ ربي الأسفل!! تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. وإنَّ من أفضى به التَّنْفِي إلى هذه الحال لَحَرِيٌّ أن يتزندق، إن لم يتداركه الله برحمته، وبعيدٌ مِنْ مثله الصَّلاح، قال تعالى: ﴿وَنَقْلِبُ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. فمن لم يطلب الاهتداء من مظاهره، يُعاقبَ بالجُرْمانِ، نسأل الله العفو والعافية.

وقوله: «وقد أعجزَ عن الإحاطةِ خلقه» أي: لا يُحيطونَ به علماً ولا

(١) انظر حديث البراء في البخاري (٤٠) و (٣٩٩) و (٤٤٨٦) و (٤٤٩٢) و (٧٢٥٢)، والترمذي (٢٩٦٦)، وحديث ابن عمر في «الموطأ» ١/ ١٩٥، والبخاري (٤٠٣) و (٤٤٨٨) و (٤٤٩٠) و (٤٤٩١) و (٤٤٩٣) و (٤٤٩٤) و (٧٢٥١)، ومسلم (٥٢٦).

(٢) في (د): مركون.

(٣) في سجوده، سقطت من (ب).

رُؤْيَةً، ولا غير ذلك من وجوه الإحاطة، بل هو سبحانه مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ،
ولا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ.

قوله: «وَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا،
إِيمَانًا وَتَضَدِيقًا وَتَسْلِيمًا».

اتخذ الله
إبراهيم خليلاً
وكلم موسى
تكليماً

ش: قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال
تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. الخُلة: كَمَالُ المحبة،
وأنكرت الجَهْمِيَّةُ حقيقةَ المحبة من الجانبين، زعموا أنهم أن المحبة لا تكون
إلا لمناسبةً بَيْنَ المحبِّ والمحجوب، وأنه لا مناسبة بَيْنَ القديم والمُخَدَّثِ
تُوجِبُ المحبة! وكذلك أنكروا حقيقةَ التكليم، كما تقدَّم، وكان أوَّلُ مَنْ
ابتدعَ هذا في الإسلام هو الجَعْدُ بنِ ذَرَهَمٍ^(١)، في أوائلِ المِئَةِ الثانيةِ،
فَضَحَّى به خَالِدُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ^(٢) أميرُ الْعِرَاقِ والمَشْرِقِ بواسط، خطب
النَّاسَ يَوْمَ الْأَضْحَى فقال: أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا، تَقْبَلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي^(٣)
مُضَحٌّ بِالْجَعْدِ بنِ ذَرَهَمٍ، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ
مُوسَى تَكْلِيمًا، ثُمَّ نَزَلَ فذبحه^(٤). وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء

(١) الجعد بن درهم، عداؤه في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم
خليلاً، ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر، والقصة مشهورة،
وكان من أهل الشام، وهو مؤدب مروان الحمار، ولهذا يقال له: مروان الجعدي،
فنسب إليه، وهو شيخ جهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين
يقولون: إن الله تعالى في كل مكان بذاته، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
«مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ» ٣٩٩/١، و«الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» ١٩/١٠.

(٢) هو الأمير الكبير، أبو الهيثم خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي
القسري الدمشقي، أمير العراقيين لهشام، المتوفى سنة ١٢٦هـ. قال الذهبي: كان
جواداً ممدحاً معظماً، عالي الرتبة من نبلاء الرجال، لكن فيه نصب، وقال ابن
معين: رجل سوء يقع في علي. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٤٢٥/٥ - ٤٣٢.

(٣) في (ب): فإنه، وليس بشيء.

(٤) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص ٦٩، والدارمي في «الرد على الجهمية»
ص ١١٣، واللالكائي في «شرح السنة» ٣١٩/٢ من طريق القاسم بن محمد، عن
عبد الرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب، عن أبيه، عن جده... =

التابعين رضي الله عنهم، فجزاه الله عن الدين وأهله خيراً.

وأخذ هذا المذهب عن الجعد الجهم بن صفوان، فأظهره، وناظر عليه، وإليه أضيف قول: «الجهمية». فقتله سلم^(١) بن أحوز أمير خراسان بها^(٢)، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد، وظهر قولهم في أثناء خلافة المأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام، ودعّوهم إلى الموافقة لهم على ذلك.

وأضل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة، وهم يُنكرون أن يكون إبراهيم خليلاً وموسى^(٣) كليماً، لأن الخلّة هي كمال المحبة المستغرقة للمحب، كما قيل:

قَدْ تَخَلَّلْتَ مَسَلَكَ الرُّوحِ مِنِّي وَلِذَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلاً^(٤)

ولكن محبة الله وخلته، كما يليق به تعالى، كسائر صفاته، ويشهد لما دلّت عليه الآية الكريمة ما ثبت في «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلاً، لَا تُتَّخَذُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ»^(٥)، يعني نفسه.

محبة الله وخلته
كما يليق به
سبحانه

وفي رواية: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خُلَّتِيهِ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ

= وعبد الرحمن وأبوه لا يعرفان. وأخرجه ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» من طريق عيسى بن أبي عمران الرملي، حدثنا أيوب بن سويد، عن السري بن يحيى، قال: خطبنا خالد القسري فذكره...، وعيسى بن أبي عمران كتب عنه ابن أبي حاتم بالرملة، فنظر أبوه في حديثه، فقال: يدل حديثه أنه غير صدوق، فترك الرواية عنه. «الجرح والتعديل» ٢٨٤/٦، وأيوب بن سويد ضعفه أحمد، والبخاري، وابن معين، والنسائي، وأبو حاتم وغيرهم.

(١) تحرف في الأصول إلى: «مسلم». وكذا في المطبوع من «تاريخ الطبري» ٣٣٠/٧ وما بعدها حوادث سنة ١٢٨هـ.

(٢) سنة (١٢٨هـ) مع الحارث بن سريج، وترجمة جهم موجودة في «السير» ٢٦/٦.

(٣) في (أ) و (ب): أو.

(٤) انظر «روضة المحبين» ص ٤٧ - ٤٩ لابن القيم.

(٥) تقدم تخريجه ص ١٦٤ تعليق رقم (٣).

أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَا تَتَّخِذُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا»^(١).

وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»^(٢).

فَبَيَّنَ ﷺ أَنَّهُ لَا يَضْلُحُ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ خَلِيلًا، وَأَنَّهُ لَوْ أَمَكَّنَ ذَلِكَ، لَكَانَ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، مَعَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ يُحِبُّ أَشْخَاصًا، كَقَوْلِهِ لِمَعَاذٍ^(٣): «وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ»^(٤). وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ لِلْأَنْصَارِ، وَكَانَ زَيْنُ بْنُ حَارِثَةَ حَبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَابْنُهُ أَسَامَةُ جِبَّةً، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، قَالَ: فَمَنْ الرِّجَالُ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»^(٥).

١٦٦

فَعُلِمَ أَنَّ الْخُلَّةَ أَخْصُ مِنْ مَطْلُوقِ الْمَحَبَّةِ، وَالْمَحْبُوبُ بِهَا لِكَمَالِهَا يَكُونُ مَحْبُوبًا لِدَاتِهِ، لَا لَشَيْءٍ آخَرَ، إِذِ الْمَخْبُوبُ لغيره هُوَ مُؤَخَّرٌ فِي الْحُبِّ عَنِ ذَلِكَ الْغَيْرِ، وَمِنْ كَمَالِهَا لَا تَقْبَلُ الشَّرِكَةَ [وَلَا] الْمَزَاحِمَةَ، لِتَخْلِيلِهَا الْمَحَبَّ، فَفِيهَا كَمَالُ التَّوْحِيدِ وَكَمَالُ الْحُبِّ، وَلِذَلِكَ لَمَّا اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَهَبَ لَهُ وَلَدًا صَالِحًا، فَوَهَبَ لَهُ إِسْمَاعِيلَ، فَأَخَذَ هَذَا الْوَلَدُ شُعْبَةً مِنْ قَلْبِهِ، فَغَارَ الْخَلِيلُ عَلَى قَلْبِ خَلِيلِهِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ

(١) تقدم تخريجه ص ١٦٥ تعليق (١).

(٢) تقدم تخريجه ص ١٦٤ تعليق (٢).

(٣) سقطت من (ب).

(٤) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، وأحمد ٢٤٥/٥ و ٢٤٧، والنسائي في «سننه» ٥٣/٣، وفي «اليوم والليلة» (١٠٩)، وابن السني (١٩٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٤١/١ و ١٣٠/٥، والطبراني في «الكبير» ٢٠/ (١١٠) من حديث معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: «يا معاذ والله إنني لأحبك» فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» وإسناده صحيح، وصححه ابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٣٤٥)، والحاكم ٢٧٣/١، ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٦٢) و (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٨٥)، وأحمد في «المسند» ٢٠٣/٤، وفي «الفضائل» (٢١٤) و (١٢١٨)، (١٦٣٧)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٥٤/٨، والحاكم ١٢/٤، والبغوي (٣٨٦٩).

مكاناً لغيره، فامتحنه بذبحه، ليظهر سِرَّ الخُلة في تقديمه محبةً خليله على محبة ولده، فلما استسلمَ لأمرِ ربِّه، وعزم على فعله، وظَهَرَ^(١) سلطانُ الخُلة في الإقدام على ذَبْحِ الولد إيثاراً لمحبة^(٢) خليله على محبته، نَسَخَ الله ذلك عنه، وَقَدَّاهُ بِالذَّبْحِ العظيم، لأنَّ المصلحةَ في الذبح كانت ناشئة من العزم، وتوطِينِ النفس على ما أُمر، فلما حَصَلَتْ هذه المصلحة، عاد الذَّبْحُ نفسه مفسدةً، فَتَسَخَّ في حَقِّهِ، وصارت الذبائحُ والقرايِنُ من الهدايا والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة.

وكما أن منزلة الخُلة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ كما تَقَدَّمَ، كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله عليه، قد شاركه فيها نبينا ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء.

وهنا سؤال مشهور، وهو: أن النبي ﷺ أَفْضَلُ مِنْ إبراهيم ﷺ، فكيف طلب له من الصلاة مثلاً ما لإبراهيم، مع أن المُشَبَّه به أَضْلُهُ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ المُشَبَّهِ؟ وكيف الجمعُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الأمرين المتنافيين؟

وقد أجاب عنه العُلَمَاءُ بأجوبة عديدة، يَصِيقُ هَذَا الْمَكَانُ عَنْ بَسْطِهَا^(٣).

وأحسنها: أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثْلُهُمْ، فإذا طَلَبَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِآلِهِ مِنَ الصَّلَاةِ مِثْلَ ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حَصَلَ لِآلِ مُحَمَّدٍ ما يَلِيْقُ بِهِمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يَبْلُغُونَ مَرَاتِبَ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَبْقَى الزِّيَادَةُ الَّتِي لِلْأَنْبِيَاءِ، وَفِيهِمْ إِبْرَاهِيمُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ، فَيَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْمَزِيَّةِ ما لم يَحْصُلْ لغيره.

وأحسن من هذا: أن النبي ﷺ محمداً ﷺ من آل إبراهيم، بل هو أَفْضَلُ

الجواب عما
في الصلاة
الإبراهيمية من
إشكال متوهم

(١) في (ب): فظهر.

(٢) في (ب): المحبة.

(٣) لقد بسطها الشيخ العلامة ابن القيم، ووفى الموضوع حقه في كتابه «جلاء الأفهام» ص ٢١٩ و ٢٣٢.

آل إبراهيم، فيكون قولنا: «كما صَلَّيْتَ على آل^(١) إبراهيم» متناولاً للصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذُرِّيَّة إبراهيم، بل هو متناول إبراهيم أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، فأبراهيم وإمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران، وكما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ بَغَيْنَتْنَهُمْ يَسْرَ﴾ [القمر: ٣٤]. فإن لوطاً داخل في آل لوط، وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَغَيْنَتْكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ [البقرة: ٤٩] وقوله: ﴿أَدْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] فإن فرعون داخل في آل فرعون. ولهذا - والله أعلم - أكثر روايات حديث الصلاة على النبي ﷺ إنما فيها: كما صَلَّيْتَ على آل إبراهيم، وفي كثير منها: كما صَلَّيْتَ على إبراهيم ولم يَرِدْ: كما صَلَّيْتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إلا في قليل من الروايات^(٢) وما ذلك - والله أعلم - إلا لأن في قوله: كما صَلَّيْتَ على إبراهيم، يَدْخُلُ آلُه تبعاً، وفي قوله: كما صَلَّيْتَ على آل إبراهيم، وهو داخل في آل إبراهيم.

وكذلك لما جَاءَ أبو أوفى رضي الله عنه بِصَدَقَتِهِ إلى النبي ﷺ، دعا له النبي ﷺ وقال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»^(٣) فعلى رواية مَنْ روى: «كما صَلَّيْتَ على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم» لا يدخل فيهم لإفراده بالذكر^(٤).

(١) سقطت من (ب).

(٢) لقد ورد الجمع بينهما في حديث أبي سعيد الخدري كما في «صحيح البخاري» (٤٧٩٨) و (٦٣٥٨)، وفي حديث كعب بن عجرة عند أحمد ٤/٢٤٤، والبيهقي ١٤٧/٢ و ١٤٨، وفي حديث طلحة بن عبيد الله عند النسائي ٣/٤٨، وفي حديث أبي مسعود الأنصاري عند الدارقطني ١/٣٥٥.

(٣) أخرجه البخاري (١٤٩٧) و (٤١٦٦) و (٦٣٣٢) و (٦٣٥٩)، و مسلم (١٠٧٨) من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وأخرجه أيضاً أبو داود (١٥٩٠)، والنسائي ٥/٣١، وابن ماجه (١٧٩٦)، والطيالسي (٨١٩)، وابن خزيمة (٢٣٤٥)، وأحمد ٤/٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٨٣، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٤/١٦٢، والبغوي (١٥٦٦)، والبيهقي في «سننه» ٢/١٥٢، وأبو نعيم في «الحلية» ٥/٩٦.

(٤) من قوله: «بل هو متناول إبراهيم» إلى هنا سقط من (ج) وفي (أ) ذكر في الهامش =

ما خص الله به
بيت إبراهيم
من الخصائص

ولما كان بيت إبراهيم ﷺ أشرف بيوت العالم على الإطلاق،
خصهم الله بخصائص:

منها: أنه جعل فيه ^(١) النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا
من أهل بيته.

١٦٧

ومنها: أنه سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة، فكل من
دخل الجنة من أولياء الله بعدهم، فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم.
منها: أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين، كما تقدم ذكره.

ومنها: أنه جعل صاحب هذا البيت إماماً للناس، قال تعالى: ﴿إِنِّي
جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ^(٢) [البقرة:
١٢٤].

ومنها: أنه أجرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياماً للناس، ومثابة
للناس وأمناء، وجعله قبلة لهم ^(٣) وحجاً، فكان ظهور هذا البيت من أهل
البيت الأكرمين.

ومنها: أنه أمر عباده أن يصلوا على أهل هذا البيت، إلى غير ذلك من
الخصائص.

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَالْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ،
وَنَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ».

= قوله: تقرأ الورقة من عند التخریجة، ولكن لم تصور لنا الورقة المذكورة.

(١) في (ب): فيهم.

(٢) قال ابن كثير في تفسير الآية ٢٤٠/١: لما جعل الله إبراهيم إماماً، سأل الله أن
تكون الأئمة من بعده من ذريته، فأجيب إلى ذلك، وأخبر أنه سيكون من ذريته
ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله، ولا يكونون أئمة، فلا يقتدى بهم، والدليل على
أنه أجيب إلى طلبه قول الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ﴾ فكل نبي أرسله الله، وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم، ففي ذريته
صلوات الله وسلامه عليه.

(٣) في (ب): للناس.

وجوب الإيمان
بالملائكة
والكتب المنزلة
والمرسلين

ش: هذه الأمور من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآيات، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ إِلَهَ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧].

فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته، حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»^(١).

فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

إنكار الفلاسفة
لحقيقة
الإيمان بالله
وكتبه ورسله

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المسمون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم، علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله سبحانه وجود مجرد لا ماهية ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج، فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيئته، وإنما العالم عندهم لازم له أزلاً وأبداً، وإن سموه مفعولاً له، فمضائعة ومصالحة للمسلمين في اللفظ، وليس عندهم بمفعول، ولا مخلوق، ولا مقدور عليه، وينفون عنه سمعة وبصرة وسائر صفاته! فهذا إيمانهم بالله.

(١) تقدم تخريجه ص ٣٥٦ تعليق (١).

وأما كُتُبُهُ^(١)، عندهم، فإنهم لا يَصِفُونَهُ بالكلام، فلا تَكَلَّمُ^(٢) ولا يتكَلَّمُ، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فَيُضُّ فاضً من العقل الفعّال على قلب بشر زاكى النفس طاهر، متميّز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص: قوة الإذراك وسرعته، لينال العلم أعظم مما يناله غيره! وقوة النفس، ليؤثر بها في هيولى^(٣) العالم بقلب صورة إلى صورة، وقوة التخيل، ليخيّل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم! وليس في الخارج ذات منفصلة تَضَعُ وتَنْزِلُ، وتَذْهَبُ وتَجِيءُ، وترى وتُخاطَبُ الرسول، وإنما ذلك عندهم أمورٌ ذهنية لا وجود لها في الأعيان.

وأما اليوم الآخر، فهم أشدّ الناس تكذيباً به وإنكاراً له، وعندهم أن هذا العالم لا يَخْرُبُ، ولا تَنْشَقُّ السَّمَاوَاتُ ولا تَنْفَطِرُ، ولا تَنْكَدِرُ النُّجُومُ، ولا تُكْوَرُ الشمس والقمر، ولا يَقُومُ الناسُ من قبورهم، وَيُبْعَثُونَ إلى جنةٍ ونارا كُلُّ هذا عندهم أمثالٌ مضروبةٌ لتفهم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهم منها أتباع الرُّسُلِ. فهذا إيمان هذه الطائفة - الذليلة الحقيرة - بالله وملائكته وكتبه ورُسُله واليوم الآخر. وهذه هي أصول الدين الخمسة.

أصول المعتزلة الخمس

وقد أبدلتها المعتزلة بأصولهم الخمسة التي هَدَمُوا بها كثيراً من الدين، فإنهم بَنَوْا أَصْلَ دينهم على الجِسْم والعَرَضِ الذي هُوَ المَوْصُوفُ والصفة عندهم، واحتجُّوا بالصفات التي هي الأَعْرَاضُ على حُدُوثِ المَوْصُوفِ الذي هو الجِسْم، وتكلّموا في التوحيد على هذا الأصل، فَتَقَوَّا عن الله كُلَّ صِفَةٍ، تشبيهاً بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام، ثم تكلّموا بَعْدَ ذلك في أفعاله التي هي القَدَر، وسَمَّوْا ذلك «العَدْل»، ثم تكلّموا في النبوة

(١) في (ب): كتبهم، وهو خطأ.

(٢) في (ب) و (ج) و (د): «يكلم» بالياء.

(٣) الهيولى: مادة الشيء التي يصنع منها، كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار، والقطن للملابس القطنية.

والشرائع، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، وهي مسائل الأسماء والأحكام، التي هي المنزلة بين المنزلتين، ومسألة إنفاذ الوعيد، ثم تكلموا في إلزام الغير بذلك، الذي هو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وضمّموه جواز الخروج على الأئمة بالقتال. فهذه أصولهم الخمسة، التي وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة التي بُعث بها الرسول.

والرافضة المتأخرون، جعلوا الأصول أربعة: التوحيد والعدل والنبوة، والإمامة.

وأصول أهل السنة تابعة لما جاء به الرسول.

أصول أهل
السنة تابعة لما
جاء به الرسول

١٦٩

وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول، كما تقدّم بيان ذلك، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة - لما تضمنتا هذا الأصل - لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، ففي «الصحيحين» عن أبي مسعود عقبة بن عمرو، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ^(١) كَفَّاهُ»^(٢).

(١) «في ليلة» سقطت من (ب).

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٠٨) و (٥٠٠٨) و (٥٠٠٩) و (٥٠٤٠) و (٥٠٥١)، ومسلم (٨٠٨)، وأبو داود (١٣٩٧)، والترمذي (٢٨٨١)، وابن ماجه (١٣٦٩)، وعبد الرزاق (٦٠٢٠)، والدارمي ٤٥٠/٢، والحميدي (٤٥٢)، والطيالسي (٦١٤)، وأحمد ١١٨/٤ و ١٢١، ١٢٢، والنسائي في «الكبرى» كما في التحفة (٣٣٦/٧، والبيهقي (١١٩٩)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ٣٢٠/٢، والخطيب في «تاريخه» ٢٤١/٤، والطبراني في «الكبير» ١٧/٥٤١ و (٥٤٢) و (٥٥٤) و (٥٩٩). وقوله: كفتاه، أي: أجزأتا عنه من قيام الليل، أو عن قراءة القرآن مطلقاً، أو من الشيطان وشره، أو دفعنا عنه شر الإنس والجن، وروى أحمد ١١٨/٤ من طريق يحيى بن آدم، عن شريك، عن عاصم، عن المسيب بن رافع، عن علقمة، عن أبي مسعود البصري رفعه: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ، أجزأت عنه قيام ليلة»، وفي الترمذي (٢٨٨٢)، و «المستدرک» ٢٦٠/٢ وصححه عن النعمان بن بشير رفعه: «إن الله كتب كتاباً وأنزل فيه آيتين ختم بهما سورة البقرة لا تقرأن في دار فيقربها الشيطان ثلاث ليالٍ». قال الحافظ في «الفتح» ٥٦/٩: وكأنهما اختصتا بذلك لما تضمنتا على الصحابة بجميل انقيادهم إلى الله، وابتهاهم، ورجوعهم إليه. وما حصل لهم من الإجابة إلى مطلوبهم.

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «بَيَّنَّا^(١) جِبْرِيلَ قَاعِدُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ، لَمْ يَنْزَلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبَشِّرْ بِثُورَيْنِ أُوتِيَتْهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا^(٢) إِلَّا أُوتِيَتْهُ^(٣)».

وقال أبو طالب المكي^(٤): «أَزْكَأُ الْإِيمَانِ سَبْعَةٌ، يَعْنِي هَذِهِ الْخَمْسَةُ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ، وَالْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَهَذَا حَقٌّ، وَالْأَدْلَةُ عَلَيْهِ ثَابِتَةٌ مُحْكَمَةٌ قَطْعِيَّةٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَى دَلِيلِ التَّوْحِيدِ وَالرَّسَالَةِ».

وأما الملائكة، فهم الموكِّلون بالسموات والأرض، فكلُّ حركة في العالم، فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَالْمَدْرَبَاتِ أَمْثَرًا ۖ﴾ [النازعات: ٥]. ﴿فَالْمَقَسَّدَاتِ أَمْثَرًا ۖ﴾ [الذاريات: ٤]. وهُم الملائكة عِنْدَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَتْبَاعِ الرِّسْلِ، وَأَمَّا الْمُكَذِّبُونَ بِالرِّسْلِ الْمُنْكَرُونَ لِلصَّانِعِ، فَيَقُولُونَ: هِيَ النُّجُومُ.

أصناف
الملائكة وتنوع
أعمالهم التي
كلفوا بها

(١) في (ب): بينما، وهي في صحيح مسلم كذلك.

(٢) في الأصول: منها، والمثبت من صحيح مسلم.

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٦) في صلاة المسافرين: باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والنسائي ١٣٨/٢ في افتتاح الصلاة: باب فضل فاتحة الكتاب، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٢٢/٤، والبغوي (١٢٠٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢٢٥٥).

(٤) هو محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي الزاهد الواعظ صاحب «قوت القلوب» في التصوف والرقائق، وقد اعتمده الإمام الغزالي في «الإحياء»، من أهل الجبل نشأ واشتهر بمكة، ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم، فانتفى إلى مقالته، وقدم بغداد، فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ، فخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق، فبدعه الناس وهجروه، وامتنع عن الوعظ، وتوفي ببغداد سنة (٣٨٦هـ). «تاريخ بغداد» ٨٩/٣، و«الميزان» ٣/٦٥٥، و«وفيات الأعيان» ٣٠٣/٤، و«لسان الميزان» ٣٠٠/٥.

وقد دلَّ الكتابُ والسنة على أصناف الملائكة، وأنها مُوكَّلةٌ بأصنافِ المخلوقات، وأنه سبحانه وكَّلَ بالجبالِ ملائكة، ووَكَّلَ بالسحابِ والمطرِ ملائكة، ووَكَّلَ بالرَّجَمِ ملائكة تُدَبِّرُ أَمْرَ النطفة حتى يَتِمَّ خَلْقُهَا، ثم وكَّلَ بالعبدِ ملائكةٌ لِحَفَظِ مَا يَعْمَلُهُ وإِحْصَائِهِ وكتابتِهِ، ووَكَّلَ بالموتِ ملائكة، ووَكَّلَ بالسُّؤالِ في القبرِ ملائكة، ووَكَّلَ بالأفلاكِ ملائكة يُحَرِّكُونَهَا، ووَكَّلَ بالشمس والقمرِ ملائكة، ووَكَّلَ بالنارِ وإِيقَادَهَا وتعذيبِ أهلِهَا وإِعمارَتِهَا ملائكة، ووَكَّلَ بالجنةِ وإِعمارَتِهَا وَغِرَاسِهَا وَعَمَلِ آلَتِهَا ملائكة.

فالملائكةُ أَعْظَمُ جُنُودِ اللَّهِ، وَمِنْهُمْ: الْمُرْسَلَاتُ عُرفاً، وَالنَّاشِرَاتُ نَشْراً، وَالفَارَقَاتُ فَرْقاً وَالْمُلْقِيَاتُ ذِكْراً^(١).

(١) في تفسير ابن كثير ٨/ ٣٢٠ - ٣٢١: قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا زكريا بن سهل المروزي، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، أخبرنا الحسين بن واقد، حدثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ قال: الملائكة. قال: وزُوي عن مسروق، وأبي الضحى، ومجاهد - في إحدى الروايات - والسدي، والربيع بن أنس، مثل ذلك. وزُوي عن أبي صالح أنه قال: هي الرسل. وفي رواية عنه: هي الملائكة، وهكذا قال أبو صالح في ﴿العاصفات﴾ و ﴿الناشرات﴾ و ﴿الملقيات﴾: إنها الملائكة.

قال الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم البطين، عن أبي المُبَيْدِين قال: سألت ابن مسعود عن ﴿المرسلات عرفاً﴾، قال: الريح. وكذا قال في ﴿العاصفات عصفاً﴾، والناشرات نَشْراً: إنها الريح، وكذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبو صالح - في رواية عنه - وتوقف ابن جرير في ﴿المرسلات عرفاً﴾؛ هل هي الملائكة أرسلت بالعُزْف، أو كُعِزِفَ الفرس يتبع بعضهم بعضاً؟ أو: هي الريح إذا هبت شيئاً فشيئاً؟ وقطع بأن العاصفات عصفاً هي الرياح كما قلناه ابن مسعود ومن تابعه. وممن قال ذلك في العاصفات أيضاً: علي بن أبي طالب، والسدي. وتوقف في ﴿الناشرات نَشْراً﴾ هل هي الملائكة أو الريح؟ كما تقدم. وعن أبي صالح: أن ﴿الناشرات نَشْراً﴾: المطر.

والأظهر أن «المرسلات» هي الرياح، كما قال تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾. وهكذا العاصفات هي: الرياح، يقال: عصفت الريح إذا هبَّت بتصويت، وكذا الناشرات هي: الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، كما يشاء الرب عز وجل. وقوله: ﴿فَالْفَارَقَاتُ فَرْقاً﴾ فالملقيات ذكراً. عذراً أو نذراً، يعني: الملائكة. قاله =

وَمِنْهُمْ: النازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سباحاً،
فالسابحات سبّحاً.

ومنهم: الصافات صفاً، فالزاجرات زَجْراً، فالثاليات ذُكْراً. ومعنى
جمع التأنيث في ذلك كله: الفِرَقُ والطوائف والجماعات، التي مفردها
«فرقة» و«طائفة» و«جماعة».

ومنهم ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وملائكة قد وُكِّلُوا بِحَمْلِ
العرش، وملائكة قد وُكِّلُوا بِعِمَارَةِ السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس،
إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى.

ولفظ «الملك» يُشعرُ بأنه رسول مُنْفَذٌ لأمر مرسله، فليس لهم من
الأمر شيء، بل الأمر كله لله الواحد القهار، وهم يُنْفَذُونَ أمره: ﴿لَا
يَسْأَلُونَكَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٧٨) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٧٩﴾ [الأنبياء: ٢٧ - ٢٨]
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٥٠) [النحل: ٥٠].

الملك رسول
منفذ لأمر
مرسله
١٧٠

فَهُمْ عِبَادٌ لَهُ مُكْرَمُونَ، منهم الصّافون، ومنهم المُسَبِّحُونَ، ليس منهم
إلا له مقام معلوم^(١)، لا يتخطاه، وهو على عَمَلٍ قَدِ أَمَرَ بِهِ، لا يَقْصُرُ عَنْهُ،
ولا يَتَعَدَّاهُ، وأَعْلَاهُمْ الَّذِينَ عِنْدَهُ: ﴿وَلَهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا

= ابن مسعود، وابن عباس، ومسروق، ومجاهد، وقتادة، والربيع بن أنس،
والسدي، والثوري. ولا خلاف ها هنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين
الحق والباطل، الهدى والغي، والحلال والحرام، وتلقي إلى الرسل وحياً فيه إعذار
إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره.

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصّٰفُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ
المُسَبِّحُونَ﴾ والمعنى: ما من ملك إلا له موضع من السماء مخصوص يعبد الله
فيه، والصّافون: الذين يقفون صفوفاً في الطاعة، وأخرج مسلم في «صحيحه»
(٥٢٢) من حديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلنا على الناس
بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً،
وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء».

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَخِيرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ ﴿٢٠﴾
[الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

ورؤساؤهم الأملاك الثلاثة^(٢): جبريل وميكائيل وإسرافيل، الموكّلون بالحياة، فجبريل موكّل بالوحي الذي هو حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكّل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكّل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

فَهُمْ رُسُلُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، وَسُفَرَاؤُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، يَنْزِلُونَ بِالْأَمْرِ مِنْ عِنْدِهِ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ، وَيَضَعُدُونَ إِلَيْهِ بِالْأَمْرِ، قَدْ «أُطِّتِ»^(٣) السَّمَاوَاتُ بِهِمْ، وَحَقٌّ لَهَا أَنْ تَنْطُطَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ لِلَّهِ»^(٤)، ويدخل البيت المعمور منهم كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخَرَ مَا عَلَيْهِمْ^(٥).

آيات كثيرة
وردت في ذكر
الملائكة
وأصنافهم
ومراتبهم

والقرآن مملوءٌ بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارةً يَقْرَأُ اللَّهُ تَعَالَى

(١) في معناه ثلاثة أقوال، أحدها: لا يرجعون. رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، والثاني: لا ينقطعون. قاله مجاهد، وقال ابن قتيبة: لا يعيون، والخير: المنقطع الواقع إعياء وكلالاً. والثالث: لا يملون، قاله أبو زيد. «زاد المسير» ٣٤٤/٥ - ٣٤٥.

(٢) في هامش (أ) و (د): ومنهم الرؤساء الأملاك. نسخة.
(٣) في «النهاية»: الأطيع: صوت الأقتاب، وأطيع الإبل: أصواتها وحنينها، أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطلت.

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد ١٧٣/٥ من حديث أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطلت وحق لها أن تنطط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله...» وحسنه الترمذي مع أن إبراهيم بن المهاجر لين الحديث، لكن يشهد له حديث حكيم بن حزام عند الطحاوي في «المشكّل» ٤٣/٢، والطبراني في «الكبير» (٣١٢٢)، وسنده قوي، وآخر من حديث أنس بن مالك عند أبي نعيم في «الحلية» ٢٦٩/٦، وسنده ضعيف، فيتقوى الحديث بهذين الشاهدين ويصح.

(٥) قطعة من حديث الإسراء المطول المخرج في «الصحيحين» وفيه: أن رسول الله ﷺ قال بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم».

اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف.

وتارة يذكر حَقُّهم بالعرش، وحملهم له، وبراءتهم من الذنوب^(١).

وتارة يصفهم^(٢) بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو، والطهارة والقوة والإخلاص، قال تعالى: ﴿كُلُّ ءَامَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَيْكَتِهِ وَكُتِبَ لَهُ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]. ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِئَاتٍ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]. ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي وَيُسَبِّحُونَكَ وَلَهُ يُسَجِّدُونَ﴾ [٢٦]. ﴿الْأَعْرَافَ: ٢٠٦﴾. ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [٢٨]. [فصلت: ٣٨]. ﴿كِرَامًا كَتِيبِينَ﴾ [١١]. [الانفطار: ١١]. ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [١١]. [عبس: ١٦]. ﴿يَشْهَدُهُ الْمَلَكُونَ﴾ [٢١]. [المطففين: ٢١]. ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ إِلَّا أَعْلَى﴾ [الصافات: ٨]. وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم، فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان.

وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة^(٣) وصالحي البشر، ويُنسب إلى أهل السنة تفضيلُ صالحِي البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيلُ الملائكة.

وأتباعُ الأشعريِّ على قولين: منهم من يُفضِّلُ الأنبياء والأولياء، ومنهم من يَقِفُ ولا يَقْطَعُ في ذلك قولاً، وحكي عن بعضهم ميلُهُم إلى تفضيلِ الملائكة، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبغضِ الصوفية.

١٧١

مذاهب الناس
في المفاضلة
بين الملائكة
وصالحي البشر

(١) كذا في الأصول، وفي «طبعة المكتب الإسلامي»: «ومراتبهم من الدنو»، ولها وجه.

(٢) تحرفت في الأصول إلى: «يضيفهم».

(٣) انظر بسط المسألة في «الفتاوى» ٤/ ٣٥٠ - ٣٩٢ لشيخ الإسلام.

وَقَالَتِ الشَّيْعَةُ: إِنَّ جَمِيعَ الْأُئِمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ فَصَّلَ تَفْصِيلاً آخَرَ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِمَّنْ لَهُ قَوْلٌ يُؤَثَّرُ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ دُونَ بَعْضٍ. وَكُنْتُ تَرَدَّدْتُ فِي الْكَلَامِ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، لِقِلَّةِ ثَمَرَتِهَا، وَأَنَّهَا قَرِيبٌ مِمَّا لَا يَعْنِي، وَ«مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَزَكُّهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»^(١).

والشيخ رحمه الله لم يتعرض إلى هذه^(٢) المسألة بنفي ولا إثبات، ولعله يَكُونُ قد ترك الكلام فيها قصداً، فَإِنَّ الإمامَ أبا حنيفة رحمه الله وَقَفَ فِي الْجَوَابِ عَنْهَا عَلَى مَا ذَكَرَهُ فِي «مَالِ الْفَتَاوَى»^(٣)، فَإِنَّهُ ذَكَرَ مَسَائِلَ لَمْ يَقْطَعْ أَبُو حَنِيْفَةٍ فِيهَا بِجَوَابٍ، وَعَدَّ مِنْهَا: التَّفْضِيلَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ^(٤).

فإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَالنَّبِيِّينَ، وَلَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَقِدَ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَفْضَلُ، فَإِنَّ هَذَا لَوْ كَانَ مِنَ الْوَاجِبَاتِ^(٥)، لَبَيَّنَ لَنَا نَصّاً، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وفي «الصحيح»^(٦) «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُوداً

(١) تقدم تخريجه ص ٣٤٢ وهو صحيح.

(٢) في (ب): لهذه.

(٣) وهو «الملقط» تأليف أبي القاسم محمد بن يوسف العلوي السمرقندي الحنفي عالم بالتفسير والحديث والفقه والوعظ مات سنة (٥٥٦هـ). «الفوائد البهية» ص ٢١٩ - ٢٢٠، و «كشف الظنون» ١٥٧٤/٢ و ١٨١٣.

(٤) جاء في (أ) بعد قوله: «الأنبياء»: وهذا هو الحق، ثم وضع فوقها إشارة الحذف، ولم ترد في (ب) وهي في (ج) و (د) ومطبوعة مكة.

(٥) في (ب): الواجب.

(٦) هذا يوهم أنه في أحد «الصحيحين»، وليس هو في واحد منهما، وإنما هو حديث حسن بشواهده، أخرجه الدارقطني ١٨٤/٤، والحاكم ١١٥/٤، والبيهقي ١٢/١٠ و ١٣، وأبو نعيم، «الحلية» ١٧/٩، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» ٩/٢ من طرق عن داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة، ورجاله ثقات، إلا أن مكحولاً لا يصح له سماع من أبي ثعلبة، فهو منقطع، لكن له شاهد من حديث أبي الدرداء بلفظ: «ما أحل الله في كتابه، فهو حلال، وما حرمه فهو حرام، وما سكت عنه =

فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء - رحمة بكم غير نسيان - فلا تسألوا عنها».

فالسكوت عن الكلام^(١) في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا - والحالة هذه - أولى.

ولا يقال: إن هذه المسألة نظير غيرها من المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة، لأن الأدلة هنا متكافئة، على ما أُشير إليه، إن شاء الله تعالى. وحملني على بسط الكلام هنا: أن بغض الجاهلين يُسيئون الأدب بقولهم: كان الملك خادمًا للنبي ﷺ! أو: إن بغض الملائكة خدام بني آدم! يعنون الملائكة الموكلين بالبشر، ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع، المجانبية للأدب.

والترجيح - إذا كان على وجه التقصيص أو الحمية والعصية للجنس - لا شك في رده. وليس هذه المسألة نظير المفاضلة بين الأنبياء، فإن تلك قد

= فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئاً ثم تلا هذه الآية: ﴿وما كان ربك نسياً﴾ وأخرجه البزار (٢٢٣١)، والحاكم ٣٧٥/٢ من طريق عاصم بن رضاء، عن أبيه، عن أبي الدرداء، وسنده قوي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال البزار: وإسناده صالح، وأورده الهيثمي في «المجمع ٥٥/٧» عن البزار، وقال: رجاله ثقات، وله شاهد آخر من حديث سلمان الفارسي عند الترمذي (١٧٢٦)، وابن ماجه (٣٣٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٦١٢٤)، والحاكم ١١٥/٤، والبيهقي ٣٢٠/٩ و ١٢/١٠ من طريق سيف بن هارون البرجمي، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان قال: سئل رسول الله ﷺ عن السمن والجبن والفراء، فقال: «الحلال ما أحل الله في كتابه، والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه، فهذا مما عفا عنه، وسيف بن هارون ضعيف، وقال الترمذي: وهذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وروى سفيان وغيره، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن سلمان قوله، وكان الحديث الموقوف أصح، وأخرجه الطبراني (٦١٥٩) من طريق علي بن مسهر، عن أبي إسماعيل - يعني بشر - عن مسلم البطين، عن أبي عبد الله الجدلي، عن سلمان، قال: سئل رسول الله ﷺ... (١) في (ب): عن هذا الكلام.

وُجِدَ فِيهَا نَصٌّ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ الْآيَةُ [البقرة: ٢٥٣]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]. وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِ الشَّيْخِ: «وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ» يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ.

وَالْمُعْتَبَرُ رُجْحَانُ الدَّلِيلِ، وَلَا يُهْجَرُ الْقَوْلُ، لِأَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ١٧٢ وَافِقٌ عَلَيْهِ، بَعْدَ أَنْ تَكُونَ الْمَسْأَلَةُ مُخْتَلِفًا فِيهَا بَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ أَوَّلًا^(١) بِتَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْبَشَرِ، ثُمَّ قَالَ بَعَكْسَهُ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْقَوْلَ بِالتَّوَقُّفِ أَحَدُ أَقْوَالِهِ.

وَالْأَدْلَةُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنَ الْجَانِبِينَ إِنَّمَا تُدُلُّ عَلَى الْفَضْلِ، لَا عَلَى الْأَفْضَلِيَّةِ، وَلَا نِزَاعٍ فِي ذَلِكَ.

وَلِلشَّيْخِ تَاجِ الدِّينِ الْفَزَارِيِّ^(٢) كَلَامُهُ مُصَنَّفٌ سَمَاهُ «الْإِشَارَةُ»^(٣) فِي الْبَشَارَةِ فِي تَفْضِيلِ الْبَشَرِ عَلَى الْمَلَكِ قَالَ فِي آخِرِهِ: أَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ مِنْ بَدَعِ عِلْمِ الْكَلَامِ، الَّتِي لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهَا الصُّدُرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأُمَّةِ، وَلَا مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ، وَلَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الْعُقَائِدِ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ كَثِيرٌ^(٤) مِنَ الْمَقَاصِدِ، وَلِهَذَا خَلَا عَنْهَا طَائِفَةٌ مِنْ مُصَنِّفَاتِ هَذَا

(١) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

(٢) هُوَ الْإِمَامُ الْعَلَمَةُ شَيْخُ الشَّافِعِيَّةِ فِي زَمَانِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ ضِيَاءِ بْنِ سَبَاعِ الْفَزَارِيِّ تَاجِ الدِّينِ الْمَعْرُوفُ بِالْفَرَكَاحِ، الْمَصْرِيُّ الْأَصْلُ، الدِّمَشْقِيُّ الْإِقَامَةُ وَالشَّهْرَةُ وَالْوَفَاةُ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي «الْبَدَايَةِ» ٣٢٥/١٣: كَانَ مِمَّنْ اجْتَمَعَ فِيهِ فَنُونُ كَثِيرَةٍ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْأَخْلَاقِ اللَّطِيفَةِ، وَفَصَاحَةِ الْمَنْطِقِ، وَحَسَنِ التَّصْنِيفِ، وَعِلْوِ الْهِمَّةِ، وَفَقْهِ النَّفْسِ، وَكِتَابَةِ «الْإِقْلِيدِ» الَّذِي جَمَعَهُ عَلَى أَبْوَابِ النَّبِيَّةِ، وَصَلَ فِيهِ إِلَى بَابِ الْغَضَبِ، دَلِيلٌ عَلَى فَقْهِ نَفْسِهِ، وَعِلْوِ قُدْرِهِ، وَقُوَّةِ هِمَّتِهِ، وَنَفُوذِ نَظَرِهِ، وَاتِّصَافِهِ بِالْاجْتِهَادِ الصَّحِيحِ فِي غَالِبِ مَا سَطَّرَهُ. تَوَفِيَ سَنَةَ (٦٩٠هـ). مُتَرَجِّمٌ فِي «طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ» لِلْسَّبْكِ ١٦٣/٨، وَ«فَوَاتِ الْوَفِيَّاتِ» ٢٦٣/٢ - ٢٦٥، وَالْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ ٣٢٥/١٣، وَ«الْعَبَرُ» ٣٦٨/٥، وَالْدَّارَسُ لِلنَّعِيمِيِّ ٢٨/١.

(٣) فِي (أ) وَ (ج) وَ (د): الْإِثَارَةُ.

(٤) فِي (ب): كَبِيرٌ.

الشان، وامتنع من الكلام فيها جَمَاعَةً من الأعيان، وكلُّ متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه، لم يَخْلُ كَلَامُهُ عن ضعف واضطراب. انتهى.

فَمِمَّا اسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى تَفْضِيلِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ: أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَفْضِيلِهِ عَلَيْهِمْ، وَلِذَلِكَ امْتَنَعَ إِبْلِيسُ وَاسْتَكْبَرَ وَقَالَ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢].

قال الآخرون: إِنْ سَجُودَ الْمَلَائِكَةُ كَانَ امْتِثَالاً لِأَمْرِ رَبِّهِمْ، وَعِبَادَةً وَانْقِياداً وَطَاعَةً لَهُ، وَتَكْرِيماً لِآدَمَ وَتَعْظِيماً، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ الْأَفْضَلِيَّةُ، كَمَا لَمْ يَلْزَمْ مِنْ سَجُودِ يَعْقُوبَ لِابْنِهِ يُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ تَفْضِيلُ ابْنِهِ عَلَيْهِ، وَلَا تَفْضِيلُ الْكَعْبَةِ عَلَى بَنِي آدَمَ بِسَجُودِهِمْ إِلَيْهَا امْتِثَالاً لِأَمْرِ رَبِّهِمْ.

وَأَمَّا امْتِنَاعُ إِبْلِيسَ، فَإِنَّهُ عَارِضُ النَّصِّ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِيهِ الْفَاسِدِ بِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ، وَهَذِهِ الْمُقَدِّمَةُ الصُّغْرَى، وَالْكِبْرَى مَحْذُوفَةٌ، تَقْدِيرُهَا: وَالْفَاضِلُ لَا يَسْجُدُ لِلْمَفْضُولِ! وَكِلْتَا الْمَقْدَمَتَيْنِ فَاسِدَةٌ:

أَمَّا الْأُولَى: فَإِنَّ التَّرَابَ يَفُوقُ النَّارَ فِي أَكْثَرِ صِفَاتِهِ، وَلِهَذَا خَانَ إِبْلِيسَ غَنْصُهُ، فَأَبَى وَاسْتَكْبَرَ، فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِ النَّارِ طَلَبَ الْعُلُوِّ وَالْخِفَّةَ وَالطِّيشَ وَالرُّعُونََةَ، وَإِفْسَادَ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ وَمَحَقَهُ وَإِهْلَاكَهُ وَإِحْرَاقَهُ، وَنَفَعَ آدَمَ غَنْصُهُ فِي التَّوْبَةِ وَالِاسْتِكَانَةِ، وَالِانْقِيَادِ وَالِاسْتِسْلَامِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَالاعْتِرَافِ وَطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ، فَإِنَّ مِنْ صِفَاتِ التَّرَابِ الثَّبَاتَ وَالسَّكُونََ وَالرَّصَانَةَ، وَالتَّوَاضُعَ وَالْخُضُوعَ وَالْخُشُوعَ وَالتَّذَلُّلَ، وَمَا دَنَا مِنْهُ يَنْبُتٌ وَيَزْكُو، وَيَنْمِي^(١) وَيُبَارِكُ فِيهِ، ضِدَّ النَّارِ.

وَأَمَّا الْمُقَدِّمَةُ الثَّانِيَّةُ - وَهِيَ: أَنَّ الْفَاضِلَ لَا يَسْجُدُ لِلْمَفْضُولِ -: فَبَاطِلَةٌ، فَإِنَّ السُّجُودَ طَاعَةً لِلَّهِ، وَامْتِثَالُ لَأَمْرِهِ، وَلَوْ أَمَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ أَنْ يَسْجُدُوا لِحَجَرٍ، لَوَجِبَ عَلَيْهِمُ الْامْتِثَالُ وَالْمُبَادَرَةُ، وَلَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَسْجُودَ لَهُ أَفْضَلُ مِنَ السَّاجِدِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَكْرِيمُهُ وَتَعْظِيمُهُ، وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ، قَالُوا:

١٧٣

(١) فِي (ب): وَيَنْمُو، وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ، يُقَالُ: نَمَى يَنْمُو وَيَنْمُو: إِذَا زَادَ.

وقد يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]، بعد طَرْدِهِ لامتناعه عن السجود له، لا قَبْلَهُ، فينتفي الاستدلالُ به.

ومنه: أَنَّ الملائكةَ لهم عُقُولٌ، وليست لهم شَهَوَاتٌ، والأنبياءُ لهم عقول وشهوات، فلما نَهَوْا أَنْفُسَهُمْ عن الهوى، ومنعوها عما تَمِيلُ إليه الطَّبَاغُ، كانوا بذلك أفضل.

قال^(١) الآخرون: يجوز أن يَقَعَ مِنَ الملائكةِ مِنْ مداومة الطاعة، وتحُمِلِ العبادة، وتركِ الْوَنَى والفُتُور فيها، ما يفي بتجَنُّبِ الأنبياءِ شهواتهم، مع طُولِ مدة عبادة الملائكة.

ومنه: أن الله تعالى جَعَلَ الملائكةَ رُسُلًا إلى الأنبياء، وسفراءَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وهذا الكلامُ قد اعتُلَّ بِهِ مَنْ قال: إن الملائكةَ أَفْضَلُ، واستدلَّاهم به أقوى، فَإِنَّ الأنبياءَ المرسلين، إن ثَبَتَ تَفْضِيلُهُمْ على الْمُرْسَلِ إليهم بالرسالة، ثَبَتَ تَفْضِيلُ الرُّسُلِ مِنَ الملائكةِ إليهم عليهم، فَإِنَّ الرُّسُولَ الملكي يَكُونُ رسولاً إلى الرسول البشري.

ومنه: قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢) الآيات. [البقرة:

[٣١].

قال الآخرون: هذا دليلٌ على الفضل، لا على التفضيل، وآدم والملائكة لا يعلمون إلا ما عَلَّمَهُم^(٣) الله، وَلَيْسَ الْخَصِرُ أَفْضَلُ مِنْ موسى، بكونه عَلِمَ ما لم يَغْلَمْهُ موسى، وقد سافر موسى وفتاه في طلب العلم إلى

(١) في (ب): وقال.

(٢) أي: أودع في نفسه علم جميع الأشياء من غير تحديد ولا تعيين، فالمراد بالأسماء المسميات، عبر عن المدلول بالدليل لشدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له، وسرعة الانتقال من أحدهما إلى الآخر، والعلم الحقيقي إنما هو إدراك المعلومات أنفسها، والألفاظ الدالة عليها تختلف باختلاف اللغات التي تجري بالمواضعة والاصطلاح، فهي تتغير وتختلف، والمعنى لا تغيير فيه ولا اختلاف. وانظر «فتاوى شيخ الإسلام» ٩١/٧ - ٩٦.

(٣) في (ب): علم.

الْخَضِيرِ، وَتَزُودًا^(١) لَذَلِكَ، وَطَلَبَ مُوسَى مِنْهُ الْعِلْمَ صَرِيحاً، وَقَالَ لَهُ الْخَضِيرُ: إِنَّكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ، وَلَا الْهُدُودُ أَفْضَلُ مِنْ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِكَوْنِهِ أَحَاطَ بِمَا لَمْ يُحِطْ بِهِ سُلَيْمَانُ عِلْماً.

ومنه: قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

قال الآخرون: هذا دليلُ الْفَضْلِ لَا الْأَفْضَلِيَّةِ، وَإِلَّا لَزِمَ تَفْضِيلُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنْ قُلْتُمْ: هُوَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ، فَمِنْ ذُرِّيَّةِ الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، بَلْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا قِيلَ لَأَدَمَ: «ابْعَثْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ»، «يَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، وَوَاحِداً إِلَى الْجَنَّةِ»^(٢)، فَمَا بَالُ هَذَا التَّفْضِيلِ سَرَى إِلَى هَذَا الْوَاحِدِ مِنَ الْأَلْفِ فَقَطْ!.

ومنه: قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، الْحَدِيثُ^(٣)، فَالْشَّأْنُ فِي ثُبُوتِهِ، وَإِنْ صَحَّ عَنْهُ، فَالْشَّأْنُ فِي ثُبُوتِهِ فِي نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ.

ومنه: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبَّنَا أُعْطِيتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ وَيَلْبَسُونَ، وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ، وَلَا نَأْكُلُ وَلَا نَشْرَبُ وَلَا نَلْبَسُ، فَكَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا، فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ؟ قَالَ: لَا أَجْعَلُ صَالِحَ ذُرِّيَّةٍ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ: كُنْ فَكَانَ». أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ^(٤).

(١) في (ب): وتزود.

(٢) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ الْبُخَارِيُّ (٣٣٤٨) وَ (٤٧٤١) وَ (٦٥٣٠) وَ (٧٤٨٣)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٢)، وَأَحْمَدُ ٣/٣٢ - ٣٣، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» كَمَا فِي «التَّحْفَةِ» ٣/٣٤٦، وَابْنُ مَنْدَه فِي «الْإِيمَانِ» (٩٨٩) وَ (٩٩٠) وَ (٩٩١).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» ٥/٤٨٥ - ٤٨٦، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ٤/٥٦٨ - ٥٦٩، وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَهُوَ كَمَا قَالَا. وَقَوْلُ الشَّارِحِ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، لَا مَحَلَّ لِهَذَا الْإِحْتِمَالِ هُنَا، لِأَنَّ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ، يَقُولُ هَذَا رَأياً مِنْهُ وَاجْتِهَاداً وَلَمْ يَرْفَعْهُ إِلَى أَحَدٍ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْمَغْيِبَاتِ.

(٤) أَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ٨٢/١، وَقَالَ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» وَ«الْأَوْسَطِ» =

وأخرجه عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل^(١) عن عروة بن رُويم، أنه^(٢) قال: أخبرني الأنصاري، عن النبي ﷺ: «أن الملائكة قالوا...»، الحديث، وفيه: «وَيَتَأَمُّونَ وَيَسْتَرْيَحُونَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «لَا»، فَأَعَادُوا الْقَوْلَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا»^(٣). والشأن في ثبوتهما، فإن في سندهما مقالاً، وفي متنها شيئاً، فكيف يُظن بالملائكة الاعتراض على الله تعالى مراتٍ عديدة؟ وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم: ﴿لَا يَسْقُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَمْلِكُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧] وهل يُظنُّ بهم أنهم بأحوالهم، متشوّفون إلى ما سواها من شهوات بني آدم؟ والنوم أخو الموت، فكيف يَغِيْطُونَهُمْ به؟ وكيف يظن بهم أنهم يَغِيْطُونَهُمْ باللهو، وهو من الباطل؟ قالوا: بل الأمر بالعكس، فإن إبليس إنما وسَّسَ إلى آدم، ودلَّه بغيره، إذ أطعمه في أن يكون ملكاً بقوله: ﴿مَا نَهَكَّا رِيْكَمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠]. فدلَّ أن أفضلية المَلَكِ أمر معلوم

= وفيه إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصي، وهو كذاب متروك، وفي إسناد «الأوسط» طلحة بن زيد، وهو كذاب أيضاً.

(١) هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، الإمام الحافظ شيخ بغداد، أبو عبد الرحمن الدهلي الشيباني المروزي البغدادي، كان ﷺ صينياً، ديناً، صادقاً، صاحب حديث واتباع وبصر بالرجال، له زيادات كثيرة في «مسند» والده واضحة، عن عوالي شيوخه، توفي سنة (٢٩٠هـ). مترجم في «السير» ١٣ / رقم الترجمة (٢٥٧).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «كتاب السنة» (٩٠٢)، وكذا البيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٣١٦ - ٣١٧، وسنده ضعيف لجهالة الأنصاري، وتعيين الأنصاري بكونه أنس بن مالك في رواية ابن عساكر أو جابر بن عبد الله الأنصاري في رواية البيهقي ص ٣١٧ لا يصح، لضعف السند، وأخرجه أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب «الرد على المريسي» ص ٣٤٦ من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث بن سعد، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو، وإسناده ضعيف لضعف عبد الله بن صالح، وكذلك أخرجه الطبراني، في «الكبير» و «الأوسط» من حديث عبد الله بن عمرو، وفي إسناد كل منهما كذاب، وانظر «المجمع» ٨٢/١ للهيتمي.

مستقر في الفطرة، يشهد لذلك قوله تعالى، حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيدين عند رؤية يوسف: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

قال الأولون: إن هذا إنما كان إما هو مركوز في النفوس: أن الملائكة خلقت جميل عظيم، مُقْتَدِر على الأفعال الهائلة، خصوصاً العرب، فإن الملائكة كانوا في نفوسهم من العظمة بحيث قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣].

قال الآخرون: قد يذكر «العالمون»، ولا يُقْصَدُ به العموم المطلق، بل في كل مكان بحسبه، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الحجر: ٧٠]. ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦٥] ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾ [البينة: ٧]. والبرية: مشتقة من البرء، بمعنى الخلق، فثبت أنَّ صالحى البشر خَيْرُ الخلق.

قال الآخرون: إنما صاروا خير البرية، لكونهم آمنوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، والملائكة في هذا الوصف أَكْمَلُ، فإنهم لا يسأمون ولا يَفْتَرُونَ، فلا يلزم أن يكونوا خيراً من الملائكة. هذا على قراءة من قرأ «البريئة»، بالهمز^(١)، وعلى قراءة من قرأ بالياء، إن قلنا: إنها مخففة من

١٧٥

(١) وهي قراءة نافع، وابن عامر، وحجتها أنه من: برأ الله الخلق يبرؤهم برءاً، والله =

الهمزة، وإن قلنا: إنها نسبة إلى البرى: وهو التراب، كما قاله الفراء^(١) فيما نقله عنه الجوهري في «الصحاح»؛ يكون المعنى: أنهم خَيْرٌ مَنْ خُلِقَ مِنَ التراب، فلا عُمومَ فيها إذاً لغير مَنْ خُلِقَ مِنَ التراب.

قال الأولون: إنما تكلمنا في تفضيل^(٢) صالحى البشر إذا كَمَلُوا، وَوَصَلُوا إلى غايتهم، وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يَكُونُ إذا دَخَلُوا الجنة، ونالوا الزُّلفى، وسكنوا الدرجاتِ العُلا، وَحَبَّاهُمُ الرَّحْمَنُ بِمَزِيدِ قُرْبِهِ، وتَجَلَّى لهم، لِيَسْتَمْتِعُوا بالنظر إلى وجهه الكريم.

قال^(٣) الآخرون: الشأن في أنهم هل صَارُوا إلى حالة يفوقون فيها الملائكةَ أو يُساوونهم فيها؟ فإن كان قد ثبت^(٤) أنهم يَصِيرُونَ إلى حالٍ يفوقون فيها الملائكة، سَلِمَ المَدْعَى، وإلا فلا.

ومما استدلُّ به على تَفْضِيلِ الملائكةِ على البشر: قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]. وقد ثَبَتَ من طريقِ اللغة أن مثل هذا الكلام يَدُلُّ على أن المعطوفَ أَفْضَلُ من المعطوف عليه، لأنه لا يجوز أن يُقالَ: لن يَسْتَنْكِفَ الوَظِيرُ أن يكونَ خادماً للملك، ولا الشرطيُّ أو الحارس! وإنما يقال: لن يستنكف الشرطيُّ أن يكونَ خادماً للملك ولا الوزير، ففي مثل هذا التركيب يترقَّى من الأدنى

= البارى، والخلق يُبرؤون، والبريئة فعيلة بمعنى مفعولة، كقولك: قتيل بمعنى مقتول. وقرأ الباقون: (البرية) بغير همز، وهو من برا الله الخلق، إلا أنهم خففوا الهمزة، لكثرة الاستعمال... «حجة القراءات» ص ٧٦٩.

(١) في «معاني القرآن» ٢٨٢/٣. الفراء: هو العلامة، صاحب التصانيف المفيدة، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكريا الأسدي مولا هم الكوفي النحوي، صاحب الكسائي، توفي سنة (٢٠٧هـ)، وهو بطريق الحج ثَكَلًا. مترجم في «السير» ١٠/ رقم الترجمة (١٢).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) في (ب): وقال.

(٤) في (ب): ثبت لهم.

إلى الأعلى، فإذا ثَبَّتْ تفضيلهم على عيسى ﷺ، ثبت في حق غيره، إذ^(١) لم يقل أحد: إنهم أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

أجاب الآخرون بأجوبة، أحسنها، أو من أحسنها: أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته وشدة وعظم خلقه، وفي العبودية خضوع وذل وانقياد، وعيسى ﷺ لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه.

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠]. ومثل هذا يقال بمعنى: إني لو قلت ذلك، لا دعيت فوق منزلي، ولست ممن يدعي ذلك.

أجاب الآخرون: أن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَتَشَبَّهِ فِي الْأَشْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] فأمر أن يقول لهم: إني بشر مثلكم أحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب لست من الملائكة الذين لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب، فلا يلزم حيثئذ الأفضلية المطلقة.

ومنه ما روى مسلم بإسناده^(٢): عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»^(٣). ومعلوم أن قوة البشر لا تُداني قوة الملك ولا تُقاربها.

قال الآخرون: الظاهر أن المراد المؤمن من البشر - والله أعلم - فلا تدخل الملائكة في هذا العموم.

١٧٦

(١) في (ب): إذا.

(٢) في (ب): بإسناد.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) في القدر: باب الأمر بالقوة وترك العجز، وابن ماجه (٧٩) في المقدمة: باب في القدر و (٤١٦٨) في الزهد: باب في التوكل واليقين، وأحمد ٣٦٦/٢ و ٣٧٠، والنسائي في «اليوم والليلة» (٦٢١) و (٦٢٢) و (٦٢٣) و (٦٢٤) و (٦٢٥)، وابن السني (٣٥٠)، والحميدي (١١١٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/١٠١، وابن أبي عاصم في «السنن» (٣٥٦).

ومنه ما ثبت في «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال فيما يروي عن ربه عز وجل، قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»^(١) الحديث. وهذا نص في الأفضلية.

قال الآخرون: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ المراد «خير» منه للمذكور، لا الخيرية المطلقة.

ومنه ما رواه ابن خزيمة^(٢)، بسنده^(٣) عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ إِذْ جَاءَ جِبْرِيلُ، فَوَكَّزَ بَيْنَ كَتِفَيَّ، فَقُمْتُ إِلَى شَجَرَةٍ مِثْلِ وَكْرِي الطَّيْرِ، فَقَعَدْتُ فِي إِحْدَاهُمَا، وَقَعَدْتُ فِي الْأُخْرَى، فَسَمْتُ وَارْتَفَعْتُ حَتَّى سَدَّتِ الْخَافِقَيْنِ، وَأَنَا أَقْلُبُ بَصَرِي، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْسُ السَّمَاءَ مَسْنِيْتُ»^(٤) فَتَنَزَّهْتُ إِلَى جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ جَلَسَ لَاطِيءٍ، فَعَرَفْتُ فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَلَيَّ»^(٥).

-
- (١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) و (٧٥٠٥) و (٧٥٣٧)، ومسلم (٢٦٧٥) (٢)، و ٤/ ٢٠٦٧ (٢١)، والترمذي (٢٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٢٢)، وأحمد ٢٥١/٢ و ٤١٣ و ٤٨٠ و ٤٨٢ و ٥٣٤، وابن خزيمة في «التوحيد» ص ٦ - ٧، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٢٨٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٩/ ٢٧.
- (٢) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة، الفقيه، شيخ الإسلام، إمام الأئمة أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، صاحب «الصحيح»، وقد طبع الربع الأول منه. توفي سنة (٣١١هـ). مترجم في السير ١٤/ رقم الترجمة (٢١٤).
- (٣) في هامش (ب): ما رواه الإمام الأئمة محمد بن خزيمة بسنده في كتابه التوحيد. (ح) وجاءت كذلك في أصل (أ) و (ج) و (د) إلا أنه قد أثبت في (أ) إشارة الحذف على: «إمام الأئمة محمد» و «في كتاب التوحيد».
- (٤) كذا في الأصول، والجادة مسست كما في «التوحيد» و «الحلية»، وإن كان ما هنا له وجه، فقد قالوا: قَصِيْتُ أَظْفَارِي، أي: قصص.
- (٥) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص ٢٠٩ - ٢١٠، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/ ٣١٦ من طريق سعيد بن منصور، عن الحارث بن عبيد الإيادي، عن أبي عمران الجوني، عن أنس، وسنده ضعيف، لضعف الحارث بن عبيد، فقد قال فيه الإمام أحمد: مضطرب الحديث، وضعفه ابن معين، والنسائي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن حبان: كان ممن كثر وهمه حتى =

قال الآخرون: في سنده مقال، فلا نُسلّم الاحتجاج به إلا بعد ثبوته.

وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، وتوقف أبو حنيفة رحمه الله في الجواب عنها، كما تقدّم، والله أعلم بالصواب^(١).

وجوب الإيمان
بمن سمى الله
في كتابه من
رسله وأنبيائه

وأما الأنبياء والمرسلون، فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله تعالى أُرسل رُسلاً سواهم وأنبياء لا يعلمُ أسماءُهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم.

فعلينا الإيمان بهم جملةً، لأنه لم يأت في عددهم نص. وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وعلى الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بيّثوه^(٢) بياناً لا يسع أحداً ممن أُرسلوا إليه جهله، ولا يحل له^(٣) خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٨٢] ﴿وَإِنْ تَطِيعُوا تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرُّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾^(٤) [النور: ٥٤]. ﴿وَاطِيعُوا الرُّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

أولو العزم من
الرسل

وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال^(٥) أحسنها: ما نقله

= خرج عن جملة من يحتج بهم إذا انفردوا. المجلس: هو كل شيء ولي ظهر البعير والدابة. ولا طي، اللطء: لزوق الشيء بالشيء.

(١) انظر «البداية» ٥٤/١ للحافظ ابن كثير.

(٢) في (ب): بينوا.

(٣) له: لم ترد في (ج).

(٤) هذه الآية لم ترد في (ب).

(٥) بلغت عند ابن الجوزي في «زاد المسير» ٣٩٢/٧ - ٣٩٣ عشرة أقوال. وذكر الثامن =

الْبَغَوِي وَغَيْرُهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ^(١): أَنَّهُمْ نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى وَمُحَمَّدٌ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَهُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]. وفي قوله تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَتَضَدُّيقُهُ وَاتِّبَاعُ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ إجمالاً وتفصيلاً.

وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَتُؤْمِنُ بِمَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الإيمان بما منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، وتُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَوَى ذَلِكَ كُتُبًا أَنْزَلَهَا عَلَى أَنْبِيَائِهِ، لَا يَعْرِفُ أَسْمَاءَهَا وَعَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ، فَالِإِقْرَارُ بِهِ، وَاتِّبَاعُ مَا فِيهِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الْإِيمَانِ بغيره من الكتب. فعَلِمْنَا الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ أَتَتْهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّهَا حَقٌّ وَهْدَى وَنُورٌ وَبَيَانٌ وَشِفَاءٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلُوبًا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَوْفَى النَّبِئِينَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْغَنِيُّ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ١ - ٢]. ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى

= منها: أَنَّهُمْ جَمِيعُ الرُّسُلِ،. فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ رَسُولًا إِلَّا كَانَ مِنْ أُولِي الْعِزْمِ. قَالَه ابْنُ زَيْدٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، وَقَالَ: «مَنْ» دَخَلَتْ لِلتَّجْنِيسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ، كَمَا تَقُولُ: قَدْ رَأَيْتِ الشَّيْبَ مِنَ الْخَزْرِ، وَالْجَبَابَ مِنَ الْقَزْرِ.

(١) هُوَ قَتَادَةُ بْنُ دَعَامَةَ بْنِ عَزِيزٍ، حَافِظُ الْعَصْرِ، وَقَدَوَةُ الْمَفْسِّرِينَ وَالْمُحَدِّثِينَ، أَبُو الْخَطَّابِ السَّدُوسِيُّ الْبَصْرِيُّ الضَّرِيرُ الْأَكْمَهْ، مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، كَانَ رَأْسًا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَالْغَرِيبِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ، وَأَنْسَابِهَا، تَوَفِّي (١١٧هـ). مُتَرَجِّمٌ فِي «السِّيرِ» ٥/ رَقْمُ التَّرْجُمَةِ (١٣٢).

أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده. وفي ذلك إثبات صفة الكلام والعلو، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾^(١) [البقرة: ٢١٣]. ﴿وَلَقَدْ لَكُنَّا عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]. ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٦]. ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]. ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] وأمثال ذلك كثيرة في القرآن.

قوله: «وُسَمِيَ أَهْلَ قِبَلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ اللَّهُ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ».

(١) أخرج ابن جرير في «تفسيره» (٤٠٤٨) من طريق محمد بن بشار، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا همام بن منبه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. قال: وكذلك هي في قراءة عبد الله: «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا»، وأخرجه الحاكم في «المستدرک» ٥٤٦/٢ - ٥٤٧ من طريق محمد بن بشار به، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال إلا أن أبا داود الطيالسي، واسمه سليمان بن داود روى له البخاري تعليقاً، وهو من رجال مسلم، ولفظ: «فاختلفوا» إنما حذف تعويلاً على قوله في الآية: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على أنه وقع التصريح بهذا المحذوف في قوله تعالى في سورة يونس الآية ١٩: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾. قال الطبري: فتأويل «الأمة» على هذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس: «الدين» كما قال النابغة الذبياني:

حلفت فلم أترك لنفسك ريباً وهل يائسمن ذو أمة وهو طائع
يعني: ذا الدين.

فكان تأويل الآية على معنى قول هؤلاء: كان الناس أمة مجتمعة على ملة واحدة ودين واحد، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأصل «الأمة» الجماعة تجتمع على دين واحد، ثم يكتفى بالخبر عن «الأمة» من الخبر عن «الدين» لدلالاتها عليه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يراد به أهل دين واحد، وملة واحدة.

ش: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا»^(١). وَيُشِيرُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَاحِدٌ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ بَارْتِكَابِ الذَّنْبِ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ.

والمراء بقوله: «أهل»^(٢) قبلتنا من يدعي الإسلام، وَيَسْتَقْبِلُ الْكَعْبَةَ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الْمَعَاصِي، مَا لَمْ يُكَذِّبْ بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ. وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى هَٰذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ عِنْدَ قَوْلِ الشَّيْخِ: «وَلَا نَكْفُرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ» وَعِنْدَ قَوْلِهِ: «وَالْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي أَصْلِهِ سَوَاءٌ».

قوله: «وَلَا تَخُوضُ فِي اللَّهِ، وَلَا تُمارِي فِي دِينِ اللَّهِ».

ش: يُشِيرُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الْكَفِّ عَنِ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْبَاطِلِ، وَذَمِّ عِلْمِهِمْ، فَإِنَّهُمْ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْإِلَهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

١٧٨

وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال: لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْطِقَ فِي ذَاتِ اللَّهِ بِشَيْءٍ، بَلْ يَصِفُهُ، بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْحَقُّ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: مَنْ أَلْزَمْتُهُ الْقِيَامَ مَعَ أَسْمَائِي وَصِفَاتِي، أَلْزَمْتُهُ الْأَدَبَ، وَمَنْ كَشَفْتُ لَهُ حَقِيقَةَ ذَاتِي، أَلْزَمْتُهُ الْعَطَبَ، فَاخْتَرِ الْأَدَبَ أَوْ الْعَطَبَ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا كَشَفَ لِلْجَبَلِ عَنْ ذَاتِهِ، سَاخَ الْجَبَلُ وَتَدَكَّدَكَ وَلَمْ يَثْبُثْ عَلَى عِظَمَةِ الذَّاتِ. وَقَالَ الشُّبْلِيُّ: الْإِنْبِسَاطُ بِالْقَوْلِ مَعَ الْحَقِّ تَرْكُ الْأَدَبِ.

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٩١) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بَلْفَظٍ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تَخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ». وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ ص ٢١.

(٢) فِي (ب): بِأَهْلِ.

(٣) فِي (ب): الْجَبَلِ.

(٤) هُوَ أَبُو بَكْرٍ، دَلْفُ بْنُ جَحْدَرٍ الشُّبْلِيُّ الْبَغْدَادِيُّ، أَصْلُهُ مِنَ الشُّبْلِيَّةِ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى

وقوله: «ولا تُماري في دين الله» معناه: لا تُخاصِمُ أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم، التماساً لامتثالهم وميلهم، لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبس الحق، وإفساد دين الإسلام.

قوله: «ولا تُجادِل في القرآن»، ونشهد أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين، فعلمه سيد المرسلين محمداً صلى الله عليه وعلى آله أجمعين. وهو كلام الله تعالى، لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقِهِ، ولا نخالف جماعة المسلمين.

ش: فقوله: «ولا نجادل في القرآن» يحتمل أنه أراد: أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا، وجادلوا بالباطل ليُدحضوا به الحق، بل نقول: إنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين» إلى آخر كلامه.

النهي عن
الجدال في
القرآن

ويحتمل أنه أراد: أنا لا نجادل في القراءات الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح، وكل من المعنيين حق، يشهد بصحة المعنى الثاني، ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه قال: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ^(١) آيَةَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَاَنْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهَةَ، وَقَالَ: «كَلَا كَمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا». رواه مسلم^(٢).

= أشروسنة بلدة عظيمة وراء سمرقند، ومولده بسامراء كان حاجباً للموفق، ثم ترك الحجابة، وحضر مجلس بعض الصالحين، فتأب، وصحب الجنيد وغيره، قال الإمام الذهبي: كان فقيهاً عارفاً بمذهب مالك، وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وجكم وحال وتمكن، لكنه كان يحصل له جفاف دماغ وسكر، فيقول أشياء يعتذر عنها فيها كبر وفخر، لا تكون قدوة، توفي سنة (٣٣٤هـ). مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٣٦٧/١٥ - ٣٧٠.

(١) في (ب): يقرأ: .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٠) و (٣٤٧٦) و (٥٠٦٢)، وأحمد ٣٩٣/١ و ٤١٢ و ٤٥٦، وليس هو في مسلم كما ظن الشارح. ورواه النسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٥٢/٧.

نَهَى ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جَحْدُ كُلِّ واحد من المختلفين ما مَعَ صاحبه من الحق، لأن كلا^(١) القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعَلَّل ذلك بأن مَنْ كان قبلنا اختلفوا، فهلكوا، ولهذا قال حذيفة رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: أَدْرِكْ هذه الأُمَّة لا تَخْتَلِفْ كما اختلفت الأُمَّم قبلهم^(٢). فَجَمَعَ النَّاسَ على حرفٍ واحدٍ اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك تركٌ لواجب، ولا فِعْلٌ لِمَحْظُور، إذ كانت قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ على سبعة أحرف جائزة لا وَاجِبَةً، رُخْصَةً من الله تعالى، وقد جعل الاختيارَ إليهم في أيِّ حَرْفٍ اختاروه.

كما أن تَرْتِيبَ السُّورِ لم يكن واجباً عليهم منصوصاً، ولهذا كان تَرْتِيبُ مصحف عبد الله على غير ترتيب المصحف العثماني، وكذلك مصحف غيره. وأما تَرْتِيبُ آيات السور، فهو ترتيبٌ منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يُقَدِّمُوا آيَةً على آية، بخلاف السُّورِ، فلما رأى الصحابةُ أن الأُمَّة تَفْتَرِقُ وتختلفُ، وتتقاتل إن لم تجتمع على حرفٍ واحد، جمعهم الصحابةُ عليه. هذا قولُ جمهور السلف من العلماء والقراء. قاله ابن جرير^(٣) وغيره.

(١) في (ب): كلاً من.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٩٨٧) من طريق موسى بن إسماعيل، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب أن أنس بن مالك حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف، رد عثمان المصحف إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

(٣) انظر: «جامع البيان» ٥٦/١ - ٥٩.

ومنهم مَنْ يَقُولُ: إِنَّ التَّرْخُصَ فِي الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ كَانَ فِي أَوَّلِ
الإسلام، لما في المحافظة على حرفٍ واحدٍ مِنَ المشقة عليهم أولاً، فلما
تَذَلَّلَتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ، وَكَانَ اتِّفَاقُهُمْ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ يَسِيراً عَلَيْهِمْ، وَهُوَ
أَوْفَقُ لَهُمْ؛ أَجْمَعُوا عَلَى الْحَرْفِ الَّذِي كَانَ فِي الْعَرَضَةِ الْأَخِيرَةِ.

وذهب طَوَائِفُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ إِلَى أَنَّ الْمَصْحَفَ مُشْتَمِلٌ عَلَى
الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُهْمَلَ شَيْءٌ مِنَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ، وَقَدْ
اتَّفَقُوا عَلَى نَقْلِ الْمَصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ، وَتَرَكَ مَا سِوَاهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى
الْجَوَابِ، وَهُوَ: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ جَائِزاً لَا وَاجِباً، أَوْ أَنَّهُ صَارَ مَنْسُوخاً.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: إِنَّهُ كَانَ يَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِالْمَعْنَى! فَقَدْ
كَذَّبَ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا قَالَ: قَدْ نَظَرْتُ إِلَى الْقُرَّاءِ فَرَأَيْتُ قِرَاءَتَهُمْ مُتَقَارِبَةً، وَإِنَّمَا
هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ: هَلُمَّ، وَأَقْبِلْ، وَتَعَالَ، فَاقْرَؤُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ^(١)، أَوْ كَمَا
قَالَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ أَمَرَنَا أَنْ لَا نُجَادِلَ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنَاظَرَةِ أَهْلِ الْقِبْلَةِ؟ فَإِنَّ أَهْلَ الْقِبْلَةِ مِنْ حَيْثُ
الْجُمْلَةُ خَيْرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُنَازَرَ مَنْ لَمْ يَظْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ، وَلَيْسَ إِذَا أَخْطَأَ يُقَالُ: إِنَّهُ كَافِرٌ قَبْلَ أَنْ تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الَّتِي
حُكِمَ الرَّسُولُ بِكَفَرٍ مِنْ تَرْكِهَا. وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ عَفَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَنِ الْخَطَا
وَالنِّسْيَانِ^(٢). وَلِهَذَا ذَمَّ السَّلَفُ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَذَكَرُوا أَنَّ آخِرَ أَمْرِهِمُ السَّيْفُ،

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «جَامِعِ الْبَيَانِ» (٤٨)، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٨٦٨٠)، مِنْ
ثَلَاثِ طُرُقٍ عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ شَقِيقٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ إِلَى
الْقِرَاءَةِ، فَوَجَدْتُهُمْ مُتَقَارِبِينَ، فَاقْرَؤُوا كَمَا عَلَّمْتُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعَ، فَإِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ
أَحَدِكُمْ: هَلُمَّ وَتَعَالَ. وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

(٢) أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهٍ (٢٠٤٥) مِنْ طَرِيقِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ عَطَاءٍ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنِّسْيَانِ وَمَا
اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ». قَالَ الْبُوصَيْرِيُّ فِي «مَصْبَاحِ الزَّجَاجَةِ» وَرَقَةً ١٣١: هَذَا إِسْنَادٌ
صَحِيحٌ، إِنَّ سَلَمَ مِنَ الْإِنْقِطَاعِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُنْقَطِعٌ، قَالَ الْمِزِّي فِي «الْأَطْرَافِ»: =

وسياتي لهذا المعنى زيادةً بيان، إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: «ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً».

وقوله: «ونشهد أنه كلام رب العالمين» تقدم الكلام^(١) على هذا المعنى عند قوله: «وإن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولاً».

وقوله: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» هو جبريل عليه السلام، سُمِّيَ رُوحاً، لأنه حاملُ الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أمينٌ حقٌ أمين، صلوات الله عليه، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [٩٣] عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]. وهذا وصف جبريل، بخلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤٠ - ٤١]، فإن الرسول هنا هو محمد ﷺ.

وقوله: «فَعَلَّمَهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ» تَضْرِيحٌ بتعليم جبريل إياه، إبطالاً لتوهم القرامطة وغيرهم أنه تصوَّره في نفسه إلهاماً^(٢).

وقوله: «وَلَا نَقُولُ بَخْلَقَهُ، وَلَا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ» تنبيه على أن من قال بخلق القرآن، فقد خالف جماعة المسلمين، فإن سَلَفَ الْأُمَّةِ كُلُّهُمْ متفقون على أن القرآن كلام الله بالحقيقة غير مخلوق، بل قوله: «وَلَا نَخَالِفُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ» مجرى على إطلاقه: أنا لا نُخَالِفُ جَمَاعَةَ المسلمين في جميع ما اتفقوا عليه، فَإِنْ خِلَافُهُمْ زَيِّغٌ وَضَلَالٌ وَبِدْعَةٌ.

= رواه بشر بن بكر التنيسي، عن الأوزاعي، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن ابن عباس، وليس ببعيد أن يكون السقط من صنعة الوليد بن مسلم، فإنه كان يدلّس تدليس التسوية. ورواية بشر بن بكر التنيسي المتصلة أخرجها البيهقي في «سننه» ٣٥٦/٧ والطبراني في «الصغير» ٢٧٠/١، والدارقطني ١٧٠/٤ - ١٧١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٥٦/٢، وصححه ابن حبان (١٤٩٨)، والحاكم ١٩٨/٢، ووافقه الذهبي.

(١) في (ب): القول.

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» ٢٠٤/١٠ - ٢٠٦.

قوله: «ولا تُكْفَرُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ، وَلَا نَقُولُ: لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ».

لا يجوز تكفير
المسلم بذنوب
لم يستحلها

ش: أراد بأهل القبلة الذين تقدّم ذكرهم في قوله: «ونسَمِّي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين» يشير الشيخ رحمته الله^(١) إلى الردّ على الخوارج القائلين بالتكفير بكلّ ذنب.

واعلم - رَحِمَكَ اللهُ وإيانا - أن بَابَ التَّكْفِيرِ وَعَدَمَ التَّكْفِيرِ، بَابٌ عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ وَالْمَحَنَةُ فِيهِ، وَكَثُرَ فِيهِ الْإِفْتِرَاقُ، وَتَشَتَّتَ فِيهِ الْأَهْوَاءُ وَالْآرَاءُ، وَتَعَارَضَتْ فِيهِ دَلَالَتُهُمْ، فَالنَّاسُ فِيهِ - فِي جِنْسِ تَكْفِيرِ أَهْلِ الْمَقَالَاتِ وَالْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ، الْمَخَالَفَةِ لِلْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، أَوْ الْمَخَالَفَةِ لِدَلَالَتِهِ فِي اعْتِقَادِهِمْ - عَلَى طَرَفَيْنِ وَوَسْطٍ مِنْ جِنْسِ الْإِخْتِلَافِ فِي تَكْفِيرِ أَهْلِ الْكِبَائِرِ الْعَمَلِيَةِ.

فطائفة تقول: لَا تُكْفَرُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ أَحَدًا، فَتَنْفِي التَّكْفِيرَ نَفْيًا عَامًّا، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ فِي أَهْلِ الْقِبْلَةِ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَكْفَرُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَفِيهِمْ مَنْ قَدْ يُظْهَرُ بَعْضُ ذَلِكَ حَيْثُ يُمَكِّنُهُمْ، وَهُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِالشَّهَادَتَيْنِ.

وأيضاً: فلا خِلافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ أَظْهَرَ إِنْكَارَ الْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَالْمُحَرَّمَاتِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلَّا قُتِلَ كَافِرًا مُرْتَدًّا. وَالنِّفَاقُ وَالرَّدَّةُ مِثْلُهَا^(٢) الْبِدْعُ وَالْفُجُورُ، كَمَا ذَكَرَهُ الْخُلَلَاءُ^(٣) فِي كِتَابِ «السَّنَةِ» بِسَنَدِهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ^(٤)، أَنَّهُ

(١) فِي (ج) وَ (د) زِيَادَةٌ: «بِهَذَا الْكَلَامِ» وَهِيَ فِي هَامِشِ (ب).

(٢) فِي (أ) وَ (ج): مِثْلُهَا.

(٣) هُوَ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ الْحَافِظُ الْفَقِيه، شَيْخُ الْحَنَابِلَةِ وَعَالِمُهُمْ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ بْنِ يَزِيدَ الْبَغْدَادِيِّ، الْخُلَلَاءُ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ (٣١٠هـ). مُتَرَجِمٌ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» ٢٩٧/١٤.

(٤) هُوَ الْإِمَامُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْصَارِيُّ، مَوْلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، حَدِيثُهُ مُخْرَجٌ فِي

قال: إِنَّ أَسْرَعَ النَّاسِ رِدَّةً أَهْلُ الْأَهْوَاءِ، وَكَانَ يَرَى هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِمْ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول: بأننا لا نُكْفِرُ أحداً بذنب، بل يُقَالُ: لا نُكْفِرُهُمْ بِكُلِّ ذَنْبٍ، كما تفعله الخوارج، وفَرَّقَ بَيْنَ النفي العام ونفي العموم، والوَاجِبُ إنما هو نفي العموم مناقضةً لقول الخوارج الذين يُكْفَرُونَ بِكُلِّ ذَنْبٍ.

ولهذا - والله أعلم - قيده الشيخ رحمه الله بقوله: «ما لم يَسْتَحِلَّهُ، وفي قوله: «ما لم يَسْتَحِلَّهُ» إشارة إلى أن مُرَادَهُ من هذا النفي العام لكل ذنب، الذُّنُوبُ الْعَمَلِيَّةُ لَا الْعِلْمِيَّةُ. وفيه إشكال، فإن الشارع لم يكتفِ مِنَ الْمُكَلَّفِ فِي الْعَمَلِيَّاتِ بِمَجْرَدِ الْعَمَلِ دُونَ الْعِلْمِ، وَلَا فِي الْعِلْمِيَّاتِ^(١) بِمَجْرَدِ الْعِلْمِ دُونَ الْعَمَلِ^(٢)، وليس الْعَمَلُ مَقْصُوراً عَلَى عَمَلِ الْجَوَارِحِ^(٣)، بل أَعْمَالُ الْقُلُوبِ أَضَلُّ لِعَمَلِ الْجَوَارِحِ، وَأَعْمَالُ الْجَوَارِحِ تَبِعٌ إِلَّا أَنْ يُضْمَنَ قَوْلُهُ: «يَسْتَحِلَّهُ» بِمَعْنَى: يَعْتَقِدُهُ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ.

وقوله: «ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»... إلى آخر كلامه: رد على المرجئة، فإنهم يقولون: لا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ، كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ، فَهَؤُلَاءِ فِي طَرَفٍ، وَالْخَوَارِجُ فِي طَرَفٍ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: نَكْفُرُ الْمُسْلِمَ بِكُلِّ ذَنْبٍ، أَوْ بِكُلِّ ذَنْبٍ كَبِيرٍ، وَكَذَلِكَ الْمَعْتَزِلَةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: يَحْبِطُ إِيْمَانُهُ كُلُّهُ بِالْكَبِيرَةِ، فَلَا يَبْقَى مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الْإِيمَانِ. لَكِنْ الْخَوَارِجُ يَقُولُونَ: يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ، وَيَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ! وَالْمَعْتَزِلَةُ يَقُولُونَ:

= الصحاح والسنن والمسانيد، كان - فيما وصفه ابن جرير الطبري - فقيهاً عالماً، ورعاً أديباً، كثير الحديث، صدوقاً، شهد له أهل الفضل بذلك، وهو حجة، توفي سنة (١١٠هـ). مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٦٠٦/٤ - ٦٢٢.

(١) في (ج): العمليات، وهو خطأ.

(٢) في (ب): بمجرد العمل دون العلم، وهو خطأ.

(٣) تصحفت في (ب) إلى: الخوارج.

يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين!!
وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار!.

وطوائف من أهل الكلام، والفقه، والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن في الاعتقادات البذعية، وإن كان صاحبها متأولاً، فيقولون: يَكْفُرُ كُلُّ مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ، لَا يُفَرِّقُونَ بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون بكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة، فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، وَنُصُوصُ الْوَعْدِ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا هَؤُلَاءِ تُعَارِضُ نُصُوصَ الْوَعِيدِ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا أَوْلَئِكَ.

والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه، وسيأتي بَغْضُهُ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى قَوْلِ الشَّيْخِ: «وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ فِي النَّارِ لَا يَخْلُدُونَ إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحِّدُونَ».

والمقصود هنا: أَنَّ الْبِدْعَ هِيَ مِنْ هَذَا الْجَنَسِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ مُؤْمِنًا بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَلَكِنْ تَأَوَّلَ تَأْوِيلًا أَخْطَأَ فِيهِ، إِمَّا مُجْتَهِدًا، وَإِمَّا مَفْرَطًا مَذْنِبًا، فَلَا يُقَالُ: إِنَّ إِيْمَانَهُ حَبِطَ بِمَجْرَدِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَدُلَّ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ، بَلْ هَذَا مِنْ جَنْسِ قَوْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَلَا نَقُولُ: لَا يَكْفُرُ، بَلِ الْعَدْلُ هُوَ الْوَسْطُ، وَهُوَ: أَنَّ الْأَقْوَالَ الْبَاطِلَةَ الْمُتَبَدِّعَةَ الْمُحَرَّمَةَ الْمُتَضَمِّنَةَ نَفْيَ مَا أَثْبَتَهُ الرَّسُولُ، أَوْ إِثْبَاتَ مَا نَفَاهُ، أَوْ الْأَمْرَ بِمَا نَهَى عَنْهُ، أَوْ النَّهْيَ عَمَّا أَمَرَ بِهِ؛ يُقَالُ: فِيهَا الْحَقُّ، وَيُثْبِتُ لَهَا الْوَعِيدُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ، وَيُبَيِّنُ أَنَّهَا كُفْرٌ، وَيُقَالُ: مَنْ قَالَهَا، فَهُوَ كَافِرٌ، وَنَحْوُ ذَلِكَ، كَمَا يُذَكَّرُ مِنَ الْوَعِيدِ فِي الظُّلْمِ فِي النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ، وَكَمَا قَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ أَهْلِ السَّنَةِ الْمَشَاهِيرِ بِتَكْفِيرِ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ وَقْعِهَا. وَعَنْ أَبِي يُوسُفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: نَظَرْتُ أَبَا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مَدَّةً، حَتَّى اتَّفَقَ رَأْيِي وَرَأْيُهُ: أَنَّ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَهُوَ كَافِرٌ^(١).

(١) أخرجها الإمام الذهبي في «العلو» ص ١٤٠ من طريق ابن أبي حاتم، حدثنا أحمد بن =

من أعظم
البغي أن يشهد
على معيّن
أن الله لا يغفر
له

وأما الشخص المَعَيَّن، إذا قِيلَ: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد، وأنه كافر؟ فهذا لا نَشْهَدُ عليه إلا بأمرٍ تَجُوزُ معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يُشْهَدَ على معيّن أن الله لا يَغْفِرُ له، ولا يرحمه، بل يُخْلَدُ^(١) في النار، فإن هذا حُكْمُ الكافر بَعْدَ الموت. ولهذا ذكر أبو داود في «سننه» في كتاب الأدب: «باب النهي عن البغي»، وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاحِشَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ. فَقَالَ: خَلَنِي وَرَبِّي، أَبُغِثْتُ عَلَى رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَالله لا يَغْفِرُ الله لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلَكَ الْجَنَّةَ فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيَّ قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قال أبو هريرة: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ»، وهو حديث حسن^(٢).

ولأن الشخص المعين يُمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، أو

= محمد بن مسلم، حدثنا علي بن الحسن الكراعي، قال: قال أبو يوسف: ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر، فاتفق رأينا على أن من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر، ورواه البيهقي في «الأسماء والصفات» ص ٢٥١ من طريق عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكي، عن أبيه، قال: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: كلمت أبا حنيفة رحمته الله سنة جرداء في أن القرآن مخلوق أم لا؟ فاتفق رأيه ورأيي على أن من قال: «القرآن مخلوق فهو كافر». وقال البيهقي: رواة هذا كلهم ثقات، وأخرج البيهقي أيضاً من طريق محمد بن أيوب الرازي، قال: سمعت محمد بن سابق يقول: سألت أبا يوسف، فقلت: أكان أبو حنيفة يقول: القرآن مخلوق؟ قال: معاذ الله، ولا أنا أقوله، فقلت: أكان يرى رأي جهم؟ فقال: معاذ الله ولا أنا أقوله. وقال البيهقي: رواه ثقات.

(١) في (ب): يخلد.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٠١) في الأدب: باب في النهي عن البغي، وسنده حسن.

يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغْهُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النصوص، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِيْمَانٌ عَظِيمٌ وَحَسَنَاتٌ أَوْجِبَتْ لَهُ رَحْمَةً اللَّهِ، كَمَا غَفَرَ لِلَّذِي قَالَ: «إِذَا مِتُّ فَاسْحَقُونِي ثُمَّ ذُرُونِي، ثُمَّ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ لِخَشْيَتِهِ»^(١) وَكَانَ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى جَمْعِهِ وَإِعَادَتِهِ، أَوْ شَكَّ فِي ذَلِكَ، لَكِنْ هَذَا التَّوَقُّفُ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ لَا يَمْنَعُنَا أَنْ نُعَاقِبَهُ فِي الدُّنْيَا، لِمَنْعِ بَدْعَتِهِ، وَأَنْ نَسْتَبِيحَهُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قَتَلْنَاهُ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ الْقَوْلُ فِي نَفْسِهِ كُفْرًا، قِيلَ: إِنَّهُ كَفَرٌ، وَالْقَائِلُ لَهُ يَكْفُرُ بِشُرُوطٍ وَانْتِفَاءٍ مَوَانِعَ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا صَارَ مُنَافِقًا زَنْدِيقًا، فَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يُكْفَرَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ الْمُظْهِرِينَ الْإِسْلَامَ إِلَّا مَنْ يَكُونُ مُنَافِقًا زَنْدِيقًا، وَكِتَابُ اللَّهِ يُبَيِّنُ ذَلِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ صَنَّفَ الْخَلْقَ فِيهِ ثَلَاثَةً أَصْنَافٍ: صُنِفَ: كُفَّارٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُمْ الَّذِينَ لَا يَقْرَأُونَ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَصُنِفَ: مُؤْمِنُونَ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَصُنِفَ: أَقْرَأُوا بِهِ ظَاهِرًا لَا بَاطِنًا. وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ مَذْكُورَةٌ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَكُلُّ مَنْ ثَبِتَ أَنَّهُ كَافِرٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَكَانَ مُقْرَأً بِالشَّهَادَتَيْنِ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا زَنْدِيقًا، وَالزُّنْدِيقُ هُوَ الْمُنَافِقُ^(٢).

وَهُنَا يَظْهَرُ غَلَطُ الطَّرَفَيْنِ، فَإِنَّهُ مِنْ كُفَرٍ كُلِّ مَنْ قَالَ الْقَوْلَ الْمُبْتَدِعَ فِي الْبَاطِنِ، يَلْزَمُهُ أَنْ يُكْفَرَ أَقْوَامًا لَيْسُوا فِي الْبَاطِنِ مُنَافِقِينَ، بَلْ هُمْ فِي الْبَاطِنِ

١٨٣

(١) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٤٨١) وَ (٧٥٠٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٥٦)، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٢٥٥)، وَالنَّسَائِيُّ ١١٣/٤، وَأَحْمَدُ ٢٦٩/٢ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا الْبُخَارِيُّ (٣٤٧٨): وَ (٦٤٨١) وَ (٧٥٠٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٥٧) (٢٧)، وَأَحْمَدُ ١٣/٣ وَ ١٧ وَ ٧٧ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَفِي الْبَابِ عَنْ حَذِيفَةَ بَنِيهِ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٣٤٥٢) وَ (٣٤٧٩) وَ (٦٤٧٠)، وَالنَّسَائِيُّ ١١٣/٤.

(٢) فِي «اللسان»: الزُّنْدِيقُ، الْقَائِلُ بِنِقَاءِ الدَّهْرِ، فَارْسِي مُعَرَّبٌ، قَالَ فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ: الزُّنْدِيقُ نِسْبَةٌ إِلَى الزُّنْدِ، وَهُوَ كِتَابٌ مَانِي الْمَجُوسِيِّ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنِ بَهْرَامِ بْنِ هَرَمِزِ بْنِ سَابُورٍ، وَيَدْعِي مُتَابَعَةَ الْمَسِيحِ ﷺ، وَأَرَادَ الصِّيتَ، فَوَضَعَ هَذَا الْكِتَابَ، وَخَبَّاهُ فِي شَجَرَةٍ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَهُ، وَالزُّنْدِ بِلُغَتِهِمُ: التَّفْسِيرُ، يَعْنِي: هَذَا تَفْسِيرُ لِكِتَابِ زَرَادُشْتِ الْفَارْسِيِّ، وَاعْتَقَدَ فِيهِ الْإِلَهِيْنَ: النُّورَ وَالظُّلْمَةَ، النُّورَ يَخْلُقُ الْخَيْرَ، وَالظُّلْمَةَ تَخْلُقُ الشَّرَّ، وَحَرَّمَ إِيْتَانِ النِّسَاءِ، لِأَنَّ أَصْلَ الشَّهْوَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَلَا يَتَوَلَّدُ مِنَ الشَّهْوَةِ إِلَّا الْخَبِيثُ، وَأَبَاحَ اللَّوَاطِ لِانْقِطَاعِ النَّسْلِ، وَحَرَّمَ ذَبْحَ الْحَيَوَانَاتِ، وَإِذَا مَاتَتْ، حَلَّ أَكْلُهَا. وَانْظُرْ «رَدُّ الْمُحْتَارِ» ٢٤١/٤ - ٢٤٣.

يُحِبُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ كَانُوا مَظْهُومِينَ^(١)، كما ثبت في «صحيح البخاري» عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه، عن عُمَرَ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ: عَبْدُ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حَمَارًا: وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ مِنَ الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا، فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ! مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَلْعَنُهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»^(٢) وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين، وفيهم بغض مقالات الجهمية، أو المرجئة، أو القدرية، أو الشيعة، أو الخوارج، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع منها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير.

فَمِنْ عيوبِ أهل البدعِ تكفيرُ بعضهم بعضاً، وَمِنْ مبادئِ أهل العلمِ أنهم يُخطئون ولا يكفرون.

أهل البدع
يكفر بعضهم
بعضاً، وأهل
السنة والجماعة
يخطئون ولا
يكفرون

ولكن بقي هنا إشكالاً يردُّ على كلام الشيخ رحمه الله تعالى، وهو: أَنَّ السَّارِعَ قد سَمِيَ بعضُ الذنوبِ كُفْرًا، قال الله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتَّكِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقال ﷺ: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ^(٤) فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ». متفق عليه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.^(٥)

(١) في (ب): مذنبين.

(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨٠)، والبخاري في «شرح السنة» (٢٦٠٦).

(٣) تحرفت في (ب) إلى: مباح.

(٤) في (ب): «المؤمن» وهو خطأ.

(٥) أخرجه - من حديث عبد الله بن مسعود - البخاري (٤٨) و (٦٠٤٤) و (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤)، وابن ماجه (٦٩) و (٣٩٣٩)، وأحمد ١/٣٨٥ و ٤١١ و ٤٣٣ و ٤٣٩ و ٤٤٦ و ٤٥٤ و ٤٦٠، والنسائي ٧/١٢٢، والطبراني (٢٤٨) و (٢٥٨) و (٣٠٦)، والحميدي (١٠٤)، والترمذي (١٩٨٣) و (٢٦٣٤) و (٢٦٣٥)، والطبراني في «الكبير» (١٠١٠٥)، والبخاري (٣٥٤٨)، والخطيب ١٠/٨٦ - ٨٧ و ١٣/١٨٥، وأبو نعيم في «الحلية» ٥/٢٣ و ٣٤، و ١٢٣/٨ و ١٠/٢١٥، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٢١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/٣٦٥ =

وقال ﷺ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»^(١).
 «وَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا»^(٢). متفق عليهما من
 حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ﷺ: «أَزْبَعَ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ
 مِنْهُمْ، كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ التَّقَاتِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ
 أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه من حديث عبد الله بن
 عمرو رضي الله عنهما^(٣).

= وفي الباب عن أبي هريرة عند ابن ماجه (٣٩٤٠) والخطيب ٣/٣٩٧ و ١٤٤/٥،
 وأبي نعيم ٨/٣٥٩، وعن سعد بن أبي وقاص عند أحمد ١/١٧٦ و ١٧٨، وابن
 ماجه (٣٩٤١)، والنسائي ٧/١٢١، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٢٩)،
 والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/٣٦٥.

(١) أخرجه البخاري (٤٤٠٣) و (٦١٦٦) و (٦٧٨٥) و (٧٠٧٧)، ومسلم (٦٦)
 (١٢٠)، والنسائي ٧/١٢٦ و ١٢٧، وأبو داود (٤٦٨٦)، وابن ماجه (٣٩٤٣)،
 وأحمد ٢/٨٥ و ٨٧ و ١٠٤، وابن أبي شيبة ١٥/٣٠، وابن منده في «الإيمان»
 (٦٥٨) و (٦٥٩)، وابن حبان (١٨٧) من حديث ابن عمر، وأخرجه البخاري
 (١٢١) و (٤٤٠٥) و (٦٨٦٩) و (٧٠٨٠)، ومسلم (٦٥) (١١٨)، وابن ماجه
 (٣٩٤٢)، والنسائي ٧/١٢٧ - ١٢٨، والدارمي ٢/٦٩، وأحمد ٤/٣٥٨ و ٣٦٣ و
 ٣٦٦، وابن أبي شيبة ١٥/٣٠، والبغوي (٢٥٥٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار»
 ٣/١٩٤، والطبراني في «الكبير» (٢٢٧٧) و (٢٠٤٢)، وابن منده في «الإيمان»
 (٦٥٧) من حديث جرير بن عبد الله. وفي الباب عن أبي بكرة عند البخاري
 (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩)، وأحمد ٥/٣٩ و ٤٩، والنسائي ٧/١٢٧، والطالسي
 (٨٥٩)، والطبراني في «الصغير» ١/١٥٣، والخطيب ٨/٢٤٦. وعن ابن عباس
 عند البخاري (١٧٣٩) و (٧٠٧٩)، والترمذي (٢١٩٣)، وأحمد ١/٢٣٠.

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠٣) من حديث أبي هريرة، وأخرجه من حديث ابن عمر
 البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (١١) (٦٠)، والترمذي (٢٦٣٧)، ومالك ٢/٩٨٤،
 وأحمد ٢/١٨، و ٤٤ و ٤٧ و ٦٠ و ١١٢ و ١١٣ و ١٤٢، والحميدي (٦٩٨)،
 والبغوي (٣٥٥٠) و (٣٥٥١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٣٩) و (٤٤٠)،
 والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/٣٦٨ و ٣٦٩، وابن منده في الإيمان (٥٩٤) و
 (٥٩٥) و (٥٩٦) و (٥٩٧)، وأبو داود (٤٦٨٧)، وابن حبان (٢٤٩) و (٢٥٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤) و (٢٤٥٩) و (٣١٧٨)، ومسلم (٥٨)، وابن حبان (٢٥٤)
 و (٢٥٥)، وأبو نعيم ٧/٢٠٤، والبغوي (٣٧)، وابن منده في «الإيمان» (٥٢٢)=

وقال ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَغْرُوضَةٌ بَعْدُ»^(١).

وقال ﷺ: «بَيَّنَّ الْمُسْلِمَ، وَبَيَّنَّ الْكُفْرَ تَرْكُ الصَّلَاةِ» رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه^(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ، أَوْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(٣).

= و(٥٢٣) و(٥٢٤) و(٥٢٥) و(٥٢٦)، وأبو داود (٤٦٨٨)، والترمذي (٢٦٣٤)، والنسائي ١١٦/٨، وأحمد ١٨٩/٢ من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه البخاري (٣٣) و(٢٦٨٢) و(٢٧٤٩) و(٦٠٩٥)، ومسلم (٥٩)، والترمذي (٢٦٣٢)، والنسائي ١١٧/٨ من حديث أبي هريرة بلفظ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر» وهو عند البغوي (٣٥)، وابن منده (٥٢٧) و(٥٢٨)، وفي الباب عن ابن مسعود نحوه أخرجه النسائي ١١٧/٨، وأبو نعيم ٤٣/٥، وابن منده (٥٣١).

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥) و(٥٥٧٨) و(٦٧٧٢) و(٦٨١٠)، ومسلم (٥٧)، وأبو داود (٤٦٨٩)، والترمذي (٢٦٢٥)، وابن ماجه (٣٩٣٦)، والنسائي ٦٤/٨ و٦٥ و٣١٣، والدارمي ٨٧/٢ و١١٥، وأحمد ٢٤٣/٢ و٣١٧ و٣٧٦ و٣٨٦ و٤٧٩، والبغوي (٤٦) و(٤٧)، وابن حبان (١٨٦)، وأبو نعيم ١٦٤/٣ و٣٢٢ و٣٦٩ و٢٥٦/٦ و٢٤٨/٩، والطبراني في «الكبير» (١٣٣٠٤)، والحميدي (١١٢٨)، وابن أبي شيبة ١٩٤/٨ و٣٢/١١ من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٦٧٨٢) و(٦٨٠٩)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٣٥/٥ و١٦٠، والطبراني في «الكبير» (١١٦٢٣) و(١١٦٧٩) و(١١٧٩٩) و(١٣٣٠٤) من حديث ابن عباس، وأخرجه أحمد ١٣٩/٦، وابن أبي شيبة ١٩٤/٨ و١٤/١١ و٣٢ من حديث ابن عباس، وأخرجه أحمد ١٣٩/٦، وابن أبي شيبة ١٩٤/٨ و١٤/١١ من حديث عائشة بنحوه.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢)، وأحمد ٣٧٠/٣ و٣٨٠، والدارمي ٢٨٠/١، وابن أبي شيبة ٣٣/١١، وأبو داود (٤٦٧٨)، والترمذي (٢٦١٨)، وابن ماجه (١٠٧٨)، والنسائي كما في «التحفة» ٣٢٠/٢، وأبو نعيم ٢٧٦/٦ و٢٥٦/٨، والخطيب ١٨٠/١٠، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢٢٦/٤ - ٢٢٧، والبغوي (٣٤٧)، والبيهقي ٣/٣٦٦.

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه =

وقال ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ» رواه الحاكم بهذا اللفظ^(١).

وقال ﷺ: «ثَنَانٌ فِي أُمِّي هُمَا كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالثَّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ»^(٢) ونظائر ذلك كثيرة.

١٨٤

الاتفاق على أن
مرتكب الكبيرة
لا يخرج من
الإيمان
والإسلام

والجواب: أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ككفر ينقل عن الملة بالكليّة، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة، لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنى والسرقة، وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحقّ الخلود في النار مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣) [البقرة: ١٧٨]. فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله^(٤) أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

= (٦٣٩)، وابن الجارود (١٠٧)، والبيهقي ١٩٨/٧، والطحاوي في شرح معاني الآثار ٤٤/٣ - ٤٥، والدارمي ٢٥٩/١، وأحمد ٤٠٨/٢ و ٤٧٦/٤٢٩ وإسناده قوي.

(١) تقدم تخريجه ص ٢٩٧ وهو صحيح.

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم (٦٧)، وأحمد ٣٧٧/٢ و ٤٤١ و ٤٩٦، وابن منده في الإيمان (٦٦٠) و (٦٦٢) و (٦٦٣).

(٣) في زاد المسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ أي: من دم أخيه، أي: ترك له القتل، ورضي منه بالدية، ودل قوله: ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ على أن القاتل لم يخرج عن الإسلام.

(٤) في (ب): أو جعله، وهو خطأ.

ونصوصُ الكتاب والسنة والإجماع تدلُّ على أن الزاني والسارق والقاذف^(١) لا يُقتل، بل يُقام عليه الحدُّ، فدلَّ على أنه ليس بمرتد.

قد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ مِنْ عَرَضِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دَرَاهِمَ وَلَا دِينَارًا، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ» أخرجه في «الصحيحين»^(٢).

فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه.

وكذلك ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا تَعْدُونَ الْمُفْلِسَ فَيْكُمْ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا لَهُ دَرَاهِمٌ وَلَا دِينَارٌ قَالَ: الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ حَسَنَاتٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَأَخَذَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فإِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». رواه مسلم^(٣).

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتٍ﴾ [هود: ١١٤]. فدل

(١) في (ب): القاذف والسارق.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٩) و (٦٥٣٤)، والترمذي (٢٤١٩)، والطحاوي (٢٣٢٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٧٠/١، وأحمد ٤٣٥/٢ و ٥٠٦ من حديث أبي هريرة، ولم يخرج مسلم كما ذكر المؤلف. ولا يوجد اللفظ الذي ذكره المؤلف في مصادر تخريجه.

(٣) رقم (٢٥٨١) من حديث أبي هريرة ولفظه عنده: أن رسول الله ﷺ، قال: «أتدرون ما المفلِس؟» قالوا: المفلِسُ فِينَا مَنْ لَا دَرَاهِمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فقال: «إِنَّ» المفلِسَ مِنْ أُمَّتِي، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ». وأخرجه الترمذي (٢٤١٨)، وأحمد ٣٠٣/٢ و ٣٣٤ و ٣٧٢.

ذلك على أنه في حال إساءته يفعل حسناتٍ تمحو سيئاته، وهذا مبسوط في موضعه .

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حُكْم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلَّد في النار، لكن قالت الخوارج: نُسَمِّيه كافرًا وقالت المعتزلة: نُسَمِّيه فاسقًا، فالخلاف بينهم لفظي فقط .

وأهل السنة أيضاً مُتَّفِقُونَ على أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ الوَعِيدَ المُرْتَبَ على ذلك الذنب . كما وردت به التَّصَوُّصُ، لا كما يقوله المُرْجِئَةُ من أَنَّهُ لا يَضُرُّ مع الإيمانِ ذَنْبٌ، ولا يَنْفَعُ مَعَ الكُفْرِ طَاعَةٌ! وإذا اجْتَمَعَتِ نُصُوصُ الوَعْدِ التي استدلت بها المرجئة، ونُصُوصُ الوعيدِ، التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة؛ تَبَيَّنَ لك فَسادُ القولين . ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تَسْتَفِيدُ من كلام كُلِّ طائفةٍ فسادَ مذهب الطائفة الأخرى .

١٨٥

ثم بَعْدَ هذا الاتفاقِ بَيَّنَّ أهلُ السنة اختلفوا لفظياً لا يَتَرْتَّبُ عليه فساد، وهو: أَنَّهُ هَلْ يَكُونُ الكُفْرُ على مراتب، كُفْرًا دُونَ كُفْرٍ؟ كما اختلفوا: هل يكون الإيمان على مراتب، إيماناً دُونَ إيمان؟ وهذا الاختلاف نشأ من اختلافهم في مَسْمَى «الإيمان»: هل هو قولٌ وعملٌ يزيد^(١) وينقص، أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن مَنْ سماه الله تعالى ورسوله كافرًا نُسَمِّيه كافرًا، إذ من^(٢) الممتنع أن يُسَمِّيَ الله سبحانه الحاكمَ بغير ما أنزل الله كافرًا، ويسمى رَسُولُهُ مَنْ تقدم ذكره كافرًا، ولا تُطْلَقُ عليهما اسمُ الكُفْرِ، ولكن من قال: إن الإيمانَ قولٌ وعملٌ يزيدُ وينقصُ، قال: هو كفرٌ عَمَلِيٌّ لا اعتقاديٌّ، والكفر عنده على مراتب، كفرٌ دون كفر، كالإيمان عنده .

الكفر نوعان
اعتقادي
وعلمي

ومن قال: إن الإيمانَ: هو التصديقُ، ولا يدخلُ العملُ في مَسْمَى الإيمان، والكفر: هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان، قال: هو كفر

(١) في (ب): ويزيد .

(٢) في (ب): ومن الممتنع .

مجازي غير حقيقي، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة. وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس^(١)، إنها سُمِّيت إيماناً مجازاً، لتوقف صحتها على الإيمان، أو لدلالاتها على الإيمان، إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمناً، ولهذا يُحْكَمُ بإسلام الكافر إذا صَلَّى كصلاتنا، فَلَيْسَ بَيْنَ فَقهَاءِ الْمِلَّةِ نِزَاعٌ في أصحابِ الذنوب، إذا كانوا مقرّين باطناً وظاهراً^(٢) بما جاء به الرُّسُولُ وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد. ولكن الأقوال المنحرفة قَوْلٌ من يقول بتخليدِهم في النار، كالخوارج والمعتزلة، ولكن أردأ ما في ذلك التعصُّبُ من بعضهم، وإلزامه لمن يُخَالِفُ قَوْلَهُ بما لا يلزمه، والتشنيعُ عليه! وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين، وأن يجادلُوا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فكيف لا يَعدِلُ بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف؟! قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمًا يَكُونُ لَهُمْ شُھَدَاءُ بِالْقِسْطِ وَلَا يُجْرِمُكُمْ شُكَّانُ قَوْمٍ عَلَى ءَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ الآية [المائدة: ٨].

وهنا أمرٌ يَجِبُ أَنْ يُتَقَطَّنَ لَهُ، وهو: أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَدْ يَكُونُ كُفْرًا يَنْقُلُ عَنِ الْمِلَّةِ، وقد يكون مَغْصِيَةً: كَبِيرَةً أَوْ صَغِيرَةً، وَيَكُونُ كُفْرًا: إما مجازياً، وإما كُفْرًا أَصْغَرَ، على القولين المذكورين. وذلك بحسبِ حَالِ الْحَاكِمِ: فَإِنَّهُ إِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الْحُكْمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَأَنَّهُ مَخِيَّرٌ فِيهِ، أَوْ اسْتِهَانَ بِهِ مَعَ تَيَقُّنِهِ أَنَّهُ حُكْمُ اللَّهِ؛ فَهَذَا كُفْرٌ أَكْبَرُ، وَإِنْ اعْتَقَدَ وَجُوبَ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَعَلِمَهُ فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَعَدَلَ عَنْهُ مَعَ اعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِلْعُقُوبَةِ؛ فَهَذَا عَاصٍ، وَيُسَمَّى كَافِرًا كُفْرًا مُجَازِيًا، أَوْ كُفْرًا أَصْغَرَ،

(١) هو بهذا اللفظ في الطيالسي (٧٢٢)، والنسائي كما في «التحفة» ٥١/٢، و«الفتح» ٩٦/١، من حديث البراء ومعناه في صحيح البخاري (٤٠) و (٤٤٨٦) من حديث البراء أيضاً.

(٢) في (ب): ظاهراً وباطناً.

وإن جَهَلَ حُكْمَ اللَّهِ فيها، مع بذل جهده، واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطاه، فهذا مخطيء، له أجر^(١) على اجتهداه، وخطؤه مغفور.

وأراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «ولا نقول: لا^(٢) يضرُّ مع الإيمان ذنب لمن عمله» مخالفةً المرجئة، وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين، فاتفق الصحابةُ على قتلهم إن لم يَتُوبُوا من ذلك، فإن قُدَّامَةَ بن مَظْعُون^(٣) شَرِبَ الخمر بعد تحريمها هو وطائفة، وتأولوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [المائدة: ٩٣]، الآية، فلما ذُكِرَ ذلك لِعُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه، اتفق هو وعليُّ بنُ أبي طالب وسائر الصحابة على أنَّهم إن اعترفوا بالتحريم،

(١) في (ب): له حكم آخر.

(٢) في (ب): ولا.

(٣) في الأصول قدامة بن عبد الله، وهو تحريف، وهو قدامة بن مظعون بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، يكنى أبا عمرو، وقيل: أبو عمر، وهو أخو عثمان بن مظعون، وخال حفصة وعبد الله ابني عمر بن الخطاب، وهو من السابقين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة مع أخويه عثمان وعبد الله، وشهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ. توفي سنة (٣٦هـ) وله ثمان وستون سنة. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١/ ١٦١ - ١٦٢. وخبره هذا أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٠٧٦)، ومن طريقه البيهقي ٣١٦/٨ عن معمر، عن الزهري، أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة - وكان أبوه شهد بدرًا -: أن عمر بن الخطاب استعمل قدامة بن مظعون على البحرين... ورجاله ثقات، وأخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» ٩/ ٥٤٦ من طريق ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي، قال: شرب قوم من أهل الشام الخمر، وعليهم يزيد بن سفيان، وقالوا: هي لنا حلال، وتأولوا هذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ وفيه أن عمر كتب إلى يزيد أن ابعت بهم إلي، واستشار الناس في أمرهم، فأشار علي أن يستتيبهم، فإن تابوا جلدتهم ثمانين لشرب الخمر، وإن لم يتوبوا ضرب رقابهم، لكونهم كذبوا على الله، وشرّعوا في دينه ما لم يأذن به الله، فاستتابهم فتابوا، فضربهم ثمانين ثمانين. ورواه ابن حزم في «المحلى» ١١/ ٢٨٧ بنحوه من طريق الحجاج بن منهال، عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن جحادة بن دثار: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ شربوا الخمر بالشام... وانظر «فتح الباري» ١٢/ ٧٠، و «المغني» ٨/ ٣٠٤ لابن قدامة.

جُلِدُوا، وَإِنْ أَصْرُوا عَلَى اسْتِحْلَالِهَا قُتِلُوا، وَقَالَ عُمَرُ لِقُدَامَةَ: أَخْطَأْتُ اسْتِكَ
 الْحُفْرَةَ، أَمَا إِنَّكَ لَوِ اتَّقَيْتَ، وَأَمَنْتَ، وَعَمِلْتَ الصَّالِحَاتِ، لَمْ تَشْرَبِ الْخَمْرَ.
 وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِسَبَبِ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَمَّا حَرَّمَ الْخَمْرَ، وَكَانَ
 تَحْرِيمُهَا بَعْدَ وَقْعَةِ أَحُدَ، قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: فَكَيْفَ بِأَصْحَابِنَا الَّذِينَ مَاتُوا
 وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ^(١)، بَيَّنَّ فِيهَا أَنَّ مَنْ طَعِمَ
 الشَّيْءَ فِي الْحَالِ الَّتِي لَمْ يُحَرِّمْ فِيهَا، فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 الْمُتَّقِينَ الْمَصْلِحِينَ، كَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ اسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدَسِ، ثُمَّ إِنْ أَوْلَتْكَ
 الَّذِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ نَدِمُوا وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ أَخْطَؤُوا، وَأَيَسُوا مِنَ التَّوْبَةِ، فَكُتِبَ عُمَرُ
 إِلَى قُدَامَةَ يَقُولُ لَهُ: ﴿حَمِّمَ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ غَافِرِ
 الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ۝﴾^(٢).
 [غافر: ١ - ٣] مَا أَدْرِي أَيُّ ذَنْبِكَ أَعْظَمُ؟ اسْتِحْلَالُكَ الْمُحَرَّمَ أَوْ لَا؟ أَمْ
 يَأْسُكَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ثَانِيًا؟ وَهَذَا الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ هُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ
 أئِمَّةِ الْإِسْلَامِ.

قوله: «وَنَرْجُو لِلْمُخْسِنِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ
 بِرَحْمَتِهِ، وَلَا تَأْمَنُ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَتَسْتَغْفِرُ لِمَسِيئَتِهِمْ،
 وَتَخَافُ عَلَيْهِمْ، وَلَا تُقْنَطُهُمْ».

ما ينبغي على
 المؤمن أن
 يعتقد في حق
 نفسه وفي حق
 غيره

ش: وعلى المؤمن أن يعتقد هذا الذي قاله الشيخ رحمه الله في حق نفسه
 وفي حق غيره، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ
 أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝﴾^(٣)

(١) أخرجه من حديث البراء بن عازب الترمذي (٣٠٥٠) و (٣٠٥١)، والطيالسي (٧١٥)، والطبري (١٢٥٢٨) و (١٢٥٢٩)، وقال الترمذي: حسن صحيح،
 وصححه ابن حبان (١٣٧٣) و (١٧٤٠)، وفي الباب عن ابن عباس عند الترمذي (٣٠٥٢)، وأحمد ٢٣٤/١ و ٢٧٢ و ٢٩٥، وقال الترمذي: حسن صحيح،
 وصححه الحاكم ٤/١٤٣، وأقره الذهبي. وعن أنس بن مالك عند البخاري (٢٤٦٤) و (٤٦١٧) و (٤٦٢٠) و (٥٥٨٠) و (٥٥٨٢) و (٥٥٨٣) و (٥٥٨٤) و (٥٦٠٠) و (٥٦٢٢) و (٧٢٥٣)، وأحمد ٢٢٧/٣، والدارمي ١١١/٢.

١٨٧ [الإسراء: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُون﴾ [البقرة: ٤١]، ﴿وَإِنِّي فَأَزْهَبُون﴾ [البقرة: ٤٠]. ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَآخِشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤] ومدح أهل الخوف، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُسْفِفُونَ﴾ ٥٧ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتِيَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٨ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ ٥٩ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ٦٠ ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ ٦١ ﴿[المؤمنون: ٥٧ - ٦١]. وفي «المسند» والترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] أهو الذي يَزِينِي، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُ؟ قَالَ: «لا، يَا ابْنَةُ الصَّدِيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَيَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَ مِنْهُ»^(١). قال الحسن رضي الله عنه: عَمِلُوا - وَاللَّهُ - بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتَهَدُوا فِيهَا، وَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِمْ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَخَشْيَةً، وَالْمُنَافِقُ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا. انتهى.

١٨٨ وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨]. فَتَأَمَّلْ كَيْفَ جَعَلَ رَجَاءَهُمْ مَعَ إِيْتَانِهِمْ بِهِ^(٢) الطَّاعَاتِ فَالرَّجَاءُ إِنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْإِيْتَانِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي اقْتَضَتْهَا حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى، شَرْعُهُ وَقَدْرُهُ وَثَوَابُهُ وَكَرَامَتُهُ، وَلَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ أَرْضٌ يُؤْمَلُ أَنْ يَعُودَ عَلَيْهِ مِنْ مَعْلَاهَا مَا يَنْقَعُهُ، فَأَهْمَلَهَا وَلَمْ يَخْرُنْهَا وَلَمْ يَبْدُرْهَا، وَرَجَا أَنَّهُ يَأْتِي مِنْ مَعْلَاهَا مِثْلَ مَا يَأْتِي مَنْ حَرَثَ وَزَرَعَ وَتَعَاهَدَ الْأَرْضُ؛ لَعَدَّهُ النَّاسُ مِنْ أَسْفَهِ السَّفَهَاءِ! وَكَذَا لَوْ رَجَا، وَحَسَنَ ظَنُّهُ أَنْ يَجِيئَهُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ! أَوْ يَصِيرَ أَغْلَمَ أَهْلِ زَمَانِهِ مِنْ غَيْرِ طَلَبِ الْعِلْمِ

(١) أخرجه الترمذي (٣١٧٥)، وأحمد ١٥٩/٦ و ٢٠٥، وابن ماجه (٤١٩٨)،
والحميدي (٢٧٥)، ورجاله ثقات، إلا أن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني
رواه عن عائشة لم يدركها.
(٢) في (ب): هذه.

وَجَزْصِ تام! وأمثال ذلك. فكذلك مَنْ حَسُنَ ظَنُّهُ، وقوي رجاؤه في الفوز بالدرجات العُلى، والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامثال أوامره، واجتناب نواهيه.

ومما ينبغي أن يُعلم أن من رجا شيئاً، استلزم رجاؤه أموراً:
أحدها: محبة ما يَرْجُوهُ.
الثاني: خَوْفُهُ مِنْ قَوَاتِهِ.
الثالث: سَعْيُهُ فِي تَخْصِيلِهِ بِحَسَبِ الإمكان.

من رجا شيئاً
استلزم رجاؤه
أموراً

وأما رجاء لا يُقارِنُهُ شيء من ذلك، فهو من باب الأمانى، والرجاء شيء، والأمانى شيء آخر، فكلُّ راجٍ خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦]. فالمشرك لا تُرجى له المغفرة، لأن الله نفى عنه المغفرة، وما سواه من الذنوب في مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه.

وفي «معجم الطبراني»: «عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ دَوَائِنَ: دِيْوَانٌ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئاً، وَهُوَ الشُّرْكُ بِاللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦]. وَدِيْوَانٌ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ مِنْهُ شَيْئاً، وَهُوَ مَظَالِمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَدِيْوَانٌ لَا يَغْبِئُ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ ظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ»^(١).

(١) أخرجه أحمد ٢٤٠/٦، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» ٣/٢، والحاكم في «المستدرک» ٥٧٥/٤ و ٥٧٦ من طريقين عن صدقة بن موسى، عن أبي عمران الجوني، عن يزيد بن بابنوس، عن عائشة، وصححه الحاكم، ورده الذهبي بقوله: صدقة ضعفه، وابن بابنوس فيه جهالة، ولفظه عندهم: «الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان...»، ولم نجده في «معجم الطبراني الكبير» ولا في «المعجم الصغير»، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣٤٨/١٠ واقتصر في نسبه على أحمد.

وقد اختلفت عِبَارَاتُ العلماءِ في الفرقِ بين الكبائر والصغائر، وستأتي الإشارةُ إلى ذلك عند قولِ الشيخ رحمته الله: «وأهلُ الكبائر من أمة محمد في النار لا يُخلدون».

ولكن تَمَّ أمر ينبغي التَّفَطُّنُ له، وهو: أن الكبيرة قد يقتَرِنُ بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقتَرِنُ بالصغيرة، من قلة الحياء، وعدم المبالاة، وتركِ الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقومُ بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يَعْرِفُ ذلك من نفسه وغيره.

وأيضاً: فإنه قد يُعْفَى لِصَاحِبِ الإحسانِ العظيم ما لا يُعْفَى لِغَيْرِهِ، فإن فاعِلَ السيئات تَسْقُطُ عنه عُقُوبَةُ جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرِفَتْ بالاستقراء من الكتاب والسنة^(١):

سقوط العقوبة
عن المسيء
بأحد عشر سبباً

والسبب الأول: التَّوْبَةُ، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ [مريم: ٦٠] والفرقان: [٧٠]. ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ [البقرة: ١٦٠]، والتَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وهي الخالصة، لا يختصُّ بها ذنبٌ دونَ ذنبٍ، لكن هل تَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا على أن تكون عامة؟ حتى لو تاب من ذنبٍ، وأَصْرَّ على آخر لا تقبل^(٢)؟ والصحيح أنه تُقْبَلُ^(٣). وهل يَجِبُ الإسلامُ ما قبله من الشرك وغيره من الذنوب، وإن لم يَتُبْ منها؟ أم لا بُدَّ مع الإسلام من التوبة من غير الشرك؟ حتى لو أَسْلَمَ وهو مُصِرٌّ على الزنى وشربِ الخمر مثلاً، هل لا يُؤَاخَذُ بما كان منه في كفره من الزنى، وشرب الخمر؟ أم لا بُدَّ أن يتوبَ من ذلك الذنب مع إسلامه؟ أو يَتُوبَ توبةً عامةً مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؟ ولهذا هو الأصحُّ: أنه لا بُدَّ من التوبة مع الإسلام، وكونُ التوبة سبباً لغُفْرَانِ الذنوب، وعدم المؤاخذه بها، مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس شيء يكون سبباً لغُفْرَانِ جميع الذنوب

١٨٩

(١) انظر: «فتاوى شيخ الإسلام» ٤٨٧/٧ - ٥٠١.

(٢) في (ب): أنها لا تقبل، وهو خطأ.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» ٢٧٣/١ - ٢٧٦.

إِلا التَّوْبَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذا لمن تاب، ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾، وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ الآية: [الزمر: ٥٤].

السَّبَبُ الثَّانِي: الاستِغْفَارُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]. لكن الاستغفار تارة يُذَكَّرُ وَحْدَهُ، وتارة يُقَرَّنُ بالتوبة، فإن ذكر وَحْدَهُ دخل معه التوبة، كما إذا ذُكِرَتِ التوبة وَحْدَهَا شَمَلَتْ الاستغفارَ، فالتوبة تتضمن الاستغفارَ، والاستغفارُ يَتَضَمَّنُ التوبةَ، وكُلُّ واحدٍ منهما يَدْخُلُ فِي مَسْمًى الْآخَرِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وأما عِنْدَ اقتران إحدى اللفظتين^(١) بالأخرى، فالاستغفار: طَلَبُ وقاية شرٍّ ما مضى، والتوبة: الرُّجُوعُ وَطَلَبُ وقاية شرٍّ ما يَخَافُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ.

ونظيرُ هذا: الْفَقِيرُ وَالْمِسْكِينُ، إِذَا ذُكِرَ أَحَدُ الْلفظَيْنِ^(٢) شَمِلَ الْآخَرَ، إِذَا ذُكِرَا مَعاً، كَانَ لِكُلِّ مِنْهُمَا مَعْنَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ [المائدة: ٨٩]. ﴿فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾ [المجادلة: ٤]. ﴿وَلِنْ تُخَفِّوْهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١]. لَا خِلَافَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَمَّا أَفْرَدَ شَمِلَ الْمُقِلَّ وَالْمُعْدِمَ، وَلَمَّا قُرِنَ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْأَصْدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ الآية [التوبة: ٦٠]. كَانَ الْمُرَادُ بِأَحَدِهِمَا الْمُقِلَّ، وَالْآخَرُ الْمُعْدِمُ^(٣)، عَلَى خِلَافِ فِيهِ.

وكذلك: الْإِثْمُ وَالْعُدْوَانُ، وَالْبِرُّ وَالتَّقْوَى، وَالْفُسُوقُ وَالْعَصِيَانُ.

(١) فِي (ج): الْلفظَيْنِ.

(٢) فِي (ب): الْلفظَيْنِ.

(٣) فِي (ب): الْمَعْدُومُ، وَكِلَاهُمَا بِمَعْنَى، فَالْمُعْدِمُ: هُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ شَيْئاً، قَالَ رُؤْيَةُ:

قَالَتْ بِنَاتُ الْعَمِّ يَا سَلَمَى إِنَّ كَانَ فَقِيراً مُعْدِماً قَالَتْ وَإِنْ

ويُقرَّب من هذا المعنى^(١) : الكفرُ والنفاقُ، فإن الكفرَ أعمُّ، فإذا ذُكِرَ الكفرُ، شَمِلَ النفاقُ، وإذا ذُكِرَا معاً، كان لكل منهما معنى. وكذلك الإيمانُ والإسلامُ، على ما يأتي الكلامُ فيه، إن شاء الله تعالى^(٢).

السببُ الثالثُ: الحَسَنَاتُ، فإن الحسنةَ بعشر أمثالها، والسيئةَ بمثلها، فالْوَيْلُ لِمَنْ غَلَبَتْ آحَادُهُ أَعْشَارُهُ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتِ﴾ [هود: ١١٤]. وقال ﷺ: «وَأَتْبَعَ السَّيِّئَةُ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا»^(٣).

السببُ الرابعُ: المصائبُ الدنيوية، قال ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ، وَلَا غَمٍّ وَلَا هَمٍّ»^(٤) وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٥). وفي «المسند»: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا يَجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. قال أبو بكر: يا رسول الله، نزلت قاصِمةُ الظهيرِ، وأينما لم يَعْمَلْ سُوءًا؟ فقال: «يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ يُصِيبُكَ اللَّأْوَاءُ؟ فَذَلِكَ مَا تُجْزَوْنَ بِهِ»^(٦). فالمصائبُ نفسها

١٩٠

(١) سقطت من (ب).

(٢) انظر: «الفتاوى» ١٦٢/٧ - ١٧٠.

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، والدارمي ٣٢٣/٢، وأحمد ١٥٣/٥ و ١٥٨، وأبو نعيم ٣٧٨/٤ من حديث أبي ذر، ولفظه بتمامه: «أتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن». وأخرجه أحمد ٢٢٨/٥ و ٢٣٦، وأبو نعيم ٣٧٦/٤، والطبراني في «الصغير» ١٩٢/١، و «الكبير» (٢٩٧) (٢٩٨) من حديث معاذ بن جبل، وأورده الترمذي بعد حديث أبي ذر.

(٤) في (ب): ولا غم ولا حزن.

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٤١) و (٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة، وأخرجه الترمذي (٩٦٦)، وأحمد ٣٠٢/٢ و ٣٣٥ و ١٨/٣ و ٤٨ و ٦١ و ٨١، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٢)، وأبو يعلى الموصلي (١٢٣٧) و (١٢٥٦).

وأخرجه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢) من حديث عائشة بلفظ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها» وهو في «مثل الآثار» للطحاوي ٦٩/٣.

(٦) أخرجه أحمد ١١/١، وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر» (١١١)، والطبري (١٠٥٢٣) و (١٠٥٢٨)، وأبو يعلى (٩٨) و (٩٩) و (١٠٠) و (١٠١)، والحاكم =

مكفرة، وبالصبر عليها يُثَابُ العبدُ، وبالتسخط^(١) يَأْتُمُ، فالصبرُ والتسخط^(٢) أمرٌ آخرٌ غيرُ المصيبة، فالمصيبةُ من فَعَلَ اللهُ لا مِنْ فَعَلَ العبدُ، وهي جزاءُ من الله للعبد على ذنبه، وَيُكْفَرُ ذنبه بها، وإنما يُثَابُ المرءُ ويَأْتُمُ على فعله، والصبرُ والتسخطُ من فعله، وإن كان الثوابُ والأجرُ قد يَحْصُلُ بغيرِ عملٍ من العبد، بل هَدِيَّةٌ من الغير، أو فضل من الله من غير سبب، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِي مَن لَّدَهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. فنفسُ المَرَضِ جزاءُ وكفارة لما تقدم.

وكثيراً ما يُفهم من الأجرِ عُقْرانُ الذنوب، وليس ذلك مَذْلُولَه، وإنما يَكُونُ من لازمه.

السَّبَبُ الخامسُ: عذابُ القَبْرِ. ويأتي الكلامُ عليه، إن شاء الله تعالى.

السَّبَبُ السادسُ: دُعَاءُ المؤمنين واستغفارهم في الحياةِ وَبَعْدَ المماتِ.

السَّبَبُ السابعُ: ما يُهْدَى إليه بَعْدَ المَوْتِ، مِنْ ثوابِ صدقةٍ، أو قِرَاءَةٍ، أو حَجٍّ، ونحو ذلك، ويأتي الكلامُ على ذلك إن شاء الله تعالى.

= ٧٤/٣، ٧٥، والبيهقي ٣/٣٧٣ من طريق أبي بكر بن أبي زهير، قال: أخبرني أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿ليس بأمانيكُم ولا أمانِي أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به﴾ فكل سوء عملناه جزينا به؟ فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر أَلَسْتَ تَمْرُضُ؟ أَلَسْتَ تُنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ أَلَسْتَ تَصِييكَ اللأواء؟ قال: بلى، قال: هو ما تجزون به» وإسناده ضعيف، لانقطاعه، فإن أبا بكر بن أبي زهير الثقفي من صغار التابعين، وهو مستور لم يذكر بجرح ولا تعديل، ومع ذلك، فقد صححه ابن حبان (١٧٣٤)، والحاكم ٧٤/٣ - ٧٥، ووافقه الذهبي، لكن يشهد له حديث أبي هريرة عند أحمد (٧٣٨٠)، ومسلم (٢٥٧٤) قال: لما نزلت ﴿من يعمل سوءاً يجز به﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «فاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها». وفي الباب عن عائشة عند الطبري (١٠٥٣٠) و (١٠٥٣٢)، وصححه ابن حبان (١٧٣٦)، وانظر «مسند أبي بكر» رقم (٢٠).

(١) في (ج): وبالتسخط.

(٢) في (ج): والتسخط.

وَالسَّبَبُ الثَّامِنُ: أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَشِدَائِدُهُ.

السَّبَبُ التَّاسِعُ: مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِينَ»: «أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا عَبَرُوا الصَّرَاطَ وَقَفُوا عَلَى فَنَظَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ»^(١).

السَّبَبُ الْعَاشِرُ: شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ، كَمَا تَقَدَّمَ عِنْدَ ذِكْرِ الشَّفَاعَةِ وَأَقْسَامِهَا.

السَّبَبُ الْحَادِي عَشَرَ: عَفْوُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَفَاعَةٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦]. فَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَشَأَ اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ لِعِظَمِ جُزْمِهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ دُخُولِهِ إِلَى الْكَبِيرِ، لِيَخْلُصَ طَيْبُ إِيْمَانِهِ مِنْ خَبَثِ مَعَاصِيهِ، فَلَا يَبْقَى فِي النَّارِ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ، بَلْ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢).

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، امْتَنَعَ الْقَطْعُ لِأَحَدٍ مَعَيَّنٍ مِنَ الْأَمَةِ، غَيْرَ مَنْ شَهِدَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِالْجَنَّةِ، وَلَكِنْ نَرْجُو لِلْمُحْسِنِينَ، وَنَخَافُ عَلَيْهِمْ.

قَوْلُهُ: «وَالْأَمْنُ وَالْإِيَّاسُ يَنْقُلَانِ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ بَيْنَهُمَا لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ».

ش: يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ خَائِفًا رَاجِيًا، فَإِنَّ الْخَوْفَ الْمَحْمُودَ الصَّادِقَ مَا حَالَ بَيْنَ صَاحِبِهِ وَبَيْنَ مُحَارِمِ اللَّهِ، فَإِذَا تَجَاوَزَ ذَلِكَ، خِيفَ مِنْهُ الْيَأْسُ وَالْقُنُوطُ. وَالرَّجَاءُ الْمَحْمُودُ: رَجَاءُ رَجُلٍ عَمِلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ،

الجمع بين
الخشوف
والرجاء

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٤٤٠) وَ (٦٥٣٥)، وَأَحْمَدُ ١٣/٣ وَ ٥٧ وَ ٦٣ وَ ٧٤، وَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (٤٨٦)، وَ الطَّبْرِيُّ ٣٧/٤، وَابْنُ مَنْدَه فِي «الْإِيْمَانِ» ٨٣٧ وَ (٨٣٨) وَ (٨٣٩)، وَ أَبُو يَعْلَى (١١٨٦)، وَ لَيْسَ هُوَ فِي مُسْلِمٍ كَمَا ظَنَّ الشَّارِحَ.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ ص ٢٩٣.

فهو راجٍ لثوابه^(١) أو^(٢) رجل أذنب ذنباً، ثم تاب منه إلى الله، فهو راجٍ لمغفرته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. قال أبو علي الروذباري^(٣) **تَلَفُّذُ**: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا، استوى الطير، وتَمَّ طيرانه، وإذا نَقَصَ أحدهما، وقع فيه النقص، وإذا ذهب، صار الطائر في حد الموت.

وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿أَمَنَ هُوَ فَنِيتُ ءَانَاءَ أَلِيلٍ سَاجِدًا وَفَآيِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، الآية وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الآية [السجدة: ١٦]. فالرجاء يستلزم الخوف، ولولا ذلك، لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً. وكلُّ أحدٍ إذا خِفْتَهُ هَرَبَتْ منه. إلا الله تعالى، فَإِنَّكَ إِذَا خِفْتَهُ هَرَبَتْ إِلَيْهِ، فالخائف هَارِبٌ من ربه إلى ربه.

وقال صاحب «منازل السائرين» **تَلَفُّذُ** الرجاء أضعف منازل المريد^(٤)، وفي كلامه نظر، بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل

(١) في (ب) و (ج): لثوابها.

(٢) ف (ب): و.

(٣) ترجمه الخطيب في «تاريخه» ١/ ٣٢٩ - ٣٣٣، فقال: محمد بن أحمد بن القاسم، أبو علي الروذباري من كبار الصوفية، سكن مصر، وكان من أهل الفضل والفهم، وله تصانيف حسان في التصوف، نقلت عنه، وأنشد له من نظمه أبيات، وقال: توفي سنة (٣٢٢هـ).

(٤) انظر: «مدارج السالكين» ٢/ ٣٧ - ٤١، فقد قال ابن القيم بعد أن أورد الكلام المذكور. شيخ الإسلام - يريد صاحب منازل السائرين - حبيب إلينا، والحق أحب إلينا منه، وكل من عدا المعصوم **تَلَفُّذُ**، فمأخوذ من قوله ومتروك، ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله، ثم بين ما فيه، وما هنا من الاعتراض لخصه الشارح منه.

المريد، وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيُظَنِّ بِي»^(١) «مَا شَاءَ»^(٢) وفي «صحيح مسلم» عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ ثَلَاثَ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ»^(٣)، وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ الْعَبْدَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَجَاؤُهُ فِي مَرَضِهِ أَزْجَحَ مِنْ خَوْفِهِ، بِخِلَافِ زَمَنِ الصَّحَّةِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ خَوْفُهُ أَرْجَحَ مِنْ رَجَائِهِ.

وقال بعضهم: مَنْ عَبَدَ اللهُ بِالْحُبِّ وَحْدَهُ^(٤)، فَهُوَ زَنْدِيقٌ، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْخَوْفِ وَحْدَهُ فَهُوَ حَرُورِيٌّ^(٥)، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالرَّجَاءِ وَحْدَهُ، فَهُوَ مَرْجِيٌّ^(٦)، وَمَنْ عَبَدَهُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ مُوَحَّدٌ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ^(٧) فِي قَوْلِهِ:

(١) سقطت من (ب).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في «المسند» ٤٩١/٣ و ١٠٦/٤ من حديث واثلة بن الأسقع، وصححه ابن حبان (٢٤٦٨)، وأما الرواية المتفق عليها من حديث أبي هريرة، فقد تقدم تخريجها في الصفحة ٤٢٢، وليس فيها: «فليظن بي ما شاء».

وهم من نسبه إلى «الصحيحين» بهذا اللفظ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٧)، وأبو داود (٣١١٣)، وابن ماجه (٤١٦٧)، وأحمد ٣/٢٩٣ و ٣٢٥ و ٣٣٠ و ٣٩٠، والطيالسي (١٧٧٩)، والخطيب ٣٤٧/١٤ - ٣٤٨، وأبو نعيم في «الحلية» ٨٧/٥ و ١٢١/٨.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) نسبة إلى حروراء على ميلين من الكوفة، يقال لمن يعتقد مذهب الخوارج، لأن أول فرقة منهم خرجوا على علي عليه السلام بالبلدة المذكورة. ومقصود الشارح فيما نقله عن بعضهم؛ أن من غلب جانب الخوف وحده فقد سلك مسلك الخوارج الذين يكفرون أصحاب المعاصي، ويخلدونهم في النار إذا ماتوا من غير توبة.

(٦) في هامش (أ) و (ب) ما نصه: حاشية بخط المؤلف رحمه الله: في اشتقاق اسم المرجية قولان، أحدهما: أنه من الإرجاء، والثاني: أنه من الرجاء، وكان المشهور مرجئة بالهمز، وهو من الإرجاء، والمعنى قريب لاجتماع الكلمتين في الاشتقاق الأكبر.

(٧) هو محمود بن حسن الوراق، له نظم سائر في المواعظ والحكم، روى عنه ابن أبي الدنيا، وفي «الكامل» للمبرد نف من شعره، توفي في خلافة المعتصم في حدود الثلاثين والمئتين. مترجم في «السير» ٤٦١/١١.

لَوْ قَدْ رَأَيْتَ الصَّغِيرَ مِنْ عَمَلِ الدَّخِيرِ ثَوَاباً عَجِبْتَ مِنْ كِبَرِهِ
أَوْ قَدْ رَأَيْتَ الْحَقِيرَ مِنْ عَمَلِ الشَّدِّ رُجْزاً أَشْفَقْتَ مِنْ حَذَرِهِ
قوله: «وَلَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِجُحُودٍ مَا أَدْخَلَهُ فِيهِ».

ش: يُشِيرُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى الرَّدِّ عَلَى الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ
بَخْرُوجِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بَارْتِكَابِ الْكَبِيرَةِ، وَفِيهِ تَقْرِيرٌ لِمَا قَالَ أَوَّلًا: «إِنَّهُ لَا يُكْفَرُ
أَحَدٌ^(١) مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ بِذَنْبٍ، مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ» وَتَقْدِمُ الْكَلَامَ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى.

قوله: «وَالْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ، وَجَمِيعُ مَا
صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ، وَالْإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ
فِي أَضْلِهِ سَوَاءٌ، وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالْخَشْيَةِ وَالتَّقَى، وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى، وَمُلَازِمَةِ
الْأُولَى».

الاختلاف فيما
يقع عليه اسم
الإيمان
اختلف النَّاسُ فيما يقع عليه اسمُ الإيمانِ اختلافاً كثيراً: فذهب مالكٌ
والشافعيُّ وأحمد والأوزاعي^(٢) وإسحاقُ بنُ راهويه، وسائرُ أهلِ الحديثِ،
وأهلُ المدينة رحمهم الله، وأهلُ الظاهر، وجماعةٌ من المتكلمين: إلى أنه
تَصْدِيقٌ بِالْجَنَانِ، وإقرارٌ باللسان، وعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ^(٣).

١٩٢

وذهب كثيرٌ من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي: أنه الإقرار باللسان،
والتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ.

(١) في (ب): لا يكفر أحداً.

(٢) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَدِ الأوزاعي، شيخ الإسلام، وعالم
أهل الشام، كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقبة الصغيرة ظاهر باب الفرائس
بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطاً بها إلى أن مات. وكان خيراً. فاضلاً،
مأموناً، كثير العلم والحديث والفقه. توفي سنة (١٥٧هـ). مترجم في «سير أعلام
النبلاء» ١٠٧/٧ - ١٣٤.

(٣) وهو قول المعتزلة أيضاً، فإنهم قالوا: الإيمان هو العمل والنطق والاعتقاد، والفارق
بينهم وبين السلف أنهم جعلوا الأعمال شرطاً في صحته، والسلف جعلوها شرطاً
في كماله. وانظر «شرح السنة» ٨٣٠/٤ - ٨٥١ للالكائي، و«الإيمان» ص ٥٣ -
٦٦ لأبي عبيد القاسم بن سلام، و«عمدة القاري» ١٠٢/١ وما بعدها.

ومنهم مَنْ يَقُولُ: إن الإقرار باللسان رُكْنٌ زائدٌ ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمته الله، ويُزَوَّى عن أبي حنيفة رضي الله عنه^(١).

وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط! فالمنافقون عندهم^(٢) مؤمنون كاملو الإيمان، لكن يقولون: بأنهم يَسْتَحِقُّونَ الوَعِيدَ الذي أوعدهم الله به! وقولهم ظاهر الفساد.

وذهب الجَهْمُ بنُ صفوان وأبو الحسين الصالحي أخذ رؤساء القَدَرِيَّةِ إلى أن الإيمان: هو المعرفة بالقلب! وهذا القول أظهرُ فساداً مما قبله! فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم^(٣) عرفوا صِدْقَ موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يُؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]. وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به^(٤)، بل كافرين به، مُعَادِينَ له، وكذلك أبو طالب^(٥) عنده يكون مؤمناً، فإنه قال:

(١) اختلفوا في الإقرار باللسان هل هو ركن الإيمان، أم شرط له في حق إجراء الأحكام؟ قال بعضهم: هو شرط لذلك، حتى إن من صدق الرسول ﷺ في جميع ما جاء به من عند الله، فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى وإن لم يقر بلسانه، قال النسفي: وهو المروي عن أبي حنيفة، وإليه ذهب الأشعري في أصح الروايتين، وهو قول أبي منصور الماتريدي، وقال بعضهم: هو ركن لكنه ليس بأصلي له كالتصديق، بل هو ركن زائد، ولهذا يسقط حالة الإكراه والعجز. «عمدة القاري» ١٠٣/١.

(٢) في (ب): عنده، وهو خطأ.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) في (ب) و (ج): لم يكونوا به مؤمنين.

(٥) واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، وهو عم النبي ﷺ وكافله ومربيّه ومناصره إلا أنه امتنع من الدخول في الإسلام، واستمر على ذلك إلى أن توفي، ففي «الصحيحين» من طريق الزهري، عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية، =

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ^(١) دِينَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَذْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ جَذَارُ مَسْبَةِ لَوَجَدْتَنِي سَمَحاً بِذَلِكَ مُبِيناً
بل إبليسُ يَكُونُ عند الجهم مؤمناً كاملاً بالإيمان! فإنه لم يَجْهَلْ رَبَّهُ،
بل هو^(٢) عارفٌ به، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦].
﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]. ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا تُخَوِّنُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].
والكفر عند الجهم: هُوَ الْجَهْلُ بِالرَّبِّ تَعَالَى، وَلَا أَحَدٌ أَجْهَلُ
منه بربه! فإنه جعله الوجودَ المطلق، وسلب عنه جميع صفاته، وَلَا جَهْلُ
أكبر من هذا، فيكون كافراً بشهادته على نفسه!

وبين هذه^(٣) المذاهبِ مَذَاهِبٌ أُخَرُ، بِتَفَاصِيلَ وَقِيُودَ، أُغْرَضْتُ عَنْ
ذكرها اختصاراً، ذكر هذه المذاهب أبو المعين النسفي في «تبصرة الأدلة»
وغیره.

وَحَاصِلُ الْكُلِّ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ الْإِيمَانَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا يَقُومُ بِالْقَلْبِ
وَاللِّسَانِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ، كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورُ السَّلَفِ مِنَ الْأَثَمَةِ الثَّلَاثَةِ
وغيرهم رحمهم الله، كَمَا تَقَدَّمَ، أَوْ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ دُونَ الْجَوَارِحِ، كَمَا
ذكره الطَّحَاوِيُّ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، أَوْ بِاللِّسَانِ وَحْدَهُ، كَمَا

= فقال: «يا عم قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله» فقال له أبو جهل
وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب، فلم يزالا به حتى
قال آخر ما قال: هو على دين عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم
أنه عنك» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا
أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، ونزلت: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي
مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. وفي صحيح مسلم (٢١٠) من حديث أبي
سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: «لعله تنفعه
شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه» وانظر
«الإصابة» ٤/ ١١٥ - ١١٩، و«فيض الباري» ١/ ٥٠ - ٥١ للكشميري.

(١) في (ب): أن.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) في (ب): و (ج): هذا.

تقدم ذكره عن الكرامية، أو بالقلب وحده، وهو: إما المعرفة، كما قاله الجهم، أو التصديق، كما قاله أبو منصور الماتريدي رحمته الله. وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر.

١٩٣

الاختلاف بين أبي حنيفة وسائر الأئمة فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلاف صوري

والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقيين من أهل السنة اختلاف صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو جزءاً من الإيمان، مع الاتفاق على أن مرتكبة الكبيرة لا يخرج من الإيمان، بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، نزاع لفظي، لا يترتب عليه فساد اعتقاد، والقائلون بتكفير تارك الصلاة^(١)، ضموا إلى هذا الأصل أدلة أخرى، وإلا فقد نفى النبي ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر والمنتهب، ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية، اتفاقاً^(٢).

ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل، وأعني بالقول: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، وهذا الذي يعنى به عند إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل، لكن^(٣) هذا المطلوب من العباد: هل يشمل اسم الإيمان أم الإيمان أحدهما، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمل اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازاً؟ هذا محل النزاع.

(١) انظر: «شرح السنة» للبغوي ١٧٩/٢ - ١٨٠، و«المغني» ٤٤٢/٢ - ٤٤٧ لابن قدامة.

(٢) في «فيض الباري» ٥٣/١ - ٥٤: كون العمل جزءاً من الإيمان، أو لا، فيه أربعة مذاهب:

قال الخوارج والمعتزلة: إن الأعمال أجزاء للإيمان، فالتارك خارج عن الإيمان عندهما، ثم اختلفوا، فالخوارج أخرجوه من الإيمان، وأدخلوه في الكفر، والمعتزلة لم يدخلوه في الكفر، بل قالوا بالمنزلة بين المنزلتين، والثالث: مذهب المرجئة، فقالوا: لا حاجة إلى العمل، ومدار النجاة هو التصديق فقط، فصار الأولون والمرجئة على طرفي نقيض، والرابع: مذهب أهل السنة والجماعة، وهم بين بين، فقالوا: إن الأعمال أيضاً لا بد منها، لكن تاركها مفسق لا مكفر، فلم يشدوا فيها كالخوارج والمعتزلة، ولم يهونوا أمرها كالمرجئة.

وانظر: «فتاوى شيخ الإسلام» ٢٩٧/٧.

(٣) في (ب): ولكن.

وقد أجمعوا على أنه لو صدَّق بقلبه وأقرَّ بلسانه، وامتنع عن العمل بجوارحه: أنه^(١) عاصي الله ورَسُولُهُ، مستحق الوعيد، لكن فيمن يقول: إن الأعمال غَيْرُ داخلَةٍ في مسمى الإيمان مَنْ قال: لما كان الإيمانُ شيئاً واحداً، فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم السلام! وهذا غُلُوٌّ منه، فإن الكُفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلِفون في قوَّة البَصَرِ وضعفه، فمنهم الأخفش والأعشى، ومَنْ يرى الخط الثخين دون الرفيع إلا بزجاجة ونحوها، ومن يرى عن قُرْبٍ زائداً على العادة، وآخر بضده.

ولهذا - والله أعلم - قال الشيخ رحمه الله: «وأهله في أصله سَوَاءٌ يُشِيرُ إلى أن التساوي إنما هو في أصله، ولا يلزم منه التساوي مِنْ كُلِّ وجه، بل تفاوتٌ نُورٍ: لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يُحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس من نُورِها في قلبه كالشمس، ومنهم من نُورِها في قلبه كالكوكب الدُّرِّي، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج المضيء، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهرُ الأنوارُ يوم القيامة بأيمانهم وَبَيِّنَ أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم مِنْ نورٍ أحرق مِنَ الشُّبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث إنه ربما وَصَلَ إلى حال لا يُصَادِفُ شهوةً ولا شُبْهَةً ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذه حالُ الصادق في توحيده، فَسَمَاءُ إيمانه قد حُرِسَتْ بالرجوم مِنْ كُلِّ سارق، وَمَنْ عرف هذا، عرف معنى قَوْلِ النبي ﷺ: «إن الله حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ تعالى»^(٢) وقوله: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»^(٣) وما جاء من هذا النوع مِنْ

سقطت من (ب).

قطعة من حديث مطول أخرجه البخاري (٤٢٥) و (١١٨٦) و (٥٤٠١) و (٦٤٢٣) و (٦٩٣٨)، ومسلم (٣٣)، و ٤٥٥/١ (٣٣)، وأحمد ٤٤/٤ و ٤٤٩/٥ من حديث عتب بن مالك الأنصاري.

(٣) في «صحيح مسلم» (٢٩) من حديث عبادة مرفوعاً: «من شهد أن لا إله إلا الله =

الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظنَّها بعضهم منسوخةً، وظنَّها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي^(١)، وحملها بعضهم على نارِ المشركين والكفار، وأوَّلَ بعضهم الدخولَ بالخلود، ونحو ذلك.

والشارع صلواتُ الله عليه لم يجعل ذلك حاصلًا بمجرد قولِ اللسان فقط، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإنَّ المنافقين يقولونها بالسنتهم، وهُمْ تَحْتَ الجاحدين، في الدَّرَكِ الأسفلِ مِنَ النارِ، فإنَّ الأعمالَ لا تتفاضلُ بِصُورِها وعددها، وإنما تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ ما في القُلُوبِ.

= وأن محمداً رسول الله، حرَّم الله عليه النارَ وفي البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) من حديث أنس: أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ هو رديفه على الرحل: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرَّمه الله على النار»، وفي «صحيح مسلم» (٩١) من حديث ابن مسعود: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان» وهذه الأحاديث لا تؤخذ على إطلاقها، لأن الأدلة من الكتاب والسنة متضافرة على أن طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون، ثم يخرجون من النار بالشفاعة، فتأوله العلماء فيمن قرن ذلك بالأعمال الصالحة، أو قالها تائباً، ثم مات على ذلك، أو أنه خرج ذلك مخرج الغالب، إذ الغالب أن الموحد يعمل بالطاعة ويجتنب المعصية، أو أن المراد بتحريمه على النار تحريم خلوده فيها.

(١) منهم الزهري والثوري وغيرهما، قال الحافظ ابن رجب في «تحقيق كلمة الإخلاص»: وهذا بعيد جداً، فإن كثيراً منها كان بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك، وهو في آخر حياة النبي ﷺ، ثم قال: وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً، ويكون مقصودهم أن آيات الفرائض والحدود تبين بها توقف دخول الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم، فصارت تلك النصوص منسوخة، أي: مبينة ومفسرة، ونصوص الفرائض والحدود، ناسخة، أي: مفسرة لمعنى تلك النصوص وموضحة لها، وقال: تلك النصوص المطلقة جاءت مقيدة في أحاديث أخرى، ففي بعضها: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً»، وفي بعضها: «متيقناً»، وفي بعضها: «يصدق قلبه لسانه»، وفي بعضها: «يقولها من قلبه»، وفي بعضها: «وقد ذل بها لسانه، واطمأن بها قلبه» وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه بلا إله إلا الله، أن لا يُؤْلَ القلب غير الله حباً ورجاء وخوفاً وتوكلًا واستعانة وخضوعاً وإنابة وطلباً، وتحققه بمعنى: «وأن محمداً رسول الله» أن لا يعبد الله بغير ما شرَّعه الله على لسان رسوله محمد ﷺ.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويُقابِلها تسعة وتسعون سجلاً، كُلُّ سَجَلٍ منها مَدُّ البصر، فَتَنْقُلُ البطاقة، وَتَطِيْشُ السَّجَلَات، فلا يُعَذِّبُ صَاحِبُهَا^(١).

ومعلوم أن كُلَّ موحدٍ له مِثْلُ هذه البطاقة، وكثيرٌ منهم يدخل النار. وتأمل ما قام بقلب قاتل المئة^(٢) من حقائق الإيمان، التي لم تَشْغَلْهُ عند السَّيَاقِ عن السير إلى القرية، وَحَمَلَتْهُ وهو في تلك الحال أن جعل يَتَوَّء بِصدره وهو يُعَالِجُ سكراتِ الموت.

وتأمل ما قام بقلب البَغِيِّ مِنَ الإيمان، حين^(٣) نَزَعَتْ مُوقَهَا، وَسَقَتْ الكَلْبَ مِنَ الرِّكْبَةِ، فَغَفَرَ لَهَا^(٤).

وهكذا العقل أيضاً، فإنه يَقْبَلُ التَّفَاضُلَ، وأهلُه في أصله سواء، مستوون في أنهم عقلاء غيرُ مجانين، وبعضهم أعقلُ من بعض. وكذلك الإيجابُ والتَّخْرِيمُ، فَيَكُونُ إيجابٌ دُونَ إيجابٍ، وَتَخْرِيمٌ دُونَ تخريم، هذا هو الصحيح، وإن كان بعضهم قد طرَّد ذلك في العقل والوجوب.

وأما زيادةُ الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل، فمعلوم أنه لا يجبُ في أول الأمرِ ما وَجَبَ بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كُلِّ أحدٍ من الإيمان المفصَّل مما أخبر به الرَّسُولُ ما يَجِبُ على مَنْ بلغه خَبَرُهُ، كما في حَقِّ التَّجَاشِي^(٥) وأمثاله.

الكلام في
زيادة الإيمان
إجمالاً
وتفصيلاً

(١) حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه ص ٩٤ تعليق (٣).

(٢) انظر: حديثه في «البخاري» (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦).

(٣) في (ب) حتى، وهو خطأ، وفي مطبوعة مكة: حيث.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) من حديث أبي هريرة.

(٥) هو ملك الحبشة، واسمه أصحمة أسلم في عهد النبي ﷺ، وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخبره معهم ومع كفار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة، وتوفي في بلده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب بالمدينة، وكبر عليه أربعاً. انظر «الإصابة» ١١٧/١ القسم الثاني من حرف الألف.

وأما الزيادة بالعمل والتصديق، المستلزم لعمل القلب والجوارح، [فهو] ^(١) أَكْمَلُ مِنَ التَّصَدِيقِ الَّذِي لَا يَسْتَلْزِمُهُ، فَالْعِلْمُ الَّذِي يَفْعَلُ بِهِ صَاحِبُهُ أَكْمَلُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي لَا يَعْمَلُ بِهِ، فَإِذَا لَمْ يَخْضُلِ اللَّازِمُ، دَلَّ عَلَى ضَعْفِ الْمَلْزُومِ. ولهذا قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الْمُخْبَرُ كَالْمُعَايِنِ» ^(٢)، وموسى ﷺ لما أَخْبَرَ أَنَّ قَوْمَهُ عَبَدُوا الْعِجْلَ لَمْ يُلْقِ الْأَلْوَاخَ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ قَدْ عَبَدُوهُ أَلْقَاهَا، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِشَكِّ مُوسَى فِي خَبَرِ اللَّهِ، لَكِنِ الْمُخْبَرُ، وَإِنْ جَزَمَ بِصَدَقِ الْمُخْبَرِ، فَقَدْ لَا يَتَصَوَّرُ الْمُخْبَرُ بِهِ فِي نَفْسِهِ، كَمَا يَتَصَوَّرُهُ إِذَا عَايَنَهُ، كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ^(٣): «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُنْجِي السَّمَوَاتِ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي» [البقرة: ٢٦٠].

وأيضاً: فَمَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْحَجُّ وَالزَّكَاةُ مَثَلًا، يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ ^(٤) الْإِيمَانِ

(١) لم ترد في الأصول، وهي في مطبوعة مكة.

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٠٨٨)، وابن أبي حاتم فيما ذكره ابن كثير ٢٤٨/٢ والبخاري (٢٠٠)، والطبراني (١٢٤٥١) من طريقين، عن أبي عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يرحم الله موسى ليس المعايين كالمخبر، أخبره ربه عز وجل أن قومه فتنوا بعده، فلم يلق الألواح، فلما رآهم وعابنهم، ألقى الألواح» وسنده صحيح، وأخرجه أحمد ٢١٥/١ و ٢٧١، وابن حبان (٢٠٨٧)، والحاكم ٣٢١/٢، والخطيب ٥٦/٦ من طريق هشيم، عن أبي بشر، به، بلفظ: «ليس الخبر كالمعاينة، إن الله عز وجل أخبر موسى بما صنع قومه في العجل، فلم يلق الألواح، فلما عابن ما صنعوا، ألقى الألواح فانكسرت» ورجاله ثقات، وهشيم وإن كان مدلساً، فقد انتفت شبهة تدليسه بمتابعة أبي عوانة في الرواية المتقدمة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ١٢٧/٣، وزاد نسبه لعبد بن حميد، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

وله شاهد عن أنس عند الطبراني في «الأوسط»، (٢٨ مجمع البحرين) من طريق محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا أبي، عن ثمامة عن أنس رفعه قال الهيثمي في «المجمع» ١٥٣/١: ورجاله ثقات وآخر من حديث أبي هريرة عند الخطيب البغدادي في «تاريخه» ٢٨/٨.

(٣) في (ب) و (ج): صلوات الله على نبينا محمد وعليه.

(٤) سقطت من (ب).

أن يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن الله أوجبه^(١) ما لا يجب على غيره إلا مجملًا، ولهذا يجب عليه في الإيمان المُفَصَّل.

وكذلك الرجل أول ما يُسَلِّم، إنما يجب عليه الإقرار المُجَمَّل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤدّيها، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان.

ولا شك أن من قام بقلبه التّصديق الجازم، الذي لا يقوى على معارضته شهوة ولا شبهة، لا تقع معه معصية، ولولا ما حصل له من الشهوة والشبهة، أو أحدهما^(٢)، لما عصى، بل يشتغل قلبه ذلك الوقت بما يواقع من المعصية، فيغيب عنه التّصديق والوعيد فيعصى. ولهذا - والله أعلم - قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٣)، الحديث، فهو حين يزني يغيب عنه تّصديقه بحرمة الزنى، وإن بقي أضلّ التصديق في قلبه، ثم يُعاوذه، فإن المتقين كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ^(٤) مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٥) [الأعراف: ٢٠١].

(١) في (د) فوق كلمة «أوجبه»: عليه، والنص في مطبوعة مكة: ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره.

(٢) في الأصول: أحدهما، والمثبت من مطبوعة مكة.

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٤١ تعليق رقم (١).

(٤) في (ب) و (ج): طيف، وكلاهما قراءتان ثابتتان، فقد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي: (طيف) بغير ألف، وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة. ﴿طائف﴾ بألف ممدوداً مهموزاً، ويحكى عن الفراء أن الطيف والطائف بمعنى واحد، وهو ما كان كالخيال والشيء يُلمُّ بك، وقال الأخفش: الطيف أكثر في كلام العرب من الطائف، وفرق بينهما آخرون فقالوا: الطائف: ما يطوف حول الشيء، والطيف: اللمسة والسوسة والخطرة. انظر: «الكشف» ٤٨٦/١، و «زاد المسير» ٣٠٩/٣ - ٣١٠، و «حجة القراءات» ٣٠٥، و «معاني القرآن» ٤٠٢/١ للفراء، وتفسير الطبري ١٣/٣٣٤ - ٣٣٥.

(٥) قال الإمام أبو جعفر في تفسير الآية ١٣/٣٣٣ - ٣٣٤: يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا الله من خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه إذا ألم بهم لهم من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله =

قال ليث عن مجاهد: هو الرجل يَهْمُ بالذنب، فَيَذْكُرُ اللهَ فَيَدَعُهُ، والشهوة والغضب مبدأ السيئات، فإذا أبصر^(١) رجع، ثم قال تعالى: ﴿وَلِخَوَاتِمَهُمْ يَمْدُودُهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]، أي: وإخوان الشياطين تَمُدُّهُمْ الشياطينُ في الغي، ثم لا يُقْصِرُونَ^(٢). قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنسانُ تُقْصِرُ عن السيئات، ولا الشياطينُ تُمَسِّكُ عنهم^(٣)، فإذا لم يُبْصِرْ، يبقى قلبه في عمى، والشَّيْطَانُ يَمُدُّهُ فِي غَيْهِ، وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب، فذلك الثُّورُ والإبصارُ، وتلك الخشية والخوفُ تَخْرُجُ مِنْ قلبه، وهذا كما أن الإنسان يُغِيضُ عينيه، فلا يرى، وإن لم يكن أعمى، فكذلك القلبُ بما يغشاه من رَيْنِ الذنوب، لا يُبْصِرُ الْحَقَّ وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر، وجاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ: أنه قال: «إِذَا زَنَى الْعَبْدُ، نُزِعَ مِنْهُ الْإِيمَانُ، فَإِنْ تَابَ، أُعِيدَ إِلَيْهِ»^(٤).

النزاع في
مسألة زيادة
الإيمان
ونقصانه لفظي

وإذا كان النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعاً لفظياً، فلا محذور فيه سوى ما يَخْصُلُ مِنْ عُدْوَانِ إِحْدَى الطائفتين على الأخرى والافتراق بسبب ذلك، وأن يَصِيرَ ذَلِكَ ذريعةً إِلَى بِدْعِ أَهْلِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ

= وثوابه، ووعده ووعيده، وأبصروا الحق، فعملوا به، وانتهوا إلى طاعة الله فيما فرض عليهم، وتركوا فيه طاعة الشيطان.

(١) في (ب): أبصره.

(٢) من قوله: «أي» إلى هنا سقط من (ب) و (ج).

(٣) جامع البيان (١٥٥٦٤) قال الطبري: وإنما هذا خبر من الله أن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غياً إلى غيهم إذا ركبوا معصية من معاصي الله ولا يحجزهم تقوى الله، ولا خوف المعاد إليه عن التماذي فيها، والزيادة منها، فهو أبداً في زيادة من ركوب الإثم، والشيطان يزيده أبداً، لا يقصر الإنسي عن شيء من ركوب الفواحش، ولا الشيطان من مده منها.

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٩٠) في السنة. باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، من حديث أبي هريرة، ولفظه: «إِذَا زَنَى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ، كَانَ عَلَيْهِ كَالظِّلَّةِ، فَإِذَا انْقَلَعَ رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ» وإسناده صحيح، وصححه الحاكم ٢٢/١ ووافقه الذهبي.

من أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى ظُهورِ الفسقِ والمعاصي، بأن يقول: أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان والإسلام، وليّ من أولياء الله! فلا يُبالي بما يَكُونُ منه مِنَ المعاصي، وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يَضُرُّ مَعَ الإيمانِ ١٩٦ ذَنْبٌ لِمَنْ عَمِلَهُ! وهذا باطل قطعاً.

فالإمام أبو حنيفة رحمته الله نظر إلى حقيقة الإيمان لغةً مَعَ أدلّةٍ من كلام الشارع، وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عُزفِ الشارع، فإن الشارعَ ضَمَّ إلى التصديق أوصافاً وشرائط، كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك.

أدلة أصحاب
أبي حنيفة

فَمِنْ أدلّةِ الأصحابِ لأبي حنيفة رحمته الله: أن الإيمانَ في اللّغةِ عِبارةٌ عن التصديق، قال تعالى خبراً عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي: بمصدقٍ لنا، وَمِنْهُمْ مَنْ ادَّعى إجماعَ أهلِ اللغةِ على ذلك. ثم هذا المعنى اللغوي - وهو التصديق بالقلب - هو الواجبُ على العبد حقاً لله، وهو أن يُصدّقَ الرَّسُولَ صلّى الله عليه وآله فيما جاء به من عند الله، فَمَنْ صدّقَ الرَّسُولَ فيما جاء به مِنْ عند الله، فهو مؤمن فيما بَيَّنَّه وَبَيَّنَ اللهُ تعالى، والإقرارُ شَرْطُ إجزاءِ أحكامِ الإسلامِ في الدنيا. لهذا على أحدِ القولين، كما تقدم، ولأنه ضدُّ الكفر، وهو التَّكْذِيبُ والجحودُ، وهما يكونان بالقلب، فكذا ما يَضَادُّهُما، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، يَدُلُّ على أَنَّ القلبَ هو مَوْضِعُ الإيمانِ، لا اللسان، ولأنه لو كان مركباً مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، لزال كُلُّهُ بزوالِ جزئه، ولأن العَمَلَ قد عُطِفَ على الإيمانِ، والعطفُ يقتضي المغايرةَ، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، في مواضع من القرآن.

وقد اعْتَرَضَ على استدلالهم بأن الإيمانَ في اللغةِ عبارة عن التصديق بمنع^(١) الترادفِ بينَ التصديق والإيمان، وهب^(٢) أن الأمرَ يَصِحُّ في موضع،

(١) في (أ) و (ب): يمنع، وفي (ج): ومنع، وكلاهما خطأ، والمثبت من (د).

(٢) تحرفت في (ج) إلى: «وذهب».

فَلِمَ قُلْتُمْ: إنه يوجب التَّرَادُفَ مطلقاً؟ وكذلك اعْتَرَضَ على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان، ومما يدل على عَدَمِ الترادف: أنه يقال للمخبر إذا صدق^(١): صَدَقَ، ولا يُقَالُ: آمَنَ، ولا آمَنَ به، بل يقال: آمَنَ له، كما قال تعالى: ﴿فَقَامَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]. ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ﴾ [يونس: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]، ففَرَّقَ بين الْمُعَدَّى بالباء والمُعَدَّى باللام، فالأول يُقال للمُخْبِرِ به، والثاني للمُخْبِرِ، ولا يَرِدُ كونه يجوز أن يُقَالَ: ما أنت بِمُصَدِّقٍ لِّنا، لأن دُخُولَ اللام لتقوية العاملِ، كما إذا تَقَدَّمَ المَعْمُولُ، أو كان العاملُ اسمَ فاعلٍ، أو مصدرًا، على ما عُرِفَ في موضعه^(٢).

فالحاصلُ أنه لا يُقال قَطُّ: آمَنَتْه، ولا صَدَّقْتُ له، وإنما يقال: آمَنْتُ له، كما يقال: أَقَرَرْتُ له، فكان تفسيره بأَقَرَرْتُ أَقْرَبَ مِنْ تفسيره بِصَدَّقْتُ، مع الفرق بينهما، ولأن الفرقَ بينهما ثابت في المعنى، فإن كل مخبرٍ عن مشاهدة أو غيب، يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال له: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدقت.

وأما لفظ الإيمان، فلا يُسْتَعْمَلُ إلا في الخبرِ عن الغائب، فيُقال لِمَنْ قال: طَلَعَتِ الشَّمْسُ: صَدَقْنَاهُ، ولا يقال: آمَنَّا له، فإن فيه أَضَلَّ معنى الأمن، والائتمان إنما يَكُونُ في الخبرِ عن الغائب، فالأمرُ الغائبُ هو الذي يُؤْتَمَنُ عليه المُخْبِرُ، ولهذا لم يَأْتِ في القرآن وغيره لفظ آمن له، إلا في هذا النوع. ولأنه لم يُقَابَلْ لفظ الإيمان قَطُّ بالكذب كما يقابل لفظ التصديق، وإنما يقابل بالكفر، والكُفْرُ لا يختص بالكذب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أَتَّبِعُكَ، بل أُعَادِيكَ وَأُبْغِضُكَ وَأُخَالِفُكَ؛ لكان كُفْرُهُ أَعْظَمَ، فَعَلِمَ أن الإيمان ليس هو التَّصَدِيقُ فقط، ولا الكفر هو التَّكْذِيبُ فقط، بل

١٩٧

(١) في «فتاوى شيخ الإسلام» ٧/ ٢٩٠: «صدقته» والنص منقول عنه.

(٢) انظر «فتاوى شيخ الإسلام» ٧/ ٢٩٠ - ٢٩١.

(٣) في (أ) و (ج) و (د): ولا الكفر التَّكْذِيبُ بإسقاط «هو» وهي في (ب).

إذا كان الكُفْرُ يكون تكذيباً، ويكون مخالفةً ومعاداةً بلا تكذيب، فكَذلك الإيمان، يكون تصديقاً وموافقةً وموالاتاً وانقياداً، ولا يكفي مُجرّدُ التصديق، فيكون الإسلامُ جزءاً مسمّى الإيمان.

ولو سلّمَ الترادف، فالتصديقُ يكون بالأفعال أيضاً، كما ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ، وَزَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنُ تَزْنِي، وَزَنَاها السَّمْعُ» إلى أن قال: «وَالْفَرْجُ يَصْدُقُ ذَلِكَ وَيُكَذِّبُهُ»^(١). وقال الحسن البصري رحمه الله: لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّيِّ وَلَا بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنَّهُ مَا وَقَرَ فِي الصُّدْرِ، وَصَدَّقْتُهُ الْأَعْمَالُ^(٢). ولو كان تصديقاً، فهو تصديقٌ مخصوصٌ، كما في الصلاة ونحوها كما قد تقدّم^(٣)، وَلَيْسَ هَذَا نَقْلًا لَلْفِظِ، وَلَا تَغْيِيرًا لَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا بِإِيمَانٍ مُطْلَقٍ، بَلْ بِإِيمَانٍ خَاصٍّ، وَصَفَهُ وَبَيَّنَّهُ، فَالتَّصَدِيقُ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ أَدْنَى أَحْوَالِهِ أَنْ يَكُونَ نَوْعًا مِنَ التَّصَدِيقِ الْعَامِّ، فَلَا يَكُونُ مُطَابِقًا لَهُ فِي الْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ، مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرِ اللَّبْيَانِ وَلَا قَلْبِهِ، بَلْ يَكُونُ الْإِيمَانُ فِي كَلَامِ الشَّارِعِ مُؤَلَفًا مِنَ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ، كَالْإِنْسَانِ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣) و (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأحمد ٢/٢٧٦، وأبو داود (٢١٥٢)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٠/١٣٧، والبخاري (٧٥) من حديث ابن عباس عن أبي هريرة بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حِظَّهُ مِنَ الزَّنى أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مُحَالَهَ، فَزَنَى الْعَيْنَيْنِ النَّظَرَ، وَزَنَى اللِّسَانِ النَّطْقَ، وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يَصْدُقُ ذَلِكَ أَوْ يَكْذِبُهُ» وأخرجه مسلم (٢٦٥٧) (٢١)، وأبو داود (٢١٥٣)، وأحمد ٢/٣١٧ و ٣١٩، و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٩ و ٣٧٢ و ٣٧٩ و ٤١١ و ٥٢٨ و ٥٣٥ و ٥٣٦، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣/٢٩٨، والبخاري (٧٦) من حديث أبي هريرة بلفظ: «كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيْبَهُ مِنَ الزَّنى مَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مُحَالَهَ، فَالْعَيْنَانِ زَنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالْأُذُنَانِ زَنَاهُمَا السَّمْعُ، وَاللِّسَانُ زَنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زَنَاها الْبَطْشُ، وَالرَّجْلُ زَنَاها الْخَطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيَكْذِبُهُ». وأورده ابن أبي شيبة في «المصنف» ٢٢/١١ من طريق جعفر بن سليمان، عن زكريا قال: سمعت الحسن... وذكره شيخ الإسلام في «فتاواه» ٧/٢٩٤ من طريق عباس الدوري، حدثنا حجاج، حدثنا أبو عبيدة الناجي، وأورده الخطيب في «اقتضاء العلم بالعمل» رقم (٥٦) من طريق محمد بن عبد الملك الديلمي، عن عبيد الله بن موسى، عن أبي بشر الحلبي، عن الحسن. (٣) «قد» لم ترد في (أ) و (ج) و (د) وهي في (ب).

الموصوف بأنه حيوانٌ ناطقٌ، أو لأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه لوازم^(١) الإيمان التام، وانتهاء اللازم دليل على انتهاء الملزوم.

ونقول: إن هذه اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارةً، وتخرج عنه أخرى، أو إن اللفظ باقٍ على معناه في اللغة، ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً، أو أن يكون الشارع استعمله في معناه المجازي، فهو حقيقة شرعية، مجاز لغوي، أو أن يكون قد نقله الشارع، هذه أقوال لمن سلك هذه الطريق^(٢).

وقالوا: إن الرسول قد وقفنا على معاني الإيمان، وعلمنا من مراده علماً ضرورياً أن من قيل: إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان، مع قدرته على ذلك، ولا صلى، ولا صام، ولا أحب الله ورسوله، ولا خاف الله، بل كان مبغضاً للرسول، معادياً له يقاتله؛ أن هذا ليس بمؤمن.

كما علمنا أنه رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين مع الإخلاص والعمل بمقتضاهما، فقد قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»^(٣).

١٩٨

الأحاديث
الدالة على
دخول الأعمال
في مسمى
الإيمان

(١) في (ب): من لوازم.

(٢) وانظر بسط الكلام على كون لفظ الإيمان ليس مرادفاً للتصديق في «مجموع الفتاوى» ٥٢٩/٧ - ٥٣٣.

(٣) أخرجه مسلم (٣٥)، وأخرجه البخاري (٩) بلفظ: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»، وأخرجه أبو داود (٤٦٧٦)، والترمذي (٢٦١٤)، وابن ماجه (٥٧) بلفظ: «الإيمان بضع وستون أو سبعون باباً» وكذا وقع التردد في رواية مسلم من طريق سهيل بن أبي صالح، عن عبد الله بن دينار، وأخرجه أبو عوانة من طريق بشر بن عمرو، عن سليمان بن بلال، فقال: «بضع وستون أو بضع وسبعون»، وله أيضاً بلفظ: «ست وسبعون» وهو في سنن النسائي ١١٠/٨، ومسنده الطيالسي (٢٤٠٢) وابن أبي شيبة ٥٢١/٨ - ٥٢٢/١١، وعبد الرزاق (٢٠١٠٥) وأحمد ٤١٤/٢ و ٤٤٥، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٨)، وأبي نعيم في «الحلية» ١٤٧/٦، والبغوي (١٧)، وابن حبان (١٦٦) و (١٦٧) و (١٨١) و (١٩٠) و (١٩١)، وابن منده في «الإيمان» (١٤٤) و (١٤٥) و (١٤٧) و (١٧٠).

وقال أيضاً ﷺ: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١).

وقال أيضاً: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»^(٢).

وقال أيضاً: «الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٣).

فإذا كان الإيمان أصلاً، له شُعَبٌ مُتَعَدِّدَةٌ، وَكُلُّ شُعْبَةٍ مِنْهَا تُسَمَّى: إيماناً؛ فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج، والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشُعَبُ إِلَى إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، فَإِنَّهُ مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَهَذِهِ الشُّعَبُ مِنْهَا مَا يَزُولُ الْإِيمَانُ بِزَوَالِهَا، كَشُعْبَةِ الشَّهَادَةِ، وَمِنْهَا مَا لَا يَزُولُ بِزَوَالِهَا، كَتَرَكِ إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَبَيْنَهُمَا شُعَبٌ مُتَفَاوِتَةٌ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، مِنْهَا مَا يَقْرُبُ مِنَ شُعْبَةِ الشَّهَادَةِ، وَمِنْهَا مَا يَقْرُبُ مِنَ شُعْبَةِ إِمَاطَةِ الْأَذَى، وَكَمَا أَنَّ شُعَبَ الْإِيمَانِ إِيْمَانٌ، فَكَذَا شُعَبُ الْكُفْرِ كُفْرٌ، فَالْحُكْمُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ - مَثَلًا - مِنْ شُعَبِ الْإِيمَانِ، وَالْحُكْمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ كُفْرٌ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ^(٤) لَمْ يَسْتَطِعْ، فَلْيَلْسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ،

(١) هو تَمَّةُ الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٦٨٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١١٦٢)، وَأَحْمَدُ ٢/٢٥٠ وَ ٤٧٢، وَ ٥٢٧، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ٨/٥١٥ - ٥١٦، وَ ١١/٢٧ - ٢٨، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» ٩/٢٤٨، وَالدَّارِمِيُّ ٢/٣٢٣، وَالْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» ص ١١٥ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَسَنَدُهُ حَسَنٌ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (١٣١١) وَ (١٩٢٦)، وَالْحَاكِمُ ١/٣، وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ ٦/٤٧ وَ ٤٩، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦١٢)، وَالْحَاكِمُ ١/٥٣، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٨/٥١٥ وَ ١١/٢٧) بَلَفَظَ: «إِنْ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا وَالْطَّفَهُمْ بِأَهْلِهِ».

(٣) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ الْحَارِثِيِّ ابْنُ مَاجَهَ (٤١١٨)، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤١٦١) بَلَفَظَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَسْمَعُونَ، أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ الْبَذَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ». وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَأَقْرَبَهُ الذَّهَبِيُّ، وَحَسَنَهُ الْحَافِظُ الْعِرَاقِيُّ فِي «أَمَالِيهِ»، وَقَالَ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ» ١٠/٣١٠ بَعْدَ عَزْوِهِ لِأَبِي دَاوُدَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ. وَأَرَادَ بِالْبَذَاذَةِ: التَّوَاضُّعَ فِي اللِّبَاسِ وَتَرَكَ التَّبَجُّعَ بِهِ.

(٤) فِي (ب): وَإِنْ.

فَقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أضعفُ الإيمان». رواه مسلم^(١).

وفي لفظ: «لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَزْدَلٍ»^(٢).

وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ: فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(٣). ومعناه - والله أعلم أن الحبَّ والبغضَ أضلُّ حركة القلب، وبذل المال ومنعه هو كمال ذلك، فإن المال^(٤) آخر المتعلقات بالنفس، والبدن متوسط بين القلب والمال، فَمَنْ كان أولُّ أمره وآخِرُهُ كُلُّهُ لله، كان الله إلهه في كل شيء، فلم يكن فيه شيء من الشرك، وهو إرادة غير الله وقصده ورجاؤه، فيكون مستكمل الإيمان، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل.

ويأتي في كلام الشيخ رحمه الله في شأن الصحابة رضي الله عنهم: «وَحُبُّهُمْ دِينَ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ»، فَسَمِيَ حُبُّ الصَّحَابَةِ إِيمَانًا، وَبُغْضُهُمْ كُفْرًا.

(١) أخرجه مسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠) و (٤٣٤٠)، والترمذي (٢١٧٢)، وابن ماجه (١٢٧٥) و (٤٠١٣)، وأحمد ١٠/٣ و ٢٠ و ٤٩ و ٥٣، والنسائي ١١١/٨ - ١١٢، والطيالسي (٢١٩٦)، وأبو يعلى (١٠٠٩) من حديث أبي سعيد الخدري،

(٢) أخرجه مسلم (٥٠) من حديث ابن مسعود. وهو في «الكبير» للطبراني (٩٧٨٤)، و «المستد» ٤٥٨/١ و ٤٦١ و ٤٦٢.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أحمد ٤٣٨/٣ و ٤٤٠، وأبو داود (٤٦٨١) والبيهقي (٣٤٦٩) من حديث أبي أمامة، وسنده حسن، والذي عند الترمذي (٢٥٢١) من حديث معاذ بن أنس، وهو عند الطبراني في «الكبير» ٢٠/٢ (٤١٢) ولفظه: «مَنْ أَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ، وَأَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَنْكَحَ اللَّهَ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيْمَانَهُ» وسند الترمذي قوي. ولأحمد ١٤٦/٥، وأبي داود (٤٥٩٩) من حديث أبي ذر مرفوعاً: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ»، ولأحمد ٤٣٠/٣ عن عمرو بن الجموح: «لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ اللَّهَ وَيُبْغِضَ اللَّهَ»، ولأحمد أيضاً ٢٨٦/٤، وابن أبي شيبه ٤١/١١ عن البراء: «أَوْثَقُ عُرَى الْإِسْلَامِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبَغْضُ فِي اللَّهِ» وله شاهد من حديث ابن مسعود موقوفاً عليه عند عبد الرزاق (٢٠٣٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٨٨٦٠).

(٤) في (ب): فَإِنَّ الْمَالَ هُوَ.

وما أعجب ما أجاب به أبو المعين النسفي وغيره عن استدلالهم بحديث شُعْبِ الإيمان المذكور، وهو: أَنَّ الراوي قال: «بُضِعَ وَسْتُونَ أَوْ بُضِعَ وَسَبْعُونَ» فقد شهدَ الراوي بغفلة نفسه حيث شكَّ فقال: بضع وستون، أو بضع وسبعون، ولا يُظَنُّ برسولِ الله ﷺ الشكُّ في ذلك! وأن هذا الحديث مخالفٌ للكتاب.

١٩٩

فَطَعَنَ فيه بغفلة الراوي ومخالفته الكتاب، فانظر إلى هذا الطعن ما أعجبه! فَإِنَّ تَرُدُّدَ الراوي بَيْنَ السَّتين والسَّبعين لا يُلْزَمُ منه عَدَمُ ضبطه، مع أن البخاري رحمه الله إنما رواه: «بضع وستون» من غير شك.

وأما الطعن بمخالفته الكتاب، فأين في الكتاب ما يَدُلُّ على خلافه؟ وإنما فيه ما يَدُلُّ على وفاقه، وإنما هذا الطعن من ثَمَرَةِ سُؤْمِ التقليد والتعصُّب.

وقالوا أيضاً: وهنا أصل آخر، وهو: أَنَّ الْقَوْلَ قَسَمَانِ: قَوْلُ الْقَلْبِ وهو الاعتقاد، وقَوْلُ اللِّسَانِ، وهو التَّكَلُّمُ بكلمة الإسلام، والعملُ قَسَمَانِ: عَمَلُ الْقَلْبِ، وهو نيَّته وإخلاصه، وعَمَلُ الْجَوَارِحِ، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمانُ بكَماله، وإذا زال تَصَدِيقُ الْقَلْبِ، لم تنفع بَقِيَّةُ الأجزاء، فإن تَصَدِيقَ الْقَلْبِ شرطٌ في اعتبارها وكونها نافعة، وإذا بقي تَصَدِيقُ الْقَلْبِ، وزال الباقي، فهذا مَوْضِعُ المعركة!!

ولا شكَّ أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عَدَمُ طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد، لأطاعت الجوارح، وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عَدَمُ التصديق المستلزم للطاعة، قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ لَهَا سَائِرُ الْجَسَدِ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١). فَمَنْ صَلَحَ قَلْبُهُ، صَلَحَ جَسَدُهُ قطعاً، بخلاف

(١) قطعة من حديث، أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)، وابن ماجه (٣٩٨٤)، وأحمد ٢٧١/٤، والدارمي ٢٤٥/٢ من حديث النعمان بن بشير ولفظه بتمامه: «الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتهيات لا يعلمها كثير من الناس، فمن=

العكس. وأما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كُله، فإن أُريدَ أن الهيئة الاجتماعية لم تَبْقَ مجتمعة كما كانت، فمُسَلَّم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط.

أدلة الكتاب
والسنة على
زيادة الإيمان
ونقصانه.

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً^(١)، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]. ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]. ﴿وَيَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]. ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وكيف يُقال في هذه الآية والتي قبلها: إن الزيادة باعتبار زيادة المؤمن به؟ فهل في قول الناس: ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ زيادة مشروع؟ وهل في إنزال السكينة على قلوب المؤمنين زيادة مشروع؟ وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مَرَجَعَهُمْ من الحذيتية ليزدادوا طمأنينة وبقينا، ويُؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [١٦٤] وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

وأما ما رواه الفقيه أبو الليث السمرقندي^(٢) رحمه الله، في «تفسيره» عند

= اتقى الشبهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرمى حول الحمى يوشك أن يواقع، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب.

- (١) انظر: «الفتاوى» ٢٢٢/٧ - ٢٣١، و «الإيمان» ص ٧٢ - ٧٤ لأبي عبيد.
(٢) هو نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي، المشهور بإمام الهدى، صاحب «التفسير» و «خزانة الفقه» و «الفتاوى» و «شرح الجامع الصغير» و «تنبيه الغافلين» وغير ذلك، المتوفى سنة ٣٧٥ هـ. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١/ (٢٣٠).

هذه الآية، فقال: حَدَّثَنَا الْفَقِيه، قال: حَدَّثَنَا^(١) مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ، وأبو القاسم السَّابَّادِي، قالوا: حَدَّثَنَا قَارِسُ بْنُ مَرْدَوِيه، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ الْعَابِدِ، قال: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَيْسَى، قال: حَدَّثَنَا أَبُو مُطِيعٍ، عن حمادِ بْنِ سَلَمَةَ، عن ابنِ الْمُحَرَّمِ^(٢)، عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جَاءَ وَفَدُ ثَقِيفَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فقالوا^(٣): يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؟ فقال: «لا، الْإِيمَانُ مَكْمَلٌ فِي الْقَلْبِ، زِيَادَتُهُ، وَنُقْصَانُهُ كُفْرٌ»^(٤).

فَقَدْ سُئِلَ شَيْخُنَا الشَّيْخُ عَمَادُ الدِّينِ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْإِسْنَادَ مِنْ أَبِي اللَّيْثِ إِلَى أَبِي مُطِيعٍ مَجْهُولُونَ لَا يُعْرَفُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ التَّوَارِيخِ الْمَشْهُورَةِ، وَأَمَّا أَبُو مُطِيعٍ، فَهُوَ: الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمَةَ الْبَلْخِي، ضَعْفُهُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الْفَلَّاسُ، وَابْنُ خَارِي، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَأَبُو^(٥) حَاتِمٍ الرَّازِي، وَأَبُو حَاتِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ حَبَّانَ الْبُسْتِي، وَالْعُقَيْلِيُّ، وَابْنُ عَدِيٍّ، وَالدَّارَقُطْنِيُّ، وَغَيْرُهُمْ، وَأَمَّا أَبُو الْمُهَزَّمِ، الرَّاوِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَقَدْ تَصَحَّفَ عَلَى الْكَاتِبِ، وَاسْمُهُ: يَزِيدُ بْنُ سَفْيَانَ، فَقَدْ ضَعَّفَهُ أَيْضاً غَيْرُ وَاحِدٍ، وَتَرَكَهُ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ، وَقَالَ النَّسَائِيُّ: مَتْرُوكٌ، وَقَدْ اتَّهَمَهُ شُعْبَةُ بِالْوَضْعِ، حَيْثُ قَالَ: لَوْ أُعْطِيَهِمْ فَلَسَيْنَ لِحَدِيثِهِمْ سَبْعِينَ حَدِيثاً^(٦)!!

(١) جملة «الْفَقِيه قال: حَدَّثَنَا» كتبت في أصل (د) ثم رجع عليها.

(٢) كذا ورد في تفسير أبي الليث محرفاً عن أبي المهزَم، ونقله عنه الشارح كذلك، وسينه عليه قريباً.

(٣) في (أ) و (ب): فقال، وقد أثبت فوقها: «كذا».

(٤) باطل كما نقل الشارح عن الحافظ ابن كثير، وقد حكم بوضعه أيضاً ابن حبان والحاكم والجوزقاني، وابن الجوزي، والذهبي. انظر «المجروحين والضعفاء» ٢/ ١٠٢ - ١٠٣، و «ميزان الاعتدال» ٤٢/٣، و «اللائي المصنوعة» ٣٨/١، و «تنزيه الشريعة» ١٤٩/١.

(٥) سقطت من (ب).

(٦) انظر: «الكامل» ٧/ ٢٧٢١ - ٢٧٢٢.

وقد وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين^(١). وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالديه والناس أجمعين»^(٢). والمراد نفى الكمال. ونظائره كثيرة، وحديث شعب الإيمان، وحديث الشفاعة، وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان. فكيف يُقال بعد هذا: إن إيمان أهل السماوات والأرض سواء؟! وإنما التفاضل بينهم بمعانٍ آخر غير الإيمان؟!.

وكلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضاً:

منه: قول أبي الدرداء رضي الله عنه: مِنْ فِقِهِ الْعَبْدُ أَنْ يَتَعَاهَدَ إِيْمَانَهُ وَمَا نَقَصَ مِنْهُ، وَمِنْ فِقِهِ الْعَبْدُ أَنْ يَعْلَمَ، أَيْزَادُ هُوَ أَمْ يَنْتَقِصُ؟
وكان عُمرُ رضي الله عنه يقول لأصحابه: هلموا نَزِدْزَ إِيْمَانًا، فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(٣).

نقول عن
الصحابة في
زيادة الإيمان
ونقصانه

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه: اللَّهُمَّ زِدْنَا إِيْمَانًا وَيَقِينًا وَفَقْهًا^(٤).

(١) أخرج مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، وما رأيت ناقصات عقل ودين أغلب لدي لب مكن» قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: «أما نقصان العقل، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان، فهذا نقصان الدين». وأخرجه البخاري (٣٠٤) و (١٤٦٢)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم (٨٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤)، وأحمد ٢٠٧/٣ و ٢٧٥ و ٢٧٨، والنسائي ١١٥/٨، وابن ماجه (٦٧)، وابن منده (٢٨٤) و (٢٨٥) و (٢٨٦)، والبغوي (٢٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٠٨)، و «المصنف» ٢٦/١١ من طريق ذر بن عبد الرحمن المرهبي، قال: كان عمر ربما يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه، فيقول: قم بنا نَزِدْزَ إِيْمَانًا. وذُر لم يدرك عمر.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٥٤٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٨٥/١٠: إسناده جيد.

وكان معاذُ بنِ جبلٍ رضي الله عنه يقول لِرَجُلٍ: اجلس بنا نؤمن ساعة^(١).
ومثله عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه^(٢).

وصحَّ عن عمارِ بنِ ياسرٍ رضي الله عنه أنه قال: ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، فقد استكملَ الإيمانَ: إنصافٌ مِنْ نَفْسِهِ، والإنفاقُ مِنْ إِقْتَارٍ، وبَذْلُ السَّلامِ لِلْعَالَمِ. ذكره البخاري رحمته الله في «صحيحه»^(٣)، وفي هذا القدر كفايةً وبالله التوفيق.

وأما كَوْنُ عَطْفِ العملِ على الإيمانِ يقتضي بالمغايرة، فلا يَكُونُ العملُ داخلًا في مسمى الإيمان: فلا شكَّ أن الإيمانَ تارةً يُذَكَّرُ مطلقاً عن ٢٠١ العمل وعن الإسلام، وتارةً يُفَرَّقُ بالعمل الصالح، وتارةً يُفَرَّقُ بالإسلام، فالمطلق مستلزمٌ للأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٢]. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الآية [الحجرات: ١٥]. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: ٦٢]. ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِئَةِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١].

(١) علقه البخاري ٤٥/١ في أول الإيمان، ووصله ابن أبي شيبة في «الإيمان» برقم (١٠٥) و «المصنف» ٢٦/١١، وأبو عبيد في «الإيمان» رقم (٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٣٥/١، وإسناده صحيح على شرطهما، وفي رواية لابن أبي شيبة (١٠٧) و ٢٦/١١: كان معاذ يقول للرجل من إخوانه: اجلس بنا فلنؤمن ساعة، فيذكران الله ويحمدانه،

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١٦)، وفي «المصنف» ٤٣/١١ عن عبد الرحمن بن سابط قال: كان عبد الله بن رواحة يأخذ بيد النفر من أصحابه، فيقول: تَعَالَوْا فلنؤمن ساعة، تَعَالَوْا فلنذكر الله ولنزدد إيماناً، تعالوا نذكر الله بطاعته، لعله يذكرنا بمغفرته، وعبد الرحمن بن سابط لم يدرك عبد الله بن رواحة.

(٣) ٨٢/١ باب: إفشاء السلام من الإسلام بلفظ: «ثلاث من جمعهن، فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار»، ووصله معمر في «الجامع» (١٩٤٣٩) الملحق بـ «المصنف» د وابن أبي شيبة في «المصنف» ٤٨/١١ من طريق أبي إسحاق السبيعي، عن صلة بن زفر، عن عمار بن ياسر قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهنَّ حلاوة الإيمان: الإنفاق من الإقتار، وإنصاف الناس من نفسك، وبذل السلام للعالم» ورجاله ثقات.

وقال ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١)، الحديث.
«لا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا»^(٢).

«مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ، فَلَيْسَ مِنَّا»^(٣).

وما أَبْعَدَ قَوْلَ مَنْ قَالَ: إِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: «فَلَيْسَ مِنَّا» - أَيِ فَلَيْسَ مِثْلَنَا! فليت شعري، فمن لَمْ يَغْشَ يَكُونُ مِثْلَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ.

وأما إِذَا عَطَفَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، فاعلم أَنَّ عَطْفَ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ يَقْتَضِي الْمَغَايِرَةَ بَيْنَ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ مَعَ الْإِشْرَاقِ فِي الْحُكْمِ الَّذِي ذَكَرَ لَهُمَا، وَالْمُغَايِرَةُ عَلَى مَرَاتِبٍ^(٤):

أعلاها: أَنْ يَكُونَ مَتَبَايِنِينَ، لَيْسَ أَحَدُهُمَا هُوَ الْآخَرُ، وَلَا جُزْءُهُ، وَلَا بَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]. ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٣]. وهذا هُوَ الْغَالِبُ.

- (١) متفق عليه، وقد تقدم تخريجه ص ٤٤١ تعليق رقم (١).
(٢) أخرجه مسلم (٥٤) (٢٢) من حديث أبي هريرة، ولفظه بتمامه: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» وأخرجه أبو داود (٥١٩٣)، والترمذي (٢٦٨٨)، وابن ماجه (٦٨) و (٣٦٩٢)، وأحمد ٣٩١/٢ و ٤٤٢ و ٤٩٥ و ٥١٢، وابن منده في «الإيمان» (٣٢٨) و (٣٢٩) و (٣٣٠) و (٣٣٣) و (٣٣٤) و (٣٣٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٨٠)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٧٤/٢ و ٣٣١.
(٣) أخرجه مسلم (١٠١) من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السَّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» وأخرجه مسلم (١٠٢)، وأبو داود (٣٤٥٢)، وابن ماجه (٢٢٢٤)، والترمذي (١٣١٥)، وأحمد ٢٤٢/٢، والحميدي (١٠٣٣)، والبيهقي (٢١٢٠) و (٢١٢١) من حديث العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا، فَسَأَلَهُ: «كَيْفَ تَبِيعُ؟» فَأَخْبَرَهُ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ: «أَدْخِلْ يَدَكَ فِيهِ، فَادْخُلْ يَدَهُ، فَإِذَا هُوَ مَبْلُولٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّ». وقوله: «لَيْسَ مِنَّا» أَيِ: لَيْسَ عَلَى سِيرَتِنَا وَمَذْهَبِنَا، مَنْ غَشَّ أَخَاهُ وَتَرَكَ مَنَاصِحَتَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ تَرَكَ اتِّبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّمَسُّكَ بِسُنَّتِهِ.

(٤) انظر: «الفتاوى» ١٧٢/٧ - ١٨١.

ويليه: أن يَكُونَ بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكَتُبُوا الْحَقَّ وَانْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]. ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢].

الثالث: عَطَفَ بعض الشيء عليه، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨]. ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨] ﴿مِنَ الَّذِينَ يَشْتَقُونَ مِنْكُمْ وَمِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧].

وفي مثل هذا وجهان:

أحدهما: أن يكون داخلاً في الأول، فيكون مذكوراً مرتين.

والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلاً فيه هنا، وإن كان داخلاً فيه منفرداً، كما قيل مثل ذلك في لفظ: «الفقراء والمساكين» ونحوه مما تَنَوَّعَ دلالته بالافراد والاقتران.

الرابع: عَطَفَ الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]. وقد جاء في الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط، كقوله:

فَالْفَى قَوْلَهَا كَذِباً وَمَيْناً^(١)

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨]. والكلام على ذلك معروف في موضعه.

فإذا كان العطف في الكلام يَكُونُ على هذه الوجوه، نظرنا في كلام

(١) عجز بيت لعدي بن زيد العبادي، في قصة الزباء وغدرها بجذيمة، وأخذ قصير النار منها وصدرة:

فَقَدُمْتُ الْأَدِيمَ لِزَاهِشِيهِ

وهو في ديوانه: ١٨٣، و«طبقات ابن سلام»: ٦٣، و«معاني القرآن» للفراء ١/ ٣٧، و«المستقصى» ١/ ٢٤٣ - ٢٤٤، وأمالى المرتضى ٢/ ٢٥٨، والشعر والشعراء ص ٩٨، و«اللسان»: مين، و«مغني اللبيب» (٥٧٨)، و«معجم الهوامع» ٢/ ١٢٩.

الشارع: كيف ورد فيه الإيمان، فوجدناه إذا أُطْلِقَ يُرَادُ به ما يُرَادُ بلفظ البر، والتقوى، والدين، ودين الإسلام.

ذكر في أسباب النزول أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَيْسَ الْإِلَهَ أَنْ تُؤْلُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٢٠٢

قال محمد بن نصر: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن يزيد المقرئ، والملائي، قالا: حدثنا المسعودي، عن القاسم، قال: جاء رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه، فسأله عن الإيمان، فقراً: ﴿لَيْسَ الْإِلَهَ أَنْ تُؤْلُوا وَجُوهَكُمْ﴾ إلى آخر الآية، [البقرة: ١٧٧]، فقال الرجل: ليس عن هذا سألتك، فقال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فقراً عليه الذي قرأت عليك^(١)، فقال له الذي قلت لي، فلما أبى أن يرضى، قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي إِذَا عَمِلَ الْحَسَنَةَ سَرَّهُ وَرَجَا ثَوَابَهَا، وَإِذَا عَمِلَ السَّيِّئَةَ سَاءَتْهُ وَخَافَ عِقَابَهَا»^(٢). وكذلك أجاب جماعة من السلف بهذا الجواب.

وفي «الصحيح» قوله لوفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله وخدّه، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وخدّه لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا الخمس من المغنم»^(٣).

(١) في (ب): فقرأ الذي قرأته عليك.

(٢) المسعودي - وهو عبد الرحمن بن عبد الله - رمي بالاختلاط، والقاسم - وهو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود - لم يدرك أبا ذر، لكن صح الحديث دون سبب النزول من رواية أبي أمامة عند الحاكم ١٤/١ بلفظ: إن رسول الله ﷺ سأله رجل، فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: «إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك، فأنت مؤمن» قال: يا رسول الله ما الإثم؟ قال: «إذا حاك في صدرك شيء، فدعه» وإسناده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري (٥٣) و (٨٧) و (٥٢٣) و (١٣٩٨) و (٣٠٩٥) و (٤٣٦٨) و (٤٣٦٩) و (٦١٧٦) و (٧٢٦٦) و (٧٥٥٦)، ومسلم (١٧)، والترمذي (٢٦١١)، وأبو داود (٣٦٩٢) و (٤٦٧٧)، وأحمد ١/٢٢٨، والنسائي ٨/١٢٠ و ٣٢٣، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٥/١٦٢، وأبو داود الطيالسي (٢٧٤٧)، والبخاري (٢٠) كلهم من حديث ابن عباس.

ومعلوم أنه لم يُرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لا بُدَّ من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان.

وأَيُّ دليل على أن الأعمال داخلَةٌ في مُسمَّى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تُفيد مع الجحود، وفي «المسند» عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «الإسلامُ علَائيَّةٌ، والإيمانُ في القلب»^(١).

الدين ينتظم
والإيمان
والإسلام
والإحسان

وفي هذا الحديث دليلٌ على المغايرة بين الإسلام والإيمان. ويؤيد حديث جبريل عليه السلام. وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل أتاكم يُعلِّمُكم دينَكم»^(٢). فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان، فبيِّن^(٣) أن ديننا يجمع الثلاثة. لكن هو درجات ثلاث^(٤): مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن. والمراد بالإيمان ما ذكر في الإسلام قطعاً، كما أنه أُريد بالإحسان ما ذكر مع الإيمان والإسلام، لا أن الإحسان يكون مجرداً عن الإيمان، هذا محال. وهذا كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد^(٥).

(١) أخرجه أحمد ١٣٥/٣، وأبو عبيد في «الإيمان» ص ٥، وفي سنده علي بن مسعدة وهو سيء الحفظ، ضعفه البخاري، والنسائي، وأبو داود، وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة.

(٢) أخرجه مسلم وغيره، وقد تقدم ص ٣٥٦.

(٣) في (ب): فتيين.

(٤) في (د): ثلاثة، وكلاهما صحيح.

(٥) في «الفتاوى» لابن تيمية، ٤٨٥/٧: «فقد قسم الله سبحانه الأمة التي أورثها الكتاب واصطفاها ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، وهؤلاء الثلاثة ينطبقون على الثلاث المذكورة في حديث جبريل: «الإسلام» و «الإيمان» و «الإحسان» ومعلوم أن الظالم لنفسه إن أُريد به من اجتنب الكبائر، والتائب من=

وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن؛ فإنه مُعَرَّضٌ للوعيد.

فأما الإحسان، فهو أعمُّ من جهة نفسه، وأخصُّ من جهة أهله، والإيمانُ أعمُّ من جهة نفسه، وأخصُّ من جهة أهله من الإسلام، فالإحسانُ يَدْخُلُ فيه الإيمانُ، والإيمانُ يَدْخُلُ فيه الإسلامُ^(١)، والمحسنون أخصُّ من المؤمنين، والمؤمنون أخصُّ من المسلمين، وهذا كالرسالةِ والثبوتِ، فالنبوةُ داخِلَةٌ في الرسالة، والرسالةُ أعمُّ من جهة نفسها، وأخصُّ من جهة أهلها، فكلُّ رسولٍ نبيٍّ، ولا ينعكسُ.

٢٠٣

وقد صار الناسُ في مسمّى الإسلام على ثلاثة أقوال^(٢):

فطائفةٌ جعلت الإسلامَ هو الكلمة.

أقوال أهل العلم في مسمى الإسلام

وطائفةٌ أجابوا بما أجاب به النبي ﷺ حين سُئِلَ عن الإسلام والإيمان، حيث فسر الإسلامَ بالأعمالِ الظاهرة، والإيمانَ بالإيمانِ بالآصولِ الخمسة.

وطائفةٌ جعلوا الإسلامَ مرادفاً للإيمان، وجعلوا معنى قولِ الرسول ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ»^(٣)، الحديث: شعائرُ الإسلام، والأصلُ عَدَمُ التقدير، مع أنهم قالوا: إن الإيمانَ هو التَّصْدِيقُ بالقلب، ثم قالوا: الإسلامُ والإيمانُ شيءٌ واحد، فيكون الإسلامُ هو التصديق! وهذا لم يَقُلْهُ أحدٌ من أهل اللغة، وإنما هو الانقيادُ والطاعة، وقد

= جميع الذنوب، فذلك مقتصد أو سابق، فإنه ليس أحد من بني آدم يخلو عن ذنب، لكن من تاب، كان مقتصداً أو سابقاً، كذلك من اجتنب الكبائر، كفرت عنه السيئات، كما قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ فلا بد أن يكون هناك ظالم لنفسه موعود بالجنة، ولو بعد عذاب يطهر من الخطايا...».

(١) في (ب): الإحسان، وفي «مجموع الفتاوى» ٣٦٠/٧: والإيمان يتضمن الإسلام.

(٢) انظر «الفتاوى» ٢٥٩/٧.

(٣) أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والنسائي ٩٧/٨ - ١٠١، وابن ماجه (٦٣) من طريق عمر، وهو حديث جبريل المتقدم.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ»^(١). وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بينهما أن نُجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ.

ولما إذا أُفِرِدَ اسمُ الإيمان، فإنه يتضمَّن الإسلام، وإذا أُفِرِدَ الإسلام، فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع، وهذا هو الواجب، وهل يكون مسلماً ولا يُقال له: مؤمن؟ وقد تقدَّم الكلام فيه.

وكذلك هل يَسْتَلْزِمُ الإسلامُ الإيمانَ؟ فيه التَّزَاغُ المذكور، وإنما وعد الله بالجنة في القرآن، وبالنَّجاة من النار باسم الإيمان، كما قال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلَىٰ بِآلِهَةٍ لَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣]. وقال تعالى: ﴿سَاقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

وأما اسمُ الإسلام مجرداً، فما عُلِّقَ به في القرآن دُخُولُ الجنة، لكنه قَرَضَهُ، وأخبر أنه دينه الذي لا يُقْبَلُ مِن أَحَدٍ سِوَاهُ، وبه بَعَثَ النَّبِيِّينَ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

حالة اقتران
الإسلام
بالإيمان غير
حالة أفراد
أحدهما عن
الآخر

فالحَاصِلُ أن حالة اقتران الإسلام بالإيمان غَيْرُ حالةِ أفرادٍ أحدهما عن الآخر، فَمَثَلُ الإسلامِ مِنَ الإيمان، كَمَثَلِ الشَّهَادَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مِنَ الأُخْرَى، فشهادة الرسالة غَيْرُ شهادة الوحداية، فَهُمَا شَيْئَانِ فِي الأَعْيَانِ. وإحدهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم، كشيءٍ واحدٍ، كذلك الإسلام

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (١١٢٠) و (٦٣١٧) و (٧٣٨٥) و (٧٤٤٢) و (٧٤٩٩)، ومسلم (٧٦٩)، ومالك ١/٢١٥، وابن ماجه (١٣٥٥)، والدارمي ١/٣٤٩، وأحمد ١/٢٩٨ و ٣٠٨ و ٣٥٨، والنسائي ٣/٢٠٩ - ٢١٠، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٣/٥ و ٧، والترمذي (٣٤١٨) وأبو داود (٧٧١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٧)، والحميدي (٤٩٥)، والبغوي (٩٥٠)، من حديث ابن عباس.

والإيمان، لا إيمانَ لِمَنْ لا إسلامَ له، ولا إسلامَ لمن لا إيمانَ له، إذ لا يَخْلُو الْمُؤْمِنُ من إسلام به يَتَحَقَّقُ إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به يَصِحُّ إسلامه.

ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله، وفي كلام الناس كثيرة، أعني في الأفراد والاقتران.

منها: لَفْظُ الْكُفْرِ والنِّفَاقِ، فَالْكُفْرُ إِذَا ذُكِرَ مُفْرَدًا فِي وَعِيدِ الْآخِرَةِ دَخَلَ فِيهِ الْمُنَافِقُونَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]. ونظائره كثيرة. وإذا قُرِنَ بينهما، كان الْكَافِرُ مَنْ أَظْهَرَ كُفْرَهُ، وَالْمُنَافِقُ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِقَلْبِهِ.

وكذلك لَفْظُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَفْظُ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَلَفْظُ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، وَلَفْظُ الْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

ويشهد للفرق بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَقَدْ اغْتَرَضَ عَلَى هَذَا بِأَن مَعْنَى الْآيَةِ: ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾: انْقَدْنَا بِظَوَاهِرِنَا، فَهُمْ مُنَافِقُونَ فِي الْحَقِيقَةِ، وَهَذَا أَحَدُ قَوْلِي الْمَفْسَرِينَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَأُجِيبَ بِالْقَوْلِ الْآخَرِ، وَرُجِّحَ، وَهُوَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمُؤْمِنِينَ كَامِلِي الْإِيمَانِ، لَا أَنَّهُمْ مُنَافِقُونَ، كَمَا نَفَى الْإِيمَانُ عَنِ الْقَاتِلِ، وَالزَّانِي، وَالسَّارِقِ، وَمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ. وَيُؤَيِّدُ هَذَا سَبَاقُ الْآيَةِ وَسَيَاقُهَا، فَإِنَّ السُّورَةَ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى هُنَا فِي النَّهْيِ عَنِ الْمَعَاصِي، وَأَحْكَامِ بَعْضِ الْعُصَاةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ فِيهَا ذِكْرُ الْمُنَافِقِينَ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ^(١) مِنْ أَعْمَالِكُمْ

(١) فِي الْأَصْلِ: (لَا يَأْلِتُكُمْ) وَهِيَ قِرَاءَةُ أَبِي عَمْرٍو، مِنْ: أَلَتْ يَالِتُ أَلَتْ، مِثْلُ ضَرْبٍ يَضْرِبُ ضَرْبًا، وَحِجَّتُهُ إِجْمَاعُ الْجَمْعِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَلْتَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ﴾ فَرَدَّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَى مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَوَّلَى، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: (يَلِتْكُمْ) مِنْ: لَا تَلِيْتُ، وَحِجَّتُهُمْ اتِّبَاعُ مَرْسُومِ الْمُصْحَفِ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مَكْتُوبَةٌ بِغَيْرِ أَلِفٍ، قَالَ الْفَرَاءُ: وَهِيَ لَغْتَانِ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ، وَالْمَعْنَى: لَا يَنْقُصُكُمْ. «حِجَّةُ الْقِرَاءَاتِ» ص ٦٧٦، وَ «زَادَ الْمَسِيرَ» ٤٧٧/٧.

شَيْئًا» [الحجرات: ١٤]، ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة، ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]، الآية: يعني - والله أعلم - أنَّ المؤمنين الكاملين الإيمان، هم هؤلاء، لا أنتم، بل أنتم منفي عنكم الإيمان الكامل. يؤيد هذا: أنه أمرهم، أو أذن لهم، أن يقولوا: أسلمنا، والمُنافق لا يُقال له ذلك، ولو كانوا منافقين، لنفى عنهم الإسلام، كما نفى عنهم الإيمان، ونهاهم أن يمتنوا بإسلامهم^(١)، فأثبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يمتنوا به على رسوله، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً، لقال: لم تُسلموا، بل أنتم كاذبون، كما كذبهم^(٢) في قولهم: ﴿شَهِدْ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]. والله أعلم بالصواب^(٣).

وينتهي بعد هذا التقرير والتفصيل دعوى الترادف، وتشنيع من ألزم بأن الإسلام لو كان هو الأمور الظاهرة، لكان ينبغي أن لا يقبل إلا ذلك، ولا يقبل إيمان المخلص! وهذا^(٤) ظاهر الفساد، فإنه قد تقدم تنظير الإيمان والإسلام بالشهادتين وغيرهما، وأن حالة الاقتران غير حالة الانفراد. فانظر إلى كلمة الشهادة، فإن النبي ﷺ قال: «أَمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٥)، الحديث، فلو قالوا: لا إله إلا الله، وأنكروا الرسالة؛ ما^(٦) كانوا يستحقون العصمة، بل لا بُدَّ أن يقولوا: لا إله إلا الله قائمين بحقها، ولا يكون قائماً بـ«لا إله إلا الله» حق القيام، إلا من صدق بالرسالة، وكذا من شهد أن محمداً رسول الله، لا يكون قائماً، بهذه الشهادة حق القيام، إلا من صدق هذا الرسول في كل ما جاء به. فانتظمت^(٧) التوحيد،

٢٠٥

(١) في (ب): بإسلام.

(٢) في (ب): كذبتم، وليس بشيء.

(٣) انظر «الفتاوى» ٢٣٨/٧ - ٢٤٧ و ٤٧٦ - ٤٧٩.

(٤) في (ب): فإن هذا، وفي (ج): وهو ظاهر الفساد.

(٥) هو حديث متواتر، وقد تقدم تخريجه ص ٢٢ تعليق رقم (١).

(٦) «ما» سقطت من (أ) و (ب) و (ج).

(٧) تحرفت في (ب) إلى: فانظمت.

وَإِذَا ضُمِّتْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إثبات التوحيد، وَمِنْ شَهَادَةِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ إثبات الرسالة، كَذَلِكَ الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ إِذَا قُرُنَا أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وَقَوْلُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ»^(١)؛ كَانَ الْمُرَادُ مِنْ أَحَدِهِمَا غَيْرَ الْمُرَادِ مِنَ الْآخَرِ، وَكَمَا قَالَ ﷺ: «الْإِسْلَامُ عَلَانِيَةً، وَالْإِيمَانُ فِي الْقَلْبِ»^(٢). وَإِذَا انْفَرَدَ أَحَدُهُمَا، شَمِلَ مَعْنَى الْآخَرِ وَحُكْمَهُ، وَكَمَا فِي الْفَقِيرِ وَالْمُسْكِينِ وَنَظَائِرِهِ، فَإِنَّ لَفْظِي الْفَقِيرِ وَالْمُسْكِينِ إِذَا اجْتَمَعَا، افْتَرَقَا، وَإِذَا افْتَرَقَا اجْتَمَعَا، فَهَلْ يُقَالُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ [المائدة: ٨٩] - أَنَّهُ يُعْطَى الْمُقِلُّ دُونَ الْمُغْدِمِ، أَوْ بِالْعَكْسِ؟! وَكَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَخْفَوْهَا وَتُوْتُوهَا الْفُسْرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

وَيَنْدَفِعُ أَيْضاً تَشْنِيعُ مَنْ قَالَ: مَا حُكْمُ مَنْ آمَنَ وَلَمْ يُسْلِمِ، أَوْ أَسْلَمَ وَلَمْ يُؤْمَرْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ فَمَنْ أَثَبَتَ لِأَحَدِهِمَا حُكْماً لَيْسَ بِثَابِتٍ لِلْآخِرَةِ، ظَهَرَ بَطْلَانُ قَوْلِهِ.

وَيُقَالُ لَهُ فِي مَقَابِلَةِ تَشْنِيعِهِ: أَنْتَ تَقُولُ: الْمُسْلِمُ هُوَ الْمُؤْمِنُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فَجَعَلَهُمَا غَيْرَيْنِ، وَقَدْ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَالِكٌ عَنْ فُلَانٍ، وَاللَّهُ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِناً؟ قَالَ: «أَوْ مُسْلِماً»^(٣)، قَالَهَا ثَلَاثاً، فَأُثْبِتَ لَهُ اسْمَ الْإِسْلَامِ، وَتَوَقَّفَ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ، فَمَنْ قَالَ: هُمَا سَوَاءٌ، كَانَ مُخَالَفاً، وَالْوَاجِبُ رَدُّ مَوَارِدِ النِّزَاعِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَدْ يَتَرَاءَى فِي بَعْضِ النُّصُوصِ مُعَارَضَةٌ، وَلَا مُعَارَضَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَكِنَّ الشَّأْنَ فِي التَّوْفِيقِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

(١) تقدم تخريجه ص ٤٨٩.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٨٧، وهو ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٢٧) و(١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠)، وفي الزكاة ٧٣٢/٢ - ٧٣٣، وأحمد ١٨٢/١ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وأما الاختيجاح بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٣٥ فَا
وَمَدَنًا فِيهَا عِزَّرَ بِئَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ [الذاريات: ٣٥ - ٣٦] على ترادف
الإسلام والإيمان، فلا حجة فيه، لأن البيت المخرج كانوا موصوفين
بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما.

والظاهر أن هذه المعارضات لم تثبت عن أبي حنيفة رحمته الله، وإنما هي
من الأصحاب، فإن غاليتها ساقط لا يرتضيه أبو حنيفة وقد حكى الطحاوي
حكاية أبي حنيفة مع حماد بن زيد، وأن حماد بن زيد لما روى له حديث: ٢٠٦
«أي الإسلام أفضل»^(١) إلى آخره، قال له: ألا تراه يقول: أي الإيمان
أفضل، قال: الإيمان، ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان؟ فسكت أبو
حنيفة، فقال بعض أصحابه: ألا تُجيبه يا أبا حنيفة؟ قال: بِمَ أُجيبه؟ وهو
يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ.

وَمِنْ ثَمَرَاتِ هَذَا الْاِخْتِلَافِ: مَسْأَلَةُ الْاِسْتِثْنَاءِ فِي الْاِيمَانِ، وَهُوَ أَنْ

(١) أخرجه عبد الرزاق (٢٠١٠٧)، وأحمد ١١٤/٤ من طريق معمر، عن أيوب، عن
أبي قلابه، عن عمرو بن عبسة قال: قال رجل: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال:
«أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويذكرك»، قال: فأبي
الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان» قال: وما الإيمان؟ قال: «تؤمن بالله وملأته وكتبه
ورسله والبعث بعد الموت» قال: فأبي الإيمان أفضل؟ قال: «الهجرة» قال: فما
الهجرة؟ قال: «تهجر السوء»، قال: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد»، قال: وما
الجهاد؟ قال: «أن تقاتل الكفار إذا لقيتهم»، قال: فأبي الجهاد أفضل؟ قال: «من
عقر جواده، وأهريق دمه» قال رسول الله ﷺ: «ثم عملان هما أفضل الأعمال إلا
من عمل بمثلهما: حجة مبرورة أو عمرة» وإسناده صحيح إن كان أبو قلابه سمعه
من عمرو بن عبسة، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٥٩/١، وقال: رواه أحمد،
والطبراني في «الكبير» بنحوه، ورجاله ثقات، وأخرجه أيضاً أحمد ٣٨٥/٥ بنحوه
من طريق آخر، وفي سنده ضعيفان، وفيه قال: قلت: أي الإيمان أفضل؟ قال:
«خلق حسن».

وقول الشيخ ناصر الدين الألباني: متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري وهم
منه، فإن لفظ حديث أبي موسى المخرج في البخاري (١١)، ومسلم (٤٢): «أي
الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده» وهو غير الحديث الذي
استشهد به المصنف.

يَقُولُ الرَّجُلُ: أَنَا مُؤْمِنٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَالنَّاسُ فِيهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ: طَرَفَانِ
وَوَسْطٌ، مِنْهُمْ مَنْ يُوجِبُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَرِّمُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُهُ بِاعْتِبَارِ وَيَمْنَعُهُ
بِاعْتِبَارٍ، وَهَذَا أَصَحُّ الْأَقْوَالِ.

أَمَّا مَنْ يُوجِبُهُ، فَلَهُمْ مَأْخِذَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ مَا مَاتَ
الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ، وَالْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنًا أَوْ كَافِرًا بِاعْتِبَارِ الْمَوَافَاةِ،
وَمَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ، وَمَا قَبْلَ ذَلِكَ لَا عِبْرَةَ بِهِ، قَالُوا:
وَالْإِيمَانُ الَّذِي يَتَعَقَّبُهُ الْكَفَرُ فَيَمُوتُ صَاحِبُهُ كَافِرًا: لَيْسَ بِإِيمَانٍ، كَالصَّلَاةِ الَّتِي
أَفْسَدَهَا صَاحِبُهَا قَبْلَ الْكَمَالِ، وَالصَّيَامُ الَّذِي يُفْطِرُ صَاحِبُهُ قَبْلَ الْغُرُوبِ، وَهَذَا
مَأْخُذٌ كَثِيرٌ مِنَ الْكَلَابِيَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَعِنْدَ هَؤُلَاءِ أَنَّ اللَّهَ يُجِبُ فِي الْأَزْلِ مَنْ كَانَ
كَافِرًا إِذَا عَلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ يَمُوتُ مُؤْمِنًا، فَالصَّحَابَةُ مَا زَالُوا مُحِبِّينَ قَبْلَ
إِسْلَامِهِمْ، وَإِبْلِيسُ وَمَنْ ارْتَدَّ عَنْ دِينِهِ مَا زَالَ اللَّهُ يُبْغِضُهُ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَكْفُرْ
بَعْدَ، وَلَيْسَ هَذَا قَوْلُ السَّلَفِ، وَلَا كَانَ يُعَلَّلُ بِهَذَا مَنْ يَسْتَنِي مِنَ السَّلَفِ فِي
إِيمَانِهِ، وَهُوَ فَاسِدٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّبْكُمْ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ إِنْ اتَّبَعُوا الرَّسُولَ، فَاتَّبَاعُ
الرَّسُولِ، شَرْطُ الْمَحَبَّةِ، وَالْمَشْرُوطُ يَتَأَخَّرُ عَنِ الشَّرْطِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ
الْأَدْلَةِ.

ثُمَّ صَارَ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ طَائِفَةٌ غَلَوُوا فِيهِ، حَتَّى صَارَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَسْتَنِي
فِي الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، يَقُولُ: صَلَّيْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ! وَنَحْوَ ذَلِكَ، يَعْنِي الْقَبُولَ،
ثُمَّ صَارَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَسْتَنُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: هَذَا ثَوْبٌ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ! هَذَا حَبْلٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ! فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: هَذَا لَا شَكَّ فِيهِ. يَقُولُونَ:
نَعَمْ، لَكِنْ إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُعَيِّرَهُ غَيْرُهُ!!

الْمَأْخُذُ الثَّانِي: أَنَّ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ يَتَضَمَّنُ فِعْلًا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ عَبْدَهُ
كُلَّهُ، وَتَرَكَ مَا نَهَا عَنْهُ كُلَّهُ، فَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ: أَنَا مُؤْمِنٌ، بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ: فَقَدْ
شَهِدَ لِنَفْسِهِ أَنَّهُ مِنَ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ، الْقَائِمِينَ بِجَمِيعِ مَا أَمَرُوا بِهِ، وَتَزَكَّى كُلُّ مَا
نُهِوا عَنْهُ، فَيَكُونُ مِنَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ. وَهَذَا مِنْ تَزَكِيَةِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ،

ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال.

وهذا مأخذ عامة السلف الذين كانوا يستثنون^(١)، وإن جؤزوا ترك ٢٠٧ الاستثناء، بمعنى آخر، كما سنذكره إن شاء الله تعالى. ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. وقال ﷺ حين وقف على المقابر: «وإنما إن شاء الله بكم لأحشون»^(٢). وقال أيضاً: «إنني لأرجو أن أكون أخشاكم لله»^(٣) ونظائر هذا.

وأما من يحرمه، فكل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أنا أعلم أنني مؤمن، كما أعلم أنني تكلمت بالشهادتين، فقولي: أنا مؤمن، كقولي: أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه، فهو شاك فيه، وسَمَوْا الذين يستثنون في إيمانهم الشكاً، وأجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، بأنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول، فلا شك فيه. وقيل: لتدخلن جميعكم أو بعضكم، لأنه علم أن بعضهم يموت.

(١) انظر: «الفتاوى» ٤٢٩/٧ - ٤٦٠.

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٤٩)، وأبو داود (٣٢٣٧)، وابن ماجه (٤٣٠٦)، وأحمد ٣٠٠/٢ و ٣٧٥ و ٤٠٨، والنسائي ٩٤/١ - ٩٥، ومالك ٢٨/١ - ٣٠، والبخاري (١٥١) من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن عائشة عند مسلم (٩٧٤)، وابن ماجه (١٥٤٦)، والنسائي ٩٣/٤ - ٩٤، وأحمد ٧١/٦ و ٧٦ و ١١١ و ١٨٠ و ٢٢١، والبخاري (١٥٥٦)، وعن بريدة عند أحمد ٣٥٣/٤٥ و ٣٦٠، ومسلم (٩٧٥)، والنسائي ٩٤/٤، وابن ماجه (١٥٤٧)، والبخاري (١٥٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (١١١٠)، وأبو داود (٢٣٨٩)، ومالك ٢٨٩/١، وأحمد ٦٧/٦ و ١٥٦ و ٢٤٥، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣٨١/١٢ من حديث عائشة بلفظ: «والله إنني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي»، ولمسلم (١١٠٨) من حديث أم سلمة بلفظ: «أما والله إنني لأتقاكم وأخشاكم له»، وأخرج البخاري (٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك في قصة الرهط الثلاثة الذين سألوا عن عبادة رسول الله ﷺ وتقالوها... وفيه: «أما والله إنني أخشاكم لله، وأتقاكم له».

وفي كلا الجوابين نظر، فإنهم وقعوا فيما قرّوا منه، فأما الأمن والخوف، فقد أخبر أنهم يدخلون آمنين، مع علمه بذلك، فلا شك في الدخول، ولا في الأمن، ولا في دخول الجميع أو البعض، فإن الله قد عَلِمَ مَنْ يَدْخُلُ، فلا شك فيه أيضاً، فكان قول: إن شاء الله هنا تحقيقاً للدخول، كما يقول الرجل فيما عزم على أن يفعله لا مَحَالَة: والله لأفعلن كذا إن شاء الله، لا يقولها لِسْكَ في إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يَحْتُكُ الحَالِفُ في مثل هذه اليمين لأنه لا يجزم بحصول مراده.

وأجيب بجواب آخر لا بأس به، وهو: أنه قال ذلك تعليماً لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن مستقبل. وفي كون هذا المعنى مراداً من النص نظر، فإنه ما سيق الكلام له إلا أن يكون مراداً من إشارة النص^(١).

وأجاب الزمخشري^(٢) بجوابين آخرين باطلين، وهما: أن يكون المَلَكُ قد قاله، فأثبت قرآنًا! أو أن الرسول قاله^(٣)!!

وأما من يُجَوِّز الاستثناء وتركه^(٤)، فهم أسعدُ بالدليل من الفريقين،

(١) إشارة النص: هو ما يدل عليه اللفظ بغير عبارته، ولكنه يجيء نتيجة لهذه العبارة، فهو يفهم من الكلام، ولكن لا يستفاد من العبارة ذاتها، وقد مثلوا له بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فإن هذا النص أفاد بعبارته أن نفقة المولود على والده، وأفاد بإشارته أن الولد تابع لأبيه منسوب إليه. وفي إدراك إشارة النص تفاوت العقول والأفهام، فلا يتصدى له إلا الذكي المتمكن في الفقه وأصوله، والعليم بأسرار العربية. وهو عند الحنفية أحد دلالات النص الأربعة: عبارة النص، دلالة النص، إشارة النص، مقتضى النص. انظر «تيسير التحرير» ١/ ٨٦ - ٩١.

(٢) «الكشاف» ٣/ ٥٩٤.

(٣) في (ج) و (د) زيادة ونصها: «فعند هذا المسكين يكون من القرآن ما هو غير كلام الله، فيدخل في وعيد من قال: (إن هذا إلا قول البشر) نسأل الله العافية، وهي مثبتة في (أ) إلا أن الناسخ قد أثبت كلمة: «لا» فوق أول كلمة منها، وكلمة: «إلى» في آخر كلمة منها، وهذا الرمز يعنون به: أن ما بين لا وإلى يحذف، لأنه ليس من الكتاب.

(٤) في هامش (أ) و (ب) زيادة وهي: «باعتبار شيء» وقد أثبت فوقها (ظ).

وَحَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا: فَإِنْ أَرَادَ الْمُسْتَشْنِي الشُّكَّ فِي أَصْلِ إِيْمَانِهِ مُنِعَ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ، وَهَذَا مِمَّا لَا خِلَافَ فِيهِ، وَإِنْ أَرَادَ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۖ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۖ﴾ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۖ﴾ (٤) [الأنفال: ٢-٤]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۖ﴾ (٥) [الحجرات: ١٥]. فَالْإِسْتِثْنَاءُ حِينَئِذٍ جَائِزٌ، وَكَذَلِكَ مَنْ اسْتَشْنَى وَأَرَادَ عَدَمَ عِلْمِهِ بِالْعَاقِبَةِ، وَكَذَلِكَ مَنْ اسْتَشْنَى تَعْلِيْقًا لِلْأَمْرِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، لَا شُكًّا فِي إِيْمَانِهِ، وَهَذَا الْقَوْلُ فِي الْقُوَّةِ كَمَا تَرَى.

قَوْلُهُ: «وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الشَّرْعِ وَالْبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ».

يُشِيرُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ إِلَى الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْطَلَةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَالرَّافِضَةِ، الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْأَخْبَارَ قِسْمَانِ: مُتَوَاتِرٌ وَآحَادٌ، فَالْمُتَوَاتِرُ - وَإِنْ كَانَ قِطْعِي السَّنَدِ - لَكِنَّهُ غَيْرُ قِطْعِي الدَّلَالَةِ، فَإِنَّ الْأَدْلَةَ اللَّفْظِيَّةَ (١) لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ!! وَبِهَذَا قَدَحُوا فِي دِلَالَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الصِّفَاتِ! قَالُوا: وَالْآحَادُ لَا تُفِيدُ الْعِلْمَ، وَلَا يُخْتَجُّ بِهَا مِنْ جِهَةٍ طَرِيقَهَا، وَلَا مِنْ جِهَةٍ مَتْنَهَا! فَسَدُّوا عَلَى الْقُلُوبِ مَعْرِفَةَ الرَّبِّ تَعَالَى وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ مِنْ جِهَةِ الرَّسُولِ، وَأَحَالُوا النَّاسَ عَلَى قَضَايَا وَهْمِيَّةٍ، وَمَقْدَمَاتٍ خَيَالِيَّةٍ (٢)، سَمَوْهَا قَوَاطِعَ عَقْلِيَّةٍ، وَبَرَاهِينَ يَقِينِيَّةً!! وَهِيَ فِي التَّحْقِيقِ ﴿كَرَابٍ﴾ (٣) بِقِيَعِهِ يَحْسَبُهُ الظَّلْمَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ يُقِينِيَّةً!! وَهِيَ فِي التَّحْقِيقِ ﴿كَرَابٍ﴾ (٣) بِقِيَعِهِ يَحْسَبُهُ الظَّلْمَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ

(١) فِي (ب): الدَّلَالَةُ الْقِطْعِيَّةُ، وَهُوَ خَطَأٌ.

(٢) تَحَرَّفَتْ فِي (ب) إِلَى: خَالِيَّةٌ.

(٣) السَّرَابُ: مَا يَرَى فِي الْفَلَاةِ الْمُنْبَسِطَةِ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَقَدْ ظَهَرَتْ، يَسْرِبُ عَلَى الْأَرْضِ كَأَنَّهُ مَاءٌ يَجْرِي، وَالْقِيَعَةُ وَالْقَاعُ وَاحِدٌ: وَهُوَ الْمُنْبَسِطُ مِنَ الْأَرْضِ الَّذِي لَا جِبَلُ فِيهِ وَلَا وَادٍ. وَاللَّجِي: الْعَمِيقُ، مَنْسُوبٌ إِلَى لَجَةِ الْبَحْرِ، وَهُوَ مَعْظَمُهُ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَثَلَانِ ضَرَبَهُمَا اللَّهُ لِلْكَفَّارِ: شَبَهَ مَا يَعْمَلُهُ مَنْ لَا يَعْتَقِدُ الْإِيْمَانَ وَلَا يَتَّبِعُ =

لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَرَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوَفَّيْنَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ أَوْ كَظَلُمْتُمْ فِي
بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلُمْتُمْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا
أَخْرَجَ يَدَكُمْ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ [النور:
٣٩ - ٤٠].

ومن العجب أنهم قدّموها على نُصوصِ الوحي، وعزلوا لأجلها
النُصوص، فأقفرَت قُلُوبُهُم من الاهتداء بالنصوص، ولم يظفروا بقضايا
العُقُولِ الصحيحة المؤيَّدة بالفِطْرةِ السليمة والنصوصِ النبوية، ولو حَكَّمُوا
نُصوصَ الوحي، لَفَازُوا بالمعقُولِ الصحيح، الموافق للفِطْرةِ السليمة.

بل كُلُّ فريقٍ من أربابِ البِدْعِ يَغْرِضُ النُصوصَ على بدعته، وما ظَنُّه
معقولاً: فما وافقه قال: إنه مُحَكَّمٌ، وقَبْلَهُ، واحتِجَّ به!! وما خالفه قال: إنه
متشابه، ثم رَدَّه، وسَمَّى رَدَّه تفويضاً! أو حَرْفَهُ، وسَمَّى تحريفَهُ تأويلًا!!
فلذلك اشتد إنكارُ أهلِ السنة عليهم.

أهل السنة لا
يعدلون عن
النص الصحيح

وطَرِيقُ أهلِ السنة: أن لا يَغْدِلُوا عن النُصِّ الصحيح، ولا يُعارضُوا
بمعقُولٍ، ولا قولِ فلانٍ، كما أشارَ إليه الشُّنُخُ، وكما قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:
سَمِعْتُ الحَمِيدِيَّ يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَجُلٌ، فَاتَاهُ رَجُلٌ، فَسَأَلَهُ عَنِ
مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: قُضِيَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَجُلٌ لِلشَّافِعِيِّ: مَا
تَقُولُ أَنْتَ؟! فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! تَرَانِي فِي كَنِيسَةٍ! تَرَانِي فِي بَيْعَةٍ! تَرَى عَلَى

= الحق من الأعمال الصالحة التي يظن أنها تنفعه وتنجيه من عذاب الله، ثم يخيب
في أمله ويلقى خلاف ما قدّر بسرّاب في منبسط من الأرض يظنه الظمآن ماء، فيأتيه
ليروي من ظمئه، فلا يجد ما أمله ورجاه، فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل
عملاً، وأنه قد حصل شيئاً، فإذا وافى الله يوم القيامة، وحاسبه عليه، ونوقش على
أفعاله، لم يجد له شيئاً بالكلية قد قُبِلَ، لأن الكفر بشرِعة الله يمحَق كل عمل،
وإن كان من باب الخير والإحسان: ﴿وقدّمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً
منثوراً﴾ و ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾...
وشبهها ثانياً في ظلمتها وسوادها، لكونها باطلة خالية عن نور الإيمان بظلمات
متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب. وانظر «اجتماع الجيوش الإسلامية»
ص ١٤ - ٢٠ لابن القيم.

وسطي زناً؟! أقول لك: قضى رسول الله ﷺ، وأنت تقول: ما تقول أنت؟!

ونظائر ذلك في كلام السلف كثير.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وخبّر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به^(٢) وتصديقاً له: يُفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة^(٣)، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع، كخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنما الأعمال بالنيات»^(٤)، وخبر ابن عمر رضي الله عنهما: «نَهَى عَنْ بَيْعِ الْوَلَاءِ وَهَيْبَتِهِ»^(٥)، وخبر أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلَا عَلَى خَالَئِهَا»^(٦) وكقوله: «يُخْرَمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَخْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»^(٧)، وأمثال

٢٠٩
خبر الواحد إذا
تلقته الأمة
بالقبول يفيد
العلم اليقيني

(١) الخبر في «حلية الأولياء» ١٠٦/٩، و«تاريخ ابن عساكر» ٢/١٠/١٥، و«مناقب الشافعي» للبيهقي ٤٧٤/١، و«توالي التأسيس» ص ٦٣، و«مفتاح الجنة» ١٥٤.

(٢) في (ب): بقوله.

(٣) انظر: بسط هذه المسألة في «مختصر الصواعق المرسلّة» ٣٧٢/٢ - ٤٣٣.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٨٥.

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٣٥) و (٦٧٥٦)، ومسلم (١٥٠٦)، وأبو داود (٢٩١٩)، والترمذي (١٢٣٦)، وابن ماجه (٢٧٤٧)، ومالك (٧٨٢/٢)، والدارمي (٣٩٨/٢)، والنسائي (٣٠٦/٧)، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٤٤٩/٥ و ٤٥٥، وأحمد ٩/٢ و ٧٩ و ١٠٧، والحميدي (٦٣٩)، وابن الجارود (٩٧٨)، والبعثي (٢٢٢٦).

(٦) أخرجه البخاري (٥١٠٩) و (٥١١٠)، ومسلم (١٤٠٨)، ومالك (٥٣٢/٢)، وأبو داود (٢٠٦٥)، والترمذي (١١٢٦)، وابن ماجه (١٩٢٩)، والنسائي (٩٦/٦ و ٩٧)، وأحمد ٢٢٩/٢ و ٤٢٣ و ٤٢٦ و ٤٣٢ و ٤٧٤ و ٤٨٩ و ٥٠٨ و ٥١٦، والبعثي (٢٢٧٧)، وابن الجارود (٦٨٥)، والبيهقي (١٦٥/٧ و ١٦٦ من حديث أبي هريرة).

(٧) سقطت «من» (أ) و (ج) و (د).

(٨) أخرجه بهذا اللفظ البخاري (٢٦٤٥) و (٥١٠٠)، وابن ماجه (١٩٣٨)، وأحمد ١/٢٧٥ و ٣٣٩، والنسائي (١٠٠/٦)، وابن أبي شيبه (٢٨٧/٤ و ٢٨٩)، والطبراني في «الكبير» (١١٩٦٨) و (١٢٣٩٧) و (١٢٨٢١) و (١٢٨٢٢). وأخرجه مسلم =

ذلك، وهو نظير خبر الذي أتى مسجد قباء، وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة، فاستداروا إليها^(١).

وكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُزِيلُ رُسْلَهُ أَحَادًا، وَيُزِيلُ كِتَابَهُ مَعَ الْآحَادِ، وَلَمْ يَكُنِ الْمُرْسَلُ إِلَيْهِمْ يَقُولُونَ: لَا نَقْبَلُهُ، لِأَنَّهُ خَبَرٌ وَاحِدٌ! وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]. فَلَا بُدَّ أَنْ يَحْفَظَ اللَّهُ حُجْجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ عَلَى خَلْقِهِ، لئَلَّا تَبْطُلَ حُجْجُهُ وَبَيِّنَاتُهُ.

ولهذا فضح الله مَنْ كَذَبَ عَلَى رَسُولِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، وَبَيَّنَّ حَالَهُ لِلنَّاسِ، قَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيِينَةَ: مَا سَتَرَ اللَّهُ أَحَدًا يَكْذِبُ فِي الْحَدِيثِ. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: لَوْ هَمَّ رَجُلٌ فِي السَّحَرِ^(٢) أَنْ يَكْذِبَ فِي الْحَدِيثِ، لِأَصْبَحَ وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: فَلَانُ كَذَابٌ.

وخبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب، ولكن التفريق بين صحيح الأخبار وسقيمها لا يتأله أحد إلا بعد أن يكون مُعْظَمُ أوقاته مشغولاً بالحدِيثِ، والبحثِ عن سيرة الرواة، ليقف على أحوالهم وأقوالهم، وشِدَّةِ

= (١٤٤٧) بلفظ: «ويحرم من الرضاعة ما يحرم من الرحم» من حديث ابن عباس. وأخرجه البخاري (٢٦٤٦) و (٣١٠٥) و (٥٠٩٩)، ومسلم (١٤٤٤)، وأبو داود (٢٠٥٥)، والترمذي (١١٤٧)، والدارمي (١٥٦/٢)، ومالك (٦٠١/٢)، والنسائي (٢٢٧٩)، وأحمد (٥١/٦) و ٦٦ و ٧٢ و ١٠٢ و ١٧٨، والبغوي (٢٢٧٨) و (٢٢٧٩) من حديث عائشة بلفظ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة». ورواه من حديث علي الترمذي (١١٤٦)، والشافعي (٢٤٠/٢ - ٢٤١)، والبغوي (٢٢٨١).

(١) أخرجه البخاري (٤٠٣) و (٤٤٨٨) و (٤٤٩٠) و (٤٤٩١) و (٤٤٩٣) و (٤٤٩٤) و (٧٢٥١)، ومسلم (٥٢٦)، ومالك (١٩٥/١)، والشافعي في «الرسالة» فقرة (٣٦)، وأحمد (١٦/٢ و ١١٣)، والنسائي (٦١/٢)، والدارمي (٢٨١/١)، والبغوي (٤٤٥)، والبيهقي (٢/٢) كلهم من حديث ابن عمر قال: «بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاءهم آت، فقال: إن النبي ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام، فاستداروا إلى الكعبة».

(٢) تحرفت في (ب) إلى: السجن.

حذرهم من الطغيان والزَّلَل، وكانوا بحيث لو قُتِلوا لم يُسامحوا أحداً في كلمة يَتَقَوْلُهَا على رسول الله ﷺ، ولا فَعَلُوا هم بأنفسهم ذلك. وقد نقلوا هذا الدِّينَ إلينا كما نُقِلَ إليهم، فَهُمْ يَزُكُّ الإسلام^(١) وعِصَابَةُ الإيمان، وهم نُقَادُ الأخبارِ، وصِيَارِفَةُ الأحاديث، فإذا وقف المرءُ على هذا من شأنهم، وَعَرَفَ حالهم، وَخَبَرَ صِدْقَهُم وورعهم وأمانتهم، ظهر له العِلْمُ فيما نقلوه وروَّوه.

وَمَنْ له عَقْلٌ ومعرفةٌ يَعْلَمُ أن أهلَ الحديثِ لهم مِنَ العلمِ بأحوالِ نبيهم وسيرته وأخباره ما لَيْسَ لِغيرهم به شعور، فضلاً أن يكونَ معلوماً لهم أو مظنوناً، كما أنَّ الثُّحَاءَ عندهم من أخبارِ سيبويه والخليل وأقوالهما ما ليس عِنْدَ غيرهم، وعندَ الأطباءِ مِن كلامِ بقراط وجالينوس ما ليس عند غيرهم، وكلُّ ذي صَنْعَةٍ هو أَخْبَرُ بها من غيره، فلو سَأَلْتَ البَقَالَ عن أمرِ العِطْرِ، أو العَطَارَ عن البَرِّ، ونحو ذلك!! لعد ذلك جهلاً كثيراً^(٢).

ولكن الثَّقَاةُ قد جعلوا قَوْلَهُ تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]: مستنداً لهم في ردِّ الأحاديث الصحيحة، فكلما جاءهم حَدِيثٌ يُخَالِفُ قَوَاعِيدهم وآراءهم، وما وضعت خواطِرُهُم وأفكارُهُم، ردوه بِ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، تلبساً منهم وتدليساً على مَنْ هو أعمى قلباً منهم، وتحريفاً لمعنى الآية عن مواضعه.

ففهموا مِنْ أخبارِ الصفات ما لم يُرِدهُ الله ولا رسوله، ولا فَهَمَهُ أَحَدٌ من أئمة الإسلام، أنه يقتضي إثباتها التَّمثِيلَ بما للمخلوقين! ثم استدلُّوا على بُطْلَانِ ذلك بِ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ تحريفاً للنصين!! ويُصَنِّفُونَ الكُتُبَ، ويقولون: هذا أصولُ دين الإسلام الذي أمر الله به، وجاء من عنده، ويقرؤون كثيراً مِنَ القرآنِ وَيُفَوِّضُونَ معناه إلى الله تعالى من غير تدبُّرٍ لمعناه الذي بَيَّنَّهُ الرُّسُولُ، وأخبر أنه معناه الذي أراده الله.

(١) «يزك» بالياء والزاي: طلائع الجيش، والكلمة فارسية.

(٢) في مطبوعة مكة: كبيراً.

وقد ذمَّ الله تعالى أهلَ الكتابِ الأول على هذه الصفات الثلاث، وقصَّ علينا ذلك من خبرهم لتغْتَبِرَ ونَنْزَجِرَ عن مثلِ طريقتهم، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُنَظَّمُوا أَنْ يُؤْمِنُوا بِكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، إلى أن قال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]. والأماشي: التلاوة المجردة^(١)، ثم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]. فذمهم على نسبة ما كتبوه إلى الله، وعلى اكتسابهم بذلك، فكلا الوصفين ذميم: أن ينسب إلى الله ما ليس من عنده، وأن يأخذ بذلك عوضاً من الدنيا مالا أو رياسة، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل في القول والعمل، بمنه وكرمه.

ويشير الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: «من الشرع والبيان» إلى أن ما صح عن النبي ﷺ نوعان: شرع ابتدائي، وبيان لما شرعه الله تعالى في كتابه العزيز، وجميع ذلك حق واجب الاتباع.

السنة نوعان
شرع ابتدائي
وبيان لما
شرعه الله في
كتابه

وقوله: «وأهله في أصله سواء»، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى» وفي بعض النسخ: بالخشية والتقى بدل قوله: «بالحقيقة» ففي العبارة الأولى يُشير إلى أن الكل مشتركون في أصل التصديق، ولكن التصديق يكون بغضه أقوى من بعض وأثبت، كما تقدم

(١) والمعنى: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعون يلقى عليهم، وهذا قول الكسائي والزجاج، وقال قتادة: ﴿إلا أمانى﴾ أي: يتمنون على الله ما ليس لهم، وقال ابن عباس: إلا أمانى: يريد إلا قولاً يقولونه بأفواههم كذباً، وهذا قول مجاهد وابن جرير الطبري، واختيار الفراء أن بعض العرب قال لابن دأب وهو يحدث: أهذا شيء رويته أم شيء تمنيته؟ يريد افتعلته، ومنه قول عثمان: «ما تمنيت ولا تمنيت» يعني بقوله: «ما تمنيت»: ما تخرصت الباطل، ولا اختلفت الكذب والإفك. انظر «جامع البيان» ٢/٢٥٩ - ٢٦٣، و«زاد المسير» ١/١٠٥ - ١٠٦.

تنظيره بقوة البصر وضعفه. وفي العبارة الأخرى يشير إلى أن التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق، فلا تفاوت فيه، والمعنى الأول أظهر قوة، والله أعلم بالصواب.

قوله: «وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ».

ش: قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٧٣﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٣].
 الولي: من الولاية بفتح الواو، التي هي ضد العداوة، وقد قرأ حمزة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، بكسر الواو، والباقون بفتحها^(١)، ف قيل: هما لغتان. وقيل: بالفتح النصرة، وبالكسر الإمارة، قال الزجاج^(٢): وجاز الكسر، لأن من تولي بعض القوم بعضاً جنساً^(٣) من الصناعة والعمل، وكل ما كان كذلك مكسوراً، مثل: الخياطة ونحوها.

فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (١١) [محمد: ١١] والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، الآية [التوبة: ٧١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ

(١) انظر: «زاد المسير» ٣/ ٣٨٥، و «حجة القراءات» ص ٣١٤.

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن محمد بن السري، الزجاج، البغدادي، صاحب التأليف الجملة في معاني القرآن وغيره، المتوفى سنة ٣١١ هـ. مترجم في «السير» ١٤ / رقم الترجمة (٢٠٩).

(٣) في (أ) و (ب): جنس.

فهذه النصوص كُلُّهَا ثَبَّتَ فِيهَا مَوَالِيَهُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَأَتَاهُمْ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ وَلِيُّهُمْ وَمَوْلَاهُمْ، فَاللَّهُ يَتَوَلَّى عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ، وَيَرْضَى عَنْهُمْ وَيَرْضَوْنَ عَنْهُ، وَمَنْ عَادَى لَهُ وَلِيًّا، فَقَدْ بَارَزَهُ
بِالْمَحَارَبَةِ، وَهَذِهِ الْوَلَايَةُ مِنْ رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ، لَيْسَتْ كَوَلَايَةِ الْمَخْلُوقِ
لِلْمَخْلُوقِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ
لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].
فَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ، بَلِ اللَّهُ الْعِزَّةُ جَمِيعًا، خِلَافَ
الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَتَوَلَّاهُ لَذَلِّهِ وَحَاجَتِهِ إِلَى وَلِيِّ يَنْصُرُهُ.

تفسير معنى
الولاية

وَالْوَلَايَةُ أَيْضًا نَظِيرُ الْإِيمَانِ، فَيَكُونُ مَرَادُ الشَّيْخِ: أَنَّ أَهْلَهَا فِي أَصْلِهَا
سَوَاءٌ، وَتَكُونُ كَامِلَةً وَنَاقِصَةً، فَالْكَامِلَةُ تَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الذِّبْرِ ٦٢ - ٦٤] يُونُسُ:
﴿أَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [الذِّبْرِ ٦٢] لَهُمُ الْبَشَرِيُّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٦٦﴾
[يُونُسُ: ٦٢ - ٦٤] فَالَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٦﴾، مَنْصُوبٌ عَلَى
أَنَّهُ صِفَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، أَوْ بَدَلُ مِنْهُ، أَوْ بِإِضْمَارِ «أَمَدُحٍ»، أَوْ مَرْفُوعٍ بِإِضْمَارِ
«هُمْ»، أَوْ خَبَرِ ثَانٍ لـ «إِنْ» وَأَجِيزٌ فِيهِ الْجَرُّ، بَدَلًا مِنْ ضَمِيرِ «عَلَيْهِمْ».

وَعَلَى هَذِهِ الْوُجُوهِ كُلُّهَا، فَالْوَلَايَةُ لِمَنْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ، وَهُوَ أَهْلُ الْوَعْدِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ مُوَافَقَةِ
الْوَلِيِّ الْحَمِيدِ فِي مُحَابَّاهُ وَمَسَاحَطَتِهِ، لَيْسَتْ بِكُثْرَةِ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَا
تَمَرُّقٍ^(١) وَلَا رِيَاضَةٍ، وَقِيلَ: الَّذِينَ آمَنُوا مَبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ: ﴿لَهُمُ الْبَشَرِيُّ﴾ وَهُوَ
بَعِيدٌ، لِقَطْعِ الْجُمْلَةِ عَمَّا قَبْلَهَا، وَانْتِشَارِ نَظْمِ الْآيَةِ.

٢١٢

وَيَجْتَمِعُ فِي الْمُؤْمِنِ وَلَايَةُ مِنْ وَجْهِ، وَعَدَاوَةٌ مِنْ وَجْهِ، كَمَا قَدْ يَكُونُ
فِيهِ كُفْرٌ وَإِيمَانٌ، وَشِرْكٌ وَتَوْحِيدٌ، وَتَقْوَى وَفُجُورٌ، وَنِفَاقٌ وَإِيمَانٌ. وَإِنْ كَانَ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَفِي مَطْبُوعَةِ مَكَّةَ: «تَمَلُّقٌ».

في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة، ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم في الإيمان، ولكن موافقة الشارع في اللفظ والمعنى أولى من موافقته في المعنى وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، الآية. وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين. وقال ﷺ: «أَزْبَعَ مَنْ كُنَّ فِيهِ، كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُمْ، كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا حَدَّثَ، كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ، غَدَرَ، وَإِذَا وَعَدَ، أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ، فَجَرَ»^(١). وفي رواية: «وَإِذَا اثْتَمَنَ، خَانَ» بدل: «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ». أخرجه في «الصحيحين». وحديث: شُعب الإيمان تقدم^(٢). وقوله ﷺ: «يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(٣).

فَعَلِمَ أَنْ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْإِيْمَانِ أَقْلُ الْقَلِيلِ لَمْ يَخْلُذْ فِي النَّارِ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ كَثِيرٌ مِنَ النِّفَاقِ، فَهُوَ يُعَذَّبُ فِي النَّارِ عَلَى قَدَرِ مَا مَعَهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ.

فَالطَّاعَاتُ مِنْ شُعْبِ الْإِيْمَانِ، وَالْمَعَاصِي مِنْ شُعْبِ الْكُفْرِ، وَإِنْ كَانَ رَأْسُ شُعْبِ الْكُفْرِ الْجُحُودَ، وَرَأْسُ شُعْبِ الْإِيْمَانِ التَّصَدِيقَ.

وَأَمَّا مَا يُرَوَّى مَرْفُوعاً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ جَمَاعَةٍ اجْتَمَعَتْ إِلَّا وَفِيهِمْ وَلِيُّ لِلَّهِ»^(٤) لَا هُمْ يَذْرُؤُونَ بِهِ، وَلَا هُوَ يَذْرِيْ بِنَفْسِهِ، فَلَا أَصْلَ لَهُ، وَهُوَ كَلَامٌ بَاطِلٌ، فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ قَدْ يَكُونُونَ كُفَرَاءً، وَقَدْ يَكُونُونَ فَسَاقًا يَمُوتُونَ^(٥) عَلَى الْفُسْقِ.

(١) تقدم تخريجه ص ٤٤٠ تعليق (٢).

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٧٥ تعليق (١).

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٩٣ تعليق (٢).

(٤) ذكره شيخ الإسلام في «الفتاوى» ٦٠/١١، وقال: هو من الأكاذيب ليس في شيء من دواوين الإسلام.

(٥) في (ب): قائمون.

وأما أولياء الله الكاملون، فهم الموصوفون في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، الآية: [يونس: ٦٢ - ٦٤].

والتقوى: هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾، إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وهم قسمان: مقتصدون، ومقربون^(١)، فالمقتصدون: الذين يتقربون
إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح، والسابقون: الذين يتقربون
إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، كما في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة
رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ
بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ آدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا
يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي
يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي
بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي، لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ
أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ
مَسَاءَتَهُ»^(٢).

والولي: خلاف العدو^(٣)، وهو مشتق من الولي^(٤)، وهو الدنو
والتقرب^(٥)، فولي الله: هو من وإلى الله بموافقته في محبوباته، والتقرب إليه
بمرضاته، وهؤلاء كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

(١) انظر: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص ٢٢ - ٣٣.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، وأبو نعيم ٤/١، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٦٩٠) والبخاري (١٢٤٨). وانظر شرح الحديث فيه.

(٣) في (ب): والولي من العدو، وهو تحريف.

(٤) في الأصول: الولاء، وهو تحريف.

(٥) ومنه: «كل مما يَلِيكَ» أي: مما يقاربك، وقال الهذلي:

هَجَرْتُ غَضُوبٌ وَحُبٌّ مَنْ يَتَجَنَّبُ وَعَدْتُ عَوَادٍ دُونَ وَلِيِّكَ تَشَعَّبُ

مُخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» [الطلاق: ٢ - ٣] قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية، قال النبي ﷺ: يا أبا ذرٍّ، لَوْ عَمِلَ النَّاسُ بِهَذِهِ الْآيَةِ لَكَفَّفْتُهُمْ^(١). فَاَلْمَتُّونَ يجعل الله لهم مخرجاً مما ضاق على الناس، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ، فَيَذْفَعُ اللهُ عَنْهُمْ الْمَضَارَّ، وَيَجْلِبُ لَهُمُ الْمَنَافِعَ، وَيُعْطِيهِمُ اللهُ أَشْيَاءَ يَطُولُ شَرْحُهَا مِنَ الْمَكَاشِفَاتِ وَالتَّأْثِيرَاتِ.

قوله: «وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتَّبَعُهُمْ لِلْقُرْآنِ».

ش: أي: أكرم المؤمنين هو الأطوع لله، والأتبع للقرآن، وهو الأتقى،
عند الله
والأتقى هو الأكرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. وفي «السنن» عن النبي ﷺ أنه قال: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لَأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لَأَسْوَدَ عَلَى أَبْيَضَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»^(٢). وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر، وترجيح أحدهما على الآخر، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة في نفسها، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان، لا بفقر ولا غنى، ولهذا - والله أعلم - قال عمر رضي الله عنه: الغنى والفقر مطيَّتان، لا أبا لي إيهما ركبت. والفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٠)، والحاكم ٤٩٢/٢، والدارمي ٣٠٣/٢، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٦٥/٩، وفي سنده انقطاع بين أبي السليل وأبي ذرٍّ، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» ٤١١/٥ من حديث إسماعيل ابن علية، عن سعيد الجريري، عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام التشريق، فقال: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى...» ورجاله ثقات، وإسناده صحيح، فإن ابن علية روى عن سعيد الجريري قبل الاختلاط. ولم يخرج أحد من أصحاب السنن فيما أعلم.

رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾^(١) الآية [الفجر: ١٥]، فإن استوى
 الفقير الصابر والغني الشاكر في التقوى، استويا في الدرجة، وإن فضل
 أحدهما فيها، فهو الأفضل عند الله، فإن الفقر والغنى لا يوزنان، وإنما يوزن
 الصبر والشكر.

ومنهم من أحال المسألة من وجه آخر: هو أن الإيمان ينصف صبر،
 وينصف شكر، فكل منهما لا بُدَّ له من صبر وشكر، وإنما أخذ الناس فرعاً
 من الصبر، وفرعاً من الشكر، وأخذوا في الترجيح، فجردوا غنياً منفقاً
 متصدقاً باذلاً ماله في وجوه القرب شاكراً لله عليه، وفقيراً متفرغاً لبطاعة الله،
 ولأوراد العبادات، صابراً على فقره، وحينئذ يُقال: إن أكملهما أطوعهما
 وأتبعهما، فإن تساوى، تساوت درجتُهما، والله أعلم. ولو صحَّ التجريد،
 لصحَّ أن يُقال: أيُّما أفضلُ معافى شاكر، أو مريض صابر، ومطاع شاكر، أو
 مهان صابر، وآمن شاكر، أو^(٢) خائف صابر؟ ونحو ذلك^(٣).

٢١٤

قوله: «والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم
 الآخر، والقدر، خيره وشره، وحلوه»^(٤) ومُرَّه من الله تعالى.

أركان الإيمان

ش: تقدم أن هذه الخصال هي أصول الدين، وبها أجاب النبي ﷺ
 في حديث جبريل المشهور المتفق على صحته، حين جاء إلى النبي ﷺ على

(١) في البدور الزاهرة ص ٣٤٢: وأثبت الياء في «أكرمني» و «أهانني» وصلاً للمدنيان،
 وفي الحالين: البزي ويعقوب، وأما أبو عمرو فحذفها في الوقف قولاً واحداً، وأما
 في الوصل، فروي عنه إثباتها، وروي عنه حذفها، وهو الأشهر، وإن كان الوجهان
 عنه صحيحين، والباقون بحذفها مطلقاً. وانظر «الكشف» ٣٧٤/٢، و «حجة
 القراءات» ص ٦٦٤، و «زاد المسير» ١١٩/٩، و «تفسير القرطبي» ٥١/٢٠ - ٥٢،
 و «النشر» ٤٠٠/٢.

(٢) في (ب): و.

(٣) انظر: التفصيل في هذه المسألة في: «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» ص ٢٠٩ -
 ٣١٣.

وفتاوى شيخ الإسلام. ٢٢/١١ - ٢٤ و ١١٩ - ١٣٠.

(٤) في (ب): «حلوه» بلا وار.

صورة رجل أعرابي، وسأله عن الإسلام، فقال: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». وسأله عن الإيمان، فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، وسأله عن الإحسان، فقال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١). وقد ثبت في «الصحيح» عنه ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ تَارَةً بِسُورَتِي الْإِخْلَاصِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ﴿وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٢)، وتارة بآيتي الإيمان والإسلام: التي في سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾، الآية [البقرة: ١٣٦]، والتي في آل عمران: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا كَلِمَةٌ وَسَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْآيَةُ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وفسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس، المتفق على صحته، حيث قال لهم: «آمَرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَخَدَّهْ، أَتَذَرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَخَدَّهْ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ»^(٣).

(١) تقدم تخريجه ص ٣٥٦ تعليق (١).

(٢) أخرجه مسلم (٧٢٦)، وأبو داود (١٢٥٦)، والنسائي ١٥٥/٢ - ١٥٦، والبيهقي ٤٢/٣، وابن ماجه (١١٤٨) من حديث أبي هريرة بلفظ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. وأخرجه الترمذي (٤١٧)، وابن ماجه (١١٤٩)، وأحمد ٩٤/٢ و ٩٥ و ٩٩، والنسائي ١٧٠/٢، وعبد الرزاق (٤٧٩٠)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٢٧) و (١٣٥٢٨)، والبخاري (٨٨٣)، والبيهقي في «السنن» ٤٣/٣ من حديث ابن عمر بلفظ: رَمَقَتِ النَّبِيَّ ﷺ شَهْرًا، فَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(٣) أخرجه مسلم (٧٢٧)، وأبو داود (١٢٥٩)، وأحمد ٢٣٠/١ و ٢٣١، والنسائي ١٥٥/٢، والبيهقي ٤٢/٣ من حديث ابن عباس قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتِي الْفَجْرِ: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ والتي في آل عمران: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٨٦ تعليق (٣).

ومعلوم أنه لم يُرَدَّ أنَّ^(١) هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بُدَّ من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وقد تقدم الكلام على هذا.

والكتاب والسنة مملوءان^(٢) بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، الآية: [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾، الآية: [الحجرات: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، نفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية: دلَّ على أن هذه الغاية فرض على الناس، فمن تركها، كان من أهل الوعيد، لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعده أهل الجنة بلا عذاب. ولا يقال: إن بين تفسير النبي ﷺ الإيمان في حديث جبريل وتفسيره إياه في حديث وفد عبد القيس معارضة، لأنه فسر الإيمان في حديث جبريل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام، كما أن الإحسان متضمن للإيمان الذي قدم تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد عبد القيس، لأنه فسره ابتداء، لم يتقدم قبله تفسير الإسلام، ولكن هذا الجواب لا يتأتى على ما ذكره الشيخ رحمه الله من تفسير الإيمان، فحديث وفد عبد القيس مشكك عليه.

ومما يُسأل عنه^(٣): أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر

لا يثبت حكم
الإيمان إلا
بالعمل مع
التصديق

٢١٥

(١) «أن» لم ترد في (أ) و (ب) و (ج) وهي في (د) ومطبوعة مكة.

(٢) في الأصول: «مملوء» وقد أثبت في (أ) فوقها «كذا»، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.

(٣) انظر السؤال وجوابه في «الفتاوى» ٣١٤/٧ - ٣١٦.

مِنَ الْخِصَالِ الْخَمْسِ الَّتِي أَجَابَ بِهَا^(١) النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الْمَذْكُورِ، فَلِمَ قَالَ: إِنَّ الْإِسْلَامَ هَذِهِ الْخِصَالُ الْخَمْسُ؟ وَقَدْ أَجَابَ بَعْضُ النَّاسِ بِأَنَّ هَذِهِ أَظْهَرُ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَأَعْظَمُهَا، وَبَقِيَامِهِ بِهَا يَتِمُّ اسْتِسْلَامُهُ، وَتَرْكُهَا يُشْعِرُ بِانْحِلَالِ قَيْدِ انْقِيَادهِ.

والتحقيق: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ الدِّينَ الَّذِي هُوَ اسْتِسْلَامُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ مطلقاً الَّذِي يَجِبُ لِلَّهِ عِبَادَةٌ مُحَضَّةٌ عَلَى الْأَعْيَانِ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَيْهِ، لِيَعْبُدَ اللَّهَ بِهَا^(٢) مخلصاً لِهَ الدِّينِ، وَهَذِهِ هِيَ الْخَمْسُ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ، فَإِنَّمَا يَجِبُ بِأَسْبَابٍ مَّصَالِحٍ، لَا يَعُمُّ وَجُوبُهَا جَمِيعَ النَّاسِ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ فَرَضًا عَلَى الْكِفَايَةِ، كَالْجِهَادِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَا يَتَّبَعُ ذَلِكَ مِنْ إِمَارَةٍ، وَحُكْمٍ، وَفُتْيَا، وَإِقْرَاءٍ، وَتَحْدِيثٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وإِذَا أَنْ يَجِبَ بِسَبَبِ حَقِّ الْآدَمِيِّينَ، فَيَخْتَصُّ بِهِ مَنْ وَجَبَ لَهُ وَعَلَيْهِ، وَقَدْ يَسْقُطُ بِإِسْقَاطِهِ، مِنْ قِضَاءِ الدِّيُونِ، وَرَدِّ الْأَمَانَاتِ وَالْمَغْصُوبِ، وَالْإِنْصَافِ مِنَ الْمَظَالِمِ مِنَ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ، وَحَقُوقِ الزَّوْجَةِ وَالْأَوْلَادِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَنَجْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى زَيْدٍ غَيْرِ الْوَاجِبِ عَلَى عَمْرٍو، بِخِلَافِ صَوْمِ رَمَضَانَ، وَحُجِّ الْبَيْتِ، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ وَإِنْ كَانَتْ حَقًّا مَالِيًّا، فَإِنَّهَا وَاجِبَةٌ لِلَّهِ، وَالْأَصْنَافُ الثَّمَانِيَةُ مَصَارِفُهَا، وَلِهَذَا وَجِبَتْ^(٣) فِيهَا النِّيَّةُ، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَفْعَلْهَا الْغَيْرُ عَنْهُ بِلَا إِذْنِهِ، وَلَمْ تُطْلَبْ مِنَ الْكُفَّارِ. وَحَقُوقُ الْعِبَادِ لَا يُشْتَرَطُ لَهَا النِّيَّةُ، وَلَوْ أَدَاها غَيْرُهُ عَنْهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ، وَيُطَالَبُ^(٤) بِهَا الْكُفَّارُ، وَمَا يَجِبُ حَقًّا لِلَّهِ تَعَالَى، كَالْكَفَّارَاتِ، وَهُوَ بِسَبَبِ مِنَ الْعَبْدِ، وَفِيهَا مَعْنَى

(١) «بِهَا» لَمْ تَرِدْ فِي الْأَصُولِ إِلَّا فِي (د) مُسْتَدْرَكَةٌ.

(٢) فِي (ب): لِيَعْبُدَ اللَّهَ مخلصاً، وَفِي (ج): لِيَعْبُدُوا اللَّهَ بِهَا مخلصاً.

(٣) فِي (ب): أَوْجِبَتْ.

(٤) فِي (ب): وَمَا يَطَالِبُ، وَفِي (ج): وَيَطْلُبُ.

العقوبة، ولهذا كان التكليف شرطاً في الزكاة، فلا تَجِبُ على الصغير^(١) والمجنون عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى، على ما عُرِفَ في موضعه.

الإيمان بالقدر
خيره وشره

وقوله: «وَالْقَدَرُ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، وَحُلُوهُ وَمُرُّهُ، مِنْ اللَّهِ تَعَالَى» تقدم قوله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: «وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»^(٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١] وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ سَيَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَرِحَ بِهَا وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَرِحَ بِهَا﴾ [النساء: ٧٨ - ٧٩].

فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وبين قوله: ﴿فَرِحَ بِهَا نَفْسُكَ﴾؟ قيل: قوله: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: الخِصْبُ والجَذْبُ، والنُّضْرُ والهزيمة، كُلُّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وقوله: ﴿فَرِحَ بِهَا نَفْسُكَ﴾ أي: ما أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنْ اللَّهِ، فبَذَنْبِ نَفْسِكَ عُقُوبَةً لَكَ، كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. يدل على ذلك ما رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَرِحَ بِهَا نَفْسُكَ﴾ [النساء: ٧٩]، «وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ»^(٣).

والمراد بالحسنة هنا: النعمة، وبالسَيِّئة: البلية، في أصح الأقوال، وقد

(١) في (ب): الصبي.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٥٦ تعليق (١).

(٣) في «الدر المنثور» ١٨٥/٢، وأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد أن ابن عباس كان يقرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ «وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ» قال مجاهد: وكذلك في قراءة أبي وابن مسعود. وأخرج ابن المنذر، وابن الأباري في «المصاحف» عن مجاهد، قال: هي قراءة أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ «وَأَنَا كَتَبْتُهَا عَلَيْكَ». وفي الطبري ٥٥٩/٨ من طريق سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح في قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ قال: بذنبك وأنا قدرتها عليك.

قيل: الحسنة: الطاعة، والسيئة: المعصية، وقيل: الحسنة: ما أصابه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أُحُد، والقَوْلُ الأول شامل لمعنى القولِ الثالث، والمعنى الثاني ليس مراداً دون الأول قطعاً، ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه، مع أن الجميع مُقَدَّر، فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل، والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، كما دلَّ على ذلك الكتاب والسنة^(١).

وليس للقدريَّة أن يحتجوا بقوله تعالى: ﴿فَنَفْسِكَ﴾، فإنهم يقولون: إن فعل العبد - حسنة كان أو سيئة - فهو منه لا من الله! والقرآن قد فَرَّق بينهما، وهم لا يُفَرِّقُونَ، ولأنه قال تعالى: ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾، فجعل الحسنات من عند الله، كما جعل السيئات من عند الله، وهم لا يقولون بذلك في الأعمال، بل في الجزاء. وقوله بعد هذا: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ و﴿مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ مثل قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ و﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾.

وفَرَّق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مُضَافَةٌ إلى الله، إذ هو أَحْسَنَ بها من كل وجه، فما من وجه من وجوها إلا هو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لِحِكْمَةٍ، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإنَّ الربَّ لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير.

لا يخلق الله
شراً محضاً

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح: «والخير كله بيدك، والشرُّ ليس إليك»^(٢). أي: فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه، ففيه

(١) انظر «الحسنة والسيئة» ١٧ - ٣٠ لشيخ الإسلام.

(٢) أخرجه مسلم (٧٧١)، وأبو داود (٧٦٠)، والترمذي (٣٤٢٢)، والنسائي ١٣٠/٢، والطيالسي (١٥٢)، وابن الجارود في «المنتقى» (١٧٩)، وأبو يعلى (٥٧٤) من حديث علي بن علقمة.

حِكْمَةً، هو باعتبارها خيراً، ولكن قد يكون فيه شَرٌّ لبعض الناس، فهذا شَرٌّ جزئي إضافي، فأما شَرٌّ كلي، أو شَرٌّ مطلق؛ فالربُّ سبحانه وتعالى مُنَزَّه عنه، وهذا هو الشَّرُّ الذي ليس إليه.

ولهذا لا يُضَافُ الشرُّ إليه مفرداً قطُّ، بل إما أن يَدْخُلَ في عموم المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]، وإما أن يُضَافَ إلى السبب، كقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خُلِقَ﴾ ﴿٢﴾ [الفلق: ٢]، وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا تَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾ [الجن: ١٠].^(١)

وليس إذا خلق ما يتأذى به بَعْضُ الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل لله من الرحمة والحكمة ما لا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ إلا الله تعالى، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة، يكون شراً كلياً عاماً، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيراً ومصلحة للعباد، كالمَطَرِ العام، وكإرسال رسول عام.

وهذا مما يقتضي أنه لا يجوز أن يؤيَّدَ كذاباً عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين، فإنَّ هذا شَرٌّ عامٌّ للناس يُضِلُّهُمْ، فَيُفْسِدُ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَدَنِيَاهُمْ وَأَخْرَاهُمْ.

وليس هذا كالمَلِكِ الظالم والعدو، فإن المَلِكَ الظالم لا بُدَّ أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظُلْمِهِ، وقد قيل: ستون سنةً بإمام ظالم خيرٌ من ليلة واحدة بلا إمام، وإذا قُدِّرَ كَثْرَةُ ظلمه، فذاك خيرٌ في الدين، كالمصائب، تكون كفارةً لذنوبهم، وَيُثَابِتُونَ عَلَى الصَّبْرِ عَلَيْهِ، وَيَزْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَيَتُوبُونَ إِلَيْهِ، وكذلك ما يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ مِنَ العدو، ولهذا قد يمكن الله كثيراً من الملوك الظالمين مُدَّةً، وأما المتبشون الكذابون، فلا يُطِيلُ تَمْكِينَهُمْ، بل لا بُدَّ أن يهلكهم، لأن فسادهم عامٌّ في الدين والدنيا والآخرة،

(١) انظر: «الحسنة والسيئة» ص ٤٤ - ٤٥.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولْ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِنْهُ الْآوِينَ ﴿٤٦﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦].

وفي قوله: ﴿وَلَوْ نَقُولْ﴾، من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه ولا يسكن إليها، فإن الشرَّ كامنٌ فيها، لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساءوا إليه، فإن ذلك من السيئات التي أصابته، وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب، ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل له كل خير، ويندفع عنه كل شر.

أنفع الدعاء
دعاء الفاتحة

ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٢)، فإنه إذا هداه هذا الصراط، أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شرٌّ، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

لكن الذنوب هي لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة، وهو إلى الهدى أخوج منه إلى الطعام والشراب، ليس كما يقوله بعض المفسرين: إنه قد هداه! فلماذا يسأل الهدى؟! وأن المراد التثبيت، أو مزيد الهداية! بل العبد محتاج إلى أن يعلمه الله ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتركه^(١) من تفاصيل الأمور في كل يوم، وإلى أن يُلهمه أن يعمل ذلك، فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله مريداً للعمل بما يعلمه، وإلا كان العلم حُجَّةً عليه، ولم يكن مهتدياً، و[العبد] محتاج إلى أن يجعله [الله] قادراً على العمل بتلك الإرادة الصالحة^(٢)، فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريده أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملته، ولا نهتدي

(١) في «الحسنة والسيئة» ص ٨٤: وإلى ما يتولد.

(٢) «الحسنة والسيئة» ص ٨٣ - ٨٤ وما بين حاصرتين منه.

لِتَفَاصِيلِهِ، فَأَمَرَ يَفُوتَ الْحَصَرَ، وَنَحْنُ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْهِدَايَةِ التَّامَةِ، فَمَنْ كَمُلَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمُورُ كَانَ سَوَالُهُ سَوَالَ تَثْبِيْتٍ، وَهِيَ آخِرُ الرُّتَبِ.

وَبَعْدَ ذَلِكَ كُلُّهُ هِدَايَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ الْهِدَايَةُ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ. وَلِهَذَا كَانَ النَّاسُ مَأْمُورِينَ بِهَذَا الدَّعَاءِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ، لِقِرْطِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ، فَلْيَسُوا إِلَى شَيْءٍ أَخْوَجَ مِنْهُمْ إِلَى هَذَا الدَّعَاءِ، فَيَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ جَعَلَ هَذَا الدَّعَاءَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْخَيْرِ، الْمَانِعَةِ مِنَ الشَّرِّ، فَقَدْ بَيَّنَّ الْقُرْآنُ أَنَّ السَّيِّئَاتِ مِنَ النَّفْسِ، وَإِنْ كَانَتْ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَأَنَّ الْحَسَنَاتِ كُلَّهَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَجِبَ أَنْ يُشْكَرَ سُبْحَانَهُ، وَأَنْ يَسْتَغْفِرَ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَأَلَّا يَتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَيْهِ وَخَدَهُ، فَلَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا هُوَ، فَأَوْجِبَ ذَلِكَ تَوْجِيحِيَّهُ، وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَخَدَهُ، وَالشُّكْرَ لَهُ وَخَدَهُ، وَالِاسْتِغْفَارَ مِنَ الذُّنُوبِ.

وَهَذِهِ الْأُمُورُ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُهَا فِي الصَّلَاةِ، كَمَا ثَبَتَ عَنْهُ فِي «الصَّحِيحِ»: أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ يَقُولُ: «رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»^(١) «مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ»^(٢) مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ». فَهَذَا

(١) جملة: «حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه» ليست من حديث أبي سعيد هذا، وإنما هي عند البخاري (٧٩٩)، والنسائي ١٩٦/٢، وأبي داود (٧٧٠)، وأحمد ٣٤٠/٤، والطبراني (٤٥٣١)، وابن خزيمة (٦١٤)، والبغوي (٦٣٢)، والبيهقي ٩٥/٢، ومالك ٢١١/١، ٢١٢ من حديث رفاعة بن رافع الزرقي أنه قال: كنا يوماً نصلّي وراء رسول الله ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة، وقال: سمع الله لمن حمده، قال رجل وراءه: ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال: «من المتكلم أنفأ؟» فقال رجل: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أول» وفيه: أنه ﷺ لم يقل ذلك، وإنما سمعها من رجل وراءه، فأقره ﷺ، وقال له: «رأيت بضعة...».

(٢) هو خبر مبتدأ محذوف، تقديره: الحمد أحق ما قال العبد، أو هذا - وهو الحمد - أحق ما قال العبد.

حمد، وهو شكر الله تعالى، وبيان أن حمده أحق ما قاله العبد، ثم يقول بعد ذلك: «لا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(١).

وهذا تحقيق لوحدانيتها، لتوحيد الربوبية، خلقاً وقدرًا، وبدايةً وهداية، هو المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولتوحيد الإلهية، شرعاً وأمرًا ونهيًا، وهو أن العباد^(٢) وإن كانوا يُعْطَوْنَ جَدًّا^(٣) ملكاً وعظمةً وبختاً ورياسةً في الظاهر، أو في الباطن، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، فلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ، أي لا يُنْجِيهِ، ولا يُخَلِّصُهُ، ولهذا قال: «لا يَنْفَعُهُ مِنْكَ» ولم يقل: «ولا يَنْفَعُهُ عِنْدَكَ»، لأنه لو قيل ذلك أُوْهِمَ أَنَّهُ لا يتقرب به إليك، لكن قد لا يضره.

فتضمن هذا الكلام تحقيق التوحيد، وتحقيق قوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»^(٤)، فإنه لو قُدِّرَ أن شيئاً مِنَ الأسباب يَكُونُ مستقلاً بالمطلوب، وإنما يكون بمشيئة الله وتيسيره، لكان الواجب أن لا يُزَجَى إلا الله، ولا يُتَوَكَّلَ إلا عليه، ولا يُسْأَلُ إلا هو، ولا يُسْتَعَاثُ إلا به، ولا

(١) أخرجه بهذا اللفظ دون قوله: «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه» مسلم (٤٧٧)، وأبو داود (٨٤٧)، والدارمي (٣٠١/١)، والبيهقي (٩٤/٢)، والطحاوي (٢٣٩/١)، وأحمد (٨٧/٣)، والنسائي (١٩٨/٢)، وأبو عوانة (١٦٧/٢) من حديث أبي سعيد الخدري، وأخرجه مسلم (٤٧٦)، وأبو داود (٨٤٦)، والترمذي (٣٥٤١)، والطحاوي (٢٣٩/١)، وأبو عوانة (١٧٧/٢)، وابن ماجه (٨٧٨)، وأحمد (٣٥٣/٤) و ٣٥٤ و ٣٥٦، وابن أبي شيبة (٢٤٧/١)، والبيهقي (٩٤/٢)، من حديث عبد الله بن أبي أوفى ولفظه: كان رسول الله ﷺ إذا رفع ظهره من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد». وفي الباب عن علي عند مسلم (٧٧١)، والطيالسي (٩٧/١)، ٩٨، ٩٩، والترمذي (٢٦٦)، وابن أبي شيبة (٢٤٨/١)، والدارمي (٣٠١/١)، والطحاوي (٢٣٩/١)، وعن ابن عباس عند مسلم (٤٧٨)، والطحاوي (٢٣٩/١)، وابن أبي شيبة (٢٤٦/١ - ٢٤٧).

(٢) في (ب): وهو وإن كان العباد، وهو تحريف.

(٣) سقطت من (ب).

يُسْتَعَانَ إِلَّا هُوَ، فله الحمد وإليه المشتكى، وهو المستعان، وبه المستغاث، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، فكيف وَلَيْسَ شَيْءٌ من الأسبابِ مستقلاً بمطلوب، بل لا بُدَّ من انضمام أسبابٍ أُخَرَ إليه، ولا بُدَّ أيضاً من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يَحْصُلَ المقصودُ، فكلُّ سببٍ، فله شريكٌ، وله ضد، فإنه لم يُعَاوَنُهُ شَرِيكُهُ، ولم يَنْصَرِفْ عنه ضِدُّهُ، ولم تَحْصُلْ مشيئته.

والمطرُ وَخَذَهُ لا يُنْبِتُ النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثم الزَرْعُ لا يَتِمُّ حتى تُصْرَفَ عنه الآفاتُ المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جُعِلَ في البدن من الأعضاء^(١) والقوى، ومجموع ذلك لا يُفِيدُ إن لم تُصْرَفْ عنه المفسدات.

والمخلوق الذي يُعْطِيكَ أو يَنْصُرُكَ، فهو - مع أن الله يجعل فيه الإرادة والقوة والفعل - فلا يَتِمُّ ما يفعله إلا بأسبابٍ كثيرة، خارجة عن قدرته، تُعَاوَنُهُ على مطلوبه، ولو كان ملكاً مطاعاً، ولا بُدَّ أن يُصْرَفَ عن الأسباب المتعاونة ما يُعَارِضُهَا وَيُمَانِعُهَا، فلا يَتِمُّ المطلوب إلا بوجود المقتضي وعدم المانع.

وكلُّ سببٍ مُعِينٍ، فإنما هو جزءٌ من المقتضي، فليس في الوجود شيء واحد هو مقتضى تام، وإن سمي مقتضياً، وسمي سائر ما يُعِينُهُ شروطاً، فهذا نزاعٌ لفظي، وأما أن يكونَ في المخلوقات عِلَّةٌ تامةٌ تَسْتَلْزِمُ معلولها، فهذا باطل.

ومن عَرَفَ هذا حقَّ المعرفة، انفتح له بابُ توحيد الله، وَعَلِمَ أنه لا يَسْتَحِقُّ أن يُسألَ غيره، فضلاً عن أن يُعْبَدَ غيره، ولا يُتَوَكَّلَ على غيره، ولا يُرْجَى غيره^(٢).

٢٢٠

قوله: «وَنَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ كُلِّهِ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ عَلَى مَا جَاءُوا بِهِ».

(١) كذا في الأصول، وفي مطبوعة مكة: الأعصاب.

(٢) انظر: «الفتاوى» ١٣٣/٨ و ٤٨٧.

وجوب الإيمان
بجميع الرسل

ش: الإشارة بذلك إلى ما تقدم مما يجب الإيمان به تفصيلاً، وقوله: «لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» إلى آخر كلامه، أي: لا تُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ بِأَنْ نُوْمِنَ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرَ بِبَعْضٍ، بَلْ نُؤْمِنُ بِهِمْ، وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ، فَإِنْ مِنْ آمَنَ بِبَعْضٍ، وَكَفَرَ بِبَعْضٍ، كَافِرٌ بِالْكُلِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ۝﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥١]. فَإِنَّ الْمَعْنَى الَّذِي لِأَجْلِهِ آمَنَ بِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ، مَوْجُودٌ فِي الَّذِي لَمْ يُؤْمِنَ بِهِ، وَذَلِكَ الرَّسُولُ الَّذِي آمَنَ بِهِ قَدْ جَاءَ بِتَصْدِيقٍ بَقِيَّةٍ^(١) الْمُرْسَلِينَ، فَإِذَا لَمْ يُؤْمِنَ بِبَعْضٍ الْمُرْسَلِينَ، كَانَ كَافِرًا بِمَنْ فِي زَعْمِهِ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ بِهِ، لِأَنَّ ذَلِكَ الرَّسُولَ قَدْ جَاءَ بِتَصْدِيقٍ الْمُرْسَلِينَ كُلَّهُمْ، فَكَانَ كَافِرًا حَقًّا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَكَانَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا؛ الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صِنْعًا.

قوله: «وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحَّدُونَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ، بَعْدَ أَنْ لَقُوا اللَّهَ عَارِفِينَ. وَهُمْ فِي مَشِيَّتِهِ وَحُكْمِهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ وَعَفَا عَنْهُمْ بِفَضْلِهِ، كَمَا ذَكَرَ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨ و ١١٦]. وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ فِي النَّارِ بِعَذَابِهِ، ثُمَّ يُخْرِجُهُمْ مِنْهَا بِرَحْمَتِهِ وَشَفَاعَةِ الشَّافِعِينَ مِنْ أَهْلِ طَاعَتِهِ، ثُمَّ يَبْعَثُهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ. وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَوْلَى أَهْلِ مَعْرِفَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ كَأَهْلِ نَكَرَتِهِ، الَّذِينَ خَابُوا مِنْ هِدَايَتِهِ، وَلَمْ يَنَالُوا مِنْ وَلَايَتِهِ. اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، مَسْكِنَا بِالْإِسْلَامِ حَتَّى نَلْقَاكَ بِهِ».

المصاة من
أهل الكبائر لا
يخلدون في
النار إذا ماتوا
وهم موحدون

ش: فقوله: «وَأَهْلُ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي النَّارِ لَا يُخْلَدُونَ، إِذَا مَاتُوا وَهُمْ مُوَحَّدُونَ» رَدُّ لِقَوْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزَلَةِ، الْقَائِلِينَ بِتَخْلِيدِ أَهْلِ الْكِبَائِرِ فِي النَّارِ، لَكِنِ الْخَوَارِجُ يَقُولُ بِتَكْفِيرِهِمْ، وَالْمُعْتَزَلَةُ بِخُرُوجِهِمْ مِنْ

(١) «بقية» ساقطة من (ب).

الإيمان، لا بدخولهم في الكفر، بل لهم منزلة بين منزلتين، كما تقدّم عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: «ولا تُكْفَرُ أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله».

وقوله: «وأهل الكبائر من أمة محمد» تخصيصه أمة محمد، يفهم منه أن أهل الكبائر من أمة غير محمد ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع به^(١)، حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد، وفي ذلك نظر، فإن النبي ﷺ أخبر أنه: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ»^(٢)، ولم يخصّ أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقاً، فتأمله، وليس في بعض النسخ ذكر الأمة.

وقوله: «في النار»، معمول لقوله: «لا يخلدون»، وإنما قدّمه لأجل السجعة، لا أن يكون في النار خبراً لقوله: «وأهل الكبائر» كما ظنه بعض الشارحين.

٢٢١

اختلاف
العلماء في
تحديد الكبيرة

واختلف العلماء في الكبائر في أقوال:

ف قيل: سبعة.

وقيل: سبعة عشر.

وقيل: ما اتفقت الشرائع على تحريمه.

وقيل: ما يسدّ باب المعرفة بالله.

وقيل: ذهاب^(٣) الأموال والأبدان.

وقيل: سُميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها.

وقيل: لا تعلم أصلاً، أو: إنها أخفيت كليلة القدر.

وقيل: إنها إلى السبعين أقرب.

(١) «به» لم ترد إلا في (ب).

(٢) قطعة من حديث أنس المتفق عليه، وقد تقدم ص ٢٨٩.

(٣) في «مجموع الفتاوى»: ما تذهب.

وقيل: كُلُّ ما نهى الله عنه، فهو كبيرة.

وقيل: إنها ما يترتب عليها حدٌّ، أو تُوعَدَ عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، وهذا أمثلُ الأقوال.

واختلفت عبارة قائله^(١):

منهم مَنْ قال: الصَّغِيرَةُ ما دُونَ الحَدَّينِ: حَدُّ الدُّنْيَا وَحَدُّ الآخِرَةِ.

ومنهم مَنْ قال: كُلُّ ذَنْبٍ لَمْ يُخْتَمَ^(٢) بِلَعْنَةٍ، أو غَضَبٍ، أو نَارٍ.

ومنهم مَنْ قال: الصَّغِيرَةُ ما لَيْسَ فِيهَا حَدٌّ فِي الدُّنْيَا وَلَا وَعِيدٌ فِي الآخِرَةِ، والمرادُ بالوعيد: الوعيدُ الخاصُّ بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، فإنَّ الوعيدَ الخاصَّ في الآخرة كالْعُقُوبَةِ الخاصَّةِ في الدنيا، أعني المقدَّرة، فالتعزيرُ في الدنيا نُظِيرُ الوعيدِ بغيرِ النارِ، أو اللعنة والغضب.

وهذا الضابطُ يَسْلُمُ من القَوَاحِجِ الْوَارِدَةِ على غيره، فإنه يدخل فيه كُلُّ ما ثبت بالنصِّ أنه كبيرةٌ، كالشُّرْكِ، والقتل، والزنى، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرارِ من الزحف، وأكل مالِ اليتيم، وأكل الربا، وعقوقِ الوالدين، واليمينِ الغموس^(٣)، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

وترجيحُ هذا القول من وجوه:

أحدها: أنه هو المأثورُ عن السَّلَفِ، كابنِ عباسٍ، وابنِ عُيَيْنَةَ، وابنِ حنبلٍ، وغيرهم.

الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إِنْ جَحَّتْ أَبْوَابُكُمْ عَنِ النَّارِ فَاسْتَبِشُوا مِنْهَا فَيَخْرُجُوا مِنْهَا فَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَكَفَرُوا﴾

(١) كذا في الأصول وفي مطبوعة مكة: واختلفت عبارات السلف في الصغائر.

(٢) في الأصول: كل ذنب ختم، والصواب ما أثبتنا، كما جزم به الشيخ أحمد شاكر

رحمته الله.

(٣) وهي اليمين الكاذبة الفاجرة، سميت غموساً، لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار.

عَنْكُمْ سَعَاتِكُمْ وَتُدْخِلُكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ [النساء: ٣١]. فلا يستحقُّ
هَذَا الْوَعْدَ الْكَرِيمَ مَنْ أُوْعِدَ بِغَضَبِ اللَّهِ وَلَعْنَتِهِ وَنَارِهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ اسْتَحَقَّ أَنْ
يُقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ لَمْ تَكُنْ سَيِّئَاتُهُ مَكْفَرَةً عَنْهُ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ.

الثالث: أن هذا الضابط مَرْجِعُهُ إِلَى مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنَ الذُّنُوبِ،
فَهُوَ حَدٌّ مُتَلَفًى مِنَ خُطَابِ الشَّارِعِ.

الرابع: أن هذا الضابط يُمَكِّنُ الْفَرْقَ بِهِ بَيْنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ، بِخِلَافِ
تِلْكَ الْأَقْوَالِ، فَإِنْ مِنْ قَالَ: سَبْعَةٌ، أَوْ سَبْعَةٌ عَشْرَ، أَوْ إِلَى السَّبْعِينَ أَقْرَبَ،
مُجَرَّدُ دَعْوَى.

وَمِنْ قَالَ: مَا اتَّفَقَتِ الشَّرَائِعُ عَلَى تَحْرِيمِهِ دُونَ مَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ -:
يَقْتَضِي أَنْ شُرِبَ الْخَمْرُ، وَالْفِرَارُ مِنَ الرَّخْفِ، وَالتَّزَوُّجُ بِبَعْضِ الْمَحَارِمِ،
وَالْمَحَرَّمِ بِالرَّضَاعَةِ وَالصُّهْرِيَّةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ - لَيْسَ مِنَ الْكِبَائِرِ! وَأَنَّ الْحَبَّةَ مِنْ
مَالِ الْيَتِيمِ، وَالسَّرِقَةَ لَهَا، وَالكُذْبَةَ الْوَاحِدَةَ الْخَفِيفَةَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَائِرِ،
وَهَذَا فَاسِدٌ.

وَمِنْ قَالَ: مَا سَدَّ بَابَ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ، أَوْ ذَهَابَ الْأَمْوَالُ وَالْأَبْدَانُ،
يَقْتَضِي أَنْ شُرِبَ الْخَمْرُ، وَأُكِّلَ الْخَنزِيرُ وَالْمَيْتَةُ وَالدَّمُ، وَقُذِفَ الْمُحَصَّنَاتُ،
لَيْسَ مِنَ الْكِبَائِرِ! وَهَذَا فَاسِدٌ.

وَمِنْ قَالَ: إِنَّهَا سُمِّيَتْ كِبَائِرَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا دُونَهَا، أَوْ كُلُّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ
فَهُوَ كَبِيرَةٌ، يَقْتَضِي أَنَّ الذُّنُوبَ فِي نَفْسِهَا لَا تَنْقَسِمُ إِلَى صَغَائِرٍ وَكِبَائِرٍ! وَهَذَا
فَاسِدٌ، لِأَنَّهُ خِلَافُ النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى تَقْسِيمِ الذُّنُوبِ إِلَى صَغَائِرٍ وَكِبَائِرٍ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا لَا تُعْلَمُ أَصْلًا، أَوْ إِنَّهَا مُبْهَمَةٌ، فَإِنَّمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ
لَا يَعْلَمُهَا، فَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ قَدْ عِلِمَهَا غَيْرُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١).

وَقَوْلُهُ: «وَأِنْ لَمْ يَكُونُوا تَائِبِينَ» لِأَنَّ التَّوْبَةَ لَا خِلَافَ أَنَّهَا تَمَحْوُ
الذُّنُوبَ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي غَيْرِ التَّائِبِ.

(١) انظر: «الفتاوى» ١١/٦٥٠ - ٦٥٧، و «مدارج السالكين» ١/٣١٥ - ٣٢٧.

وقوله: «بعد أن لقوا الله تعالى عارفين» لو قال: مؤمنين، بدل قوله: «عارفين» كان أولى، لأن من عَرَفَ الله ولم يُؤْمِنْ به كافر. وإنما اكتفى بالمعرفة وخذها الجَهَنم، وقوله مَرْدُودٌ باطل، كما تقدم، فإن إبليس عارفٌ بربه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦] ﴿قَالَ فِعْزَيْكَ لَا تَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٨٢] إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]. وكذلك فرعون وأكثَرُ الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]. ﴿قُلْ لَّيْنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥]. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وكأن الشيخ رحمه الله أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتداء، التي يُشِيرُ إليها أهل الطريقة، وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر، بل هم سادة الناس وخاصتهم^(١).

وقوله: «وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم، وعفا عنهم بفضل» إلى آخر كلامه، فصل الله تعالى بين الشرك وغيره، لأن الشرك أكبر^(٢) الكبائر، كما قال ﷺ، وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور، وعلق غُفْرَانُ ما دونه بالمشيئة، والجائز يُعْلَقُ بالمشيئة دون الممتنع، ولو كان الكل سواء لما كان للتفصيل معنى، ولأنه علق هذا الغُفْرَانُ بالمشيئة، وغفران الكبائر والصغائر^(٣) بعد التوبة مقطوع به، غير مُعْلَقٍ بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] فوجب أن يكون الغُفْرَانُ المُعْلَقُ بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك بالله قبل التوبة^(٤).

(١) المراد من أهل الطريقة: أهل الاستقامة من الصحابة رضي الله عنهم، ومن سلك سبيلهم.

(٢) في (ب): من أكبر.

(٣) في (ب): والصغائر والكبائر.

(٤) قبل التوبة: سقطت من (ب).

وقوله: «ذلك أن الله مولى أهل معرفته» فيه مؤاخذه لطيفة، كما تقدم.

وقوله: «اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكننا بالإسلام - وفي نسخة: ثبتنا على الإسلام - حتى نلقاك به» روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه «الفاروق»، بسنده عن أنس رضي الله عنه، قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول^(١): «يا ولي الإسلام وأهله، مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه»^(٢). ومناسبة ختم الكلام المتقدم بهذا الدعاء ظاهرة، وبمثل هذا الدعاء دعا يوسف الصديق صلوات الله عليه، حيث قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]. وبه دعا السحرة الذين كانوا أول من آمن بموسى صلوات الله على نبينا وعليه، حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦]. ومن استدلل بهاتين الآيتين على جواز تمني الموت، فلا دليل له فيه، فإن الدعاء إنما هو بالموت على الإسلام، لا بمطلق الموت، ولا بالموت الآن، والفرق ظاهر.

٢٢٣

قوله: «وترى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم».

قال ﷺ: «صَلُّوا خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ»^(٣). رواه مكحول، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه الدارقطني، وقال: مكحول لم يلق أبا هريرة، وفي إسناده معاوية بن صالح، متكلم فيه، وقد احتج به مسلم في «صحيحه» وخرج له الدارقطني أيضاً، وأبو داود، عن مكحول، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

جواز الصلاة
خلف كل بر
وفاجر من أهل
القبلة

(١) لم ترد في (ب).

(٢) وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٧٦/١٠ ولفظه: «يا ولي الإسلام وأهله ثبتني به حتى ألقاك» وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الدارقطني ٥٧/٢، ومن طريقه البيهقي ١٩/٤، من رواية ابن وهب، حدثنا معاوية بن صالح، عن العلاء بن الحارث، عن مكحول عن أبي هريرة، قال الدارقطني: مكحول لم يسمع من أبي هريرة، ومن دونه ثقات.

قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلَاةُ وَاجِبَةٌ عَلَيْكُمْ مَعَ كُلِّ مُسْلِمٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَإِنْ هُوَ عَمِلَ بِالْكَبَائِرِ، وَالْجِهَادُ وَاجِبٌ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، [وَأِنْ] عَمِلَ الْكَبَائِرِ»^(١).

وفي «صحيح البخاري»^(٢): أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان

(١) أخرجه أبو داود (٥٩٤) و (٢٥٣٣)، ومن طريقه البيهقي ١٢١/٣، والدارقطني ٢/٥٦ وسنده منقطع كسابقه، وأخرج أبو داود (٢٥٣٢) من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان، الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنوب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إليه إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار». وفي سنده يزيد بن أبي نضلة راويه عن أنس، وهو مجهول، وباقي رجاله ثقات.

(٢) وكذلك ذكر الحافظ في «التلخيص» ٤٣/٢، ولابن أبي شيبة في «المصنف» ٢/٣٧٨ من طريق قيس بن يونس، عن الأوزاعي، عن عمير بن هاني قال: شهدت ابن عمر والحجاج محاصر ابن الزبير، فكان منزل ابن عمر بينهما، فكان ربما حضر الصلاة مع هؤلاء، وربما حضر الصلاة مع هؤلاء. وهذا سند صحيح، وأخرجه البيهقي ١٢٢/٣ من طريق سعيد بن عبد العزيز، عن عمير بن هاني، قال: بعثني عبد الملك بن مروان بكتب إلى الحجاج، فأتيته، وقد نصب على البيت أربعين منجنيقاً، فرأيت ابن عمر إذا حضرت الصلاة مع الحجاج صلى معه، وإذا حضر ابن الزبير، صلى معه، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن أتصلي مع هؤلاء وهذه أعمالهم؟! فقال: يا أخا أهل الشام ما أنا لهم بحامد، ولا نطيع مخلوقاً في معصية الخالق.

وروى الشافعي ١٣٠/١ من طريق مسلم بن خالد، عن ابن جريج، عن نافع أن ابن عمر اعتزل بمنى في قتال ابن الزبير والحجاج بمنى، فصلى مع الحجاج. وروى ابن سعد في الطبقات ١٤٩/٤ عن زيد بن أسلم أن ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه، وأدى إليه زكاة ماله. وسنده صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة ٣٧٨/٢، والشافعي ١٣٠/١ كلاهما من طريق حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: كان الحسن والحسين يصليان خلف مروان، قال: فقليل له: أما كان أبوك يصلي إذا رجع إلى البيت؟ قال: فيقول: لا والله ما كانوا يزيدون على صلاة الأئمة. ورجالهم ثقات.

وفي «المجموع» ٢٥٣/٤: قال أصحابنا: الصلاة وراء الفاسق صحيحة ليست محرمة، لكنها مكروهة، وكذا تكره وراء المبتدع الذي لا يكفر ببدعته، وتصح، ونص الشافعي في «المختصر» على كراهة الصلاة خلف الفاسق، فإن فعلها =

يُصَلِّي خَلْفَ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ، وَكَذَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَكَانَ الْحَجَّاجُ فَاسِقًا ظَالِمًا.

وفي «صحيحه» أيضاً، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا خَلْفَ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَصَلُّوا عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِيُّ مِنْ طَرَقٍ، وَضَعَفَهَا^(٢).

الصلاة خلف
مستور الحال

اعلم، رَحِمَكَ اللَّهُ وَإِيَانَا: أَنَّهُ يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُصَلِّيَ خَلْفَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ مِنْهُ بِدْعَةٍ وَلَا فَسَقًا، بِاتِّفَاقِ الْأُئِمَّةِ، وَلَيْسَ مِنْ شَرَطِ الْإِثْمَامِ أَنْ يَعْلَمَ الْمَأْمُومُ اعْتِقَادَ إِمَامِهِ، وَلَا أَنْ يَمْتَحِنَهُ، فَيَقُولُ: مَاذَا تَعْتَقِدُ؟ بَلْ يُصَلِّي خَلْفَ الْمُسْتَوْرِ الْحَالِ.

الصلاة خلف
المبتدع
والفاسق

وَلَوْ صَلَّى خَلْفَ مُبْتَدِعٍ يَدْعُو إِلَى بَدْعَتِهِ، أَوْ فَاسِقٍ ظَاهِرِ الْفَسَقِ، وَهُوَ الْإِمَامُ الرَّائِبُ الَّذِي لَا يُمَكِّنُهُ الصَّلَاةُ إِلَّا خَلْفَهُ، كإِمَامِ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ، وَالْإِمَامِ فِي صَلَاةِ الْحَجِّ بِعَرَفَةَ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَأْمُومَ يُصَلِّي خَلْفَهُ، عِنْدَ عَامَةِ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ.

وَمَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الْإِمَامِ الْفَاجِرِ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُصَلِّي بِهَا وَلَا يُعِيدُهَا، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ - رضي الله عنهم - كَانُوا يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ خَلْفَ الْأُئِمَّةِ الْفُجَّارِ، وَلَا يُعِيدُونَ، كَمَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يُصَلِّي خَلْفَ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ، وَكَذَلِكَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، كَمَا

= صَحَّتْ، وَقَالَ مَالِكٌ: لَا تَصِحُّ وَرَاءَ فَاسِقٍ بَغِيرِ تَأْوِيلِ كُشَارِبِ الْخَمْرِ وَالزَّانِي، وَذَهَبَ جَمَاهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَى صَحَّتِهَا.

(١) الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (٦٩٤)، وَمِنْ طَرِيقِهِ رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ (٨٣٩)، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٣٥٥/٢ وَ ٥٣٧، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «أَخْبَارِ أَصْبَهَانَ» ٥٣/٢.

(٢) الدَّارِقُطْنِيُّ ٥٦/٢، وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» ٣٢٠/١٠، وَفِي «أَخْبَارِ أَصْبَهَانَ» ٣١٧/٢، وَالْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِهِ» ٤٠٣/٦، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٣٦٢٢)، وَهُوَ ضَعِيفٌ، انْظُرْ «نَسَبُ الرَّايَةِ» ٢٧/٢ وَ ٢٩.

تقدم، وكذلك كان عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه وغيره يصلون خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر، حتى إنه صلى بهم الصبح مرة أربعاً، ثم قال: أزيدكم؟! فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة!!^(١).

وفي «الصحيح»: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذي يصلي بالناس إمام فتنة؟! فقال: يا ابن أخي، إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءتهم^(٢).

والفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كره من كره الصلاة خلفه، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

ومن ذلك: أن من أظهر بدعة وفجوراً لا يرتب إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإذا أمكن هجره حتى يتوب كان حسناً، وإذا كان بغض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره، أثر ذلك في

(١) رواه عمر بن شبة فيما ذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٥٩٦/٣ - ٥٩٧ عن هارون بن معروف، عن ضمرة بن ربيعة، عن ابن شاذب قال: صلى الوليد بن عقبة...، وفي صحيح مسلم (١٧٠٧) من طريق حزين بن المنذر، قال: شهدت عثمان وأتي بالوليد قد صلى الصبح ركعتين، ثم قال: أزيدكم، فشهد عليه رجلان، أحدهما: حمران، أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقياً، فقال عثمان: إنه لم يتقياً حتى شربها فقال: يا علي قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال الحسن: ول حازها من تولي قازها، فكانه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلي. وانظر: «الإصابة» ٦٠١/٣، و«أسد الغابة» ٤٥١/٥ - ٤٥٣.

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٥) من حديث عبيد الله بن عدي بن خيار أنه دخل على عثمان بن عفان وهو محصور، فقال: إنك إمام عامة، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمام فتنة، ونترج، فقال: الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس، فأحسن معهم، وإذا أساؤوا، تجنب إساءتهم.

إنكار المنكر حتى يَتُوبَ أو يُعْزَلَ، أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه، كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم تُفَتِ المأموم جماعة ولا جماعة.

وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يُفَوِّتُ المأموم الجماعة والجماعة، فهنا لا يترك الصلاة خلفه إلا مُبْتَدِعٌ مخالف للصحابة رضي الله عنهم.

وكذلك إذا كان الإمام قد رتبَه ولاءُ الأمور، ليس في ترك الصلاة خلفه مَصْلَحَةٌ شرعية، فهنا لا يترك الصلاة خلفه، بل الصلاة خلف الأفضل ^(١)، فإذا أمكن الإنسان أن لا يُقَدِّمَ مظهراً للمنكر في الإمامة، وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاءه غَيْرُهُ، ولم يُمكنْهُ صَرْفُهُ عن الإمامة، أو كان لا يتمكّن من صرفه عن الإمامة إلا بشرُّ أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، بحسب الإمكان، فتفويت الجمع والجماعات أعظم فساداً من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلُّف عنها لا يدفع فجوراً، فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

وأما إذا أمكن فعل الجماعة والجماعة خلف البر، فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذ، فإذا صلى خلف الفاجر من غير عُذر، فهو موضع اجتهاد للعلماء ^(٢). منهم من قال: يُعِيدُ، ومنهم من قال: لا يُعِيدُ، وموضع بسط ذلك في كتب الفروع ^(٣).

وأما الإمام إذا نسي أو أخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله، فلا إعادة على المأموم، للحديث المتقدم، وقد صلى عمر رضي الله عنه وغيره وهو جنب ناسياً

(١) كذا في الأصول، وفي طبعة المكتب الإسلامي، «بل الصلاة خلفه أفضل»، وهي أوجه.

(٢) في (ب): اجتهاد العلماء.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ٣٤٢/٢٣ - ٣٥٩.

للجنابة، فأعاد الصلاة، ولم يأمر المأمومين بالإعادة. ولو علم بعد فراغه أن إمامه كان على غير طهارة، أعاد عند أبي حنيفة، خلافاً لمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه. وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم، وفيه تفاصيل مَوْضِعُهَا كُتِبَ الفروع، ولو علم أن إمامه يُصَلِّي على غير وضوء!! فليس له أن يُصَلِّي خَلْفَهُ، لأنه لا عِبْتُ، وليس بمصل^(١).

المطاعون في
مواضع
الاجتهاد

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة أن ولي الأمر، و^(٢) إمام الصلاة، والحاكم، وأمير الحرب، وعامِل الصدقة: يُطَاعُ في مَوَاضِعِ الاجتهاد، وليس عليه أن يُطِيعَ أَتْبَاعَهُ في موارد الاجتهاد، بل عليهم طَاعَتُهُ في ذلك، وتَرْكُ رَأْيِهِمْ لِرَأْيِهِ، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية، ولهذا لم يَجْزُ لِلْحُكَّامِ أَنْ يَنْقُضَ بَعْضُهُمْ حُكْمَ بَعْضٍ. والصواب المَقْطُوعُ به صحة صلاة بعض هؤلاء خَلْفَ بعض، ويروى عن أبي يوسف: أنه لما حَجَّ مع هارون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ، وصلى بالناس، فقبل لأبي يوسف: أَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ؟ قال: سُبْحَانَ اللَّهِ! أمير المؤمنين. يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ خَلْفَ وَلَايَةِ الْأُمُورِ مِنْ فِعْلِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وحديث أبي هريرة الذي رواه البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ وَلَهُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ»^(٣): نص صحيح صريح في أن الإمام إذا أخطأ فَخَطَّوْهُ عَلَيْهِ، لا على المأموم، والمجتهد غايته أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً، أو فعل محظور اعتقد أنه ليس محظوراً. ولا يَجِلُ لِمَنْ^(٤) يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُخَالِفَ هَذَا الْحَدِيثَ الصَّرِيحَ الصَّحِيحَ بَعْدَ أَنْ يَبْلُغَهُ، وهو حُجَّةٌ عَلَى مَنْ يُطْلِقُ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ

(١) انظر: «المجموع» ٢٥٦/٤ - ٢٦١.

(٢) الوار لم ترد في (أ) و (ب) و (ج) من (د) ومطبوعة مكة.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٣١ تعليق (١).

(٤) في (ب): لأحد.

والحنبلية أن الإمام إذا ترك ما يَغْتَقِدُ المأموم وجوبه، لم يَصِحَّ اقتداؤه به!!
فإن الاجتماع والائتلاف مما يجب رعايته وتَرْكُ الخلافِ المفضي إلى
الفساد^(١).

وقوله: «وعلى من مات منهم» أي: ونرى الصلاة على مَنْ مات من
الأبرارِ والفُجَّارِ، وإن كان يُسْتثنى من هذا العموم البُغَاءُ وقُطَاعُ الطريق، وكذا
قَاتِلُ نفسه^(٢)، خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد، خلافاً لمالك والشافعي
رحمهما الله، على ما عُرِفَ في موضعه^(٣)، لكن الشيخ إنما ساق هذا الكلام
ليبين أننا لا نترك الصلاة على مَنْ مات من أهل البدع والفجور، لا للعموم
الكلي.

ولكن المظهرون للإسلام قِسْمَانِ: إما مُؤْمِنٌ، وإما منافق، فمن عَلِمَ
نِفَاقَهُ، لم تَجُزِ الصَّلَاةُ عليه والاستغفار له^(٤)، ومن لم يُعْلَمْ ذلك منه، صَلَّيْ
عليه، فإذا عَلِمَ شخصٌ نِفَاقَ شخص، لم يُصَلِّ هو عليه وصَلَّى عليه مَنْ لم
يُعْلَمْ نِفَاقَهُ، وكان عُمَرُ رضي الله عنه لا يُصَلِّي على مَنْ لم يُصَلِّ عليه حَذِيقَةً، لأنه
كان في غزوة تبوك قد عَرَفَ المنافقين^(٥)، وقد نهى الله سبحانه رسوله ﷺ

٢٢٦

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣/ ٣٧٠ - ٣٨٠.

(٢) في هذا الاستثناء نظر، فإنهم كسائر العصاة يغسلون، ويُصَلَّى عليهم، وإذا ترك ولي
الأمر الصلاة عليهم من باب الزجر لغيرهم، فهذا حسن، وهكذا الأعيان من
العلماء، لأن النبي ﷺ ترك الصلاة على قاتل نفسه، وعلى الغال، وقال لأصحابه:
صلوا على صاحبكم، إن صاحبكم غل في سبيل الله، وأما الشهيد، فالسنة أن لا
يصلى عليه، لأن النبي ﷺ لم يصل على شهيد أحد.

(٣) انظر: «البنية شرح الهداية» ٢/ ١٠٦٥ - ١٠٦٧، و «مجموع الفتاوى» ٢٤/ ٢٨٥ -
٢٨٩.

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٤/ ٢٨٥ - ٢٨٧.

(٥) في البخاري (٣٧٤٢) من حديث أبي الدرداء وفيه: «أوليس فيكم صاحب سر
النبي ﷺ الذي لا يعلمه أحد غيره؟» قال الحافظ، والمراد بالسِر: ما أعلمه به
النبي ﷺ من أحوال المنافقين. وفي «المستدرک» ٣/ ٣٨١: أن علياً سئل عن
حذيفة، فقال: كان أعلم الناس بالمنافقين، وانظر ترجمة حذيفة في «السير» ٢/
٣٦١ - ٣٦٩.

عن الصلاة على المنافقين، وأخبر أنه لا يَغْفِرُ لهم باستغفاره، وعَلَّلَ ذَلِكَ بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَمْ يُنْهَ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَلَوْ كَانَ لَهُ مِنَ الذُّنُوبِ الْعِظَامَةِ الْبِدْعِيَّةِ، أَوِ الْعَمَلِيَّةِ الْفُجُورِيَّةِ مَا لَهُ، بَلْ قَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاسْتِغْفَارِ لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. فَأَمَرَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِنَفْسِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، فَالتَّوْحِيدُ أَصْلُ الدِّينِ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ كَمَالُهُ، فَالدُّعَاءُ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ، وَالرَّحْمَةُ، وَسَائِرُ الْخَيْرَاتِ، إِمَّا وَاجِبٌ، وَإِمَّا مُسْتَحَبٌّ، وَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ: عَامٌّ وَخَاصٌّ، أَمَّا الْعَامُّ فَظَاهِرٌ، كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَأَمَّا الدُّعَاءُ الْخَاصُّ، فَالصَّلَاةُ عَلَى الْمَيِّتِ، فَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَمُوتُ إِلَّا وَقَدْ أُمِرَ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ صَلَاةَ الْجَنَازَةِ، وَهُمْ مَأْمُورُونَ فِي صَلَاتِهِمْ عَلَيْهِ أَنْ يَدْعُوا لَهُ، كَمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ، فَأَخْلَصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»^(١).

قوله: «وَلَا تُنْزِلُ أَحَدًا مِنْهُمْ جَنَّةً وَلَا نَارًا».

لا يقطع لأحد
مُعِينٍ مِنْ أَهْلِ
الْقَبِيلَةِ بَجَنَّةٍ وَلَا
نَارٍ إِلَّا بِنَصِّ

ش: يريد: أَنَا لَا نَقُولُ عَنْ أَحَدٍ مُعَيَّنٍ مِنْ أَهْلِ الْقَبِيلَةِ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَوْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، إِلَّا مَنْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ رضي الله عنه أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَالْعَشْرَةِ^(٢)، وَإِنْ كُنَّا نَقُولُ: إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣١٩٩)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٤٩٧)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٤٠/٤)، وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٧٥٤)، وَقَالَ الْمُنَاوِي فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: «أَخْلَصُوا لَهُ الدُّعَاءَ»: أَيِ ادْعُوا لَهُ بِإِخْلَاصٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ الصَّلَاةِ إِنَّمَا هُوَ الْإِسْتِغْفَارُ، وَالشَّفَاعَةُ لِلْمَيِّتِ، وَإِنَّمَا يَرْجَى قَبُولُهَا عِنْدَ تَوْفَرِ الْإِخْلَاصِ وَالِابْتِهَالِ، وَلِهَذَا شَرَعَ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ مَا لَمْ يَشْرَعْ مِثْلَهُ فِي الدُّعَاءِ لِلْحَيِّ.

(٢) وَهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، انْظُرْ «مُسْنَدُ أَحْمَد» ١٨٧/١ - ١٨٨ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٣، وَسَنَنُ أَبِي دَاوُدَ (٤٦٤٩) وَ (٤٦٥٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٧٤٨) وَ (٣٧٥٨)، وَابْنُ مَاجَةَ (١٣٤).

من يشاء الله إدخاله النار، ثم يَخْرُجُ منها بشفاعة الشافعين، ولكننا نَقِفُ في الشَّخْصِ المعَيَّن، فلا نشهد له بجنةٍ ولا نارٍ إلا عن علم، لأن حقيقة باطنه، وما مات عليه لا نُحِيطُ به، لكن نرجو للمُحْسِنِ، ونَخَافُ على المُسِيءِ.

وللسَّلَفِ في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لا يُشْهَدَ لأحدٍ إلا للأنبياء، وهذا يُنْقَلُ عن محمد بن الحنفية، والأوزاعي.

والثاني: أنه يُشْهَدُ بالجنة لِكُلِّ مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

والثالث: أنه يُشْهَدُ بالجنة لهؤلاء وَلَمَنْ شَهِدَ له المؤمنون، كما في «الصحيحين»: أَنَّهُ مَرُّ بِجَنَازَةٍ، فَأَتْنُوا عَلَيْهَا بِخَيْرٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ» وَمَرُّ بِأُخْرَى، فَأَتْنِي^(١) عَلَيْهَا بِشَرٍّ، فَقَالَ: «وَجَبَتْ». وفي رواية كرر: «وجبت» ثلاث مرات، فقال عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَتْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ^(٢)».

٢٢٧

وقال ﷺ: «تُوشِكُونَ^(٣) أَنْ تَعْلَمُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، قالوا: بَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِالتَّنَائِ الْحَسَنِ وَالتَّنَائِ السَّيِّئِ^(٤)». فأخبر أن ذلك مما يُعلم به أهل الجنة وأهل النار.

(١) في (ب): فأتنوا.

(٢) البخاري (١٣٦٧) و (٢٦٤٢)، ومسلم (٩٤٩)، وأخرجه الطيالسي (٢٠٦٢)، والنسائي ٤٩/٤ - ٥٠، وأحمد ١٨٦/٣، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢٨٩/٤ من حديث أنس بن مالك. ورواه من حديث أنس بن مالك دون ذكر لعمر ﷺ مسلم (٩٤٩)، والترمذي (١٠٥٨)، وابن ماجه (١٤٩١)، والبغوي (١٥٠٨)، والطحاوي ٢٨٨/٤.

(٣) في الأصول الثلاثة: توشكوا بحذف النون، والمثبت من المسند، وهو الجادة، ولفظ ابن ماجه: «يوشك».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢١)، وأحمد ٤١٦/٣ و ٤٦٦/٦ من حديث أبي بكر بن أبي زهير الثقفي، عن أبيه، وسنده حسن.

قوله: «وَلَا تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِكُفْرٍ وَلَا بِشِرْكٍ وَلَا بِنِفَاقٍ، مَا لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَنَذَرُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»،

لا نشهد على
أحد من أهل
القبلة بالكفر ما
لم يظهر منه
ذلك

ش: لَأَنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِالظَّاهِرِ، وَنُهَيْنَا عَنِ الظَّنِّ وَاتِّبَاعِ مَا لَيْسَ لَنَا بِهِ عِلْمٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَتَخَرَّ قَوْمٌ^(١) مِنْ قَوْمٍ﴾ الْآيَةَ، [الحجرات: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِتْرَافٌ﴾ الْآيَةَ [الحجرات: ١٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الْآيَةَ [الإسراء: ٣٦].

قوله: «وَلَا تَرَى السَّيْفَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ السَّيْفُ».

ش: فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِخْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٢).

قوله: «وَلَا تَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَيْمَانِنَا وَوَلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا وَلَا نَدْعُوا عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَتَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ

(١) القوم: اسم للرجال دون النساء، وفي شعر زهير بن أبي سلمى: وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء وإنما سموا قوماً، لأنهم يقومون بالأمور.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، وأبو داود (٤٣٥٢)، والترمذي (١٤٠٢)، وابن ماجه (٢٥٣٤)، والنسائي ٩٠/٧ و ٩١ و ١٣/٨، والدارمي ٢/ ٢١٨، وأحمد ١/ ٣٨٢ و ٤٢٨ و ٤٤٤ و ٤٦٥، والدارقطني ٨٢/٣، والبيهقي ٨/ ١٩، والطيالسي (٢٨٩)، والحميدي (١١٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٥١٧)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ٣٠١/١ و ٢/ ٢٠٣ من حديث ابن مسعود. وأخرجه أحمد ١٨١/٦، ومسلم (١٦٧٦) و (٢٦)، وأبو داود (٤٣٥٣)، والنسائي ١٠١/٧ و ١٠٢ و ٢٣/٨، والدارقطني ٨١/٣، والطيالسي (١٥٤٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣١٨/٢، وأبو نعيم في «الحلية» ١٥/٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

وَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدَّعُوا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمَعَاوَةِ.

وجوب طاعة
ولي الأمر إلا
في معصية

ش: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ، أنه قال: «مَنْ أَطَاعَنِي، فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ، فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ، فَقَدْ عَصَانِي»^(١).

وعن أبي ذر ﷺ، قال: «إِنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمَعَ وَأُطِيعَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعَ الْأَطْرَافِ»^(٢). وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ: «وَلَوْ لِحَبَشِي كَانَ رَأْسُهُ زَبِيَّةً»^(٣).

وفي «الصحيحين» أيضاً: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»^(٤).

وعن حذيفة بن اليمان، قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةً أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥)، وابن ماجه (٣) و (٢٨٥٩)، والنسائي (١٥٤/٧)، وأحمد ٢/٢٥٢ - ٢٥٣ و ٢٧٠ و ٣١٣ و ٥١١، والطيالسي (٢٤٣٢)، والبخاري (٢٤٥٠) و (٢٤٥١)، والخطيب في «تاريخه» ٧٢/٨ من حديث أبي هريرة رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٩٥٧) بِأَطْوَلِّ مَا هُنَا.

(٢) أخرجه مسلم (٦٤٨) (٢٤٠) و (١٨٣٧)، وابن ماجه (٢٨٦٢)، والطيالسي (٤٥٢)، والبخاري (٣٩١)، والخطيب في «الأدب المفرد» (١١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٣) و (٦٩٦)، و (٧١٤٢)، وأحمد ٣/١١٤ وابن ماجه (٢٨٦٠)، والطيالسي (٢٠٨٧)، والبخاري (٢٤٥٢)، والخطيب ٤/١٢٥ من حديث أنس بن مالك.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٥٥) و (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩)، والترمذي (١٧٠٧)، وابن ماجه (٢٨٦٤)، والنسائي ٧/١٦٠، وأحمد ٢/١٧ و ١٤٢، وأبو داود (٢٥٣٦)، والبخاري (٢٤٥٣) من حديث ابن عمر رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

دَخَنٌ»، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ^(١)؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَسْتَتُونَ بِغَيْرِ سُبُطِي، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هُدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرِّ؟ قَالَ: «نَعَمْ: دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ [إِلَيْهَا] قَذَفُوهُ فِيهَا» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، يَتَكَلَّمُونَ بِالسِّتِنَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا تَرَى إِنْ أذَرَكْنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِمَامُهُمْ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ [لَهُمْ] جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَرِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْصُ عَلَى أَضِلِّ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُذْرِكَكَ الْمَوْتُ وَآتَتْ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ، فَلْيُضَيِّرْ، فَإِنَّهُ مَنْ قَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا قَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»^(٣).

وفي رواية: «فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ»^(٤).

(١) بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة: وهو الدخان، وأراد به: ليس خيراً خالصاً، بل فيه كدورة بمنزلة الدخان من النار، وقيل: أراد بالدخن: الحقد، وقيل: الدغل، وقيل: فساد في القلب، وقيل: الدخن كل أمر مكروه. «عمدة القاري» ١٩٤/٢٤.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) و (٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، والبيهقي (٤٢٢٢)، والبيهقي ١٥٦/٨، ورواه ابن ماجه (٣٩٧٩) مختصراً.

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٣) و (٧٠٥٤) و (٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩)، وأحمد (١/ ٢٧٥ و ٢٩٧ و ٣١٠، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٥٩)، والبيهقي (٢٤٥٨)، والدارمي ٢٤١/٢، والبيهقي ١٥٧/٨، وابن أبي عاصم في «السنن» (١١٠١).

(٤) قطعة من حديث مطول أخرجه أحمد (١٣٠/٤) و ٢٠٢ و ٣٤٤/٥ من حديث الحارث الأشعري، وسنده صحيح، وليس من حديث ابن عباس كما ثوهم عبارة الشارح، وهو في «سنن الترمذي» (٢٨٦٣)، و «مسند الطيالسي» (١١٦١)، و «سنن البيهقي» ١٥٧/٨، والبيهقي (٢٤٦٠)، وصححه ابن خزيمة (٤٨٣)، وابن حبان (١٥٥٠)، والحاكم ٥٩/١.

وأخرجه بهذا اللفظ أيضاً من حديث أبي ذر أبو داود (٤٧٥٨)، والبيهقي ١٥٧/٨، وأحمد ١٨٠/٥، وابن أبي عاصم في «السنن» (٨٩٢) و (١٠٥٣)، والحاكم ١/ ١١٧.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما»^(١).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشراؤ أئمتكم الذين يبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»، فقلنا: يا رسول الله، أفلا نتأيدهم بالسيف عند ذلك؟ قال: «لا»، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وإل، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا يترعن يداً من طاعة»^(٢).

فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. كيف قال: ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يُفردون بالطاعة، بل يُطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأنه من يطع الرسول، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر، فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يُطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله^(٣).

وأما لزوم طاعتهم وإن جازوا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يخلص من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصْبَحْكُمْ

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٣)، والبيهقي ١٤٤/٨.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥)، وأحمد ٢٤/٦ و ٢٨، والدارمي ٣٢٤/٢، وابن أبي عاصم (١٠١٧)، والبيهقي ١٥٨/٨، وابن حبان (٤٥٨٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» ٥/٣٥ - ١٧.

مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبَتْكُمْ مَثَلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّنِى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴿١٦٥﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكُمْ﴾ [النساء: ٧٩]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]. فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا مِنْ ظُلْمِ الأميرِ الظالم، فليتركوا الظُّلْمَ.

وعن مالك بن دينار^(١): أنه جاء في بعض كُتُبِ الله: أنا الله مالكُ الملوك، قلوبُ الملوك بيدي، فمن أطاعني، جعلتهم عليه رحمةً، ومن عصاني، جعلتهم عليه نِقْمَةً، فلا تَشْعَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ الملوك، لكن ثوبوا أَعْطِفْهُمْ عَلَيْكُمْ^(٢).

قوله: وَتَتَّبِعِ السُّنَّةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَنَجْتَنِبِ الشُّذُودَ وَالْخِلَافَ وَالْفُرْقَةَ.

الأمر باتباع
السنة والجماعة

ش: السنة: طريقةُ الرسول ﷺ والجماعةُ: جَمَاعَةُ المسلمين، وهم الصحابةُ والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتَّبَاعُهم هدى، وخِلَافُهم ضلال، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

(١) علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، كان من ذلك بُلْعُته، من أصحاب أنس بن مالك رضى الله عنه، توفي سنة (١٢٧هـ). مترجم في «السير» (١٦٤/٥).

(٢) رفعه بعضهم إلى النبي ﷺ، ولا يصح، رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي الداء، قال الهيثمي ٢٤٩/٥: وفيه إبراهيم بن راشد، وهو متروك.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْهُمْ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وثبت في «السنن» الحديث الذي صححه الترمذي، عن العزْبَاضِ بن سارية، قال: وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيُونُ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَعٌ؟ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بِغَدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَغْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُخَدِّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَذْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١).

وقال ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ^(٢) وَسَبْعِينَ مِلَّةً - يَعْنِي الْأَهْوَاءَ - كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»^(٣).

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٣)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد ١٢٦/٤، ١٢٧ - والدارمي ٤٤/١ - ٤٥، والطبراني في «الكبير» ١٨ / (٦١٧) و (٦١٨) و (٦١٩) و (٦٢٢) و (٦٢٣) و (٦٢٤) و (٦٤٢)، والآجري في «الشرعة» ص ٤٦ - ٤٧ وصححه ابن حبان (٥)، والحاكم ٩٥/١، ووافقه الذهبي.

(٢) في الأصول: «ثلاثة»، والمثبت من مصادر التخریج، وهو الجادة.

(٣) هو من حديث معاوية، وقد تقدم تخريجه ص ٣٤٠. وعن أنس بن مالك عند أحمد ١٢٠/٣ و ١٤٥، وابن ماجه (٣٩٩٢) وغيرهما، وفيه من الزيادة: «واحدة في الجنة، وثنان وسبعون في النار» وهو حسن.

وفي رواية: قالوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١).

فبين ﷺ أَنَّ عامةَ المختلفين هالكون مِنَ الجانبين، إِلَّا أَهْلَ السَّنةِ والجماعة.

٢٣٠

وما أَحْسَنَ قولَ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُسْتَنًا، فَلَيْسَتْ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَانُوا أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبْرَهَا قُلُوبًا، وَأَعَمَّقَهَا عِلْمًا، وَأَقْلَهَا تَكَلُّفًا، قَوْمٌ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ لَصَحْبَةِ نَبِيِّهِ، وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْهَدْيِ الْمُسْتَقِيمِ^(٢).

وسَيَأْتِي لِهَذَا الْمَعْنَى زِيَادَةٌ بَيَانُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، عِنْدَ قَوْلِ الشَّيْخِ: «وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفِرْقَةَ زِيغًا وَعَذَابًا».

قوله: «وَنُحِبُّ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْأَمَانَةِ، وَنُبْغِضُ أَهْلَ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ».

حب أهل
العدل من
كمال الإيمان

ش: وَهَذَا مِنْ كَمَالِ الْإِيمَانِ وَتَمَامِ الْعِبَادَةِ، فَإِنَّ الْعِبَادَةَ تَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْمَحَبَةِ وَنَهَائَتِهَا، وَكَمَالَ الذَّلِّ وَنَهَائَتِهِ، فَمَحَبَّةُ رُسُلِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَعِبَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ مَحَبَةِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ الَّتِي لِلَّهِ لَا يَسْتَحِقُّهَا غَيْرُهُ، فَغَيْرُ اللَّهِ يُحِبُّ فِي اللَّهِ، لَا مَعَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمَحَبَّ يُحِبُّ مَا يُحِبُّ مَحْبُوبُهُ، وَيُبْغِضُ مَا يُبْغِضُ، وَيُؤَالِي مَنْ يُؤَالِيهِ، وَيُعَادِي مَنْ يُعَادِيهِ، وَيَرْضَى لِرِضَائِهِ، وَيَغْضِبُ لِعُزْبِهِ، وَيَأْمُرُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ، وَيَنْهَى عَمَّا يَنْهَى عَنْهُ، فَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَحْبُوبِهِ فِي كُلِّ حَالٍ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، وَيُحِبُّ التَّوَابِينَ، وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ، وَنَحْنُ نُحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ.

(١) أَخْرَجَهَا التِّرْمِذِيُّ (٢٦٤١) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أَخْرَجَهُ بَنُحُوهُ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ» مِنْ طَرِيقِ سَنِيدٍ، حَدَّثَنَا مَعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَلَامِ بْنِ مَسْكِينٍ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ... وَأَخْرَجَهُ بَلْفُظٍ مُقَارِبٍ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» ٣٠٥/١ مِنْ قَوْلِ ابْنِ عَمْرٍو.

والله لا يُحِبُّ الخائنين، ولا يُحِبُّ المفسدين، ولا يُحِبُّ المستكبرين، ونحن لا نُحِبُّهم أيضاً، وَنُبْغِضُهُمْ، موافقةً له سبحانه وتعالى.

وفي «الصحيحين» عن النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَنْ كَانَ يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَمَنْ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»^(١).

فالمحبة التامة مُسْتَلَزِمَةٌ لِمُوَافَقَةِ الْمَحْبُوبِ فِي مَحَبَّتِهِ وَمَكْرُوهِهِ، وولايته وعداوته. ومن المعلوم أن مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ الْمَحَبَّةَ الْوَاجِبَةَ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُبْغِضَ أَعْدَاءَهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ مِنْ جِهَادِهِمْ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَيْنِ مَرْضُوضٍ﴾ [الصف: ٤].

والحُبُّ والبغْضُ بحسب ما فيهم مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَجْتَمِعُ فِيهِ سَبَبُ الْوَلَايَةِ وَسَبَبُ الْعِدَاوَةِ، وَالْحُبُّ وَالْبَغْضُ، فيكون محبوباً من وجه مبغوضاً من وجه، وَالْحُكْمُ لِلْغَالِبِ، وكذلك حُكْمُ الْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ يُحِبُّ الشَّيْءَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَكْرَهُهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، كما قال ﷺ، فيما يرويه عن ربه عز وجل: «وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ»^(٢).

فبين أنه يتردد، لأن التردد تَعَارُضٌ لإرادتين، وهو سبحانه يُحِبُّ ما

٢٣١

(١) أخرجه البخاري (١٦) و (٢١) و (٦٠٤١) و (٦٩٤١)، ومسلم (٤٣)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، والترمذي (٢٦٢٦)، والنسائي ٨/٩٤، و ٩٦، وأحمد ٣/١٠٣ و ١٧٢ و ١٧٤ و ٢٣٠ و ٢٤٨ و ٢٧٥ و ٢٨٨، والطيالسي (١٩٥٩)، وابن منده في «الإيمان» (٢٨١) و (٢٨٢) و (٢٨٣)، والبيهقي (٢١)، والخطيب في «تاريخه» ٢/ ١٩٩، وأبو نعيم في «الحلية» ١/٢٧، و ٨٨/٢ من حديث أنس بن مالك.
(٢) تقدم تخريجه ص ٥٠٩، وليس في الحديث قوله: «ولا بد له منه».

يُحِبُّهُ عَبْدُهُ الْمُؤْمِنُ، وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ، وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ فَهُوَ يَكْرَهُهُ، كَمَا قَالَ: «وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»، وَهُوَ سَبْحَانَهُ قَضَى بِالْمَوْتِ، فَهُوَ يَرِيدُ كَوْنَهُ، فَسَمَى ذَلِكَ تَرَدُّدًا، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِ ذَلِكَ، إِذْ هُوَ يُقْضَى إِلَى مَا هُوَ أَحَبُّ^(١) مِنْهُ^(٢).

قوله: وَنَقُولُ: اللَّهُ أَغْلَمُ فِيمَا اشْتَبَهَ عَلَيْنَا عِلْمُهُ.

ما اشتبه علينا
علمه نكلمه
إلى الله

ش: تقدم في كلام الشيخ رحمه الله تعالى أنه ما سَلِمَ في دينه إلا من سَلِمَ لله عز وجل ولرسوله ﷺ، وَرَدَّ عِلْمَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى عَالَمِهِ.

وَمَنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَإِنَّمَا يَتَّبِعُ هَوَاهُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾^(٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ [الحج: ٣ - ٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

(١) في أصول النسخ: «واجب» والمثبت من هامش (د) ومطبوعة مكة.

(٢) انظر: «الفتاوى» ١٢٩/١٨ - ١٣٥، و «جامع العلوم والحكم» ص ٣٤٨ - ٣٤٩، و «فتح الباري» ١١/٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) قال الزجاج: المرید: المارد، وهو الخارج عن الطاعة، ومعناه: أنه قد مرد في الشر، يقال: مرد الرجل يمرّد مروداً: إذا عتا، وخرج عن الطاعة، وتأويل المردود: أن يبلغ الغاية التي يخرج بها من جملة ما عليه ذلك الصنف، وأصله في اللغة: املساس الشيء، ومنه قيل للإنسان: أمرد: إذا لم يكن في وجهه شعر، وكذلك يقال: شجرة مرداء: إذا تناثر ورقها، وصخرة مرداء: إذا كانت ملساء. «زاد المسير» ٢/٢٠٣ - ٢٠٤.

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يَرُدَّ عِلْمَ ما لا يَعْلَمُ إليه، فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٢٦]. ﴿قُلِ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢]. وقد قال ﷺ، لما سُئِلَ عن أطفالِ المشركين: «الله أعلم بما كانوا عاملين»^(١).

وقال عمر رضي الله عنه: اتَّهَمُوا الرَّأْيَ فِي الدِّينِ، فلو رأيتني يومَ أبي جندل، فلقد رأيتني وإنِّي لأَرُدُّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِرَأْيِي، فأجتهدُ ولا أَلُو ذلك يومَ أبي جندل، والكتاب يكتب، وقال: «اكتب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، قال: اكتب: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فرضي رسولُ اللَّهِ ﷺ وكتب وأبَيْتُ، فقال: «يا عمر، تراني قد رضيتُ وتأبى»^(٢)!؟.

(١) أخرجه البخاري (١٣٨٤) و (٦٥٩٩) و (٦٦٠٠)، ومسلم (٢٦٥٩)، والنسائي ٢/ ٥٨، وأحمد ٢/ ٢٦٦، و ٣٩٣، و ٤٧١، و ٥١٨، والحميدي (١١١١) و (١١١٣)، والطيالسي (٢٣٨٢)، والخطيب ٩/ ٣٤١، والبغوي (٨٣) من حديث أبي هريرة. وأخرجه البخاري (١٣٨٣) و (٦٥٩٧)، ومسلم (٢٢٦٠)، وأبو داود (٤٧١١)، والنسائي ٢/ ٥٩، والطيالسي (٢٦٢٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٤٨) من حديث ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٢)، وابن حزم في «الإحكام» ٤٦/ ٦ من طريق علي بن عبد العزيز، حدثنا يونس بن عبد الله العميري، حدثنا مبارك بن فضالة، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر، ولقظه: يا أيها الناس اتهموا الرأي على الدين، فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأْيي اجتهداً، فوالله ما ألو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل، والكتاب بين رسول الله ﷺ وأهل مكة، فقال: «اكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم»، فقالوا: ترانا قد صدقناك بما تقول؟! ولكنك تكتب: باسمك اللهم، فرضي رسول الله ﷺ، وأبَيْتُ حتى قال لي رسول الله ﷺ: «تراني أرضى، وتأبى أنت؟! قال: فرضيتُ. ورجاله ثقات. إلا أن مبارك بن فضالة مدلس وقد عنعن، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٧٩/ ١، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله موثقون، وإن كان فيهم مبارك بن فضالة. وأخرجه البزار (١٨١٣) من طريق محمد بن المثنى، عن يحيى بن سعيد، عن عبيد الله، أخبرني نافع، عن ابن عمر أنه قال: اتهموا الرأي على الدين... قلت: (القائل البزار): فذكر حديث الحديثية إلى أن قال: رسول الله ﷺ كان يكتب بينه وبين أهل مكة، فقال: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقالوا: لو نرى ذلك صدقناك، ولكن اكتب فيما نكتب باسمك اللهم، قال: فرضي رسول الله ﷺ وأبَيْتُ، حتى =

وقال أيضاً ﷺ: السُّنَّةُ: ما^(١) سُنَّه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سُنَّةً للأمة.

وقال أبو بكر الصديق ﷺ: أي أرض تُقْلَنِي، وأي سماء تُظْلِنِي، إن قلتُ في آية من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم^(٢).

وذكر الحسن بن علي الحلواني^(٣)، حدثنا عارم، حدثنا حماد بن زيد، عن سعيد بن أبي صدقة، عن ابن سيرين قال: لم يكن أحدٌ أهيبَ لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن بغد أبي بكر أهيبَ لما لا يعلم من عمر رضي الله عنهما، وإن أبا بكر نزلت به قضيَّةٌ، فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً، ولا في السُّنَّةِ أثراً، فاجتهد برأيه، ثم قال: هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً، فمني، وأستغفر الله.

قوله: «وَتَرَى الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَيْنِ، فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ».

= قال لي: «يا عمر، تراني قد رضيت، وتابى أنت!» قال: فرضيت. قال الهيثمي: قلت: هو في الصحيح (٢٧٣١) و (٢٧٣٢) بطوله، ولم أر فيه قوله: يا عمر تراني قد رضيت وتابى أنت. وانظر «فتح الباري» ٣٤٥/٥ - ٣٤٦، ومسلم (١٧٨٤). وأخرج البخاري في «صحيحه» (٤١٨٩)، ومسلم (١٧٨٥) (٩٥) من طريق أبي وائل قال: لما قدم سهل بن حنيف من صفين، أتيناہ نستخبره، فقال: اتهموا الرأي، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددت.

(١) في الأصول: مما، والمثبت من «جامع بيان العلم» لابن عبد البر ١٣٦/٢، فقد رواه من طريق ابن وهب، عن ابن لهيعة عن عبيد الله بن جعفر، قال: قال عمر. (٢) أخرجه الطبري (٧٨) و (٧٩) من طريقين عن أبي معمر عبد الله بن سخبرة الأزدي، قال: قال أبو بكر... فذكره. وأبو معمر تابعي ثقة. إلا أن روايته عن أبي بكر مرسلة. وأخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام من طريق إبراهيم التيمي أن أبا بكر... وهو منقطع أيضاً، وقد تقدم تخريجه ص ٢١٩.

(٣) هو الإمام الحافظ الصدوق، أبو محمد الحسن بن علي بن محمد، الهذلي الريحاني، الخلال المجاور بمكة، المتوفى سنة ٣٤٢هـ، مترجم في «السير» ١١/ ٣٩٨، وعارم: هو الحافظ الثبت محمد بن الفضل السدوسي، وباقي رجال السند ثقات إلا أنه منقطع، ابن سيرين لم يدرك أبا بكر وعمر.

ش: تواترت السُّنَّةُ عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، والرافضة تُخَالِفُ هذه السنة المتواترة، فَيُقَالُ لهم: الذين نَقَلُوا عن النبي ﷺ الوضوء^(١) قولاً وفعلاً، والذين تعلموا الوضوء منه، وتوضأوا على عهده وهو يراهم وَيَقْرَهُمْ، ونقلوه إلى مَنْ بعدهم، أَكْثَرَ عدداً من الذين نقلوا لَفْظَ هذه الآية^(٢)، فَإِنَّ جَمِيعَ المسلمين كانوا يتوضؤون على عهده، ولم يَتَعَلَّمُوا الوضوء إلا منه، فَإِنَّ هذا العمل لم يكن معهوداً عندهم في الجاهلية، وَهُمْ قد رأوه يتوضأ ما لا يُخَصِّي عَدَدَهُ إلا الله تعالى، ونقلوا عنه ذَكَرَ غسل الرجلين في ما شاء الله مِنَ الحديث، حتى نَقَلُوا عنه مِنْ غَيْر وجه، في كتب الصحيح، وغيرها، أنه قال: «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ وَبَطُونِ الْأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ»^(٣).

(١) في (ب): الذين نقلوا الوضوء عن النبي ﷺ.

(٢) ليس المراد من ذلك أن نقله القرآن - ومنه الآية الكريمة آية الوضوء - أقل من نقلة المسح على الخفين وغسل الرجلين، وإنما مراده أن الذين رووا من الصحابة في الكتب المؤلفة نص هذه الآية أقل ممن نقلوا المسح على الخفين وغسل الرجلين قولاً وفعلاً.

(٣) أخرجه بتمامه أحمد ١٩١/٤، وابن خزيمة (١٦٣)، والطحاوي ٣٨/١، والدارقطني ٩٥/١، والبيهقي ٧٠/١، من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي، وسنده صحيح، وأخرجه دون قوله: «وبطون الأقدام» من حديث عبد الله بن عمرو البخاري (٦٠) و (٩٦) و (١٦٣)، ومسلم (٢٤١)، وأبو داود (٩٧)، والدارمي ١٧٩/١، وأحمد ١٩٣/٢ و ٢٠١ و ٢٠٥ و ٢١١ و ٢٢٦، والنسائي ٧٧/١، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٣٨/١، والبيهقي ٦٨/١، والطبري ١٣٤/٦، وابن حبان (١٠٥٦)، وابن خزيمة (١٦١) و (١٦٦). وأخرجه من حديث أبي هريرة البخاري (١٦٥)، ومسلم (٢٤٢)، وابن ماجه (٤٥٣)، وأحمد ٢٨٤/٢ و ٣٨٩ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٩ و ٤٣٠ و ٤٦٧ و ٤٩٨، والترمذي (٤١)، والنسائي ٧٧/١، والطحاوي ٣٨/١، وابن حبان (١٠٨٩)، والطبري (١١٤٩٧) - (١١٥٠٤). وأخرجه من حديث عائشة مسلم (٢٤٠)، وأحمد ١١٢/٦ و ١٩٢ و ٢٥٨، وابن ماجه (٤٥١)، والطيالسي (١٥٥٢)، والحميدي (١٦١)، والشافعي ٣٣/١، والدارقطني ٩٥/١، والطحاوي ٣٨/١، والبيهقي في «السنن» ٦٩/١، وفي «معرفة السنن والآثار» ٢١٥/١، والطبري (١١٥٠٥) و (١١٥٠٦) و (١١٥٠٧) و (١١٥٠٨) و (١١٥٠٩)، وابن حبان =

مع أنَّ الفَرْضَ إذا كان مَسْحَ ظَاهِرِ الْقَدَمِ، كان غَسْلُ الْجَمِيعِ كُفْلَةً لَا تَدْعُو إِلَيْهَا الطَّبَاعُ، كما تَدْعُو الطَّبَاعُ إِلَى طَلَبِ الرِّيَاسَةِ وَالْمَالِ، فَلَوْ جَازَ الطَّغْنُ فِي تَوَاتُرِ صِفَةِ الْوَضُوءِ، لَكَانَ فِي نَقْلِ لَفْظِ آيَةِ الْوَضُوءِ أَقْرَبَ إِلَى الْجَوَازِ.

وَإِذَا قَالُوا: لَفْظُ الْآيَةِ ثَبَتَ بِالتَّوَاتُرِ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ فِيهِ الْكَذِبُ وَلَا الْخَطَأُ، فَتُبُوْتُ التَّوَاتُرِ فِي نَقْلِ الْوَضُوءِ عَنْهُ أَوْلَى وَأَكْمَلُ، وَلَفْظُ الْآيَةِ لَا^(١) يُخَالِفُ مَا تَوَاتَرَ مِنَ السَّنَةِ، فَإِنَّ الْمَسْحَ كَمَا يُطْلَقُ، وَيُرَادُّ بِهِ الْإِصَابَةُ، كَذَلِكَ يُطْلَقُ وَيُرَادُّ بِهِ الْإِسَالَةُ^(٢)، كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ^(٣): تَمَسَّحْتُ لِلصَّلَاةِ، وَفِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرَدِّ بِمَسْحِ الرَّجْلَيْنِ الْمَسْحَ الَّذِي هُوَ قَسِيمُ الْغَسْلِ، بَلِ الْمَسْحَ الَّذِي الْغَسْلُ قِسْمٌ مِنْهُ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: إِلَى الْكَعَابِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي كُلِّ رِجْلٍ كَعْبٌ وَاحِدٌ، كَمَا فِي كُلِّ يَدٍ مَرْفَقٌ وَاحِدٌ، بَلِ فِي كُلِّ رِجْلٍ كَعْبَانِ، فَيَكُونُ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِالْمَسْحِ إِلَى الْعَظْمَيْنِ النَّاتِئَيْنِ، وَهَذَا هُوَ الْغَسْلُ، فَإِنْ مِنْ يَمَسُّحُ الْمَسْحَ الْخَاصُّ يَجْعَلُ الْمَسْحَ لِيُظْهِرَ الْقَدَمَيْنِ، وَجَعَلَ الْكَعْبَيْنِ فِي الْآيَةِ غَايَةً

= (١٠٦٠). وَأَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ أَحْمَدُ ٣/٣١٦، وَالتَّطَبُّرِيُّ (١١٥١١) وَ (١١٥١٨)، وَابْنُ مَاجَةٍ (٤٥٤)، وَالتَّطَحَاوِيُّ ١/٣٨. وَأَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ مَعِيْقِبِ أَحْمَدُ ٣/٤٢٦ وَ ٥/٤٢٥.

(١) فِي (ب): مَا.

(٢) قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي «الْجَامِعِ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ» ٦/٩٢: إِنَّ لَفْظَ «الْمَسْحِ» مُشْتَرَكٌ يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْمَسْحِ، وَيُطْلَقُ بِمَعْنَى الْغَسْلِ، قَالَ الْهَرَوِيُّ: أَخْبَرَنَا الْأَزْهَرِيُّ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الدَّارِيِّ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ أَبِي زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: الْمَسْحُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَكُونُ غَسْلًا، وَيَكُونُ مَسْحًا، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا تَوَضَّأَ، فَغَسَلَ أَعْضَاءَهُ: قَدْ تَمَسَّحَ، وَيُقَالُ: مَسَحَ اللَّهُ مَا بَكَ: إِذَا غَسَلَكَ وَطَهَرَكَ مِنَ الذُّنُوبِ، فَإِذَا ثَبَتَ بِالنَّقْلِ أَنَّ الْعَرَبَ أَنَّ الْمَسْحَ يَكُونُ بِمَعْنَى: «الْغَسْلِ» فَتَرَجَّحَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَرَادَّ بِقِرَاءَةِ الْخَفْضِ الْغَسْلَ بِقِرَاءَةِ النَّصْبِ الَّتِي لَا احْتِمَالَ فِيهَا، وَبِكَثْرَةِ الْأَحَادِيثِ الثَّابِتَةِ بِالْغَسْلِ، وَالتَّوَعُّدِ عَلَى تَرْكِ غَسْلِهَا فِي أَخْبَارِ صَحَّاحٍ لَا تُحْصَرُ كَثْرَةُ أَخْرَجَهَا الْأَثْمَةُ.

(٣) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

يَرُدُّ قولهم. فدعواهم أنَّ الفرض مسحُ الرَّجْلَيْنِ إلى الكعبيين اللَّذَيْنِ هما مُجْتَمَعُ السَّاقِ وَالْقَدَمِ عند مَعْقِدِ الشُّرَاكِ، مردودٌ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ.

وفي الآية قراءتان مشهورتان^(١): التَّضْبُ وَالْخَفْضُ، وتوجيهُ إعرابهما مَبْسُوطٌ في موضعه، وقراءةُ النصبِ نصٌّ في وجوبِ الغَسْلِ، لأنَّ العطفَ على المحلِّ إنما يكون إذا كان المعنى واحداً كقوله:

فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ^(٢)

وَلَيْسَ معنى: مَسَحْتُ برأسي ورجلي، وهو معنى: مَسَحْتُ رأسي

- (١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص: (وَأَرْجُلَكُمْ) بالنصب، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، وأبو بكر: (وَأَرْجُلَكُمْ). انظر «حجة القراءات» ص ٢٢١ - ٢٢٣، و«زاد المسير» ٣٠١/٢ - ٣٠٢، و«الكشف عن وجوه القراءات» ص ٤٠٦ - ٤٠٧.
- (٢) عجز بيت، صدره.

مُعَاوِيَ إِنَّا بَشَّرَ فَأَسْجَحَ

والشاهد فيه: أن قوله: «الحديد» معطوف على محل الجار والمجرور، وهو قوله: «بالجبال» وهو خبر ليس والباء زائدة. وكذلك أورده سيبويه ٣٤/١، قال البغدادي في «الخرانة» ٢/٢٦٠: وقد ردَّ المبرد على سيبويه روايته لهذا البيت بالنصب وتبعه جماعة منهم العسكري صاحب «التصحيح» ص ٢٠٧، قال: ومما غلط فيه النحويون من الشعر ورووه موافقاً لما أراده، ما روي عن سيبويه عندما احتج به في نسق الاسم المنصوب على المخفوض، وقد غلط على الشاعر، لأن هذه القصيدة مشهورة، وهي مخفوضة كلها، وهذا البيت أولها، وبعده:

فَهَبْنَا أُمَّةً ذَهَبَتْ ضَيَاعاً يَزِيدُ أَمِيرُهَا وَأَبُو يَزِيدَ
أَكَلْتُمْ أَرْضَنَا فَجَرَدْتُمُوهَا فَهَلْ مِنْ قَائِمٍ أَوْ مِنْ حَصِيدِ
أَتَطْمَعُ فِي الْخُلُودِ إِذَا هَلَكْنَا وَلَيْسَ لَنَا وَلَا لَكَ مِنْ خُلُودِ
ذَرَوْا خَوْنَ الْخِلَافَةِ وَاسْتَقِيمُوا وَتَأْمِيرَ الْأَرَاذِلِ وَالْعَبِيدِ
وَأَعْطَوْنَا السُّوْيَةَ لَا تَزُرُّكُمْ جُنُودٌ مُرْدَفَاتٌ بِالْجُنُودِ

وهذا الشعر لعُقَيْبَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ الْأَسَدِيِّ، وهو شاعر جاهلي إسلامي، وقد على معاوية، فدفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات، فدعا معاوية فقال له ما جزأك علي؟ قال: نصحتك إذ غشوك، وصدقك إذ كذبوك، فقال: ما أظنك إلا صادقاً فقصي حوائجه. وانظر «المقتضب» ٢/٢٣٨ و ٤/١١٢ و ٣٧١، و«سمط اللآلي» ١/ ١٤٨ - ١٤٩، و«الشعر والشعراء» و«الشعر والشعراء» ١/١٩٨ - ١٩٩، و«شرح المفصل» لابن يعيش ٢/١٠٩ و ٤/٩، وشرح شواهد المغني ٧/٥٣ - ٥٥.

ورجلي، بل ذكر الباء يُفِيدُ معنى زائداً على مُجَرَّدِ المسح، وهو إلصاقُ شيءٍ من الماء بالرأس، فَتَعَيَّنَ العَطْفُ على قوله: ﴿وَأَيَّدِيكُمْ﴾. فالسُّنَّةُ المتواترة تقضي على ما يَفْهَمُهُ بَعْضُ النَّاسِ مِنْ ظاهر القرآن، فَإِنَّ الرِّسُولَ بَيَّنَّ لِلنَّاسِ لَفْظَ الْقُرْآنِ ومعناه، كما قال أبو عبد الرحمن السَّلْمِيُّ^(١): حدثنا الذين كانوا يُقَرِّئُونَا الْقُرْآنَ: عُمَاسُ بْنُ عِفَانٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَغَيْرُهُمَا^(٢): أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا^(٣) حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَعْنَاهَا^(٤).

وفي ذِكْرِ المسح في الرجلين تَنْبِيْهُ على قِلَّةِ الصَّبِّ في الرجلين، فَإِنَّ السَّرْفَ يُعْتَادُ فِيهِمَا كَثِيراً، والمسألة معروفة، والكلامُ عليها في كتب الفروع. قوله: «والحج والجهاد مَاضِيَانِ مَعَ أُولَى الْأَمْرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، لَا يُنْظَلُهُمَا شَيْءٌ وَلَا يَنْقُضُهُمَا».

ش: يُشِيرُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الرَّدِّ عَلَى الرَّافِضَةِ، حَيْثُ قَالُوا: لَا جِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَخْرُجَ الرُّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيُنَادِي مَنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: اتَّبِعُوهُ!! وَبَطْلَانُ هَذَا الْقَوْلِ أَظْهَرُ مِنْ أَنْ يُسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِدَلِيلٍ. وَهَمَّ

الحج والجهاد
ماضيان إلى
قيام الساعة

(١) هو عبد الله بن حبيب بن رُبَيْعَةَ الكوفي، مقرئ الكوفة، الإمام العلم، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، أخذ القراءة عَرَضاً عن عثمان، وعلي، وزيد، وأبي بن كعب، وابن مسعود، توفي قريباً من سنة (٧٣هـ). مترجم في «السير» ٤/ رقم الترجمة (٩٧).

(٢) في (أ) و (ج) و (د): وغيرهم.

(٣) تحرفت في (أ) و (ج) و (د) إلى: «يجاوزها».

(٤) أخرجه الطبري (٨٢) من حديث جرير، عن عطاء، عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يُخَلِّفُوهَا حَتَّى يَعْمَلُوهَا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلُ جَمِيعاً. ورجاله ثقات، إلا أن جريراً ممن روى عن عطاء بعد الاختلاط، وأخرج الطبري أيضاً (٨١) من طريق الحسين بن واقد، قال: حدثنا الأعمش، عن شقيق، عن ابن مسعود، قال: كان الرجل مِتّاً إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ، وهذا سند حسن يقوي ما قبله.

شرطوا في الإمام أن يَكُونَ معصوماً اشتراطاً بغير^(١) دليل! بل في «صحيح مسلم» عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»، قَالَ: قلنا^(٢): يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لا»، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئاً مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلْيَكْرِهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدَا مِنْ طَاعَتِهِ»^(٣).

وقد تقدم بَعْضُ نِظَائِرِ هَذَا الْحَدِيثِ فِي الْإِمَامَةِ^(٤)، وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ الْإِمَامَ يَجِبُ أَنْ^(٥) يَكُونَ معصوماً، وَالرَّافِضَةُ أَخَسَّرَ النَّاسَ صَفَقَةً فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، لَأَنَّهُمْ جَعَلُوا الْإِمَامَ الْمَعْصُومَ هُوَ الْإِمَامَ الْمَعْدُومَ، الَّذِي لَمْ^(٦) يَنْفَعَهُمْ فِي دِينٍ وَلَا دُنْيَا!! فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ أَنْ الْإِمَامَ الْمُنْتَظَرَ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ^(٧)، الَّذِي دَخَلَ السَّرْدَابَ فِي زَعْمِهِمْ سَنَةَ سِتِينَ وَمِئَتَيْنِ، أَوْ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ بِسَامَرَاءَ! وَقَدْ يُقِيمُونَ هُنَاكَ دَابَّةً، إِمَّا بَغْلَةً وَإِمَّا فَرَساً، لِيَرْكَبَهَا إِذَا خَرَجَ! وَيُقِيمُونَ هُنَاكَ فِي أَوْقَاتٍ عَيْنُهَا لَمَنْ يُنَادِي عَلَيْهِ بِالْخُرُوجِ: يَا مَوْلَانَا، اخْرُجْ! يَا مَوْلَانَا، اخْرُجْ! وَيُشْهِرُونَ السِّلَاحَ، وَلَا أَحَدٌ هُنَاكَ يُقَاتِلُهُمْ! إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَضْحَكُ عَلَيْهِمْ فِيهَا الْعُقَلَاءُ!!.

٢٣٤

وقوله: «مع أولي الأمر برّهم وفاجرهم» لأن الحجّ والجهاد فرضان

(١) في (ب): من غير.

(٢) في (ب): قلت.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٤٢ تعليق (٣).

(٤) في (ب): الإمام.

(٥) أن: لم ترد في (ب).

(٦) في (ب): لا.

(٧) ذكر أنه ولد في سامراء سنة ٢٥٥هـ، ومات أبوه وله من العمر نحو خمس سنين، ويزعمون أنه لما بلغ التاسعة دخل سرداباً في دار أبيه بسامراء، ولم يخرج منه، وذلك في سنة ٢٦٥هـ، وأنهم ينتظرون خروجه آخر الزمان. «الوفيات» ١٧٦/٤.

يتعلّقان بالسفر، فلا بُدَّ من سائسِ يسوسِ الناسَ فيهما، ويُقاومُ العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البرّ يحصل بالإمام الفاجر.

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَهُمْ عَلَيْنَا حَافِظِينَ».

الإيمان
بالملائكة
الكرام الكاتبين

ش: قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الأنفطار: ١٠ - ١٢].

وقال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقِّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

وقال تعالى: ﴿لَمْ مَعْقِبَتٌ مِنْ يَمِينِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۝﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ^(١) مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: ٢١].

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «يَتَعَاقَبُونَ^(٢) فِيكُمْ مَلَائِكَةُ

(١) في «زاد المسير» ٣٦٥/٧: وأكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ تستنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، فيجدون ذلك موافقاً ما يعملونه، قالوا: والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، قال الفراء: يرفع الملك العمل كله، فيثبت الله منه ما فيه ثواب أو عقاب، وي طرح منه اللغو. وقال الزجاج: نستنسخ ما تكتبه الحفظة. ويثبت عند الله عز وجل.

(٢) قال القرطبي: الواو في قوله: «يتعاقبون» علامة الفاعل المذكر المجموع على لغة بلحارث، وهم القائلون: أكلوني البراغيث، ومنه قول الشاعر:
بحوران يعصرون السليط أقراره

وهي لغة فاشية، وعليها حمل الأخفش، قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النجوى الذين ظلموا﴾ قال: وقد تعسف بعض النحاة في تأويلها وردها إلى البدل، وهو تكلف مستغنى عنه، فإن تلك اللغة مشهورة ولها وجه من القياس واضح. قال الحافظ في «الفتح» ٣٤/١: وتوارد جماعة من الشراح على أن حديث الباب من هذا القبيل، =

بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٍ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَضَعُدُّ
إِلَيْهِ الَّذِينَ كَانُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - ^(١): كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟
فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَفَارَقْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ^(٢).

وفي الحديث الآخر: «إِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْخَلَاءِ وَعِنْدَ
الْجَمَاعِ، فَاسْتَخِيوهُمْ، وَأَكْرِمُوهُمْ» ^(٣).

= ووافقه ابن مالك، وناقشه أبو حيان زاعماً أن هذه الطريق اختصرها الراوي،
واحتمل لذلك بما رواه البزار من وجه آخر عن أبي هريرة بلفظ: «إن الله ملائكة
يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» الحديث، وقد سُمح في العزو إلى
مسند البزار مع أن الحديث بهذا اللفظ في «الصحيحين» فالعزو إليهما أولى، وذلك
أن هذا الحديث، رواه عن أبي الزناد مالك في «الموطأ» ولم يختلف عليه باللفظ
المذكور، وهو قوله: «يتعاقبون فيكم»، وتابعه على ذلك عبد الرحمن بن أبي
الزناد، عن أبيه، أخرجه سعيد بن منصور عنه، وقد أخرجه البخاري في «بدء
الخلق» من طريق شعيب بن أبي حمزة، عن أبي الزناد بلفظ: «الملائكة يتعاقبون»
وأخرجه النسائي أيضاً من طريق موسى بن عقبة، عن أبي الزناد بلفظ: «إن الملائكة
يتعاقبون فيكم» فاختلف فيه على أبي الزناد، فالظاهر أنه كان تارة يذكره هكذا،
وتارة هكذا، فيقوى بحث أبي حيان. ويؤيد ذلك أن غير الأعرج من أصحاب أبي
هريرة، قد روه تماماً، فأخرجه أحمد ومسلم من طريق همام بن منبه، عن أبي
هريرة مثل رواية موسى بن عقبة. لكن بحذف «إن» من أوله، وأخرجه ابن خزيمة
والسراج من طريق أبي صالح، عن أبي هريرة بلفظ: «إن الله ملائكة يتعاقبون» وهذه
هي الطريق التي أخرجهما البزار، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» بإسناد صحيح من
طريق أبي موسى، عن أبي هريرة بلفظ: «إن الملائكة يعقبون».

(١) في الأصول: «بكم» والمثبت من الصحيحين وغيرهما.

(٢) تقدم تخريجه ص ٣٨١.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٠٠) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم
والتعري، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله،
فاستحيوهم، وأكرمهم» وقال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه،
يعني أنه ضعيف، لأن في سنده ليث بن أبي سليم، وهو سيئ الحفظ، وباقي
رجاله ثقات. وفي الباب عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، قال: قلت: يا
رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: «احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما
ملكك يمينك» قال: قلت يا رسول الله إذا كان أحدنا خالياً قال: «الله أحق أن
يستحيا منه من الناس» أخرجه أحمد ٣/٥ - ٤، وأبو داود (٤٠١٧)، والترمذي
(٢٧٧٠)، وابن ماجه (١٩٢٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٥٦/٢ - ١٥٧ =

جاء في التفسير: اثنان عَنِ اليمِينِ وَعَنِ الشَّمالِ، يكتبان الأعمال: صَاحِبُ اليمينِ يَكْتُبُ الحسناتِ، وصَاحِبُ الشَّمالِ يكتب السيئات، ومَلَكَانِ آخران يحفظانه وَيَحْرُسَانِهِ، واحدٌ مِنْ ورائه، وَوَاحِدٌ أَمَامَهُ، فهو بينَ أربعةِ أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان.

وقال عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، قال: ملائكة يحفظونه من بَيْنِ يديه ومن خلفه، فإذا جاء قَدْرُ الله، خَلُّوا عنه^(١).

وروى مسلم والإمام أحمد عن عبد الله، قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ»، قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وإِيَّايَ، ولكن أعانني الله عَلَيْهِ، فَأَسْلَمَ، فَلَا يَأْمُرُنِي إِلَّا بِخَيْرٍ»^(٢). الرواية بفتح الميم من: «فأسلم» ومن رواه: «فأسلم» برفع الميم، فقد حَرَّفَ لفظه. ومعنى: «فأسلم»، أي: فاستسلم وانقاد لي، في أَصَحِّ القولين، ولهذا قال: «فلا يأمرني إلا بخير»، ومن قال: إن الشَّيْطَانَ صار مؤمناً، فقد حَرَّفَ معناه، فإن الشَّيْطَانَ لَا يَكُونُ مؤمناً^(٣).

= والخطيب في «تاريخه» ٢٦١/٣ - ٢٦٢، وأبو نعيم في «الحلية» ١٢١/٧ - ١٢٢. وسنده حسن، كما قال الترمذي، وصححه الحاكم.

(١) أخرجه الطبري (٢٠٢١٦) و (٢٠٢١٧) من طريقين، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨١٤)، وأحمد ١/٣٨٥، والدارمي ٢/٣٠٦، والطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (١٠٩) طبع مؤسسة الرسالة، وفي الباب عن عائشة عند مسلم (٢٨١٥)، والطحاوي (١١١).

(٣) قال الشيخ أحمد شاكر - رَحِمَهُ اللهُ -: والخلاف في ضبط الميم من: «فأسلم» خلاف قديم، والراجح فيها الفتح، كما قال الشارح، ولكن المعنى الذي رجحه غير راجح، فقال القاضي عياض في «مشارك الأنوار» ٢/٢١٨: رويناه بالضم والفتح، فمن ضم، رد ذلك إلى النبي ﷺ، أي: فأنا أسلم منه، ومن فتح، رده إلى القرين، أي: أسلم من الإسلام. وقد روي في غير هذه الأمهات: فاستسلم. يريد بالأمهات: «الموطأ» و «الصحيحين» التي بنى عليها كتابه، وإن كان هذا الحديث لم يروه مالك ولا البخاري.

ومعنى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]. قيل: جَفَظَهُمْ لَهُ مِنْ أمر الله، أي: الله أمرهم بذلك، يَشْهَدُ لذلك قراءة من قرأ: يحفظونه بأمر الله^(١).

ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تَكْتُبُ القول والفعل، وكذلك النية، لأنها فِعْلُ القلب، فدخلت في عموم: ﴿يَعْلَمُونَ مَا قَعَلُونَ﴾ [الأنفطار: ١٢]. ويشهد لذلك قوله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ، فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا عَلَيْهِ سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، فَاتَّكَبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاتَّكَبُوهَا عَشْرًا»^(٢).

= وقال النووي في «شرح مسلم»: «هما روايتان مشهورتان. واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: المختار الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح.

وأما الحافظ ابن حبان، فإنه روى الحديث في «صحيحه» (٢/٢٨٣) من المخطوطة (المصورة)، وجزم برواية فتح الميم، وقال: «في هذا الخبر دليل على أن شيطان المصطفى ﷺ أسلم حتى لم يكن يأمره إلا بخير، لا أنه كان يسلم منه، وإن كان كافراً». وهذا هو الصحيح الذي ترجحه الدلائل. وادعاء الشارح أن هذا تحريف للمعنى: «فإن الشيطان لا يكون مؤمناً» انتقال نظر. فأولاً: أن اللفظ في الحديث: «قرينه من الجن»، لم يقل: «شيطانه». وثانياً: أن الجنَّ فيهم المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم، فمن آمن منهم لم يُسَمَّ شيطاناً.

وقال الطحاوي - رحمه الله - في «شرح مشكل الآثار» بعد أن أخرج حديث ابن مسعود وعائشة: فوقفنا على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد كان في هذا المعنى كسائر الناس سواء، وأن الله أعانه عليه فأسلم بإسلامه الذي هداه له، حتى صار ﷺ في السلامة منه بخلاف غيره من الناس فيمن هو معه من جنسه.

(١) رواه الطبري (٢٠٢٤٠) من طريق بشر بن معاذ، عن سعيد، عن قتادة... وفي «زاد المسير» ٣١١/٤: وهو قول الحسن، ومجاهد، وعكرمة. قال اللغويون: والباء تقوم مقام «من»، وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض. وثمت أقوال في تفسير الآية، فانظرها فيه.

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم (١٢٨)، والبخاري (٧٥٠١)، والترمذي (٣٠٧٣)، وأحمد ٢/٢٤٢، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٦٨/١٠، وابن حبان (٣٧٩) و (٣٨٠) و (٣٨١) و (٣٨٢) و (٣٨٣) و (٣٨٤)، وابن منده في «الإيمان» (٣٧٥) و (٣٧٧) و (٣٧٨) و (٣٧٩).

وفي الباب عن ابن عباس عند البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (٢٠٧)، وأحمد ١/٣١٠ =

وقال رسول الله ﷺ: «قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ - فَقَالَ: ارْزُقُوهُ، فَإِنْ عَمِلَهَا، فَاتَّخِبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا، فَاتَّخِبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَايَ»، خرجاهما في «الصحيحين» واللفظ لمسلم^(١).

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ، الْمُؤَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ».

الإيمان بملك
الموت

ش: قال تعالى: ﴿قُلْ بِتَوْفِيقِي مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَيَّ رِيكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [آلم السجدة: ١١]. ولا تُعَارِضْ هذه الآية قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَلِكٍ إِلَىٰ قَاضٍ عَلَيْهَا الْمَوْتُ وَيُرْسِلُ الْآخِرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، لأن مَلَكَ الْمَوْتِ يتولَّى قَبْضَهَا واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب، ويتولَّونها بَعْدَهُ، كُلُّ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ وقضائه وقدره، وَحُكْمِهِ، فَصَحَّحَتْ إِضَافَةُ التَّوْفِي إِلَى كُلِّ بِحَسَبِهِ.

حقيقة النفس
والروح

وقد اختلف في حقيقة النفس ما هي؟ وهل هي جزء من أجزاء البدن، أو عرض من أعراضه؟ أو جسم مساكن له مودع فيه؟ أو جوهر مجرد؟ وهل هي الروح أو غيرها؟ وهل الأمانة، واللَّوامة، والمطمئنة نَفْسٌ واحدة، أم هي ثلاثة أنفس؟ هل تموت الروح، أو الموت للبدن وحده؟ وهذه المسألة تحتل مجلداً، ولكن أشير إلى الكلام عليها مختصراً، إن شاء الله تعالى^(٢):
ف قيل: الروح قديمة، وقد أجمعت الرُّسُلُ على أنها مُخَدَّنَةٌ مخلوقة

= و ٣٦٠ - ٣٦١، وابن منده في «الإيمان» (٣٨٠)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٩٢/٥.

(١) أخرجه مسلم (١٢٩)، وأحمد ٣١٥/٢، وابن منده (٣٧٦) من حديث أبي هريرة، ولم نجده في البخاري. وقوله: «من جرّاي» بالمد والقصر، لغتان، معناه: من أجلي، أنشد اللحياني كما في «اللسان» جرر.

أومن جرّاً بنى أسد غضبتم ولو شئتكم لكان لكم جوار
ومن جرّائنا صرّتم عبداً ليقوم بعد ما وطئ الخيار
(٢) انظر «مجموع الفتاوى» ٤١٦/٤ - ٤٣١، و «الروح» ص ١٩٣ - ٢٦٨.

مصنوعة مربوبة^(١) مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم، أن العالم محدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون، حتى تَبَعَتْ نَابِغَةً مِمَّنْ قَصَرَ فِهمه في الكتاب والسنة، فزعم أنها قديمة، واحتجَّ بأنها مِنْ أمر الله، وأمره غَيْرُ مخلوق! وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]، كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعَه وبصره ويده، وتوقف آخرون.

واتفق أهل السنة والجماعة على أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المزوزي، وابن قتيبة وغيرهما.

٢٣٦

ومن الأدلة على أن الرُّوحَ مخلوقة، قَوْلُهُ تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، فهذا عام لا تَخْصِيصَ فيه بوجهٍ ما، ولا يَدْخُلُ في ذلك صِفَاتُ الله تعالى، فإنها دَاخِلَةٌ في مُسَمَّى اسمِهِ، فالله تعالى هو الإلهُ الموصوفُ بصفات الكَمَالِ، فَعِلْمُهُ وقدرته وحياته وَسَمْعُهُ وبصره وَجَمِيعُ صفاته، دَاخِلٌ في مُسَمَّى اسمِهِ، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخَالِقُ، وما سواه مخلوق، ومَعْلُومٌ قطعاً أن الرُّوحَ ليست هي الله، ولا صِفَةً من صفاته، وإنما هي من مصنوعاتِهِ. ومنها قَوْلُهُ تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الدهر: ١]. وقوله تعالى لزكريا: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]. والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لزكريا، لروحه وبدنه، والروح تُوصَفُ بالوفاة والقبض، والإمساك والإرسال، وهذا شأنُ المخلوق المحدث.

وأما احتِجَاجُهُمْ بقوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، فَلَيْسَ المرادُ هنا بالأمر^(٢) الطَّلَبُ، بل المرادُ به المأمورُ، والمَصْدَرُ يُذَكِّرُ ويرادُ به اسمُ المفعول، وهذا معلوم مشهور.

(١) في الأصول: مَرْبُوءَةٌ، والتصحيح من «الروح» لابن القيم ص ١٩٣، وعنه الشارح ينقل.
(٢) في (ب): فليس المراد بالأمر هنا الطلب، وما في «الروح» هو الموافق لما أثبتناه عن (أ) و (ج) و (د).

وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]،
فينبغي أن يُعْلَمَ أن المضافَ إلى الله تعالى نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقُدرة والكلام^(١) والسمع والبصر،
فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات
له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقعة والعبد والرسول
والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً
وتشريعاً، يُمَيِّزُ بها المضاف عن غيره.

واختلف في الروح: هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟ وقد تقدّم
عند ذكر الميثاق الإشارة إلى ذلك^(٢).

واختلف في الروح^(٣): ما هي؟ فقيل: هي جسم، وقيل: عرض^(٤)،
وقيل: لا ندري ما الروح، أجوهر أو عرض؟ وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر
من اعتدال الطبائع الأربع، وقيل: هي الدّم الصافي الخالص من الكدر
والعفونات، وقيل: هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة، وقيل: هي جوهر
بسيط مُنَبَّث في العالم كُله من الحيوان على جهة الأعمال له والتدبير،
وهي^(٥) على ما وصفت من الانساط في العالم، غير منقسمة الذات والبنية،
وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير، وقيل: النفس هي النسيم
الداخل والخارج بالتنفس، وقيل غير ذلك.

وللناس في مُسمّى الإنسان: هل هو الروح فقط، أو البدن فقط، أو

(١) سقطت من (ب).

(٢) في الصفحة: ٣٠٧.

(٣) انظر: في ذكر هذه الأقوال ونسبتها إلى قائلها، وترجيح ما هو الصحيح منها في
كتاب «الروح» ص ٢٣٧ وما بعدها.

(٤) في (ب): «وقيل: هي عرض».

(٥) سقطت من (ب).

مجموعهما، أو كل منهما؟ وهذه الأقوال الأربعة لهم في كلامه: هل هو اللفظ فقط، أو المعنى فقط، أو هما، أو كُلُّ منهما؟ فالخلاف بينهم في الناطق ونطقه.

والحق: أن الإنسان اسمٌ لهما، وقد يُطْلَقُ على أَحَدِهِمَا بقرينة، وكذلك الكلام.

والذي يَدُلُّ عليه الكتابُ والسنة وإجماعُ الصحابة، وإدلةُ العقل: أن النفسَ جسمٌ مخالفٌ بالماهية لهذا الجسمِ المحسوس، وهو جسمٌ ثوراني علوي، خَفِيفٌ حَيٌّ مُتَحَرِّكٌ، يَنْقُذُ في جَوْهَرِ الأَعْضَاءِ، وَيَسْرِي فِيهَا سَرِيانَ المَاءِ فِي الْوَرْدِ، وسريانِ الدُّهْنِ فِي الزَيْتُونِ، والنَّارِ فِي الفَحْمِ، فما دامت هذه الأَعْضَاءُ صالِحَةً لِقَبُولِ الآثارِ الفائِضَةِ عَلَيْهَا من هَذَا الجِسْمِ اللطيف، بقي ذلك الجسمُ اللطيف سارياً في هذه الأَعْضَاءِ، وأفادها هذه الآثار من الحسِّ والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه، بسبب استيلاء الأَخْلَاطِ الغليظة عليها، وخرجت عَن قَبُولِ تلك الآثار، فارق الروحُ البدنَ، وانفصل إلى عالم الأرواح.

الأدلة على أن
النفس جسم
مخالف
بالماهية
للجسم
المحسوس

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية [الزمر: ٤٢]، ففيها الإخبار بتوفيها وإمساكها وإرسالها.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج، والإخبار بعذابها ذلك اليوم، والإخبار عن مجيئها إلى ربها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ الآية [الأنعام: ٦٠]، ففيها الإخبار بتوفي النفس^(١) بالليل، وبعثها إلى أجسادها بالنهار، وتوفي الملائكة لها عند الموت.

(١) في (ب): الأنفس.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٧) أَرْجَى إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٨) فَأَدْخِلْنِي فِي عِيدِي (٩) وَأَدْخِلْنِي جَنَّاتِي (١٠) [الفجر: ٢٧ - ٣٠]. ففيها (١) وصفها بالرجوع والدخول والرضا.

وقال ﷺ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ (٢): ففيه وصفه بالقبض، وأن البصر يراه. وقال ﷺ في حديث بلال: «قَبِضَ أَرْوَاحُكُمْ [حِينَ شَاءَ] وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ [حِينَ شَاءَ]» (٣). وقال ﷺ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَغْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ» (٤).

(١) في (ب): فيها.

(٢) أخرجه مسلم (٩٢٠)، وابن ماجه (١٤٥٤)، وأحمد ٢٩٧/٦، والبيهقي ٣٣٤/٣، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٧/١٣، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ (٧١٢)، وأبو داود (٣١١٨)، وأبو يعلى ٣٢٦/١ عن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شَقَّ بَصْرُهُ، فأغمضه، ثم قال: إن الروح إذا قُبِضَ، تَبِعَهُ الْبَصَرُ فَضِجُ نَاسٍ مِنْ أَهْلِهِ، فقال: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقْبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ». وفي الباب عن أبي هريرة عند مسلم (٩٢١).

(٣) أخرجه البخاري ٥٩٥ و (٧٤٧١)، وأبو داود (٤٣٩)، والنسائي ١٠٦/٢، وأحمد ٣٠٧/٥ من حديث أبي قتادة، قال: سرنا مع النبي ﷺ ليلة، فقال بعض القوم: لو عرست بنا يا رسول الله، قال: «أَخَافُ أَنْ تَنَامُوا عَنِ الصَّلَاةِ» قال بلال: أنا أوقظكم، فاضطجعوا، وأسند بلال ظهره إلى راحلته، فغلبته عيناه، فنام، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس، فقال: «يَا بِلَالُ، أَيْنَ مَا قُلْتَ؟» قال: ما أَلْقَيْتُ عَلَيَّ نَوْمَةً مِثْلَهَا قَطُّ، قال: «إِنَّ اللَّهَ قَبِضَ أَرْوَاحَكُمْ حِينَ شَاءَ، وَرَدَّهَا عَلَيْكُمْ حِينَ شَاءَ». وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٤٨/٩.

(٤) أخرجه النسائي ١٠٨/٤، وابن ماجه (٤٢٧١)، ومالك ٢٤٠/١، وأحمد ٤٥٥/٣ و ٤٥٦، ٤٦٠ من طريق عبد الرحمن بن كعب، عن أبيه كعب بن مالك بلفظ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَغْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ» وإسناده صحيح، وكذلك أخرجه ابن ماجه (١٤٤٩)، وأحمد ٤٥٥/٣، والطبراني في «الكبير» ١٩/ (١١٩) و (١٢٠) و (١٢١) و (١٢٢) و (١٢٣)، والحميدي (٨٧٣)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٥٦/٩، وصححه ابن حبان (٧٣٤).

وأخرجه الترمذي (٦٤١)، وأحمد ٣٨٦/٦، والطبراني ١٩/ (١٢٥) من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الزهري، عن ابن كعب بن مالك، عن =

وسَيَأْتِي فِي الْكَلَامِ عَلَى عَذَابِ الْقَبْرِ أُدْلَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ خُطَابِ مَلِكِ الْمَوْتِ لَهَا، وَأَنَّهَا تَخْرُجُ تَسِيلٌ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، وَأَنَّهَا تَضَعُدُ وَيُوجَدُ مِنْهَا [مِنَ الْمُؤْمِنِ] كَأَطْيَبِ رِيحٍ، وَمِنَ الْكَافِرِ كَأَنْتَنِ رِيحٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصُّفَاتِ، وَعَلَى ذَلِكَ أَجْمَعَ السَّلَفُ، وَدَلَّ الْعَقْلُ، وَلَيْسَ مَعَ مَنْ خَالَفَ سِوَى الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ، وَالشُّبْهِ الْفَاسِدَةِ، الَّتِي لَا يُعَارِضُ بِهَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ نَصُوصُ الْوَحْيِ وَالْأَدْلَةُ الْعَقْلِيَّةُ.

وَأَمَّا اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي مُسَمًّى النَّفْسِ وَالرُّوحِ: هَلْ هُمَا مُتَغَايِرَانِ، أَوْ مَسَاهُمَا وَاحِدٌ^(١)؟ فَالْتَحَقِيقُ: أَنَّ النَّفْسَ تُطْلَقُ عَلَى أُمُورٍ، وَكَذَلِكَ الرُّوحُ، فَيَتَّحِدُ مَدْلُولُهُمَا تَارَةً، وَيَخْتَلِفُ تَارَةً.

الاختلاف في
مسمى النفس
والروح
٢٣٨

فَالنَّفْسُ تُطْلَقُ عَلَى الرُّوحِ، وَلَكِنْ غَالِبُ مَا تُسَمَّى نَفْسًا إِذَا كَانَتْ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ، وَأَمَّا إِذَا أَخَذَتْ مَجْرَدَةً، فَتُسَمَّى الرُّوحَ أَغْلَبَ عَلَيْهَا. وَتُطْلَقُ عَلَى الدَّمِ، فِيهِ الْحَدِيثُ: «مَا لَا نَفْسَ لَهُ سَائِلَةٌ لَا يُنْجِسُ الْمَاءَ إِذَا مَاتَ فِيهِ»^(٢).

وَالنَّفْسُ: الْعَيْنُ، يُقَالُ: أَصَابَتْ فَلَانًا نَفْسٌ، أَي: عَيْنٌ^(٣).

= أَيْبِهِ بِلَفْظٍ: «الشَّهْدَاءُ...» وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ؛ إِلَّا أَنَّ ابْنَ عِيْنَةَ تَفَرَّدَ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَالثَّقَاتُ مِنَ الرِّوَاةِ غَيْرُهُ رَوَوْهُ بِلَفْظٍ: «الْمُسْلِمُ» أَوْ «الْمُؤْمِنُ».

(١) انظر: «الروح» ص ٢٩٠.

(٢) أَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِي فِي «سَنَنِهِ» ٣٧/١، وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» ١٢٤٢/٣ مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا سَلْمَانُ، كُلُّ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَقَعَتْ فِيهِ دَابَّةٌ لَهَا دَمٌ، فَمَاتَتْ فِيهِ، فَهُوَ حَلَالٌ أَكَلَهُ وَشَرِبَهُ وَوَضُوْهُ» وَفِي سَنَدِهِ سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ الزُّبَيْدِيُّ، وَهُوَ مَجْهُولٌ، وَعَلِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

وَأُورِدَهُ السِّيُوطِيُّ فِي «الْجَامِعِ الْكَبِيرِ» ٩٦٤/٢ عَنْ الدَّارِقُطْنِيِّ، وَالْخَطِيبِ فِي «الْمُتَّفَقِ وَالْمُفْتَرَقِ».

(٣) هَذَا قَوْلُ الْجَوْهَرِيِّ فِي «الصَّحَاحِ»، وَتَعَقَّبَهُ ابْنُ الْقَيْمِ، فَقَالَ: لَيْسَ كَمَا قَالَ، بَلِ النَّفْسُ هَا هُنَا: الرُّوحُ، وَنِسْبَةُ الْإِضَافَةِ إِلَى الْعَيْنِ تَوْسِعُ، لِأَنَّهَا تَكُونُ بِوَسْطَةِ النَّظَرِ الْمَصِيبِ، وَالَّذِي أَصَابَهُ إِنَّمَا هُوَ نَفْسُ الْعَائِنِ.

والنفس: الذات، كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ونحو ذلك.

وأما الروح، فلا تُطْلَقُ على البدن، لا بانفراده، ولا مع النفس، وتُطْلَقُ الرُّوحُ على القرآن، وعلى جبريل، ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. وتُطْلَقُ الروحُ على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً.

وأما ما يؤيد الله به أوليائه، فهي رُوحٌ أخرى، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وكذلك القوى التي في البدن، فإنها تُسَمَّى أرواحاً، فيقال: الروح الباصِرُ، والرُّوحُ السامِعُ، والروح الشَّامُ.

وتُطْلَقُ الروحُ على أخَصٍّ من هذا كُلِّه، هو: قُوَّةُ المعرفة بالله، والإنابة إليه ومحبته، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته، ونسبة هذه الروح إلى الروح، كنسبة الروح إلى البدن، فللعلم روح، وللإحسان روح، وللمحبة روح، وللتوكل روح، وللصدق روح^(١).

والناس متفاوتون في هذه الأرواح^(٢): فَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْأَرْوَاحُ فَيَصِيرُ رُوحَانِيًّا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْقِدُهَا أَوْ أَكْثَرَهَا، فَيَصِيرُ أَرْضِيًّا بِهِيمِيًّا. وقد وَقَعَ في كلام كثيرٍ من الناس أن لابنِ آدَمَ ثَلَاثَ^(٣) أَنْفُسَ^(٤): مُطْمَئِنَّةٌ، وَلَوَامَةٌ، وَأَمَّارَةٌ، قالوا: وإنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ هَذِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَغْلِبُ عَلَيْهِ هَذِهِ، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]. ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢]. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

(١) في (ب): فالعلم روح، والإحسان روح، والمحبة روح، والتوكل روح، والصدق روح.

(٢) في الأصول: الروح، والمثبت من «الروح» ص ٢٩٤.

(٣) في الأصول: ثلاثة، والمثبت من «الروح»، وهو الجادة.

(٤) انظر: «الروح» ص ٢٩٤ - ٣٠٥.

النفس واحدة
ولها صفات

والتحقيق: أنها نفس واحدة، لها صفات، فهي أمانة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان، صارت لؤامة، تفعل الذنب، ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوي الإيمان، صارت مطمئنة، ولهذا قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(١). مع قوله: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(٢)... الحديث.

الاختلاف في
موت الروح

اختلف الناس: هل تموت الروح أم لا^(٣)؟ فقالت طائفة: تموت، لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٤) وَبَيَّنَّ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت

(١) قطعة من حديث صحيح أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وأحمد ١/١٨، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٨/٦٢، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٤٠٣) من طريق عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن عمر، وصححه الحاكم ١/١١٤، ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد ١/٢٦، وابن ماجه (٢٣٦٣)، والطيالسي ص ٧، وأبو يعلى (١٤١) و (١٤٢) و (١٤٣) من طريق عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن عمر. وصححه ابن حبان (٢٢٨٢)، ورواه عبد الرزاق (٢٠٧١٠)، وأبو يعلى (٢٠١)، والقضاعي (٤٠٤) من طريق عبد الملك بن عمير، عن عبد الله بن الزبير، عن عمر. ورواه الحميدي (٣٢) من طريق ابن سليمان بن يسار، عن أبيه، عن عمر.

وفي الباب عن أبي أمامة عند أحمد ٥/٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٦، وعبد الرزاق (٢٠١٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٧٥٣٩) و (٧٥٤٠)، والقضاعي (٤٠٠) و (٤٠١) و (٤٠٢)، وصححه ابن حبان (١٧٦)، والحاكم ١/١٤، ووافقه الذهبي. وعن أبي موسى عند أحمد ٤/٣٩٨، والبخاري (٧٩)، والحاكم ١/٥٤ ورجاله رجال الصحيح، ما خلا المطلب بن عبد الله راويه عن أبي موسى، فإنه ثقة، ولكنه مدلس، ولم يسمع من أبي موسى، فهو منقطع، كما قال الهيثمي في «المجمع» ٨٦/١، لكنه يتقوى بحديث عمر وأبي أمامة.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٤٠ تعليق (١).

(٣) انظر «الروح» ص ٤٩ - ٥٤.

الأبدان، قالوا: وقد دَلَّ على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعدَ المفارقة إلى أن يَرْجِعَهَا الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موث النفوس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها؛ فإن أريدَ بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تُعَذَّبُ وتُفْنَى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

٢٣٩

وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد، وأما قول أهل النار: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَنتَيْنِ وَأَيَّيْنَا أَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]، وقوله تعالى: ﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] - فالمراد: أنهم كانوا أمواتاً وهم تُطْفَ في أصلاب^(١) آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث مَوْتَات.

وصُعِقُ الأرواح عند النفخ في الصور لا يَلْزَمُ منه مَوْتُهَا، فإنَّ الناس يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إذا جاء الله لفصل القضاء، وأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ بنوره، وليس ذلك بموت. وسيأتي ذكر ذلك، إن شاء الله تعالى. وكذلك صُعِقَ موسى ﷺ لم يكن موتاً^(٢)، والذي يَدُلُّ عليه أن نفخة الصعق - والله أعلم -

(١) في (ب): صلب.

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» (٣٤٠٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «... لا تخيرونني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يُفَيَّقُ، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله» قال الحافظ في «الفتح» ٤٤٤/٦: في رواية إبراهيم بن سعد: «إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يُفَيَّقُ» لم يبين في رواية الزهري من الطريقين محل الإفاقة من أي الصعقتين، ووقع في رواية عبد الله بن الفضل: «فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم =

موت كُلُّ مَنْ لَمْ يَذُقِ الْمَوْتَ قَبْلَهَا مِنَ الْخَلَائِقِ، وَأَمَّا مَنْ ذَاقَ الْمَوْتَ، أَوْ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنَ الْحَوَرِ وَالْوِلْدَانِ وَغَيْرِهِمْ، فَلَا تَدُلُّ الْآيَةُ عَلَى أَنَّهُ يَمُوتُ مَوْتَةً ثَانِيَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله: «وَيُعَذِّبُ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا»^(١)، وسؤال مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِبَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ.

الإيمان بعذاب
القبر ونعيمه

ش: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَاقَ بِكَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝ أَلْأَنْتَ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝﴾^(٢) [غافر: ٤٥ - ٤٦].

وقال تعالى: ﴿قَدْ زَرَّهْمَ حَتَّى يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ۝ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۝﴾^(٣) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ [الطور: ٤٥ - ٤٧]. وَهَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِهِ عَذَابُهُمْ بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْ يُرَادَ بِهِ عَذَابُهُمْ فِي الْبَزْخِ، وَهُوَ أَظْهَرُ، لِأَنَّهُ كَثِيرًا

= يَنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بَعَثَ، وَفِي رِوَايَةِ الْكَشْمِيهِنِيِّ: «أَوَّلَ مَنْ يَبْعَثُ»، وَالْمُرَادُ بِالصَّعْقِ غَشْيٌ يَلْحَقُ مَنْ سَمِعَ صَوْتًا أَوْ رَأَى شَيْئًا يَفْزَعُ مِنْهُ، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ ظَاهِرَةٌ فِي الْإِفَاقَةِ بَعْدَ النَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ، وَأَصْرَحَ مِنْ ذَلِكَ رِوَايَةُ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي تَفْسِيرِ الزَّمَرِ (٤٨١٣) بِلَفْظٍ: «إِنِّي أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ» وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: «فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ» فَكَذَا وَقَعَ بِهَذَا اللَّفْظِ فِي أَوَّلِ الْخُصُومَاتِ (٢٤١٢)، وَوَقَعَ فِي غَيْرِهَا (٣٣٩٨) وَ (٤٦٣٨) وَ (٦٩١٧): «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفَيِّقُ» وَقَدْ اسْتَشْكَلَ، وَجَزَمَ الْمَزِّي فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي كِتَابِ الرُّوحِ ص ٥٢ - ٥٣ أَنَّ هَذَا وَهَمٌّ مِنْ رِوَايَةٍ، وَأَنَّ الصَّوَابَ مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ غَيْرِهِ: «فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفَيِّقُ»، وَأَنَّ كَوْنَهُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ صَحِيحٌ، لَكِنَّهُ فِي حَدِيثِ آخِرِ لَيْسَ فِيهِ قِصَّةُ مُوسَى.

(١) فِي (ب): أَهْلًا لَهُ.

(٢) انْظُرْ «تَأْوِيلَ مُشْكَلِ الْقُرْآنِ» ص ٨٣، وَالطَّبْرِيِّ ٤٢/٢٤، وَ«زَادَ الْمَسِيرَ» ٢٢٦/٧ - ٢٢٩، وَ«تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ» ١٣٦/٧ - ١٣٧ طَبْعَةُ الشَّعْبِ، وَ«فَتْحُ الْبَارِي» ٢٣٦/٣.

منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فَعَدَّ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ، وَهُوَ يُلْحَدُ لَهُ، فَقَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، نَزَلَتْ إِلَيْهِ ^(١) الْمَلَائِكَةُ، كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسَ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَخَنُوطٌ مِنْ خَنُوطِ الْجَنَّةِ، فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيُّهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَأْخُذَهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْخَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطِيبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدْتَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا - يَغْنِي عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا ^(٢) فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيَفْتَحُ لَهُ، فَيُسَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا، إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ^(٣) فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيْنِ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أَخْرَجْتُهُمْ تَارَةً أُخْرَى.

قَالَ: فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِيهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ،

(١) في الأصول: إليهم، والمثبت من «المسند» وغيره.

(٢) في الأصول: به، والمثبت من «المسند».

(٣) في الأصول: «إلى السماء التي فيها الله» والمثبت من المصادر التي خرجت الحديث.

فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا عَلِمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ،
فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرُسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً
إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيَنْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ،
قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِرْ
بِالَّذِي يَسْرُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تَوَعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ
الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ، أَقِمِ
السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.

قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ،
نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ^(١)، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ
مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: آيَّتُهَا
النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطِ مَنْ اللَّهُ وَغَضَبِ، قَالَ: فَتَتَفَرَّقُ فِي
جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السُّفُودُ^(٢) مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا
أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ،
وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ خَبِيثَةٍ وَجَدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَضَعُدُونَ بِهَا، فَلَا
يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ:
فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَفْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا
إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا
تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سِرِّ^(٣) لَلْخِيَاطِ﴾

(١) الْمُسُوحُ جمع منحه: الكساء من الشعر.

(٢) السُّفُود: حديدة ذات شعب مُعَقَّفَة، يُشَوَّى بِهَا اللَّحْمُ، والجمع سفايد.

(٣) سم الخياط: ثقب الإبرة. قال الطبري ٤٢٧/١٢: وكل ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك، فإن العرب تسميه «سَمًا»، وتجمعه «سموماً»، و«السَّمَامُ» في جمع السَّم القتال أشهر وأفصح من السموم، وهو في جمع السَّم الذي هو بمعنى الثقب أفصح، وكلاهما في العرب مستفيض، وقد يقال لواحد السموم الذي هو الثقب: «سَمٌ» و«سُمٌ» بفتح السين وضمها. ومن السم الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق: فَتَفْسَنَتْ عَنْ سَمِيهِ حَتَّى تَنْفُسَا وقلتُ له لَا تَخْشَ شَيْئاً وَرَائِيَا
يعني بسميه: ثقب أنفه. وأما «الخياط» فإنه «المخيط» وهي الإبرة، قيل لها: خياط =

[الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: اكتبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ، فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِيهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ، هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ، فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَافْرُسُوهُ مِنَ الثَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الثَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسُمُومِهَا، وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ، حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ فَبَيْعُ الْوَجْهِ، فَبَيْعُ الثِّيَابِ، مُتَيْنِ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أُنَبِّئُ بِالَّذِي يَسْوُوكُ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثِ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ^(١).

رواه الإمام أحمد وأبو داود، وروى النسائي، وابن ماجه أوله، ورواه الحاكم، وأبو عَوَانَةَ الإسفراييني، في «صحيحهما»، وابن حبان.

وذهب إلى موجب هذا الحديث جَمِيعُ أَهْلِ السَّنة والحديث، وله شواهد من الصحيح، فذكر البخاري رحمته الله، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَقْعِدَانِيهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ، مُحَمَّدٌ ﷺ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ،

= ومخيط، كما قيل: قِنَاعٌ وَمِقْنَعٌ، وَإِزَارٌ وَمِثْرٌ، وَقِرَامٌ وَمِقْرَمٌ، وَلِحَافٌ وَمِلْحَفٌ. ومعنى الآية: لَا يَدْخُلُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ، وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا الْجَنَّةَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَبَدًا، كَمَا لَا يُلْجُ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ أَبَدًا.

(١) حديث صحيح أخرجه أحمد ٢٨٧/٤ و ٢٩٥ - ٢٩٦، وأبو داود (٤٧٥٣)، والطيالسي (٧٥٣)، والآجري في «الشرعية» ص ٣٦٧ - ٣٧٠، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٢٠)، وابن أبي شيبة ٣/٣٨٠ - ٣٨٢، وعبد الرزاق (٦٧٣٧)، وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٤)، وأحمد في «السنن» رقم (١٣٦٥) و (١٣٦٨)، وأبو نعيم في «الحلية» ٥٦/٩، والطبري (١٤٦١٤)، وصححه والحاكم ٣٧/١ - ٤٠.

فَيَقُولُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا»^(١).

قال قتادة: وَرَوَى لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وفي «الصحيحين» عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ^(٢) مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، فَدَعَا بِجَرِيدَةٍ رَطْبَةٍ، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، وَقَالَ: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَنْتَسِا»^(٣).

وفي «صحيح أبي حاتم» عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ^(٤)، أَوْ الْإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَرْزَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ،

(١) أخرجه البخاري (١٣٣٨) و (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، والنسائي ٨٧/٤ - ٩٨، وأحمد ١٢٦/٣، وأبو داود (٤٧٥١)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (١٣) و (١٥) و (١٦)، وابن أبي عاصم (٨٦٣)، والآجري ص ٣٦٥، وابن منده في «الإيمان» (١٠٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥٢٢)، وسعيد: هو ابن أبي عروبة.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» ٣١٨/١: كذا في أكثر الروايات، بمثنيتين من فوق: الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، وفي رواية ابن عساكر: «يستبرئ» بموحدة ساكنة من الاستبراء، ولمسلم وأبي داود في حديث الأعمش: «يستتره» بنون ساكنة بعدها زاي ثم هاء، فعلى رواية الأكثر معنى الاستتار: أنه لا يجعل بينه وبين بوله مسترة، يعني: لا يتحفظ منه، فتوافق رواية «لا يستتره» لأنها من التنزه، وهو الإبعاد، وقد وقع عند أبي نعيم في «المستخرج» من طريق وكيع عن الأعمش: «كان لا يتوقى»، وهي مفسرة للمراد.

(٣) أخرجه البخاري (٢١٦) و (٢١٨) و (١٣٦١) و (١٣٧٨) و (٦٠٥٢) و (٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، وابن ماجه (٣٤٧)، والنسائي ٢٨/١ - ٣٠ و ١٠٦/٤، وأحمد ٢٢٥/١، وابن أبي شيبة ١٢٢/١، والبيهقي في «السنن» ١٠٤/١، وفي «إثبات عذاب القبر» له (١١٧) و (١١٨) و (١١٩)، والبغوي (١٨٣)، والآجري في «الشریعة» ص ٣٦١ و ٣٦٢، والطيالسي (٢٦٤٦)، وابن منده في الإيمان (١٠٧١)، والدارمي ١٨٨/١، ووكيع في «الزهد» (٤٤٤).

(٤) في الأصول: أحذكم، والمثبت من ابن حبان.

وللآخر: التَّكْيِيرُ وذكر الحديث^(١)... إلخ.

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فَيَجِبُ اعتقادُ ثبوت ذلك، والإيمانُ به، ولا نتكلَّم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوفٌ على كيفيته، لكونه لا عهدَ له به في هذه الدار، والشُّرْع لا يأتي بما يُحِيلُهُ المَعْقُولُ، ولكنه قد يأتي بما تَحَارُّ فيه العقولُ، فإن عَوَدَ الرُّوحُ إلى الجسدِ ليس على الوجهِ المعهودِ في الدنيا، بل تُعَادُ الرُّوحُ إليه إِعَادَةً غَيْرَ الإِعَادَةِ المألوفةِ في الدنيا.

٢٤٢

تعلقات الروح
بالبدن

فالروح لها بالبدن حَمْسَةٌ أنواع من التَّعْلُقِ، متغايرة الأحكام^(٢):
أحدها: تعلُّقها به في بطن الأمِّ جنيئاً.

الثاني: تعلُّقها به بَعْدَ خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تَعْلُقُهَا به في حال النَّوْمِ، فلها به تَعْلُقٌ من وجه، ومُفَارَقَةٌ مِنْ

وجه.

(١) هو في «صحيح ابن حبان» (٧٨٠)، ولفظه بتمامه: «إذا قُبِرَ الميت - أو الإنسان - أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فهو قائل ما كان يقول، فإن كان مؤمناً قال: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

فيقولان له: إن كنا لنعلم أنك لتقول ذلك. ثم يَفْسَحُ له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ذراعاً، ويُنَوَّرُ له فيه، فيقال له: نم، فينام كنوم العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، فإن كان منافقاً قال: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئاً فكنت أقوله، فيقولان له: إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك. ثم يقال للأرض التُّيْمِي عليه، فتلتئم عليه حتى تختلف أضلاعه، فلا يزال معذباً حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك.

وأخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤)، والآجري في «الشريعة» ص ٣٦٥، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٨٩) كلهم من طريق عبد الرحمن بن إسحاق العامري المدني، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة... وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وهو كما قال، بل أعلى؛ فإن رجال إسناده على شرط مسلم.

(٢) انظر «الروح» ص ٦٢ - ٨١.

الرابع: تَعَلَّقُهَا بِهِ فِي الْبَرْزَخِ، فَإِنَّهَا وَإِنْ فَارَقَتْهُ، وَتَجَرَّدَتْ عَنْهُ، فَإِنَّهَا لَمْ تُفَارِقْهُ فِرَاقاً كَلِئاً بِحَيْثُ لَا يَبْقَى لَهَا إِلَيْهِ التَّفَاتُ الْبَتَّةَ، فَإِنَّهُ وَرَدَ رَدُّهَا إِلَيْهِ وَقَتَ سَلَامِ الْمُسْلِمِ^(١)، وَوَرَدَ أَنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُؤَلُّونَ عَنْهُ^(٢)، وَهَذَا الرَّدُّ إِعَادَةٌ خَاصَّةٌ لَا يُوجِبُ حَيَاةَ الْبَدَنِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الخامس: تَعَلَّقُهَا بِهِ يَوْمَ بَعْثِ الْأَجْسَادِ، وَهُوَ أَكْمَلُ أَنْوَاعِ تَعَلُّقِهَا بِالْبَدَنِ، وَلَا نِسْبَةَ لِمَا قَبْلَهُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّعَلُّقِ إِلَيْهِ، إِذْ هُوَ تَعَلَّقَ لَا يَقْبَلُ الْبَدَنُ مَعَهُ مَوْتاً وَلَا نَوْمًا وَلَا فُسَادًا، فَالنُّومُ^(٣) أَخُو الْمَوْتِ، فَتَأْمَلْ هَذَا، يُزِيحُ عَنْكَ إِشْكَالَاتٍ كَثِيرَةً.

وليس السؤال في القبر للروح وَخَذَهَا، كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ وَغَيْرُهُ، وَأَفْسَدَ مِنْهُ قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ لِلْبَدَنِ بَلَا رُوحٍ! وَالْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ تَرُدُّ الْقَوْلِينَ.

السؤال في
القبر للروح
والجسم

وكذلك عذاب القبر يَكُونُ لِلنَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعاً، بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَنْعَمُ النَّفْسُ، وَتُعَذِّبُ مَفْرَدَةً عَنِ الْبَدَنِ وَمتصلة به.

واعلم أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ هُوَ عَذَابُ الْبَرْزَخِ^(٤)، فَكُلُّ مَنْ مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحَقٌّ لِلْعَذَابِ نَالَهُ نَصِيبُهُ مِنْهُ، قُبِرَ أَوْ لَمْ يُقْبَرْ، أَكَلَتْهُ السَّبَاعُ أَوْ احْتَرَقَ حَتَّى

(١) أخرج أبو داود (٢٠٤١) من طريق أبي صخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلّا ردّ الله روعي حتى أُرَدَّ عليه السلام». وصححه النووي في «رياض الصالحين» و«الأذكار»، وقال الحافظ فيما نقله عنه ابن علان ٣/٣١٦: إنه حديث غريب. أخرجه أحمد وأبو داود، ورجاله رجال الصحيح، إلّا أبا صخر فأخرج له مسلم وحده، وقد اختلف فيه قول ابن معين، ثم في ابن قسيط مقال، توقف فيه مالك، فقال في حديث آخر من روايته خارج الموطأ: ووصله ليس بذلك، وانفراده بهذا عن أبي هريرة يمنع من الجزم بصحته.

(٢) ورد ذلك في حديث أنس بن مالك الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨) و (١٣٤٦)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) في (ب): والنوم.

(٤) انظر: «الروح» ص ٨١ - ٨٨.

صار رماداً، ونُسِفَ في الهواء، أو صُلِبَ أو غَرِقَ في البحر وصل إلى روحه وبدنه مِنَ العذاب ما يَصِلُ إلى المقبور.

وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يُفْهَمَ عن الرسول ﷺ مراده من غير^(١) غلو ولا تقصير، فلا يُحْمَلُ كلامه ما لا يَحْتَمِلُهُ، ولا يُقَصَّرُ به عن مراده وما قَصَدَهُ من الهدى والبيان، فكم حَصَلَ بإهمال ذلك والعدول عنه مِنَ الضلال، والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصلُ كُلِّ بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، هو أصلُ كُلِّ خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أُضيفَ إليه سوء القصد. والله المستعان.

فالحَاصِلُ أن الدَّورَ ثلاثة^(٢): دارُ الدنيا، ودارُ البرزخ، ودارُ القَرَارِ. وقد جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ دارٍ أَحْكَاماً تُخَصُّهَا، وَرَكَّبَ هَذَا الْإِنْسَانَ مِنْ بَدَنٍ وَنَفْسٍ، وَجَعَلَ أَحْكَامَ الدُّنْيَا عَلَى الْأَبْدَانِ، وَالْأَزْوَاجَ تَبَعَ لَهَا، وَجَعَلَ أَحْكَامَ الْبَرْزَخِ عَلَى الْأَرْوَاحِ، وَالْأَبْدَانُ تَبَعَ لَهَا، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ حَشْرِ الْأَجْسَادِ وَقِيَامِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ، صَارَ الْحُكْمُ وَالنَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ جَمِيعاً. فَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَا الْمَعْنَى حَقَّ التَّأَمُّلِ، ظَهَرَ لَكَ أَنَّ كَوْنَ الْقَبْرِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةً مِنْ حُفَرِ النَّارِ مُطَابِقٌ لِلْعَقْلِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، وَبِذَلِكَ يَتَمَيَّزُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ غَيْرِهِمْ.

الدَّورُ ثَلَاثَةٌ
ولِكُلِّ دارٍ
أَحْكَامٌ

٢٤٣

وَيَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ^(٣) أَنَّ النَّارَ الَّتِي فِي الْقَبْرِ وَالنَّعِيمَ، لَيْسَ مِنْ جِنْسِ نَارِ الدُّنْيَا وَلَا نَعِيمِهَا، وَإِنْ كَانَ اللهُ تَعَالَى يَحْمِي عَلَيْهِ الثَّرَابَ وَالْحِجَارَةَ الَّتِي فَوْقَهُ وَتَحْتَهُ حَتَّى يَكُونَ أَعْظَمَ حَرّاً^(٤) مِنْ جَمْرِ الدُّنْيَا، وَلَوْ مَسَّهَا أَهْلُ الدُّنْيَا لَمْ يُحْسُوا بِهَا، بَلْ أَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ يُدْفَنَانِ أَحَدُهُمَا إِلَى جَنْبِ

(١) سقطت من (ب).

(٢) انظر: «الروح» ص ٨٨ - ٩٠.

(٣) انظر: «الروح» ص ٩٢ - ٩٣.

(٤) سقطت من (ب).

صاحبه، وهذا في حُفْرَةٍ مِنْ حُفَرِ النار، ولهذا في روضة من رياض الجنة، لا يَصِل من هذا إلى جاره شيء من حرّ ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدره الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مُوَلَّعةٌ بالتكذيب بما لم تُحِط به علماً، وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يُطْلِعَ على ذلك بَعْضُ عباده أطلعه، وَغَيَّبَته عن غيره، ولو اطلع الله على ذلك الْعِبَادَ كُلَّهُمْ، لَزَالَتْ حِكْمَةُ التَّكْلِيفِ وَالْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، ولما تَدَاقَقَ النَّاسُ، كما في «الصحيح» عنه ﷺ: «لَوْ لَا أَنْ لَا تَدَاقُقُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَا أَسْمَعُ»^(١). ولما كانت هذه الْحِكْمَةُ مُتَنَفِّيةً فِي حَقِّ الْبَهَائِمِ سَمِعَتْ [ذلك]^(٢) وأدركته.

وللناس في سؤال منكر ونكير: هل هو خاصٌّ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ أم لا^(٣)؟ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: الثالث؛ التَّوَقُّفُ، وهو قول جماعة، منهم أَبُو عَمْرٍو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، فَقَالَ: وَفِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا»^(٤) مِنْهُمْ مَنْ يَرَوِيهِ: «تُسَالُ»، وَعَلَى هَذَا اللَّفْظِ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأُمَّةُ قَدْ خُصَّتْ بِذَلِكَ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يُقَطَّعُ عَلَيْهِ، وَيُظْهِرُ عَدَمَ الْإِخْتِصَاصِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

سؤال منكر
ونكير

وكذلك اختلف في سؤال الأطفال أيضاً^(٥).

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم (٢٨٦٧)، وأحمد ١٩٠/٥، وابن منده (١٠٦٥)، والبيهقي في «عذاب القبر» (٨٩) من حديث زيد بن ثابت، وفي الباب عن أنس بن مالك عند مسلم (٢٨٦٨)، وأحمد ١٧٥/٣ و ١١٤ و ١٥٣ و ١٧٥ و ٢٠١ و ٢٧٣ و ٢٨٤، والنسائي ١٠٢/٤.

(٢) لم ترد في الأصول، استدركت من «الروح» ص: ٩٣، وفي (ب): سمعته وأدركته.

(٣) انظر: «الروح» ص ١١٩ - ١٢١.

(٤) هو قطعة من الحديث المتقدم.

(٥) انظر في كتاب «الروح» ص ١٢١ - ١٢٣.

عذاب القبر
نوعان:

وهل يَدُومُ عذاب القبر أو ينقطع^(١)؟ جوابه أنه نوعان: منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]. وكذا في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَى مَقْعَدِهِ فِيهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»^(٢)، رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

والنوع الثاني: أنه مدة، ثم يَنْقَطِعُ، وهو عَذَابٌ بَعْضُ الْعُصَاةِ الَّذِينَ خَفَّتْ جَرَائِمُهُمْ، فَيُعَذَّبُ بِحَسَبِ جُرْمِهِ، ثم يُخَفَّفُ عَنْهُ، كما تقدم ذكره في الممحصات العشر^(٣).

الاختلاف في
مستقر الأرواح
بعد الموت

قد اختلف في مستقر الأرواح^(٤) ما بين الموت إلى قيام الساعة:

ف قيل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار.

وقيل: إن أرواح المؤمنين بفناء الجنة على بابها، يأتهم من رَوْحِهَا ونعيمها ورزقها.

وقيل: على أفنية قبورهم.

وقال مالك: بلغني أن الروحَ مرسلّةٌ، تذهب حيث شاءت.

وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله عزَّ وجلَّ، ولم يزدوا على ٢٤٤ ذلك.

وقيل: إن أرواح المؤمنين بالجانبية من دِمَشْق، وأرواح الكافرين بِبَرْهُوتٍ بِئرٍ بِحَضْرَمَوْت!

وقال كعب: ^(٥) أرواح المؤمنين في عِلِّين في السَّماءِ السابعة، وأرواح

(١) انظر: «الروح» ص ١٢٣ - ١٢٥.

(٢) أخرجه أحمد ٢٩٥/٤ - ٢٩٦ وغيره، وهو صحيح، وقد تقدم ص ٥٧٣.

(٣) في (ب): «العشرة»، وكلاهما جائز لتقدم المعدود على العدد.

(٤) انظر: «الروح» ص ١٢٥ - ١٢٩.

(٥) هو كعب بن ماته الحميري اليماني، العلامة الحبر الذي كان يهودياً، فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر رضي الله عنه، فجالس أصحاب محمد ﷺ، =

الكُفَّار في سِجِّين في الأرضِ السابعة تحت حَذِّ إبليس!

وقيل: أزواجُ المؤمنين بيثِرَ زمزم، وأرواحُ الكافرين بيثِرَ بَرّهوت.

وقيل: أزواجُ المؤمنين عن يمين آدم، وأرواحُ الكفار عن شماله.

وقال ابنُ حَزْمٍ^(١) وغيره: مستقرُّها حيث كانت قبلَ خلقِ أجسادها.

وقال أبو عمر بنُ عَبْدِ الْبَرِّ: أزواجُ الشهداء في الجنة، وأزواجُ عامَّةِ المؤمنين على أفنية قبورهم.

وعن ابنِ شهاب أنه قال: بلغني أنَّ أرواحَ الشُّهَدَاءِ كطيرٍ خُضِرَ معلَّقة بالعرش، تَغْدُو وتَرُوحُ إلى رياضِ الجنة، تأتي ربَّها كُلَّ يومٍ تُسَلِّمُ عليه.

وقالت فرقة: مُسْتَقَرُّهَا الْعَدَمُ الْمَخْضُ، ولهذا قَوْلٌ مَنْ يَقُولُ: إن النفس عَرَضٌ من أَغْرَاضِ البدن، كحياته وإدراكه! وقولهم مخالف للكتاب والسنة.

وقالت فرقة: مستقرُّها بَعْدَ الموتِ أبدانٌ أُخَرُ تُنَاسِبُ^(٢) أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كُلُّ روحٍ إلى بدن حيوان

= فكان يحدثهم بالأوابد والغرائب والعجائب، مما كان، ومما لم يكن، ومما حرف وبدل ونسخ، وأخطأ من زعم أنه خرج له البخاري ومسلم، فإنهما لم يسندا من طريقه شيئاً من الحديث، وإنما جرى ذكره في «الصححين» عرضاً، وليس يؤثر عن أحد من المتقدمين توثيقه، إلا أنَّ بعض الصحابة أثنى عليه بالعلم، وأخرج البخاري في «صحيحه» في الاعتصام: باب قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء» من طريق حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطاً من قريش بالمدينة لما حجَّ في خلافته، وذكر كعب الأحبار، فقال: إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا لننبلو مع ذلك عليه الكذب. وثبت عن عمر فيما أخرجه أبو زرعة الدمشقي في «تاريخه» ٥٤٤/١ أنه كان يقول له: لتتركَنَّ الأحاديث أو لألحقَنَّك بأرض القردة. على أنه ليس كل ما نسب إليه في الكتب بثابت عنه، فإن الكذبة من بعده قد نسبوا إليه أشياء كثيرة لم يقلها. مترجم في «السير» ٤٨٩/٣ - ٤٩٤.

(١) هو الإمام البحر ذو الفنون والمعارف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الفارسي الأصل، ثم الأندلسي اليزيدي الظاهري، صاحب كتاب «المحلى» و«الإحكام» وغيرهما، توفي سنة (٤٥٦هـ) مترجم في «السير» ١٨/ (٩٩).

(٢) في (ب): «تناسبها».

يُشَاكِلُ تلك الروح! وهذا قولُ التناسخية منكري المعاد، وهو قولٌ خارج عن أهل الإسلام كُلِّهم، ويضيقُ هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقوال والكلام عليها^(١).

وتتلخَّصُ مِن أدلتها: أن الأرواح في البرزخ متفاوتةٌ أعظمَ تفاوت. فمنها: أرواحٌ في أعلى عِلِّيِّين، في المَلَأِ الأعلى، وهي أرواحُ الأنبياء صَلَوَاتُ الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم.

ومنها أرواحٌ في حواصلِ طيرٍ خُضِرَ، تَسْرَحُ في الجنة حيث شاءت، وهي أرواحُ بَعْضِ الشهداء، لا كُلِّهم، بل مِن الشهداء من تُخْبَسُ رُوحُه عن دخول الجنة لِذَنبٍ عليه، كما في «المسند» عن محمد بن عبد الله بن جحش، أن رجلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «الْجَنَّةُ»، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ: «إِلَّا الَّذِينَ، سَارَنِي بِهِ جَبْرِيلُ أَنْفًا»^(٢).

وَمِنَ الأرواحِ مَنْ يَكُونُ محبوساً على بابِ الجنة، كما في الحديث

(١) قال ابن القيم في «الروح» ص ١٢٩ بعد ما ذكر هذه الأقوال: فهذا ما تلخص لي من جمع أقوال الناس في مصير أرواحهم بعد الموت، ولا تنظر به مجموعاً في كتاب واحد غير هذا البتة، ونحن نذكر ما أخذ هذه الأقوال، وما لكل قول وما عليه، وما هو الصواب من ذلك الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التي سنَّ الله بها وهو مرجو الإعانة والتوفيق. وقد استوعبت الإجابة ثلاثين صفحة من ١٢٩ إلى ١٥٩ فراجع.

(٢) أخرجه أحمد ٤/ ٣٥٠، والنسائي ٧/ ٣١٤ - ٣١٥، والطبراني في «الكبير» ١٩/ ٥٥٦ و (٥٥٧) و (٥٥٨) و (٥٥٩) و (٥٦٠) من طرق عن أبي كثير مولى محمد بن عبد الله بن جحش، عن محمد بن عبد الله، وأبو كثير روي عنه جمع، ويقال: له صحبة، ووثقه الحافظ في «التقريب» فالحديث صحيح. ومحمد بن عبد الله: عداؤه في الصحابة، هو ابن أخي زينب بنت جحش أم المؤمنين، ولأمه فاطمة بنت أبي حبيش صحبة، وهي التي سألت رسول الله ﷺ عن الاستحاضة. ورواه أحمد في «المسند» ٤/ ١٣٩ و ٣٥٠ من طريق محمد بن عمرو، عن أبي كثير، عن محمد بن عبد الله بن جحش، عن أبيه عبد الله بن جحش.

الذي^(١) قال فيه رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ صَاحِبَكُمْ مَحْبُوساً عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ»^(٢).

ومنهم من يَكُونُ مَحْبُوساً فِي قَبْرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ مَحْبُوساً فِي الْأَرْضِ، وَمِنْهَا أَرْوَاحٌ تَكُونُ فِي تَشْوِيرِ الزُّنَاةِ وَالزَّوَانِي، وَأَرْوَاحٌ فِي نَهْرِ الدَّمِ تَسْبُحُ فِيهِ، وَتُلَقَّمُ الْحِجَارَةَ، كُلُّ ذَلِكَ تَشْهَدُ لَهُ السُّنَّةُ^(٣)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٢٤٥

وَأَمَّا الْحَيَاةُ الَّتِي اخْتُصَّ بِهَا الشَّهِيدُ، وَامْتَارَ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] - [فهي]: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجَوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ، كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ - يَعْنِي يَوْمَ أُحُدٍ - جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجَوَافِ طَيْرٍ خُضِرَ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى فَنَائِدِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُدْلَلَةٍ^(٤) فِي ظِلِّ الْعَرْشِ»

(١) سقطت من (ب).

(٢) أخرجه أحمد ١٣٦/٤ و ٧/٥، وابن ماجه (٢٤٣٣)، وابن سعد ٥٧/٧، وأبو يعلى (١٥١٠)، والطبراني (٥٤٦٦)، والبيهقي ١٤٢/١٠ من طرق عن حماد بن سلمة، عن عبد الملك أبي جعفر، عن أبي نضرة، عن سعد بن الأطول أن أخاه مات وترك ثلاث مئة درهم، وترك عيالا، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لي النبي ﷺ: «إِنَّ أَخَاكَ مَحْبُوسٌ بَدِينِهِ، فَادْهَبْ، فَاقْضِ دِينَهُ»، فَذَهَبْتُ فَقَضَيْتُ عَنْهُ، ثُمَّ جِئْتُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَضَيْتُ عَنْهُ إِلَّا دِينَارَيْنِ ادَّعَيْتَهُمَا امْرَأَةٌ، وَلَيْسَ لَهَا بَيِّنَةٌ، قَالَ: «أَعْطُهَا، فَإِنَّهَا مُحَقَّةٌ»، وَفِي رَاوِيَةٍ: «فَإِنَّهَا صَادِقَةٌ» وَعَبْدُ الْمَلِكِ أَبُو جَعْفَرٍ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَانَ فِي «الثَّقَاتِ»، وَبَاقِي رِجَالُ الْإِسْنَادِ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الْبُوصَيْرِيُّ فِي «الزَّوَائِدِ» وَرَقَّةٌ ١٥٦، وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ ١٤٢/١٠ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ غِيَاثٍ، وَأَبُو يَعْلَى (١٥١٣) مِنْ طَرِيقِ عَبَادِ بْنِ مُوسَى الْقُرَشِيِّ، كِلَاهُمَا عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ سَعِيدِ الْجَرِيرِيِّ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بِمِثْلِهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ مَا تَرَكَ، وَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، فَإِنَّ حَمَادَ بْنَ سَلَمَةَ رَوَى عَنْ سَعِيدِ الْجَرِيرِيِّ قَبْلَ الْإِخْتِلَافِ.

(٣) انظر: حديث سمرة الطويل في البخاري (٧٠٤٧).

(٤) أي: مُدْلَلَةٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «كَمْ مِنْ عِذْقٍ مُدْلَلٍ لِأَبِي الدَّحْدَاحِ» وَدُلِّلَ الْكَرْمُ: =

الحديث، رواه الإمام أحمد وأبو داود^(١)، وبمعناه في حديث ابن مسعود، رواه مسلم.

فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعضاهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

ولهذا كانت نَسَمَةُ المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونَسَمَةُ الشهيد في جَوْف طير. وتأمل لفظ الحديثين، ففي «الموطأ» أن كعب بن مالك كان يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «إِنَّ نَسَمَةَ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَغْلِقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهُ اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»^(٢).

= دلت عناقيده، قال أبو حنيفة الدينوري: التذليل: تسوية عناقيد الكرم وتذليلها. وفي «سنن أبي داود» و «المستدرک»: علقت.

(١) وتامه: فلما وجدوا طيب مآكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتركوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم، قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾. أخرجه أحمد ٢٦٦/١، وابن أبي شيبة ٢٩٤/٥ - ٢٩٥، وهناد في «الزهد» (١٥٥)، والطبري (٨٢٠٥) من طريق محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير المكي، عن ابن عباس. وأخرجه أبو داود (٢٥٢٠)، والحاكم ٨٨/٢ و ٢٩٧، والآجري ص ٣٩٢، والبيهقي في «الدلائل» ٣/٣٠٤، وفي «إثبات عذاب القبر» (١٤٥)، من طريق ابن إسحاق، وزادوا في الإسناد «سعيد بن جبيرة» بين أبي الزبير وابن عباس، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في تفسيره ٢/ ٢٩٠ - ٢٩١ بعد أن ذكر هذا السند الذي فيه الزيادة: وهذا أثبت، وكذا رواه سفيان الثوري، عن سالم الأفتس، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس. وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٩٦/٢، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر وأخرجه من حديث ابن مسعود مسلم (١٨٨٧)، والترمذي (٣٠١٤)، وابن ماجه (٢٨٠١)، والدارمي ٢/٢٠٦، والطبري (٨٢٠٦) و (٨٢٠٧) و (٨٢٠٨)، وعبد الرزاق في «المصنف» في «سننه» (٢٥٥٩)، وهناد (١٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٩٠٢٤)، والبيهقي في «السنن» ٩/١٦٣، وفي «الدلائل» ٣/٣٠٣، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٩٦/٢، وزاد نسبه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٢) تقدم تخريجه ص ٥٦٧ تعليق (١).

فَقَوْلُهُ: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ» تَعُمُّ الشَّهِيدَ وَغَيْرَهُ، ثُمَّ خَصَّ الشَّهِيدَ بِأَن قَالَ: «هِيَ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ»، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا إِذَا كَانَتْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ صَدَقَ عَلَيْهَا أَنَّهَا طَيْرٌ، فَتَدْخُلُ فِي عَمُومِ الْحَدِيثِ الْآخِرِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ، فَتَصِيْبُهُمْ مِنَ النَّعِيمِ فِي الْبَرْزَخِ أَكْمَلُ مِنَ نَصِيبِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ عَلَى قُرْبِهِمْ، وَإِنْ كَانَ الْمَيِّتُ عَلَى فَرَّاشِهِ أَعْلَى دَرَجَةٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ^(١)، فَلَهُ نَعِيمٌ يَخْتَصُّ بِهِ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ مَنْ هُوَ دُونُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا رُوِيَ فِي «السَّنَنِ»^(٢)، وَأَمَّا الشُّهَدَاءُ، فَقَدْ شُوهِدَ مِنْهُمْ بَعْدَ مُدَدٍ مِنْ دَفْنِهِ كَمَا هُوَ لَمْ يَتَغَيَّرْ^(٣)، فَيَحْتَمِلُ بَقَاؤُهُ كَذَلِكَ^(٤)، فِي ثُرْبَتِهِ إِلَى يَوْمِ مُحْشَرِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ يَبْلَى مَعَ طُولِ الْمَدَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَكَأَنَّهُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - كَلِمَا كَانَتْ الشُّهَادَةُ أَكْمَلَ، وَالشَّهِيدُ أَفْضَلَ، كَانَ بَقَاءُ جَسَدِهِ أَطْوَلَ.

(١) النص في «الروح» للعلامة ابن القيم ص ١٣٦ بإسقاط: «من كثير».

(٢) أخرجه أحمد ٨/٤، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي ٩١/٣، ٩٢، وابن ماجه (١٠٨٥) و (١٦٣٦) من حديث أوس بن أوس. وإسناده صحيح، وصححه ابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (٥٥٠)، والحاكم ٢/٢٨٧، ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري، والحافظ ابن حجر، وصححه النووي في «الأذكار»، وله شاهد من حديث أبي الدرداء عند ابن ماجه (١٦٣٧)، وآخر من حديث أبي أمامة عند البيهقي.

(٣) أخرج الإمام مالك في «الموطأ» ٤٧٠/٢ في الجهاد: باب الدفن في قبر واحد من ضرورة. من طريق عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بَلَغَهُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْجُمُوحِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو الْأَنْصَارِيِّينَ كَانَا قَدْ حَفَرَ السَّيْلُ قَبْرَهُمَا، وَكَانَ قَبْرُهُمَا مِمَّا يَلِي السَّيْلَ، وَكَانَا فِي قَبْرِ وَاحِدٍ، وَهُمَا مِمَّنْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَحَفَرَ عَنْهُمَا لِيُغَيَّرَا مِنْ مَكَانِهِمَا، فَوَجَدَا لَمْ يَتَغَيَّرَا، كَأَنَّهُمَا مَاتَا بِالْأَمْسِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا قَدْ جُرِحَ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى جُرْحِهِ، فَذَفِنَ وَهُوَ كَذَلِكَ، فَأَمِيطَتْ يَدُهُ عَنْ جُرْحِهِ، ثُمَّ أُرْسِلَتْ، فَرَجَعَتْ كَمَا كَانَتْ، وَكَانَ بَيْنَ أُحُدٍ وَيَوْمٍ حُفِرَ عَنْهُمَا سِتْ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً. وَرَجَالَهُ ثِقَاتٌ. لَكِنَّهُ مَرْسَلٌ، وَلابْنُ سَعْدٍ ٥٦٢/٣ - ٥٦٣ من طريق الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، عن الزهري، عن جابر بأطول مما رواه مالك، وصحح إسناده الحافظ في «الفتح» ١٧٣/٣، وانظر «البخاري» (١٣٥١).

(٤) في (ب): «وكذلك». وهو خطأ.

قوله: «وَتُؤْمِنُ بِالْبَغْتِ وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعَرْضِ وَالْحِسَابِ،
وَقِرَاءَةِ الْكِتَابِ، وَالتَّوَابِ، وَالْعِقَابِ، وَالصَّرَاطِ وَالْمِيزَانِ».

الإيمان بالبعث
والجزاء

ش: الإيمان بالمعاد مما دلَّ عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة
السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، وردَّ
على منكره في غالب سور القرآن.

وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلُّهم متفقون على الإيمان بالآخرة؟ فإنَّ
الإقرار بالربِّ عامٌّ في بني آدم، وهو فطريٌّ، كلُّهم يُقرُّ^(١) بالرب، إلا مَنْ عاند،
كفِرْعَوْنَ، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإنَّ منكره كثيرون، ومحمد ﷺ لما
كان خاتم الأنبياء، وكان قد بُعث هو والساعة كهاتين^(٢)، وكان هو الحاشِرُ ٢٤٦
المقفِّي^(٣)، بيَّن تفصيل الآخرة بياناً لا يُوجد في شيء من كتب الأنبياء. ولهذا
ظنَّ طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يُفصِّح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ،
وجعلوا هذا حجة لهم في أنه من باب التخيل والخطاب الجمهوري^(٤).

والقرآن بيَّن معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى

(١) في (ب): مقرر.

(٢) كما جاء في حديث سهل بن سعد الذي أخرجه البخاري (٤٩٣٦) و (٥٣٠١) و
(٦٥٠٣)، ومسلم (٢٩٥). وأخرجه من حديث أبي هريرة البخاري (٦٥٠٥).
وأخرجه من حديث أنس بن مالك البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١)، والترمذي
(٢٢١٤). وأخرجه من حديث جابر مسلم (٨٦٧)، والنسائي ١٨٨/٣ و ١٨٩.
وأخرجه من حديث المستورد بن شداد الترمذي (٢٢١٣).

(٣) أخرج البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (٢٣٥٤)، والترمذي في «الشمائل» (٣٥٩)، و
«الجامع» (٢٥٤٢) من حديث جبير بن مطعم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا
الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». والعاقب: الذي ليس بعده
نبي، وورد اسم: «المقفِّي» عند الترمذي في الشمائل (٣٦٠) من حديث حذيفة بن
اليمان. قال ابن الأعرابي: المقفِّي: المتبع للنبيين، وقال شمر: المقفِّي والعاقب:
واحد، وهو المولِّي الذاهب، يقال: قفى عليه: إذا ذهب، فكان المعنى أنه آخر
الأنبياء، فإذا قفى، فلا نبي بعده.

(٤) في (ب): الجمهور.

في غير موضع، وهؤلاء يُنْكِرُونَ الْقِيَامَةَ الْكُبْرَى، وَيُنْكِرُونَ مَعَادَ الْأَبْدَانِ، وَيَقُولُ مَنْ يَقُولُ مِنْهُمْ: إِنَّهُ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ إِلَّا مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى طَرِيقِ التَّخْيِيلِ! وَهَذَا كَذِبٌ، فَإِنَّ الْقِيَامَةَ الْكُبْرَى هِيَ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ، مِنْ آدَمَ إِلَى نُوحٍ، إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ حِينَ أَهْبَطَ آدَمُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ۝٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ۝٢٥﴾ [الأعراف: ٢٤ - ٢٥]. وَلَمَّا قَالَ إِبْلِيسُ لِلْعَلِينِ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝٨١﴾ [ص: ٧٩ - ٨١].

وَأَمَّا نُوحٌ ﷺ، فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝٨﴾ [نوح: ١٧ - ١٨].

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝٨١﴾ [الشعراء: ٨٢]. إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ. وَقَالَ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ۝٨١﴾ [إبراهيم: ٤١]. وَقَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ۝٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وَأَمَّا مُوسَى ﷺ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا نَاجَاهُ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ ۝١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦﴾ [طه: ١٥ - ١٦].

بَلْ مُؤْمِنٌ آلَ فِرْعَوْنَ كَانَ يَعْلَمُ الْمَعَادَ، وَإِنَّمَا آمَنَ بِمُوسَى، قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُ: ﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ۝٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُ أُمُودٌ مِمَّا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ [غافر: ٣٢ - ٣٣]، إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝٣٩﴾ [غافر: ٣٩] إِلَى قَوْلِهِ ﴿أَذْهَبُوا إِلَى الْفِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر: ٤٦]. وَقَالَ مُوسَى: ﴿وَكَتَبْنَا لَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا مُّسْتَقَرٌّ ۝١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٣].

وقد أخبر الله أنه أرسل الرُّسُلَ مبشرين ومنذرين، في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

٢٤٧ وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم لهذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم، من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامته سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها: في الدنيا والآخرة.

وأمر نبيه أن يُقسِمَ به على المعاد، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ الآية^(١) [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَسَتُنْزِلُوكَ أَحَقُّهُ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنتَ بِمُعْجِزٍ ﴿٥٣﴾﴾ [يونس: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا عَلَّمُوا وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى يَوْمٍ لَئِيْلَ يَسِيرُ ﴿٧﴾﴾ [التغابن: ٧].

وأخبر عن اقترابها، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَاشْهَقَ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ [القمر: ١]. ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: ١]. ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾ [المعارج: ١ - ٢]، إلى أن قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿١﴾ وَرَوْنَهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ [المعارج: ٦ - ٧].

وذم المكذبين بالمعاد، فقال: ﴿قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]. ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]. ﴿بَلِ أَدْرَاكَ^(٢) عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ

(١) في الأصول: الآيات.

(٢) في الأصل (أدرك) بقطع الالف وسكون الدال، وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير =

مِنْهَا عَمُونَ ﴿[النمل: ٦٦].﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴿[النحل: ٣٨]، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَازِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩]. ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر: ٥٩]. ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وَجْهِهِمْ عُمًا وَعِيًا وَنُكَّامًا وَصُمًّا مَا وَنَّهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفُنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٦١﴾﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء: ٩٧ - ٩٩]. ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفُنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٦٣﴾﴾ ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٤﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ^(١) إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِحَمْدِهِ وَتَنْظُرُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٩ - ٥٢].

فتأمل ما أُجيبوا به عن كُلِّ سُؤَالٍ سُؤَالٍ عَلَى التَّفْصِيلِ، فَإِنَّهُمْ قَالُوا أَوَّلًا: ﴿إِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفُنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾، فَقِيلَ لَهُمْ فِي جَوَابِ هَذَا السُّؤَالِ: إِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا خَالِقَ لَكُمْ، وَلَا رَبَّ، فَهَلَّا كُنْتُمْ خَلْقًا لَا يُفْنِيهِ الْمَوْتُ، كَالْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ وَمَا هُوَ أَكْبَرُ فِي صُدُورِكُمْ مِنْ ذَلِكَ؟! فَإِنْ قُلْتُمْ: كُنَّا خَلْقًا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الْبَقَاءَ، فَمَا الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ خَالِقِكُمْ وَمُنْشِكُمْ، وَبَيْنَ إِعَادَتِكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا؟!

٢٤٨

= بمعنى: هل أدرك علمهم علم الآخرة. كذا قال الفراء، و«بل» بمعنى الجحد، أي: لم يعلموا حدوثها وكونها، ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿بل هم في شك منها﴾... وقرأ الباقون: ﴿بل أدرك علمهم في الآخرة﴾ أي: تكامل علمهم يوم القيامة بأنهم مبعوثون، وأن كل ما وعدوا به حق. انظر: «حجة القراءات» ص ٥٣٥، و«زاد المسير» ٦/١٨٨.

(١) قال قتادة: يحرّكونها تكدياً واستهزاءً. قال الفراء: يقال أنغض رأسه: إذا حرّكه إلى فوق وإلى أسفل، وقال ابن قتيبة: المعنى يحرّكونها كما يحرّك الآيس من الشيء المستبعد له رأسه، يقال: نغضت سنّه: إذا تحركت، وبابه نصر وضرب. انظر: «معاني القرآن» ٢/١٢٥، و«غريب القرآن» ص ٢٥٧.

وللْحُجَّةِ تقريرٌ آخر، وهو: لو كُنْتُمْ مِنْ حِجَارَةٍ أَوْ حديدٍ أَوْ خَلَقِ أَكْبَرَ مِنْهُمَا، فَإِنَّهُ قَادِرٌ^(١) عَلَى أَنْ يُفْنِيَكُمْ وَيُحِيلَ ذَوَاتَكُمْ، وَيَثْقِلَهُمَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى التَّصَرُّفِ فِي هَذِهِ الْأَجْسَامِ، مَعَ شِدَّتِهَا وَصَلَابَتِهَا، بِالْإِفْنَاءِ وَالْإِحَالَةِ، فَمَا الَّذِي بُعِجِرُهُ فِيمَا دُونِهَا؟ ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُمْ يَسْأَلُونَ سَوَآلاً آخَرَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إِذَا اسْتَحَالَتْ جِسْمُونَا وَفَنِيَتْ؟ فَأَجَابَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الْإِسْرَاءُ: ٥١]. فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الْحُجَّةُ، وَلَزِمَهُمْ حَكْمُهَا، انْتَقَلُوا إِلَى سَوَالٍ آخَرَ يَتَعَلَّلُونَ بِهِ بَعْلَلِ الْمَنْقَطِعِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: ﴿مَتَى هُوَ؟﴾ فَأَجِيبُوا بِقَوْلِهِ: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يَس: ٧٨] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. فَلَوْ رَامَ أَغْلَمُ الْبَشَرِ وَأَفْصَحُهُمْ وَأَقْدَرُهُمْ عَلَى الْبَيَانِ، أَنْ يَأْتِيَ بِأَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْحُجَّةِ، أَوْ بِمِثْلِهَا، فِي أَلْفَافٍ تُشَابِهُ هَذِهِ الْأَلْفَافِ فِي الْإِيجَازِ وَوَضْعِ الْأَدِلَّةِ، وَصِحَّةِ الْبُرْهَانِ، لَمَا قَدَّرَ، فَإِنَّهُ سَبِّحَانَهُ افْتَتَحَ هَذِهِ الْحُجَّةَ بِسَوَالٍ أوردَهُ مُلْحِجِدًا، اقْتَضَى جَوَابًا، فَكَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ مَا وَفَى بِالْجَوَابِ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ، وَأَزَالَ الشُّبُهَةَ وَلَمَّا^(٢) أَرَادَ سَبِّحَانَهُ مِنْ تَأْكِيدِ الْحُجَّةِ وَزِيَادَةِ تَقْرِيرِهَا، فَقَالَ: ﴿قُلِ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فَاحْتِجَّ بِالْإِبْدَاءِ عَلَى الْإِعَادَةِ، وَبِالنَّشْأَةِ الْأُولَى عَلَى النَّشْأَةِ الْآخَرَى، إِذْ كُلُّ عَاقِلٍ يَعْلَمُ عِلْمًا ضَرُورِيًّا أَنَّ مَنْ قَدَّرَ عَلَى هَذِهِ، قَدَرَ عَلَى هَذِهِ، وَأَنَّهُ لَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنِ الثَّانِيَةِ، لَكَانَ عَنِ الْأُولَى أَعْجَزَ وَأَعْجَزَ، وَلَمَّا كَانَ الْخَلْقُ يَسْتَلْزِمُ قُدْرَةَ الْخَالِقِ عَلَى مَخْلُوقِهِ، وَعِلْمُهُ بِتَفَاصِيلِ خَلْقِهِ، أَتْبَعَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يَس: ٧٩]. فَهُوَ عَلِيمٌ بِتَفَاصِيلِ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَجُزْئِيَّاتِهِ، وَمَوَادِّهِ وَصُورَتِهِ، فَكَذَلِكَ الثَّانِي. فَإِذَا كَانَ تَامَ الْعِلْمِ، كَامِلَ الْقُدْرَةِ، كَيْفَ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ أَنْ يُحْيِيَ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟

ثُمَّ أَكَّدَ الْأَمْرَ بِحُجَّةٍ قَاهِرَةٍ، وَبُرْهَانٍ ظَاهِرٍ، يَتَضَمَّنُ جَوَابًا عَنْ سَوَالٍ

(١) فِي الْأَصُولِ: قَادِرًا، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ مَطْبُوعَةِ مَكَّةَ.

(٢) فِي هَامِشِ (د) وَمَطْبُوعَةِ مَكَّةَ: لَمَّا.

ملحد آخر يقول: العِظامُ إذا صارت رميمًا، عادت طبيعتها باردةً يابسة، والحياة لا بُدَّ أن تكون مادتها وحاملها طبيعته حارة رطبة بما يدلُّ على أمر البعث، ففيه الدليلُ والجوابُ معاً، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ تُؤْفَقُونَ﴾ (٨٠). فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر، الذي هو في غاية الحرارة واليُبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يُخرج الشيء من ضده، وتنفاد له مواد المخلوقات وعناصرها، لا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم.

٢٤٩

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر، فإن كلَّ عاقلٍ يعلم أن من قدر على العظيم الجليل، فهو على ما دونه بكثيرٍ أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطارٍ، فهو على حمل أوقية أشدَّ اقتداراً، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ (يس: ٨١) فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، وأقدر على أن يحيي عظاماً قد صارت رميمًا، فيردّها إلى (١) حالتها الأولى، كما قال في موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (غافر: ٥٧). وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لِنَفْسِهِ يَخْلُقْ يَفْقَهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ (٢) [الأحقاف: ٣٣]. ثم أكد سبحانه ذلك، وبينه ببيان آخر، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره، الذي يفعل بالآلات والكلفة، والتعب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بُدَّ معه من آلة ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد

(١) في (ب): على.

(٢) في الأصول جاءت الآية هكذا: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يحيي الموتى﴾. وهي ملفقة من الآية التي في سورة يس، والآية التي في الأحقاف، فأثبتنا آية الأحقاف، فإن الآية التي في يس ذكرها الشارح قبل قليل.

أن يخلقه، ويكوّنه، نفْسُ إرادته، وقوله لِلْمُكُونِ: «كن»، فإذا هو كائن كما شاء وأرادهُ^(١).

ثم ختم هذه الحُجَّة بإخباره أن مَلَكُوتَ كُلِّ شيء بيده، فَيَتَصَرَّفُ فيه بفعله وقوله: ﴿وَلِإِيَّاهُ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

ومن هذا قوله سُبْحَانَهُ: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ (٣٦) أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ نُطْفَةٌ مِنْ مِمَّنْ يُمْنِي (٢٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَحَلَقَ فَسَوَّى (٢٨) جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى (٢٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقْدِرٍ عَلَيَّ أَنْ يُخَيَّرَ اللَّوْثُ (٣٠) [القيامة: ٣٦ - ٤٠]. فاحتجَّ سبحانه على أنه لا يتركُه مهملًا عن الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وأن حكْمَتَهُ وقُدْرَتَهُ تأبى ذلك أشدَّ الإباء، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَصِبْتُمْ أَنْمَا خَلَقْنَاكُمْ عِبْنًا وَأَنْكُمُ إِنَّا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) [المؤمنون: ١١٥]، إلى آخر السورة، فإن من نُقِلَهُ من النُطْفَةِ إلى العَلَقَةِ، ثم إلى المَضْغَةِ، ثم شَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، وَرُكِّبَ فيه الحَوَاسُّ، والقُوَى، والعِظَامُ والمنافع والأغصَابُ والرباطات التي هي أشدُّه، وأحكم خلقه غَايَةَ الإحكام، وأخرجه على هذا الشَّكْلِ والصُّورَةِ، التي هي أتمُّ الصُّور، وأحسنُ الأشكالِ كَيْفَ يَعْجِزُ عن إعادته وإنشائه مرةً ثانية؟ أم كيف تقتضي حكْمَتَهُ وعنايته به أن يتركَه سُدًى؟ فلا يَلِيقُ ذلك بحكْمَتِهِ، ولا تَعْجِزُ عنه قُدْرَتُهُ.

فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب، بالقَوْلِ الوجيز، الذي لا يكون أَوْجَزَ منه، والبيان الجليل، الذي لا يُتَوَهَّمُ أَوْضَحُ منه، ومأخذه القريب^(٣) الذي لا تَقَعُ الظُّنُونُ على أقرب منه.

(١) انظر: «الفتاوى» ١٧/٢٤١ - ٢٦١، و«درء تعارض العقل والنقل» ١/٣٠ - ٣٥ و ٣٧٤/٧ - ٣٨٧.

(٢) في (ب): تمنى، وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وحزمة، والكسائي، وأبي بكر عن عاصم على تأنيث النطفة، وقرأ ابن عامر، وحفص عن عاصم، ويعقوب: يُمنى بالياء ردوه على لفظ المني، وعن أبي عمرو كالقراءتين. انظر: «زاد المسير» ٨/٤٢٥ - ٤٢٦، و«الكشف» ٢/٣٥١، و«حجة القراءات» ص ٧٣٧.

(٣) في الأصول: «الغريب» وهو تصحيف.

وكم في القرآن من^(١) مثل هذا الاحتجاج، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥]، إلى أن قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنَّا رَجَعْنَاهُ إِلَىٰ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٦]. وذكر قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم موتى ثلاث مئة سنة شمسية، وهي ثلاث مئة وتسع سنين قمرية، وقال فيها: ﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِجَعَلُوا آيَةً وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١].

والقائلون بأنَّ الأجسام مُركَّبة من الجواهر المفردة، لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين: منهم من يقول: تُعَدَّم الجواهر، ثم تُعَاد، ومنهم من يقول: تُفَرَّقُ الأجزاء ثم تجتمع، فأورد عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تُعَدَّ من هذا؟ وأورد عليهم: أن الإنسان يتحلَّل دائماً، فماذا^(٢) الذي يُعَاد؟ أهو الذي كان وَفَّتِ المَوْتُ؟ فإن قيل بذلك، لزم أن يُعَاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غَيْرَ ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض! فادَّعى بَعْضُهُمْ أن في الإنسان أجزاءً أصلية لا تَتَحَلَّلُ، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني! والعقلاء يَعْلَمُونَ أن بَدَنَ الإنسان نفسه كله يتحلَّل، ليس فيه شيء باقٍ، فصار ما ذكروه في المعاد مما قَوَّى شُبُهَةَ المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان.

والقول الذي عليه السلف، وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً، ثم يُنشئها الله نشأةً أخرى، كما استحال في النشأة الأولى: فإنه كان نُطْفَةً، ثم صار عَلَقَةً، ثم صار مُضْغَةً، ثم صار

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): فما الذي.

عِظَاماً وَلَحْماً، ثُمَّ أَنشَأَهُ خَلْقاً سَوِيّاً، كَذَلِكَ الْإِعَادَةُ: يُعِيدُهُ اللَّهُ بَعْدَ أَنْ يَبْلَى كُلُّهُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ، كَمَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَبْلَى إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ، مِنْهُ خُلِقَ ابْنُ آدَمَ وَفِيهِ يُرْكَبُ»^(١).

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «إِنَّ الْأَرْضَ تُمْطَرُ مَطَرًا كَمَنِيِّ الرَّجَالِ، يُنْبِتُونَ فِي الْقُبُورِ كَمَا يَنْبُتُ النَّبَاتُ»^(٢).

فَالنَّشَاطَانِ نَوْعَانِ تَحْتَ جَنْسٍ، يَتَفَقَّانِ وَيَتَمَاثِلَانِ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَفْتَرِقَانِ وَيَتَنَوَّعَانِ مِنْ وَجْهِهِ، وَالْمُعَادُ هُوَ الْأَوَّلُ بَعِينُهُ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ لَوَازِمِ الْإِعَادَةِ وَلَوَازِمِ الْبَدَاءَةِ فَرْقٌ، فَعَجَبُ الذَّنْبِ هُوَ الَّذِي يَبْقَى، وَأَمَّا سَائِرُهُ فَيَسْتَحِيلُ، فَيُعَادُ مِنَ الْمَادَّةِ الَّتِي اسْتَحَالَ إِلَيْهَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ رَأَى شَخْصاً وَهُوَ صَغِيرٌ، ثُمَّ رَأَاهُ وَقَدْ صَارَ شَيْخاً، عَلِمَ أَنَّ هَذَا هُوَ ذَاكَ، مَعَ أَنَّهُ دَائِمًا فِي تَحَلُّلٍ وَاسْتِحَالَةٍ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ، فَمَنْ رَأَى شَجَرَةً وَهِيَ صَغِيرَةٌ، ثُمَّ رَأَاهَا كَبِيرَةً، قَالَ: هَذِهِ تِلْكَ. وَلَيْسَتْ صِفَةً^(٣) تِلْكَ النَّشْأَةُ الثَّانِيَّةُ مِمَّا ثَلَّةَ لِصِفَةِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٨١٤) وَ (٤٩٣٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٩٥٥) (١٤٢)، وَأَحْمَدُ ٣٢٢/٢ وَ ٤٢٨، وَ ٤٩٩، وَالنَّسَائِيُّ ١١/٤ - ١١٢، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٧٤٣)، وَمَالِكٌ ٢٣٩/١، وَابْنُ مَاجَةَ (٤٢٢٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ أَحْمَدَ ٢٨/٣. وَالْعَجَبُ - بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَسُكُونِ الْجِيمِ -: عَظْمٌ لَطِيفٌ فِي أَصْلِ الصُّلْبِ، وَهُوَ رَأْسُ الْعَصْعَصِ، وَهُوَ مَكَانُ رَأْسِ الذَّنْبِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ الْحَاكِمِ ٦٠٩/٤، وَأَبِي يَعْلَى (١٣٨٢) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَجَبُ الذَّنْبِ؟ قَالَ: «مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ» وَصَحَّحَهُ هُوَ وَالْزَّهَبِيُّ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ دِرَاجٍ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» بِرَقْمِ (٩٧٦١) فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ عَنْ أَبِي نَعِيمٍ، عَنْ سَفْيَانَ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ كَهِيلٍ عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ قَالَ: ذَكَرُوا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ الدِّجَالَ، فَقَالَ: فَذَكَرَهُ بِطَوِيلِهِ... وَلَفْظُهُ: ثُمَّ يَرْسِلُ اللَّهُ مَاءً مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يَمْنِي كَمَنِيِّ الرِّجَالِ، فَتَنْبِتُ جَسْمَانَهُمْ وَلَحْمَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، كَمَا تَنْبِتُ الْأَرْضُ مِنَ الرِّيِّ. وَهُوَ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» ٥٩٨/٤ - ٦٠٠، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ إِلَّا أَنَّ فِي سَنَدِهِ انْقِطَاعاً، فَإِنَّ أَبَا الزَّعْرَاءِ - وَاسْمُهُ يَحْيَى بْنُ الْوَلِيدِ - لَمْ يَرَوْهُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَأَوْرَدَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي «الْمَجْمَعِ» ٣٢٩/١٠ - ٣٣٠، وَقَالَ: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَهُوَ مُوَقُوفٌ، مُخَالَفٌ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، ثُمَّ أَبَانَ عَنْ وَجْهِ الْمَخَالَفَةِ، فَرَأَيْتُهُ.

(٣) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

هذه النشأة، حتى يقال: إن الصُّفَاتِ هي المُغَيَّرَةُ، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها، فإنَّهم يدخلونها على صُورَةِ آدَمَ، طُولُهُ ستون ذراعاً، كما ثبت في «الصحيحين»^(١) وغيرهما، ورُوي: أن عَرَضُهُ سَبْعَةُ أَذْرُعَ، وتلك نشأة باقية غَيْرُ مُعَرَّضَةٍ لِلآفَاتِ، وهذه النشأة فاسدة^(٢) مُعَرَّضَةٌ لِلآفَاتِ.

وقوله: «وجزاء الأعمال» قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣]. ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]. والدين: الجزاء، يقال: كما تدينُ تُدانُ، أي كما تُجَازَى تُجَازَى، وقال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] و[الأحقاف: ١٤] و[الواقعة: ٢٤] ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ [النبا: ٢٦] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍ مِّمَّا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الأنعام: ١٦١] وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٩٠]. ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٤]. وأمثال ذلك.

وقال ﷺ: فيما يروي عن ربه عز وجل، من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه: «يا عبادي، إنما هي أعمالكم أُخْصِيها لكم، ثُمَّ أُوفِيكمُ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(٣).

وسياتي لذلك زيادة بيان عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وقوله: «والعرض والحساب، وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب».

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [١٥] وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ [١١]

العرض
والحساب

(١) انظر: «البخاري» (٣٣٢٦) و (٦٢٢٧)، و «مسلم» (٢٨٤١).

(٢) في مطبوعة مكة: فانية.

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٧) في البر والصلة: باب تحريم الظلم، وقد تقدم ص ٩٢.

(٤) في (ب): قوله.

وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافَةٌ ﴿١٨﴾ [الحاقة: ١٥ - ١٨]، إلى آخر السورة.

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقِهِ ﴿١﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْقَ كِتَابُهُ يَمِينَةً ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلُبُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: ١٥ - ٦].

﴿وَعَرِّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمُو أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨].

﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنَوِّلُنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلُمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨]، إلى آخر السورة.

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾، الآية إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٥ - ١٧].

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٨١﴾﴾ [البقرة: ١٨١].

وروى البخاري رحمه الله في «صحيحه»، عن عائشة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْقَ كِتَابُهُ يَمِينَةً ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨] فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقَشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِبَ»^(١). يعني أنه لو نَاقَشَ في حسابه

(١) أخرجه البخاري (١٠٣) و (٤٩٣٩) و (٦٥٣٦) و (٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦)، =

لِعَبِيدِهِ، لَعَذَابُهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، ولكنه تعالى يعفو وَيَصْفَحُ، وسيأتي لذلك زِيَادَةُ بَيَانٍ، إن شاء الله تعالى.

وفي «الصحيح» عن النَّبِيِّ ﷺ، أنه قال: «إِنَّ النَّاسَ يَضَعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فإذا مُوسَى أَخَذَ بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ، فلا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أم جُوزِي بِصَعْقَةِ يَوْمِ الطُّورِ؟»^(١).

وهذا صعق في موقف القيامة، إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ يَضَعُقُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ.

فإن قيل: كيف تصنعون بقوله في الحديث: «إِنَّ النَّاسَ يَضَعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشاً بِقَائِمَةِ الْعَرْشِ»^(٢).

قيل: لا رَيْبَ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ قَدْ وَرَدَ هَكَذَا، ومنه نشأ الإشكال، ولكنه دخل منه^(٣) على الراوي حَدِيثٌ فِي حَدِيثٍ، فَزَكَبَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ، فجاء هذان الحديثان هكذا: أحدهما: «إِنَّ النَّاسَ يَضَعُقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ

= أبو داود (٣٠٩٣)، والترمذي (٣٣٣٤)، وأحمد ٤٧/٦ و ٩١ و ١٠٨ و ١٢٧ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(١) تقدم تخريجه ص ١٥٩.

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١٢) و (٣٢٩٨) و (٤٦٣٨) و (٦٩١٦) و (٦٩١٧) و (٧٤٢٧)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً، ولفظ البخاري: «لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى»، وأخرجه أحمد ٣٣/٣ بلفظ: «وأنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، فأفيق، فأجد موسى...»، ولمسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا ما شاء الله، قال: ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بعث، أو في أول من بعث، فإذا موسى ﷺ أخذ بالعرش، فلا أدري أخويسب بصعقته يوم الطور، أو بعث قبلي».

(٣) في (أ) فوق هذه الكلمة: «فيه»، وفي (ج): منه فيه.

يُفِيْقُ»، كما تقدم، والثاني: «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، فدخل على الراوي هذا الحديث في الآخر. وممن نبه على هذا أبو الحجاج المزي^(٢)، وبعده الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ بن القيم^(٣)، وشيخنا الشَّيْخُ عماد الدين ابن كثير^(٤)، رحمهم الله.

وكذلك اشتبه على بعض الرواة، فقال: «فَلَا أَذْرِي أَفَاقَ قَبْلِي أَمْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَشْنَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(٥) والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول^(٦)، وعليه المعنى الصحيح، فَإِنَّ الصَّغْفَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَجَلِّيِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ إِذَا جَاءَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فموسى عليه السلام إِنْ كَانَ لَمْ يَضَعُقْ معهم، فيكون قد جوزي بصعقة يَوْمَ تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضاً من صَعْقَةِ الْخَلَائِقِ لِتَجَلِّيِ الرَّبِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تُهْمِلْهُ^(٧).

وروى الإمام أحمد، والترمذي، وأبو بكر بن أبي الدنيا^(٨)، عن الحسن، قال: سمعت^(٩) أبا موسى الأشعري يقول: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

(١) تقدم في الصفحة السابقة.

(٢) وانظر: «فتح الباري» ٤٤٥/٦.

(٣) المتوفى سنة ٧٤٢هـ، وله ترجمة حافلة في مقدمة كتابه «تهذيب الكمال» الذي لم يؤلف مثله في تاريخ الرجال، بقلم محققه الدكتور بشار عواد، نشر مؤسسة الرسالة.

(٤) في «الروح» ص ٥٢ - ٥٣.

(٥) في «النهاية» ٢٨٠/١ - ٢٨١. وانظر التعليق رقم (٢) في الصفحة ٥٧١.

(٦) وهو: «أَوْ جُوزِي بِصَعْقَةِ الطُّورِ».

(٧) السؤال والجواب لابن القيم في «الروح» ص ٥٣، ونقله عنه الحافظ في «الفتح» ٦/٤٤٥.

(٨) هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي مولاهم، البغدادي المؤدب، الثقة، صاحب التصانيف الكثيرة في الرقائق والأخلاق، من موالى بني أمية، توفي سنة (٢٨١هـ). مترجم في «السير» ١٣/ رقم الترجمة (١٩٢).

(٩) كذا الأصول: «سمعت» وهو خطأ، والصواب «عن أبي موسى» كما في المصادر التي عزاه المؤلف إليها، فَإِنَّ الْحَسَنَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي مُوسَى.

«يُعَرِّضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ، فَعَرَضَتَانِ جِدَالٌ وَمَعَاذِيرُ، وَعَرَضَةٌ تَطَايِيرُ الصُّحُفِ، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ، وَخُوسِبَ حِسَاباً يَسِيراً، دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ شِمَالِهِ، دَخَلَ النَّارَ»^(١).

وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك^(٢): أنه أنشد في ذلك شعراً:

وَطَارَتِ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَةً فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تُطْلَعُ^(٣)
فَكَيْفَ سَهْوُكَ وَالْأَنْبَاءُ وَاقِعَةٌ عَمَّا قَلِيلٍ وَلَا تَذْهَبُ بِمَا تَقَعُ
أَفِي الْجَنَانِ وَقُوزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ أَمِ الْجَحِيمِ، فَلَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ^(٤)
تَهْوِي بِسَاكِنِهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ عَمَّهَا قِمَعُوا
طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يُزَحَمْ تَضَرُّعُهُمْ فِيهَا وَلَا رِقَّةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ
لِيَنْفَعِ الْعِلْمُ قَبْلَ الْمَوْتِ عَالِمُهُ قَدْ سَالَ قَوْمٌ بِهَا الرُّجْعَى فَمَا رَجَعُوا

وقوله: و«الصراط» أي: وتؤمن بالصراط، وهو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ^(٥): أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ فَقَالَ: «هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ»^(٦). وفي هذا الموضع يَفْتَرِقُ الْمُنَافِقُونَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَتَخَلَّفُونَ عَنْهُمْ، وَيَسْبِقُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَيُحَالُ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِمْ.

وروى البيهقي بسنده، عن مسروق^(٧)، عن عبد الله، قال: «يَجْمَعُ اللَّهُ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٢٧)، وابن ماجه (٤٢٧٧)، وأحمد ٤/٤١٤، وقال الترمذي:

ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

(٢) «عن ابن المبارك» سقطت من (ب).

(٣) في «سير أعلام النبلاء» ٨/٤١٣: والجبار مُطْلَع.

(٤) رواية البيت في «السير»:

إِمَّا نَعِيمٌ وَعَيْشٌ لَا انْقِضَاءَ لَهُ أَوْ الْجَحِيمُ فَلَا تُبْقِي وَلَا تَدْعُ
سقطت من (ب).

(٦) قطعة من حديث مطول، أخرجه مسلم (٣١٥).

(٧) هو الإمام القدوة، مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله، أبو عائشة =

الثَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، إلى أن قال: «فَيُعْطَوْنَ نُورَهُمْ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، قال: فَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ الْجَبَلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ فَوْقَ ذَلِكَ^(١)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى نُورُهُ مِثْلَ النُّخْلَةِ بِيَمِينِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُعْطَى دُونَ ذَلِكَ بِيَمِينِهِ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُ [ذَلِكَ] مَنْ يُعْطَى نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، يُضِيءُ مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً، إِذَا أَضَاءَ قَدَمُ قَدَمَهُ، وَإِذَا طَفِيَ قَامَ، قال: فيمر ويمرون على الصُّرَاطِ، والصُّرَاطُ كَحَدِّ السِّيفِ، دَخَضَ مَزَلَةً، فَيَقَالُ لَهُمْ: امْضُوا عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَانْقِضَاضِ الْكَوْكَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرَّيْحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرَّحْلِ، وَيَزْمُلُ رَمَلًا، فَيَمُرُّونَ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، حَتَّى يَمُرَّ الَّذِي نُورُهُ عَلَى إِبْهَامِ قَدَمِهِ، تُجَدُّ يَدُهُ، وَتَغْلَقُ يَدُهُ، وَتَجْرُ رِجْلُهُ^(٢)، وَتَغْلَقُ رِجْلُهُ، وَتُصِيبُ جَوَانِبُهُ النَّارُ، قال: فَيَخْلِصُونَ، فَإِذَا خَلَصُوا قَالُوا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنْكَ بَعْدَ أَنْ أَرَانَاكَ، لَقَدْ أَغْطَانَا اللَّهُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا^(٣)»، الحديث.

واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ

- = الهمداني الكوفي، من كبار التابعين المخضرمين، أسلم في حياة النبي ﷺ، وصلى خلف أبي بكر، وهو من جلة أصحاب ابن مسعود، وكان ممن شهد القادسية مع سعد، توفي سنة (٦٣هـ). مترجم في «السير» ٤ / رقم الترجمة (١٧).
- (١) في «الطبراني» و «المجمع»: أصغر من ذلك.
- (٢) في «المستدرک»: يجر يداً ويعلق يداً، ويجر رجلاً ويعلق رجلاً، وفي «الطبراني»: تخريد وتعلق يد، وتخريد رجل وتعلق رجل.
- (٣) أورده ابن كثير في «النهاية» ٢ / ٨٤ - ٨٥ من طريق البيهقي عن شيخه الحاكم، وهو في «المستدرک» ٢ / ٣٧٦ - ٣٧٧ من طريق عبد السلام بن حرب، عن يزيد بن عبد الرحمن أبي خالد الدالاني، حدثنا المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة، عن مسروق، عن عبد الله، وهذا سند قابل للتحسين، وقد أخرجه أيضاً ٤ / ٥٩٠ و ٥٩٢، والطبراني في «الكبير» (٩٧٦٣) من طريق يزيد بن عبد الرحمن أبي خالد بالإسناد المتقدم، عن ابن مسعود مرفوعاً...، وقد تابعه زيد بن أبي أنيسة - وهو ثقة - مرفوعاً أيضاً عند الطبراني، فالحديث صحيح، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٠ / ٣٤٠ - ٣٤٣، وقال: رواه الطبراني من طرق، ورجال أحدهما رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني، وهو ثقة. وانظر: «الدر المنثور» ٤ / ٢٨٠ - ٢٨٢.

معنى الورود
في قوله
تعالى: ﴿وَإِنْ
مِنْكُمْ إِلَّا
وَارِدَهَا﴾

٢٥٤

مَنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المُرورُ على الصراط، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ۖ﴾ [مريم: ٧٢]. وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَلْجُ النَّارَ أَحَدٌ بَاتَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»، قَالَتْ حَفْصَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فَقَالَ: «أَلَمْ تَسْمِعِيهِ قَالَ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ۖ﴾» [مريم: ٧٢] ^(١). وأشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليُهْلِكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا﴾ [هود: ٦٦] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]. ولم يَكُنِ الْعَذَابُ أَصَابَهُمْ، ولكن أَصَابَ غَيْرَهُمْ، ولولا ما خَصَّهُمُ اللَّهُ به من أسباب النجاة، لأصابهم ما أَصَابَ أولئك ^(٢).

وكذلك حال الواردين النار، يَمُرُّونَ قَوْفَهَا عَلَى الصَّرَاطِ، ثُمَّ يُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَيَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا، فَقَدْ بَيَّنَّ ﷺ فِي حَدِيثِ جَابِرِ الْمَذْكُورِ: أَنَّ الْوُرُودَ هُوَ الْمُرُورُ عَلَى الصَّرَاطِ.

وروى الحافظ أبو نصر الوائلي ^(٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ:

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: أخبرني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾».

وأخرجه أحمد ٢٨٥/٦ و ٣٦٢ من طريقين عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر، عن أم مبشر، عن حفصة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار - إن شاء الله - أحد شهد بداراً والحديبية»، قالت حفصة: أليس الله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» ٤٩/٧ - ٥١.

(٣) هو الحافظ عبيد الله بن سعيد بن حاتم، الوائلي البكري، أبو نصر السجزي، =

«عَلَّمَ النَّاسَ سُتَيْيَ وَإِنْ كَرِهُوا ذَلِكَ، وَإِنْ أُخْبِتَ أَنْ لَا تُوقَفَ عَلَى الصُّرَاطِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلَا تُحْدِثَنَّ فِي دِينِ اللَّهِ حَدَثًا بِرَأْيِكَ» أوردته القرطبي^(١).

وروى أبو بكر أحمد بن سلمان النُّجَّاد^(٢)، عن يعلى بن منية^(٣)، عن رسول الله ﷺ، قال: «تَقُولُ النَّارُ لِلْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: جُزْ يَا مُؤْمِنُ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورَكَ لَهَبِي»^(٤).

= المتوفى بمكة سنة ٤٤٤هـ، ترجمه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ١١١٨/٣ فقال: هو صاحب «الإبانة الكبرى في مسألة القرآن» وهو كتاب طويل في معناه، دال على إمامة الرجل، وبصره بالرجال والطرق.

(١) هو في «تذكرته» ص ٣٣٦ - ٣٣٧ نقلاً عن «الإبانة»، من طريق علي بن الحسين أبي عبيد، عن زكريا بن يحيى، عن أبي السكن، عن عبد الله بن صالح اليماني، عن أبي همام القرشي، عن سليمان بن المغيرة، عن قيس بن مسلم، عن طاووس، عن أبي هريرة. وأبو همام - واسمه محمد بن مجيب - قال يحيى بن معين: كذاب، وقال أبو حاتم: ذاهب الحديث.

وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» ٣٨٠/٤ من طريق علي بن الحسين بهذا الإسناد، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» من طريق آخر، وفي سنده محمد بن عبد الرحيم بن شبيب، وهو مجهول، فالحديث لا يصح، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات».

(٢) تحرف في الأصول إلى: «أبي بكر بن أحمد بن سليمان النجاد». وأبو بكر هذا هو الإمام الحافظ الفقيه شيخ العلماء ببغداد، أبو بكر أحمد بن سلمان، المتوفى سنة ٣٤٨هـ. مترجم في «السير» ١٥/ رقم الترجمة (٢٨٥).

(٣) تصحف في الأصول إلى «منبه» ومنية، بضم الميم وسكون النون: هي أمه، ويقال: أم أبيه، وبذلك جزم الدارقطني، وأبوه اسمه أمية، ونسب إلى أبيه في «التهذيب» وفروعه. أسلم يعلى يوم الفتح، وشهد حيناً والطائف وتبوك، واستعمله أبو بكر على حلوان في الردة، ثم على بعض اليمن، فحمى لنفسه، فعزله، ثم عمل لعثمان على صنعاء اليمن، وشهد الجمل مع عائشة، ثم صار من أصحاب علي، ويقال: إنه قتل بصفين. «أسد الغابة» ٥٢٣/٥، و «الإصابة» ٦٣٠/٣.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ٣٢٩/٩، والقرطبي في «تذكرته» ص ٢٣٤، والطبراني في «الكبير» ٢٢/ رقم (٦٦٨) من طريقين عن بشير بن طلحة، عن خالد بن دريك، عن يعلى بن منية... وبشير بن طلحة ضعيف، وخالد بن دريك لم يسمع من =

وقوله: «والميزان» أي: وتؤمن بالميزان، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣].

قال القرطبي^(١): قال العلماء: إذا انقضى الحِسَابُ كان بَعْدَهُ وَزْنُ الأَعْمَالِ، لأن الوزنَ لِلْجِزَاءِ، فينبغي أن يَكُونَ بَعْدَ المحاسبة، فإنَّ المحاسبة لتقرير الأَعْمَالِ، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها، قال: وقوله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. يُحْتَمَلُ أن يكون ثَمَ موازين متعددة تُوزَنُ فيها الأَعْمَالُ، وَيَحْتَمَلُ أن يَكُونَ المُرَادُ الموزونات، فجمع باعتبار تنوع الأَعْمَالِ الموزونة، والله أعلم.

والذي دَلَّتْ عليه السُّنَّةُ: أن ميزانَ الأَعْمَالِ لَهُ كِفَتَانِ حِسِّيَتَانِ مشاهدتان، روى الإمام أحمد، من حديث أبي عبد الرحمن الحُبلي، قال سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ سَجِلًا، كُلُّ سَجَلٍ مَدُّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَمْ أَعْذُرْ أَوْ حَسَنَةً؟ فَيُنْهَتْ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَيَقُولُ: أَخْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟! فيقول: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ،

٢٥٥

= يعلى بن منية، فهو منقطع، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣٦٠/١٠ عن الطبراني، وضعفه بسليم بن منصور بن عمار، مع أن مَنْ فوقه - وهو بشير بن طلحة - ضعيف أيضاً، ولم يتنبه للاقتطاع. وقد تصحف فيه اسم يعلى بن منية، إلى يعلى بن مبنه.

(١) في «التذكرة» ص ٣٠٩.

والبطاقة في كفة، قال: فَطَاشَتِ السَّجِلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^(١). وهكذا رواه^(٢) الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا، من حديث الليث^(٣)، زاد الترمذي: «وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»^(٤). وفي سياق آخر: «تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ»، الحديث^(٥).

وفي هذا السياق فائدة جليّة، وهي أن العاملَ يُوزَنُ مع عمله^(٦)، وَيَشْهَدُ له ما روى البخاري، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزُنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَقِيْمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾»^(٧) [الكهف: ١٠٥].

وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود: «أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكَ مِنْ

(١) أخرجه أحمد ٢/٢١٣، والترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وسنده صحيح، وصححه ابن حبان (٢٥٢٤)، والحاكم ٦/١، و٥٢٩، ووافقه الذهبي، وحسنه الترمذي، ورواية: «وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسَمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» شاذة، وهي لأحمد، والرواية الصحيحة: «وَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ» وهي رواية الترمذي والحاكم. والسجل: الكتاب الكبير، فبيّث الرجل، أي: ينقطع ويسكت متحيراً مدهوشاً، والبطاقة: رقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما يجعل فيه إن كان عيناً فوزنه أو عدده، وإن كان متاعاً فثمنه. وقد تقدم طرف من الحديث في الصفحة ٩٤.

(٢) في (ب): روى.

(٣) هو الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، الليث بن سعد بن عبد الرحمن، أبو الحارث الفهمي، مولى خالد بن ثابت بن طاعن، أصله من الفرس من أهل أصبهان، كان كثير العلم، استقل بالفتوى في زمانه، توفي سنة (١٧٥هـ). مترجم في «السير» ٨ / رقم الترجمة (١٢).

(٤) في الأصول: «وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِاسْمِ اللَّهِ» والمثبت من الترمذي.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ أحمد ٢/٢٢١ - ٢٢٢، ولا يصح، فيه ابن لهيعة، وهو سيء الحفظ.

(٦) تحرفت في الأصول إلى: «علمه» وانظر ص ٦١٣.

(٧) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢٥٣/٤ - ٢٥٤، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم، ونسبه الحافظ في «النتك الظراف» ٢٠١/١٠ إلى الطبراني في «الأوسط».

الْأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفُوهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مِمَّ تَضْحَكُونَ؟» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»^(١).

وقد وردت الأحاديث أيضاً بِوَزْنِ الأَعْمَالِ أَنْفُسِهَا، كما في «صحيح مسلم» عن أبي مالك الأشعرى، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» الحديث^(٢).

وفي «الصحيحين»، وهو خاتمة كتاب البخاري، قوله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٣).

(١) أخرجه أحمد ٤٢٠/١ - ٤٢١، والطبراني (٨٤٥٢)، والبخاري (٢٦٧٨). وابن سعد في «الطبقات» ١٥٥/٣ من طرق عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زر، عن عبد الله بن مسعود، وهذا سند حسن من أجل عاصم - وهو ابن أبي النجود - وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» ١١٣/١٢ من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة، عن زائدة، عن عاصم به، وصححه الحاكم ٣/٣١٧ من طريق سهل بن حماد، عن شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: كان ابن مسعود... ووافقه الذهبي، وهو في «مسند البزار» (٢٦٧٧)، والطبراني ١٩/ (٥٩) من هذا الطريق، وذكرهما الهيثمي في «المجمع» ٢٨٩/٩ عنهما، وقال: ورجالهما رجال الصحيح. وأخرجه ابن سعد ٣/١٥٥، وابن أبي شيبة من طريق محمد بن فضيل، عن مغيرة، عن أم موسى، قالت: سمعت علياً يقول: أمر النبي ﷺ ابن مسعود أن يصعد شجرة فيأتيه بشيء منها، فنظر أصحابه إلى حموشة ساقيه، فضحكوا منها، فقال النبي ﷺ: «ما تضحكون! لَرَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ».

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣)، والترمذي (٣٥١٢)، والدارمي ١/١٦٧، وأحمد ٥/٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٣٤، والطبراني (٣٤٢٣) و (٣٤٢٤)، والنسائي ٥/٨ - ٥، وابن ماجه (٢٧٠).

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٠٦) و (٦٦٨٧) و (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤)، والترمذي (٣٤٦٣)، وابن ماجه (٣٨٠٦)، وأحمد ٢/٢٣٢ من طرق محمد بن فضيل، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، وهو حديث غريب كما قال الترمذي، تفرد به محمد بن فضيل، وشيخه وشيخه وصحابه، ومن لطائف شيخ الحفاظ محمد بن إسماعيل أنه بدأ كتابه «الجامع الصحيح» بحديث غريب، وهو «الأعمال بالنية»، وختمه بحديث غريب.

وَرَوَى الْحَافِظُ أَبُو بَكْرِ الْبَيْهَقِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ بَيْنَ كَفْطَيِ الْمِيزَانِ، وَيُوكَّلُ بِهِ مَلَكٌ، فَإِنْ ثَقُلَ مِيزَانُهُ، نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ: سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا، وَإِنْ خَفَّ مِيزَانُهُ، نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ: شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسَعِدُ بَعْدَهَا أَبَدًا»^(١).

فَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى مَلْحِدٍ مُعَانِدٍ يَقُولُ: الْأَعْمَالُ أَعْرَاضٌ لَا تَقْبَلُ الْوِزْنَ، وَإِنَّمَا يَقْبَلُ الْوِزْنَ الْأَجْسَامُ!! فَإِنَّ اللَّهَ يَقْلِبُ الْأَعْرَاضَ أَجْسَامًا، كَمَا تَقْدُمُ، وَكَمَا رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَبْشًا أَغْبَرُ»^(٢) فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَيَرُونَ أَنَّ قَدْ جَاءَ الْفَرْجُ، فَيَذْبَحُ، وَيَقَالُ: خُلُودٌ لَا مَوْتَ»^(٣) وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِمَعْنَاهُ^(٤).
فَثَبَتَ وَزْنَ الْأَعْمَالِ وَالْعَامِلِ وَصَحَائِفِ الْأَعْمَالِ، وَثَبَتَ أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ كِفَتَانِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ.

(١) وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» ١٧٤/٦، وَقَدْ تَفَرَّدَ بِهِ دَاوُدُ بْنُ الْمَحْبِرِ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ، وَهُوَ: صَاحِبُ التَّصْنِيفِ فِي فَضْلِ الْعَقْلِ، وَفِيهِ أَخْبَارٌ كُلُّهَا أَوْ عَامَتُهَا غَيْرَ مُحْفُوظَةٍ.

(٢) الْكَبْشُ الْأَغْبَرُ: الَّذِي يَغْلِبُ بَيَاضُهُ عَلَى سُودِهِ، وَفِي «الْمُسْنَدِ»: الْأَغْشَرُ، وَهُوَ الْكَدَرُ اللَّوْنُ كَالْأَغْبَرِ وَالْأَرِيدُ، وَفِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ: كَبْشٌ أَمْلَحٌ، وَهُوَ بِمَعْنَى مَا سَبَقَ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٤٢٣/٢، وَالدَّارِمِيُّ ٣٢٩/٢، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبْرِ» كَمَا فِي «تَحْفَةِ الْأَشْرَافِ» ٣٤٧/٩، وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٧٣٠)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٤٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣١٥٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحٍ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، ثُمَّ يَنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ، فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ، فَلَا مَوْتَ» ثُمَّ قَرَأَ: «وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا «وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» [مريم: ٣٩].

فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق عليه السلام، من غير زيادة ولا نقصان.

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم^(١) القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والقوال!! وما أحرأه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم^(٢) يوم القيامة وزناً. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه. فتأمل قول الملائكة لما قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْإِلَهِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقد تقدم عند ذكر الحوض^(٣) كلام القرطبي رحمه الله، أن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان. ففي «الصحاحين»: «أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا وثقوا، أذن لهم في دخول الجنة»^(٤). وجعل القرطبي في «التذكرة»^(٥) هذه القنطرة صراطاً ثانياً للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار. والله تعالى أعلم.

(١) في (ب): يوم.

(٢) تحرفت في الأصول إلى: «له».

(٣) ٢٨١.

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٤٠) و (٦٥٣٥)، وأحمد ١٣/٣ و ٦٣ و ٧٤ من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيَحْبِسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِبُوا وَثُقُوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا أَحَدٌ هُدِيَ بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» وانظر ص ٤٥٥.

(٥) ص ٣٣٩.

قوله: «وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ مَخْلُوقَتَانِ، لَا تَفْنِيَانِ أَبَدًا وَلَا تَبِيدَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَبْلَ الْخَلْقِ، وَخَلَقَ لَهُمَا أَهْلًا، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَذَابًا مِنْهُ، وَكُلٌّ يَفْعَلُ لِمَا قَدْ فُرِغَ لَهُ، وَصَائِرُ إِلَى مَا خُلِقَ لَهُ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مُقَدَّرَانِ عَلَى الْعِبَادِ».

الجنة والنار
مخلوقتان وهما
موجودتان
الآن، ولا تفنيان
أبدًا.

أما قوله: «إِنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ»، اتَّفَقَ^(١) أَهْلُ السَّنةِ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مَخْلُوقَتَانِ مَوْجُودَتَانِ الْآنَ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ أَهْلُ السَّنةِ^(٢)، حَتَّى نَبِغْتَ نَابِغَةً مِنَ الْمَعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ، فَأَنْكَرْتَ ذَلِكَ، وَقَالَتْ: بَلْ يُنَبِّشُهُمَا^(٣) اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ!! وَحَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَصْلُهُمُ الْفَاسِدُ الَّذِي وَضَعُوا بِهِ شَرِيعَةً لِمَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ كَذَا، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا!! وَقَاسَوْهُ عَلَى خَلْقِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ، فَهَمَّ مُشَبِّهَةً فِي الْأَفْعَالِ، وَدَخَلَ^{٢٥٧} التَّهْجُمُ فِيهِمْ، فَصَارُوا مَعَ ذَلِكَ مُعْطَلَةً! وَقَالُوا: خَلَقَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْجَزَاءِ عَبَثًا! لِأَنَّهُ تَصِيرُ مُعْطَلَةً مُدَدًا مُتَطَاوِلَةً! فَرَدُّوا مِنَ النُّصُوصِ مَا خَالَفَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي وَضَعُوهَا لِلرَّبِّ تَعَالَى، وَحَرَّفُوا النُّصُوصَ عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَضَلُّوا وَبَدَّعُوا مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُمْ.

فَمِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ: قَوْلُهُ تَعَالَى عَنِ الْجَنَّةِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١]. وَعَنِ النَّارِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿١١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَبَآئِلَ ﴿١٢﴾﴾ [النبا: ٢١ - ٢٢]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]. وَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، وَرَأَى عِنْدَهَا جَنَّةَ الْمَأْوَى. كَمَا فِي «الصَّحِيحِينَ»، مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ، وَفِي آخِرِهِ: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَعَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَذْرِي مَا هِيَ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ

(١) كذا الأصول بحذف الفاء، والجدادة إثباتها، وإن كان ما هنا له وجه.

(٢) انظر «حادي الأرواح» ص ١١ - ١٩.

(٣) في (أ) و (ج) و (د): ينشئها.

الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابُذُ اللَّوْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»^(١).

وفي «الصحيحين» من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، يُقَالُ^(٢): هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِيهِ: «يُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ؛ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَافْرُشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا وَطِيْبِهَا...»^(٤).

وَتَقَدَّمَ حَدِيثُ أَنَسٍ بِمَعْنَى حَدِيثِ الْبَرَاءِ.

وفي «صحيح مسلم»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَسَفَتْ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ^(٥) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْتُ الْحَدِيثَ، فِيهِ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ فِي مَقَامِي هَذَا كُلَّ شَيْءٍ وَعِدْتُمْ بِهِ، حَتَّى لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَخْذُ قِطْعاً مِنَ الْجَنَّةِ حِينَ رَأَيْتُمُونِي أُقَدِّمُ»^(٦). وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضاً حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأْخُرُ»^(٧).

(١) تقدم تخريجه ص: ٢٧٥، والجنابذ جمع جُنُبْدَة: ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة.

(٢) في (ب): يقال له.

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» ٢٣٩/١، ومن طريقه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦)، وأحمد ١١٣/٢، والنسائي ١٠٧/٤، وأخرجه من طرق عن نافع عن ابن عمر البخاري (٣٢٤٠) و (٦٥١٥)، وأحمد ١٦/٢ و ٥١ و ١٢٣، والترمذي (١٠٧٢)، والنسائي ١٠٦/٤ - ١٠٧.

(٤) تقدم تخريجه ص ٥٧٣.

(٥) في (ب): «على عهد»، وهي رواية لمسلم.

(٦) قال النووي: ضبطناه بضم الهمزة وفتح القاف وكسر الدال المشددة، ومعناه: أقدم نفسي أو رجلي، وكذا صرح القاضي عياض بضبطه.

(٧) قطعة من حديث مطول. أخرجه مسلم (٩٠١) (٣)، والبخاري (١٢١٢)، والنسائي ١٣٠/٣ - ١٣٢.

وفي «الصحيحين»، واللفظ للبخاري، عن عبد الله بن عباس، قال: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فذكر الحديث، وفيه: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاولْتَ شَيْئاً فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعَّكْتَ؟ فَقَالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ فَتَنَاولْتُ»^(١) عَنْقُوداً، وَلَوْ أَصْبَنَتْهُ، لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ^(٢) النَّارَ، فَلَمْ أَرْ مَنْظَراً كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ، قَالُوا: بِمَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ»، قِيلَ: أَيْكْفُرْنَ^(٣) بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتُ إِلَى إِخْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ خَيْراً قَطُّ!!»^(٤).

وفي «صحيح مسلم» من حديث أنس: «وأيُّ الذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَبَكَيْتُمْ كَثِيراً». قَالُوا: وَمَا رَأَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ»^(٥).

وفي «الموطأ» و«السنن»، مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يَغْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهَا^(٦) اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٧).

وهذا صريح في دخول الروح الجنة قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

(١) في الأصول: وتناولت، والمثبت من «الصحيحين».

(٢) في (ب): وأريت.

(٣) في (ب): يكفرن.

(٤) أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧). وقوله: «تكعكت» معناه: تأخرت،

وفي «صحيح مسلم»: «ثم رأيناك كففت» بفاءين خفيفتين.

(٥) أخرجه مسلم (٤٢٦)، والنسائي ٨٣/٣، ولفظه بتمامه: «أيها الناس إني إمامكم، فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ولا بالقيام، ولا بالانصراف، فإني أراكم أمامي ومن خلفي» ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لو رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلاً، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيراً» قَالُوا: وَمَا رَأَيْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ.

(٦) في «الموطأ» و«المسند»: حتى يرجعه، وفي النسائي: يبعثه، وفي ابن ماجه: حتى يرجع إلى جسده.

(٧) تقدم تخريجه ص ٥٦٧ تعليق (١).

وفي «صحيح مسلم» و«السنن» و«المسند»، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جَبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: أَذْهَبَ، فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أُعِدِّتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَذَهَبَ فَتَنْظَرُ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أُعِدَّ اللهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَرَجَعَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِالْجَنَّةِ، فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ، فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أُعِدِّتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَتَنْظَرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّارِ، قَالَ: أَذْهَبَ فَاَنْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أُعِدِّتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَتَنْظَرُ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ يَزْكِبُ بَغْضَهَا بَغْضًا، ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ سَمِعَ بِهَا، فَأَمَرَ بِهَا، فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: أَذْهَبَ، فَاَنْظُرْ إِلَى مَا أُعِدِّتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَذَهَبَ فَتَنْظَرُ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»^(١). ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

وأما على قول من قال: إِنَّ الْجَنَّةَ الْمَوْعُودَ بِهَا هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي كَانَ فِيهَا آدَمُ ثُمَّ أُخْرِجَ مِنْهَا، فَاَلْقَوْهُ بِوُجُودِهَا الْآنَ ظَاهِرٌ، والخلاف في ذلك معروف.

وأما شبهة^(٢) مَنْ قَالَ: إِنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ بَعْدُ، وهي: أَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَخْلُوقَةً الْآنَ، لَوَجِبَ اضْطِرَاراً أَنْ تَفْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ فِيهَا وَيَمُوتَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقد روى الترمذي في «جامعه»، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال:

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٣)، والنسائي ٣/٧ - ٤، وأحمد ٢/ ٣٣٢ و ٣٥٤ و ٣٧٣، وسنده حسن. ولم يخرج مسلم بطوله كما قاله الشارح، وإنما هو عنده (٢٨٢٢)، من حديث أنس بلفظ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

ورواه مختصراً من حديثه أيضاً الدارمي ٣٣٩/٢، وأحمد ٣/ ١٥٣ و ٢٥٤ و ٢٨٤.

(٢) انظر: «حادي الأرواح» ص ٣٤ - ٣٧.

قال رسول الله ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَفَرِئُ أَمَتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التَّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(١)، قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيه أيضاً مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»^(٢)، قال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، قَالُوا: فَلَوْ كَانَتْ مَخْلُوقَةٌ مَفْرُوعاً مِنْهَا لَمْ تَكُنْ قِيَعَاناً، وَلَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْغِرَاسِ مَعْنَى.

قَالُوا: وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ امْرَأَةٍ فَرَعُونَ إِنَّهَا قَالَتْ: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التَّحْرِيمُ: ١١].

فَالْجَوَابُ: إِنَّكُمْ إِنْ أَرَدْتُمْ بِقَوْلِكُمْ: إِنَّهَا الْآنَ مَعْدُومَةٌ بِمَنْزِلَةِ النَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَقِيَامِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ، فَهَذَا بَاطِلٌ، يَرُدُّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَدْلَةِ وَأَمْثَالِهَا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنَّهَا لَمْ يَكْمَلْ خَلْقُ جَمِيعِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا لِأَهْلِهَا، وَأَنَّهَا لَا يَزَالُ اللَّهُ يُحْدِثُ فِيهَا شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ، وَإِذَا دَخَلَهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَحْدَثَ اللَّهُ فِيهَا عِنْدَ دَخُولِهِمْ أَمْوراً أُخْرَى، فَهَذَا حَقٌّ لَا يُمَكِّنُ رَدَّهُ، وَأَدْلَتُكُمْ هَذِهِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٥٨) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعاً وَحَسَنَةً مَعَ أَنَّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ إِسْحَاقَ قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى ضَعْفِهِ، وَتَحْسِينُ الشَّيْخِ نَاصِرِ الدِّينِ لَهُ فِي «الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ» رَقْم (١٠٥) بِشَاهِدَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ وَابْنِ عُمَرَ لَا يَتَجَهَّ، لِأَنَّهُمَا عَلَى ضَعْفِهِمَا لَا يَصْلِحَانِ أَنْ يَكُونَا شَاهِدًا لَهُ، لِأَنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى عَنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَفِيهِمَا أَنَّ غِرَاسَ الْجَنَّةِ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ». انْظُرْ «الْمُسْنَدُ» ٥/ ٤١٨ وَ «مَجْمَعُ الزَّوَائِدُ» ٩٨/ ١٠.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٦٠) وَ (٣٤٦١)، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ تَدْلِيلَ أَبِي الزُّبَيْرِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ.

وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] فأنتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج أخوانكم بها على فناءهما وخرابهما وموت أهلها!! فلم توفقوا أنفسكم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام، فمن كلامهم: أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك، هالك، والجنة والنار خلقنا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سقف الجنة، وقيل: المراد إلا ملكة، وقيل: إلا ما أريد به وجهه، وقيل: إن الله تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦]، فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوها في البقاء، فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت، وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة، الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يذكركم عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وقوله: «لا تفنيان أبداً ولا تبدان»، هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف.

وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة منهم من السلف^(١) والخلف، والقولان المذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها.

وقال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة

(١) وما يروى عن بعض السلف من القول بفناء النار - إن صح - قول ضعيف مرجوح مخالف للأدلة القطعية من الكتاب والسنة الدالة على بقاء النار أبد الآباد، وبقاء أهلها فيها، مثل قوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ ومثل قوله عز وجل: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾، ومثل ما صح في أحاديث الشفاعة، وأنه لا يبقى في النار إلا من حبسه القرآن، وهم الكفار، أما من دخلها من الموحدين، فإنه لا بد من خروجه منها برحمة أرحم الراحمين.

المسلمين، ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة، وكفروا به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده، وهو امتناع وجود ما^(١) لا يتناهى من الحوادث! وهو عُمدة أهل الكلام المذموم، التي استدلوا بها على حدوث الأجسام، وحدث ما لم يخل من الحوادث، وجعلوا ذلك عُمدة في حدوث العالم، فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في المستقبل!! فدوام الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع، كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي!! وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل، لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار، حتى يصيروا في سُكون دائم، لا يُقدِّر أحد منهم على حركة!! وقد تقدّم^(٢) الإشارة إلى اختلاف الناس في تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل، وهي مسألة دوام فاعلية الرب تعالى، وهو لم يزل رباً قادراً فعالاً لما يريد، فإنه لم يزل حياً عليمًا قديرًا. ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه ٢٦٠ لذاته، ثم يتقلب، فيصير ممكناً لذاته، من غير تجدد شيء، وليس للأول حدٌ محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد، ويكون قبله ممتنعاً عليه، فهذا القول تصوّره كافٍ في الجزم بفساده.

فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفتنى ولا تبيد، فهذا مما يُعلم بالضرورة^(٣) أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُورٍ﴾ [هود: ١٠٨]، أي: مقطوع، ولا يُنافي ذلك قوله^(٤): ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾.

واختلف السلف في هذا الاستثناء: فقليل: معناه إلا مدة مكثهم في

(١) «ما» سقطت من (أ) و (ب) و (ج) وهي في (د) و «حادي الأرواح» ص ٢٤٥.

(٢) في (ب): تقدمت.

(٣) انظر: «حادي الأرواح» ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

(٤) في «حادي الأرواح»: ولا تنافي بين ذلك وبين قوله.

النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار، ثم أُخْرِجَ منها، لا لِكُلِّهِمْ. وقيل: إلا مدة مقامِهِمْ في الموقف، وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف.

وقيل: هو استثناء استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل ^(١) تجزُم بضربه.

وقيل: «إلا» بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف، وسيبويه يجعل «إلا» بمعنى «لكن» فيكون الاستثناء منقطعاً، ورجَّحه ابن جرير، وقال: إن الله تعالى لا خُلفَ لوعده، وقد وَصَلَ الاستثناء بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ ^(٢)، قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت، أي: سوى ما شئت، أو لكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خُلُودِهِمْ في مشيئة الله، لا أنهم يخرجون عن مشيئته، ولا يُنافي ذلك عزمته وجزمه لهم بالخُلُود، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخَيِّمَ عَلَى قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ [يونس: ١٦]. ونظائره كثيرة، يُخبرُ عباده سبحانه أن الأمور كُلُّها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقيل: إن «ما» بمعنى «مَنْ» أي: إلا مَنْ شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء. وقيل: غير ذلك ^(٣)، وعلى كل تقدير فهذا الاستثناء ^(٤) من

(١) في (ب): وأنت.

(٢) انظر: «جامع البيان» ٤٨٨/١٥.

(٣) هو من كلام ابن القيم في «حادي الأرواح» ص ٢٢، وتماه: «وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال: أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء ألا يكونوا فيها، وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي موقف القيامة، وعلى الصراط، وكون بعضهم في النار مدة...».

(٤) في «حادي الأرواح» ص ٢٤٤: فهذه الآية.

المتشابه، وقوله: ﴿عَطَاةٌ غَيْرَ مَجْدُوفَةٍ﴾، مُحَكَّمٌ، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. وقوله: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]. وقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقد أكد الله خُلُودَ أهل الجنة بالتأيد في عِدَّةِ مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضُمَّمَتْهُ إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تبين لك^(١) المراد من الآيتين، واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، استثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه مَوْتَةٌ تقدَّمت على حياتهم الأبدية، وذلك مفارقةً للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة، كقوله ﷺ: «مَنْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْئَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ»^(٢). وقوله: «يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا، فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَشَبُّوا، فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَأَنْ تَحْيَا، فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا»^(٣).

وتقدم ذكرُ ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: «يا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»^(٤).

(١) تحرفت في الأصول إلى: «أن»، والمثبت من «حادي الأرواح».

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة مسلم (٢٨٣٦) بلفظ: «من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه» وأخرجه الدارمي ٣٣٢/٢، وأحمد ٣٧٠/٢ و ٤٠٧ و ٤١٦ و ٤٦٢ بلفظ: «من دخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، وله في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

(٣) أخرجه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري مسلم (٢٨٣٧)، والترمذي (٣٢٤٦)، وأحمد ٣١٩/٢ و ٣٨/٣ و ٩٥، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣/٣٢٩، والدارمي ٣٣٤/٢، والبخاري في «شرح السنة» (٤٣٨٣).

(٤) تقدم تخريجه ص ٩٣ تعليق (١).

وأما أُبْدِيَّةُ النَّارِ ودوامُها، فللناس في ذلك ثمانية أقوال:

أَحَدُهَا: أَنْ مَنْ دَخَلَهَا لَا يُخْرَجُ مِنْهَا أَبَدَ الْآبَادِ، وَهَذَا قَوْلُ الْخَوَارِجِ
وَالْمُعْتَزِلَةِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ أَهْلَهَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا، ثُمَّ تَنْقَلِبُ طَبِيعَتُهُمْ، وَتَبْقَى طَبِيعَةُ نَارِيَّةٍ
يَتَلَذَّذُونَ بِهَا لِمَوَافَقَتِهَا لِطَبِيعَتِهِمْ! وَهَذَا قَوْلُ إِمَامِ الْإِسْلَامِ ابْنِ عَرَبِيِّ
الطَّائِفِيِّ (١)!!

الثالث: أَنَّ أَهْلَهَا يُعَذَّبُونَ فِيهَا إِلَى وَقْتٍ مُحددٍ، ثُمَّ يُخْرَجُونَ مِنْهَا،
وَيُخْلَقُ لَهُمْ فِيهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَهَذَا الْقَوْلُ حِكَاةُ الْيَهُودِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَأَكْذَبُهُمْ
فِيهِ، وَقَدْ أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا
أَنْتِئَامًا مَقْعُودَةً قُلْ أَتَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة: ٨٠ - ٨١].

الرابع: يُخْرَجُونَ مِنْهَا، وَتَبْقَى عَلَى خَالِهَا لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ.

الخامس: أَنَّهَا تَفْنَى بِنَفْسِهَا، لِأَنَّهَا حَادِثَةٌ، وَمَا ثَبَّتَ حَدُوثُهُ اسْتِحْوَاجُ
بَقَاؤُهُ!! وَهَذَا قَوْلُ الْجَهْمِ وَشِيعَتِهِ، وَلَا فَرْقَ عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ،
كَمَا تَقْدِمُ.

السادس: تَفْنَى حَرَكَاتُ أَهْلِهَا، وَيَصِيرُونَ جَمَادًا، لَا يُحِسُّونَ بِأَلَمٍ،
وَهَذَا قَوْلُ أَبِي الْهَذَلِ الْعَلَّافِ كَمَا تَقْدِمُ.

السابع: أَنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ يَشَاءُ، كَمَا وَرَدَ فِي السَّنَةِ، ثُمَّ يُبْقِيهَا مَا
يَشَاءُ ثُمَّ يُفْنِيهَا، فَإِنَّهُ جَعَلَ لَهَا أَمَدًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ.

الثامن: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ يَشَاءُ، كَمَا وَرَدَ فِي السَّنَةِ، وَيُبْقِي
فِيهَا الْكُفَّارَ، بَقَاءً لَا انْقِضَاءَ لَهُ، كَمَا قَالَ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) انظر: «الفصوص» ص ٩٣ - ٩٤ تحقيق وتعليق أبي العلاء عفيفي.

وما عدا هذين القولين الآخرين^(١) ظاهرُ البطلان.

وهذان القولان لأهل السنة ينظر في دليلهما^(٢).

فَمَنْ أَدْلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلُ^(٣) مِنْهُمَا^(٤): قوله تعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ﴾ [١٦] خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦ - ١٠٧]. ولم يأت بعد هذين^(٥) الاستثنائين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُونٍ﴾ [هود: ١٠٨]. قوله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣].

وهذا القول - أعني القول بفناء النار دون الجنة - منقول عن عُمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وغيرهم^(٦).

٢٦٢

(١) في (أ) و (ب) و (ج): الآخرين، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.

(٢) تقدم في الصفحة ٦٢١ ت (١) القول بأن ما يروى عن بعض السلف بفناء النار قول مؤلف مرجوح لمخالفته للأدلة الصحيحة، والقول الصحيح في هذا: هو أن الجنة والنار لا تفنيان، وللإمام الحافظ علي بن عبد الكافي السبكي رسالة في هذا الموضوع أسماها: «الاعتبار ببقاء الجنة والنار» وهي نفيسة في بابها، فلتراجع. وقد تولى الشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى سنة (١١٨٢هـ) الرد على القائلين بفناء النار بأسلوب علمي متين في رسالته: «رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار».

(٣) انظر: «حادي الأرواح» ص ٢٤٩ - ٢٥٤، و «مختصر الصواعق المرسل» ١/ ٣٥٤ - ٣٥٧.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): هذا.

(٦) أثر عمر أخرجه عبد بن حميد من طريق سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن قال: قال عمر بن الخطاب... وهذا سند ضعيف لانقطاعه، فإن الحسن لم يسمعه من عمر، ومراسيل الحسن عندهم واهية، لأنه كان يأخذ عن كل أحد، قال ابن سيرين - فيما نقله عنه الدارقطني في «سننه» ١/ ١٧١، وكان عالماً بأبي العالية والحسن -: لا تأخذوا بمراسيل الحسن ولا أبي العالية، فإنهما لا يباليان عن أخذنا عنه.

وقد روى عَبْدُ بن حميد في «تفسيره» المشهور، بسنده إلى عمر رضي الله عنه، أنه قال: «لو لَبِثَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ كَقَدْرِ رَمْلِ عَالِجٍ، لَكَانَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَفَتْ يَخْرُجُونَ فِيهِ»، ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيَبِثَنَّ فِيهَا أَخْفَاءُ﴾.

= وأثر ابن مسعود: «ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد»، وعن أبي هريرة مثله، علقهما الإمام البغوي في تفسيره ٣٩٨/٤، ثم قال بإثرهما: ومعناه عند أهل السنة - إن ثبت - أنه لا يبقى فيهما أحد من أهل الإيمان، وأما مواضع الكفار، فممتلئة أبداً.

وقد أخرج الطبري أثر ابن مسعود في «تفسيره» ٤٨٤/٥ بسند تالف لا يعبا به، ولا يعول عليه، وأما أثر أبي هريرة، فقد ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» ص ٢٥٢ من رواية إسحاق بن راهويه، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن يحيى بن أيوب، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: ما أنا بالذي لا أقول: إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد، وقرأ قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ...﴾ الآية. قال عبيد الله - وهو شيخ إسحاق -: كان أصحابنا يقولون: يعني به الموحدين. وسنده صحيح، ولكنه كما ترى لا يدل على المدعى.

وأثر أبي سعيد أورده الطبري في «تفسيره» ٤٨٢/١٨ من طريق عبد الرزاق، عن ابن التيمي، عن أبيه، عن أبي نضرة، عن جابر أو أبي سعيد (يعني: الخدري)، أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنْ رَبُّكَ فَعَالٌ لَمَّا يَرِيدُ﴾ قال: وسمعت أبا مجلز يقول: هو جزاؤه، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه. وهو - وإن كان صحيح الإسناد - محمول على الموحدين، فقد أورده ابن جرير بعد أن نقل قول من قال في تأويل معنى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: إنه في أهل التوحيد، وقالوا: معنى قوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ إلا أن يشاء ربك أن يتجاوز عنهم، فلا يدخلهم النار، ووجهوا الاستثناء إلى أنه من قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ لا من الخلود.

وأخرج يعقوب بن سفيان في «تاريخه» ١٠٣/٢ من طريق بNDAR، عن أبي داود، عن شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن عمرو قال: ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد. ثم قال يعقوب: قال أبو داود: وحدثنا علي بن سلمة، عن ثابت، قال: سألت الحسن عن هذا الحديث، فأنكره. وأبو بلج - واسمه يحيى بن سليم أو ابن أبي سليم - مختلف فيه، وقد استنكر له الإمام الذهبي في «الميزان» ٣٨٥/٤ هذا الأثر، وعده من بلاياه. فقد بان بما ذكرنا أن القول بفناء النار لا يثبت عن أحد من الصحابة، وأن ما صح عنهم من عبارات لا تدل على المدعى، وهو القول بفناء النار.

[النبا: ٢٣]. قالوا: والنار موجب غضبه، والجنة موجب رحمته، وقد قال ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ كِتَابًا، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»^(١)، وفي رواية: «تَغْلِبُ غَضَبِي»، رواه البخاري في «صحيحه» من حديث^(٢) أبي هريرة رضي الله عنه.

قالوا: والله سبحانه يُخَبِّرُ عند العذاب أنه: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]. و﴿الْيَوْمِ﴾ [هود: ٢٦]. و﴿عَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٥]. ولم يخبر^(٣) ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم، وقد قال تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]. فلا بُدَّ أن تَسَعَ رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تَسْغُهُمْ رَحْمَتُهُ، وقد ثبت في «الصحيح» تَقْدِيرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بخمسين ألف سنة^(٤)، والمعذبون فيها متفاوتون في مدة لُبُّهِمْ في العذاب بحسب جرائمهم، وليس في حكمة أخكم الحاكمين، ورحمة أرحم الراحمين أن يَخْلُقَ خَلْقًا يُعَذِّبُهُمْ أَبَدَ الْآبَادِ عَذَابًا سرمدًا، فَمِنْ مَقْتَضَى الحِكْمَةِ، وَالْإِحْسَانِ مراد لذاته، والانتقام مراد بالعرض.

قالوا: وما وَرَدَ مِنَ الْخُلُودِ فيها، والتأبيد، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام، كُلُّهُ حق مسلم، لا نِزَاعَ فيه، وذلك يقتضي الْخُلُودَ في

(١) متفق عليه، وقد تقدم ص ٣٧٦، التعليق (٤).

(٢) في (ب): عن أبي هريرة.

(٣) «ولم يخبر» سقطت من (ب).

(٤) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٩٨٧)، والنسائي ١٢/٥ - ١٤، وأبو داود (١٦٥٨)، والطبراني (٢٤٤٠)، وأحمد ٢٦٢/٢ و ٣٨٣ و ٤٩٠، والبغوي (١٥٦٢)، وصححه ابن خزيمة (٢٢٥٣)، وفي الباب عن ابن عمر عند أحمد ٢/١١٢، وعن ابن عمرو عند الحاكم ٥٧٢/٤، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٣٢٤/٦، وزاد نسبته إلى الطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في «البعث».

دارِ العذاب ما دامت باقية، وإنما يخرج منها في حالِ بقائها أهلُ التوحيد. ففَرَّقَ بين من يَخْرُجُ من الحبس وهو حَبْسٌ على حاله، وبين مَنْ يَبْطُلُ حَبْسُهُ بخراب الحبس وانتقاضه.

وَمِنْ أدلة القائلين ببقائها، وَعَدَمُ فنائها: قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] ﴿لَا يُقَرَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥]. ﴿فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبا: ٣٠] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البينة: ٨]. ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يَحْفَتُّ عَنْهُمْ مِنَ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. ﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، أي مقيماً لازماً.

وقد دَلَّتِ السُّنَّةُ المستفيضة أنه يَخْرُجُ من النار مَنْ قال: لا إله إلا الله، وأحاديثُ الشفاعة صريحة في خُرُوجِ عَصَاةِ الموحِّدين من النار، وأن هذا حُكْمٌ مختصٌّ بهم، فلو خرج الكُفَّارُ منها، لكانوا بمنزلتهم، ولم يَخْتَصَّ الخُرُوجُ بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما.

وقوله: «وَخَلَقَ لهما أهلاً». قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ الآية [الأعراف: ١٧٩]. وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلى جِنَارَةِ صَبِيٍّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طَوْبَى لِهَذَا، عُضْفُورٌ مِّنْ عَصَافِيرِ الْجَنَّةِ، لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، فَقَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلْجَنَّةِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَضْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا، خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَضْلَابِ آبَائِهِمْ» رواه مسلم وأبو داود والنسائي^(١).

٢٦٣

(١) مسلم (٢٦٦٢)، وأبو داود (٤٧١٣)، والنسائي ٥٧/٤، وأخرجه ابن ماجه (٨٢)، وأحمد ٤١/٦ و ٢٠٨، والطيالسي (١٥٧٤)، وابن حبان (١٣٨)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان ٥٣/٢.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الدهر: ٢ - ٣].
والمراد: الهداية العامة، وأعمُّ منها الهداية المذكورة في قوله تعالى: ﴿الَّذِي

أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(١) [طه: ٥٠].
فالموجودات نوعان: أحدهما مُسَخَّرٌ بطبعه، والثاني مُتَحَرِّكٌ بإرادته،
فهدي الأول لما سَخَّرَ له طبيعته، وهدي الثاني هداية إرادية تَابِعَةً لشعوره
وعلمه بما ينفعه وَيُضُرُّه.

ثم قَسَمَ هذا النوعَ إلى ثلاثة أنواع:

نوع لا يُريدُ إلا الخيرَ، ولا يتأتى منه إرادةٌ سواه، كالملائكة.

ونوع لا يُريدُ إلا الشرَّ، ولا يتأتى منه إرادةٌ سواه، كالشياطين.

ونوع يتأتى منه إرادةُ الْقِسْمَيْنِ، كالإنسان، ثم جعله ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ:
صنفًا يغلب إيمانه ومعرفته وعقله هواه وشهوته، فَيَلْتَحِقُ بالملائكة، وصنفًا
عكسه، فَيَلْتَحِقُ بالشياطين، وصنفًا تَغْلِبُ شهوته البهيمية عقله، فيلتحق
بالبهائم.

والمقصودُ: أنه سبحانه أعطى الوجودَين: العيني والعِلْمِي، فكما أنه لا
مَوْجُودٌ إلا بإيجاده، فلا هِدَايَةٌ إلا بتعليمه، وذلك كُلُّهُ مِنَ الأدِلَّةِ على كمالِ

لا موجود إلا
بإيجاد الله

(١) الهداية نوعان: هداية دلالة ودعوة وتعليم وإرشاد، وهي لجميع الخلق، وهي التي
يقدر عليها الرسل وأتباعهم، قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وقال: ﴿وَإِنَّكَ
لتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. وهداية توفيق وتثبيت وإعانة للسير في طريق الخير
والنجاة، وهذه الهداية خاصة لله لا يشركه فيها أحد من خلقه، لا ملك مقرب، ولا
نبي مرسل، وهو يختص بها بمقتضى حكمته مَنْ يَشَاءُ من عباده، وبها يكون العبد
مريدًا للحق، مؤثرًا له، عاملًا به، وبهذا يجمع بين قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لتَهْدِي إِلَى
الصِّرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ﴾ فالهداية التي أثبتها للنبي ﷺ هي الدلالة على الخير والحق، والتي نفاها هي
الثانية، التي بمعنى الإعانة والتوفيق. انظر «الجامع لأحكام القرآن» ١/ ١٦٠،
و«مفردات الراغب».

قدرته، وثبوت وحدانيته، وتحقيق ربوبيته، سبحانه وتعالى.

وقوله: «فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ فَضْلًا مِنْهُ، وَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ عَذْلًا مِنْهُ» إلخ. مما يجب أن يُعْلَم: أن الله تعالى لا يَمْنَعُ الثَّوَابَ إِلَّا إِذَا مَنَعَ سَبَبَهُ، وهو الْعَمَلُ الصَّالِحُ، فإنه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (١) [طه: ١١٢]. وكذلك لا يُعَاقِبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ حَصُولِ سَبَبِ الْعِقَابِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَا أَصْبَحُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وهو سُبْحَانَهُ الْمُعْطِي المَانِعُ، لا مانِعَ لما أعطى، ولا مُعْطِي لما منع. لكن إذا مَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، لا يَمْنَعُهُ مُوجِبُ ذَلِكَ أَصْلًا، بل يُعْطِيهِ مِنَ الثَّوَابِ وَالْقُرْبِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، وَحَيْثُ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَلَا تَنْفَاءَ سَبَبِهِ، وهو الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

ولا رَيْبَ أَنَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، لَكِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ حِكْمَةٌ مِنْهُ وَعَدْلٌ، فَمَنْعُهُ لِلْأَسْبَابِ الَّتِي هِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ مِنْ حِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، وَأَمَّا الْمُسَبِّبَاتُ بَعْدَ وَجُودِ أَسْبَابِهَا، فَلَا يَمْنَعُهَا بِحَالٍ، إِذَا لَمْ تَكُنْ أَسْبَابًا صَالِحَةً، إِمَّا لِفَسَادٍ فِي الْعَمَلِ وَإِمَّا لِسَبَبٍ يُعَارِضُ مُوجِبَهُ وَمُقْتَضَاهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لِعَدَمِ الْمُقْتَضَى، أَوْ لَوْجُودِ الْمَانِعِ، وَإِذَا كَانَ مَنْعُهُ وَعَقُوبَتُهُ مِنْ عَدَمِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُوَ لَمْ يُغْطِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً (٢) حِكْمَةٌ مِنْهُ وَعَدْلٌ، فَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْحَالَيْنِ، وَهُوَ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، كُلُّ عَطَاءٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلُّ عَقُوبَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ، فَإِنَّهُ تَعَالَى حَكِيمٌ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي تَنْصُلِحُ لَهَا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ

٢٦٤

(١) الهضم: النقص، تقول العرب: هضمت لك من حقي، أي: حططت.

(٢) في (أ) و(ب): فوق كلمة «ابتداء»: «ابتلاء» وفوقها في (أ): «ظ»، وفي هامش (د): الظاهر ابتلاء أو ابتداء، وفي (ج): ابتداء ابتلاء.

رُسِّلَ اللَّهُ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ^(١) [الأنعام: ١٢٤]. وكما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣]. ونحو ذلك. وسيأتي لهذا زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.

قوله: والاستطاعة التي يجبُ بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يوصف المخلوق به [تكون] مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات، فهي قبل الفعل، وبها يتعلّق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ش: الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع، ألفاظ متقاربة، وتقسيم الاستطاعة إلى قسمين^(٢) - كما ذكره الشيخ رحمه الله -، هو^(٣) قول عامة أهل السنة، وهو الوسط، وقالت القدرية والمعتزلة: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل، وقابلهم طائفة من أهل السنة، فقالوا لا تكون إلا مع الفعل.

والذي قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله، لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي يكون بها الفعل لا بُدَّ أن تكون مع الفعل، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع، والتمكين وسلامة الآلات، فقد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجٌّ^(٤)﴾ أَلْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿آل عمران: ٩٧﴾. فأوجب الحج على

(١) في الأصل: رسالاته بالجمع، وهي قراءة ما سوى ابن كثير وحفص من القراء، وأما هما، فقرأ: «رسالته» بالتوحيد. «حجة القراءات» ص ٢٧٠، «الكشف» ١/ ٤٤٩ - ٤٥٠، «زاد المسير» ١١٨/٣.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٢٩/٨ - ١٣١ و ٣٧١ - ٣٧٦ و ٤٧٩ - ٤٨٠، و«درء تعارض العقل والنقل» ١/ ٦٠ - ٦٣.

(٣) في (ب): «وهو» بزيادة الواو، وهو خطأ.

(٤) في الأصل (حج) بفتح الحاء، وهي قراءة أبي عمرو، وأكثر القراء، وقرأ حمزة، والكسائي وحفص عن عاصم: بكسرها، وهما لغتان: الفتح لأهل الحجاز وبني =

المستطيع، فلو لم يستطع إلا مَنْ حَجَّ، لم يَكُنِ الحَجُّ قد وَجَبَ إلا على مَنْ حج، ولم يُعاقب أحد على ترك الحج! وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَالْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان مَنْ لم يَتَّقِ الله لم يستطع التقوى، لم يَكُنْ قد أوجب التقوى إلا على مَنْ اتقى، ولم يُعاقب من لم يتق! وهذا معلوم الفساد.

وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فِلَاطَعًا سِتِينَ مِسْكِينًا﴾ [المجادلة: ٤]. والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات.

وكذا ما حكاه سبحانه مِنْ قول المنافقين: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]. وكَذَّبهم في ذلك القول، ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حَقِيقَةُ قُدْرَةِ الفعل، ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم كاذبين، وحيث كَذَّبهم دلَّ أَنَّهُمْ أرادوا بذلك المرض، أو فَقْدَ المال، على ما بين تعالى بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ [التوبة: ٩١]، إلى أن قَالَ: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ [التوبة: ٩٣]. وكذلك قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]. والمراد استطاعة الآلات والأسباب. ومن ذلك قوله ^(١) ﷺ لعمران بن حُصَيْن: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ» ^(٢). وإنما نفى استطاعة الفعل مَعَهَا.

٢٦٥

= أسد، والكسر لغة أهل نجد. انظر «زاد المسير» و«حجة القراءات» ص ١٧٠.

(١) في (ب): قول النبي.

(٢) في الأصول: «فعلَى الجنب» والحديث أخرجه البخاري (١١١٧)، وأبو داود (٩٥٢)، والترمذي (٣٧٢)، وابن ماجه (١٢٢٣)، وأحمد ٤/٤٢٦، وابن الجارود (٢٣١)، والدارقطني ١/٣٨٠، والبيهقي (٩٧٩)، والبيهقي ٢/٣٠٤ و٣٠٥.

وأما دليل ثبوت الاستطاعة التي هي حَقِيقَةُ القُدْرَةِ، فقد ذكروا فيها قَوْلَهُ تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠]، والمرادُ نَفْيُ حَقِيقَةِ القُدْرَةِ، لا نَفْيُ الأسبابِ والآلاتِ، لأنها كانت ثابتةً. وسيأتي لذلك زِيَادَةُ بيانٍ عند قوله: «ولا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُم» إن شاء الله تعالى، وكذا قَوْلُ صاحب موسى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]. وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢]. والمراد منه ^(١) حَقِيقَةُ قدرة الصبر، لا أَسْبَابُ الصبر ^(٢) وآلاته، فإن تلك كانت ثابتةً له، ألا ترى أَنَّهُ عاتبه على ذلك. ولا يُلَامُ مَنْ عَدِمَ آلاَتِ الفعلِ وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يُلَامُ مَنْ امتنعَ منه الفعلُ لتضييعه قُدْرَةَ الفعل، لاشتغاله بغيرِ ما أمر به أو شغله إياها بضدٍّ ما أمر به، ومن قال: إِنَّ القُدْرَةَ لا تُكُونُ إِلَّا جِئْنَ الفعل، يقولون: إن القدرة لا تصلح للضدين، فإنَّ القدرةَ المقارنة للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل، وهي مستلزمة له، لا توجدُ بدونه.

وما قالته القُدْرِيَّةُ بناءً على أصلهم الفاسد وهو إِقْدَارُ اللَّهِ للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، سواء، فلا يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ خَصَّ الْمُؤْمِنَ المَطِيعَ بإعانة حصَّل بها الإيمانَ، بل هذا بنفسه رَجَّحَ الطَّاعَةَ، وهذا بنفسه رَجَّحَ المعصية! كالوالد الذي أعطى كُلَّ واحدٍ من بنيهِ سيفاً، فهذا جاهد به في سبيلِ الله، وهذا قطع به الطريق.

وهذا القَوْلُ فاسدٌ باتفاق أهلِ السُّنَةِ والجماعة المَثْبِتِينَ للقدر، فإنهم متفقون على أن الله على عبده المَطِيعِ نِعْمَةً دينيةً، خَصَّهُ بها دُونَ الكافر، وأنه أعانَهُ على الطاعة إعانةً لم يُعِنْ بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْإِعْصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧] فالقدريّة يقولون: هذا التَّحْيِيْبُ والتزيينُ عَامٌّ في كُلِّ الخلق، وهو بمعنى البيانِ وإظهار دلائلِ الحَقِّ، والآية تقتضي أن هذا

(١) سقطت من (ب).

(٢) سقطت من (ب).

خاص بالموؤمن، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].
والكُفَّار ليسوا راشدين، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ
كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].
وأما هذه الآية في القرآن كثير، يُبين أنه سبحانه هدى هذا وأضل هذا.
قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرْشِدًا﴾
[الكهف: ١٧]. وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان، إن شاء الله تعالى^(١).

وأيضاً فقول القائل: يُرَجِّحُ بلا مُرَجِّح. إن كان لقوله: «يرجح» معنى
زائد على الفعل، فذاك هو السبب المرجح، وإن لم يكن له معنى زائد، كان
حال الفاعل قبل وجود الفعل كحاله عند الفعل، ثم الفعل حصل في إحدى
الحالتين دون الأخرى بلا مرجح! وهذا مكابرة للعقل!! فلما كان أضل قول
القَدَرِيَّة: إن فاعل الطاعات وتاركها^(٢) كلاهما في الإعانة والإقذار سواء امتنع
على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصه، لأن القدرة التي تخص الفعل
لا تكون للترك، وإنما تكون للفاعل، ولا تكون القدرة إلا من الله تعالى،
وهم لما رأوا أن القدرة لا بُد أن تكون قبل الفعل، قالوا: لا تكون مع
الفعل، لأن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل
يمنع الترك، فلهذا قالوا: القدرة لا تكون إلا قبل الفعل! وهذا باطل قطعاً،
فإن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع، بل لا بُد أن يكون
جميع ما يتوقف عليه الفعل من الأمور الوجودية موجوداً عند الفعل، فتقيض
قولهم حق، وهو: أن الفعل لا بُد أن يكون معه قدرة.

لكن صار أهل الإثبات هنا جزيين: حزب قالوا: لا تكون القدرة إلا
معه، ظناً منهم أن القدرة نوع واحد لا يصلح للضدين، وظناً من بعضهم أن

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» ٢٦/١ - ٣١.

(٢) في (أ) و(د): وتاركهما، وهو سبق قلم.

القدرة عَرَض، فلا تبقى زمانين، فَيَمْتَنِعُ وُجُودُهَا قَبْلَ الْفِعْلِ.

والصوابُ: أن القدرة نوعانٍ كما تقدم: نوعٌ مصحح للفعل، يُمكن معه الفعلُ والتركُّ، وهذه هي التي يتعلَّق بها الأمرُ والنهي، وهذه تحصل للمطيع والعاصي، وتكون قَبْلَ الفعل، وهذه تبقى إلى حين الفعل، إما بنفسها عند من يقول ببقاء الأعراض، وإما بتجدد أمثالها عند من يقول: إن الأعراض لا تبقى زمانين، وهذه قد تصلح للضَّدين، وأمر الله مشروطٌ بهذه الطاقة، فلا يُكلف الله مَنْ ليس معه هذه الطاقة، وضِدُّ هذه العجز، كما تقدم.

وأيضاً: فالاستِطاعةُ المشروطةُ في الشرع أَخَصُّ مِنَ الاستِطاعةِ التي يَمْتَنِعُ الْفِعْلُ مع عدمها، فَإِنَّ الاستِطاعةَ الشرعيةَ قد تكون ما يَتَصَوَّرُ الْفِعْلُ مع عدمها وإن لم يعجز عنه، فالشارعُ يُيسِّرُ على عباده، وَيُرِيدُ بِهِمُ الْيُسْرَ، ولا يُرِيدُ بِهِمُ الْعُسْرَ، وما جعل عليكم في الدين مِنْ حَرْجٍ، وَالْمَرِيضُ قد يستطيعُ الْقِيَامَ مع زيادة المرض وتأخر بُرئه، فهذا في الشرع غَيْرُ مستطيعٍ، لِأَجْلِ حُصُولِ الضَّرَرِ عليه، وإن كان قد يُسَمَّى مستطيعاً، فالشارعُ لا ينظر في الاستِطاعةَ الشرعيةَ إلى مجرد إمكانِ الْفِعْلِ، بل يَنْظُرُ إلى لوازم ذلك، فإذا كَانَ الْفِعْلُ ممكناً مع المفسدةِ الراجعة، لم تكن هذه استِطاعةً شرعيةً، كالذي يَقْدِرُ على الْحَجِّ مع ضَرَرٍ يَلْحَقُهُ في بدنه أو ماله، أو يُصَلِّي قائماً مع زيادة مرضه، أو يَصُومُ الشهرين^(١) مع انقطاعه عن معيشته، ونحو ذلك. فإذا كان الشَّارِعُ قد اعتبر في المكنة عَدَمَ المفسدةِ الراجعة، فكيف يُكَلِّفُ مَعَ العجز؟!!

ولكن هذه الاستِطاعة - مع بقائها إلى حين الفعل - لا تكفي في وجودِ الفعل، ولو كانت كافيةً، لكان التاركُ كالفاعل، بل لا بُدَّ من إحداثِ إعانةٍ أخرى تُقَارَنُ، مثل جَعْلِ الْفَاعِلِ مريداً، فَإِنَّ الْفِعْلَ لا يَتِمُّ إِلَّا بِقُدْرَةِ وَإِرَادَةِ،

(١) في (ب): شهرين.

والاستطاعة المقارنة يَدْخُلُ فيها الإرادةُ الجازمة، بخلاف المشروطة في التكليف، فإنه لا يُشترطُ فيها الإرادةُ، فالله تعالى يأمر بالفِعْلِ من لا يُريدُه، لكن لا يأمر به مَنْ لو أرادَه، لَعَجَزَ عنه. وهكذا أمرُ الناسِ بعضهم لبعض، فالإنسانُ يأمر عبده بما لا يريدُه العبد، لكن لا يأمره بما يعجزُ عنه العبد، وإذا اجتمعت الإرادةُ الجازمة والقُوَّةُ التامة، لَزِمَ وُجُودُ الفعل، وعلى هذا ينبنى تكليفُ ما لا يُطاقُ، فإن من قال: القُدْرَةُ لا تكونُ إلا مع الفعل، يقول: كُلُّ كافر وفاسق قد كُلفَ ما لا يُطِيقُ، وما لا يُطاقُ يُفسَّرُ بشيئين: بما لا يُطاقُ للعجز عنه، فهذا لم يَكْلَفْهُ اللهُ أحداً، ويفسَّرُ بما لا يُطاقُ للاشتغال بِضِدِّه، فهذا هو الذي وقع فيه التَّكْلِيفُ، كما في أمر العباد بعضهم بعضاً، فإنهم يُفَرِّقُونَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، فلا يأمر السيد عبده الأعمى بنقط المصاحف! ويأمره إذا كان قاعداً أن يَقُومَ، وَيُعْلَمُ الفرقُ بَيْنَ الأمرين بالضرورة^(١).

قوله: وَأَفْعَالُ الْعِبَادِ خَلَقَ اللَّهُ وَكَسَبَ مِنَ الْعِبَادِ.

ش: اختلف النَّاسُ في أفعال العباد الاختيارية^(٢).

فزعمت الجبرية - رئيسهم الجهم بن صفوان الترمذي -^(٣): أَنَّ التَّدْبِيرَ في أفعال الخلق كُلِّهَا لله تعالى، وهي كُلُّهَا اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجازاً! وهي على حَسَبِ ما يُضَافُ الشيء إلى محله دُونَ ما يُضَافُ إلى مُحْصَلِهِ!.

أفعال العباد خلق الله وهم فاعلون لها حقيقة

وقابلتهم المعتزلة، فقالوا: إن جَمِيعَ الأفعال الاختيارية مِنْ جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بِخَلْقِ الله تعالى! واختلفوا فيما بَيْنَهُمْ: أن الله تعالى يَقْدِرُ على أفعال العباد أم لا؟!

٢٦٨

وقال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي

(١) وانظر «مجموع الفتاوى» ٢٩٠/٨ - ٣٠٢ و ٤٦٨ - ٤٧٤.

(٢) انظر: «شفاء العليل» ص ٤٩ - ٥٤.

(٣) وينسب أيضاً: السمرقندي.

مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى مُتَّفَرِّدٌ بخلق المخلوقات، لا خَالِقٌ لها سواه، فالجبرية غَلَوُا في إثبات القدر، فَتَقَوُا صُنْعَ العبد أصلاً، كما غَلَبَتِ المشبهة في إثبات الصفات، فشبهوا، والقدرية تُفَاءُ القدر جعلوا العباد خَالِقِينَ مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس خَالِقِينَ، وهم أثبتوا خَالِقِينَ!!

وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه^(١) من الحق بإذنه، والله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. فكل دليل صحيح يُقِيمُهُ الجبري، فإنما يَدُلُّ على أن الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وأنه على كُلِّ شَيْءٍ قدير، وأن أفعال العباد من جُملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يَدُلُّ على أن العبد ليس بفاعلٍ في الحقيقة ولا مُريدٍ ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح، وحركات الأشجار.

وكل دليل صحيح يقيم القَدْرِي، فإنما يَدُلُّ على أن العبد فاعلٌ لفعله حقيقة، وأنه مُريدٌ له مختارٌ له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافةٌ حق، ولا يَدُلُّ على أنه غَيْرُ مقدورٍ لله تعالى، وأنه واقعٌ بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضمنت ما مع كُلِّ طائفةٍ منهما من الحق إلى حق الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يُصَدِّقُ بعضه بعضاً. ويضيئُ هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين، ولكنها تتكافأ وتتساقط، ويُستفاد من دليل كُلِّ فريق بطلان قول الآخرين ولكن أذكر شيئاً مما استدل به كُلُّ من الفريقين، ثم أُبين أنه لا يَدُلُّ على ما استدل عليه من الباطل.

(١) سقطت من (ب).

فمما استدلت^(١) به الجبرية، قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]. فنفى الله عن نبيه الرمي، وأثبتته لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنْع للعبد. قالوا: والجزاء غير مرتب على الأعمال، بدليل قوله ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ»، قالوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»^(٢).

ومما استدلت به القدرية، قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. قالوا: والجزاء مرتب على الأعمال ترتيب العوض، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ١٧] و [الأحقاف: ١٤] و [الواقعة: ٢٤]. ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧٦) [الزخرف: ٧٢] ونحو ذلك.

فأما ما استدلت به الجبرية من قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾^(٣) [الأنفال: ١٧]، فهو دليل عليهم، لأنه تعالى أثبت

(١) في (ب): استدلت.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أحمد ٢/٢٥٦ من حديث أبي هريرة، وأخرجه عنه أيضاً البخاري (٥٦٧٣) و (٦٣٦٣)، ومسلم (٢٨١٦)، وابن ماجه (٤٢٠١)، وأحمد ٢/٢٣٥ و ٢/٢٥٦ و ٢٦٤ و ٣٢٦ و ٣٤٤ و ٣٨٦ و ٣٩٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٦٦ و ٤٧٣ و ٤٨٢ و ٤٨٨ و ٤٩٥ و ٥٠٩ و ٥١٤ و ٥١٩ و ٥٢٤، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٦١)، والبغوي (٤١٩٢) و (٤١٩٣) و (٤١٩٤). وأخرجه من حديث عائشة البخاري (٦٤٦٤) و (٦٤٦٧)، ومسلم (٢٨١٨)، وأحمد ٦/١٢٥، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٢/٣٦٩. وأخرجه من حديث جابر مسلم (٢٨١٧)، وأحمد ٣/٣٣٧ و ٣٦٢، والدارمي ٢/٣٠٥ - ٣٠٦، وأخرجه من حديث أبي سعيد الخدري أحمد ٣/٥٢.

(٣) قال ابن القيم في «مدارج السالكين» ٣/٤٢٦: هذه الآية نزلت في شأن رميه ﷺ المشركين يوم بدر بقبضة من الحصباء، فلم تدع وجه أحد منهم إلا أصابته، ومعلوم أن تلك الرمية من البشر لا تبلغ هذا المبلغ، فكان منه ﷺ مبدأ الرمي، وهو الحذف، ومن الله سبحانه وتعالى نهايته، وهو الإيصال، فأضاف إليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه، ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته، ونظير هذا قوله في الآية نفسها: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾، ثم قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾، فأخبر أنه هو وحده الذي تفرد بقتلهم، ولم يكن ذلك بكم أنتم، =

لرسوله ﷺ رمياً، بقوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، فعلم أن المِثْبَتَ غيرُ المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتدأه الحذف، وانتهاه الإصابة، وكُلُّ منهما يُسَمَّى رمياً، فالمعنى حينئذ - والله تعالى أعلم -: وما أَصَبْتَ إِذْ حَذَفْتَ، ولكنَّ الله أَصَابَ، وإِلا فطرَدُ قولهم: وما صليتَ إِذْ صليتَ، ولكن الله صَلَّى! وما صُمْتُ إِذْ صُمْتُ! وما زنيتَ إِذْ زنيتَ! وما سَرَقْتُ إِذْ سَرَقْتُ!! وفسادُ هذا ظاهر.

وأما ترتُّبُ الجزاءِ على الأعمال، فقد ضَلَّتْ فيه الجبرية والقدرية، وَهَدَى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن الباءَ التي في النفي غيرُ الباءِ التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ» بَاءُ الْعِيُوضِ، وهو أن يكونَ العملُ كالثمنِ لدخولِ الرجلِ إلى الجنة، كما رَعَمَتِ المعتزلةُ أن العاملَ يستحقُّ^(١) دخولَ الجنة على ربِّه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله. والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ١٧] ونحوها، بَاءُ السببِ، أي: بسببِ عملكم، والله تعالى هو خالقُ الأسبابِ والمسببات، فرجع الكُلُّ إلى محضِ فضلِ الله ورحمته^(٢).

وأما استدلالُ المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، فمعنى الآية: أحسن المصورين المقدرين، و«الخالق» يُذَكَّرُ وَيُرَادُ بِهِ التَّقْدِيرُ، وهو المرادُ هنا، بدليلِ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] و[الزمر: ٦٢] أي: اللُّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مخلوق، فدخلت أفعالُ العبادِ في عموم: «كل» وما أفسد قولهم في إدخالِ كلامِ الله تعالى عموم: «كل» الذي هو صفةٌ مِن صفاته، يَسْتَحِيلُ عليه أن يكونَ

= كما تفرد بإيصالِ الحصى إلى أعينهم، ولم يكن ذلك من رسوله، ولكن وجه الإشارة بالآية أنه سبحانه أقام أسباباً ظاهرة لدفع المشركين، وتولى دفعهم وإهلاكهم بأسباب باطنة غير الأسباب التي تظهر للناس، فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصر مضافاً إليه وبه، وهو خير الناصرين. وانظر «الطبري» ٤٤١/١٣ - ٤٤٥.

(١) في (ب): مستحق.

(٢) انظر: «جامع الرسائل» ص ١٤٦ - ١٥٢ لشيخ الإسلام، و«حادي الأرواح» ص ٦١ لابن القيم.

مخلوقاً! وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة من عموم. «كل»!! وهل يَدْخُلُ في عموم: «كل» إلا ما هو مخلوق؟! فذاته المُقَدَّسَةُ وصفاته غيرُ داخله في هذا العموم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها، وكذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. ولا نقول: لأن^(١) «ما» مصدرية، أي: خلقكم وعملكم؛ إذ سياق الآية يأباه، لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت، لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى، وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى، لم يكن المنحوت مخلوقاً له، بل الخشب أو الحجر لا غير وذكر أبو الحسين البصري^(٢) إمام المتأخرين من المعتزلة: أن العلم بأن العبد يُحْدِثُ فِعْلَهُ ضروري، وذكر الرازي أن افتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده، ويمتنع عند عدمه ضروري، وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري ثم ادعاء^(٣) كل منهما أن هذا العلم الضروري يُبْطِلُ ما ادعاه الآخر من الضرورة، غَيْرُ مُسَلَّم، بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضروري، وإنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق، فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذا الإحداث واجب وجوده بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٧ - ٨]. فقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ إثباتٌ للقدَر بقوله: فألهمها، وإثباتٌ لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية، وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ ذَكَرَهَا﴾ [١٧] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا [١٨]

(١) في مطبوعة مكة: إن.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٣٦/١٦ - ٢٤٤. وأبو الحسين البصري: هو شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف الكلامية، محمد بن علي بن الطيب، كان فصيحا بليغاً، عذب العبارة، يتوقد ذكاء، وله اطلاع كبير، له كتاب «المعتمد» في أصول الفقه، توفي سنة (٤٣٦ هـ). مترجم في «السير» ١٧/ رقم الترجمة (٣٩٣).

(٣) في (ب): ادعى.

[الشمس: ٩ - ١٠] إثبات أيضاً لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التي فرقتهم، بل مزقتهم كل ممزق، وهي: أنهم قالوا: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يُعَذِّبُ المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم^(١)؟ فأين العَذْلُ في تعذيبهم على ما هو خالقُه وفاعلُه فيهم؟ وهذا السؤال لم يزل مطروحاً في العالم على ألسنة الناس، وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته، وعنه تفرقت بهم الطُرُق: فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى، وطائفة أنكرت الحكم^(٢) والتعليل، وسدت باب السؤال، وطائفة أثبتت كسباً لا يعقل! جعلت الثواب [والعقاب] عليه، وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين^(٣)، ومفعول بين فاعلين! وطائفة التزمت الجبر، وأن الله يُعَذِّبُهم على ما لا يقدرون عليه! وهذا السؤال هو الذي أوجب هذا التفرق والاختلاف.

والجواب الصحيح عنه، أن يقال: إن ما يُبتلى به العبد من الذنوب الوجودية، وإن^(٤) كانت خلقاً لله تعالى، فهي عقوبة له على ذنوب قبلها، فالذنب يُكسِبُ الذنب، ومن عقاب السيئة السيئة بعدها، فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضاً.

يبقى أن يُقال: فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب. يقال: هو عُقُوبَةٌ أيضاً على عدم فعل ما خُلِقَ له، وفُطِرَ عليه، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وخذَه لا شريك له، وفَطَرَهُ على محبته، وتألَّهه، والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿هَاقُمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. فلما لم يفعل ما خُلِقَ له وفُطِرَ عليه، مِن

(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» ١/ ٣٢٥ - ٣٣٠، و«مجموع الفتاوى» ١٤/ ٣٣١ - ٣٣٧.

(٢) في «مختصر الصواعق»: «الحكمة» وهما بمعنى.

(٣) تحرف في الأصول إلى: «مقدورين قادرين»، والمثبت من «مختصر الصواعق» ١/ ٣٢٥.

(٤) سقطت الواو من (ب).

محبة الله وعبوديته، والإنابة إليه، عُوقِبَ على ذلك بأن زَيَّنَ له الشَّيْطَانُ ما يَفْعَلُهُ مِنَ الشُّرْكِ وَالْمَعَاصِي، فَإِنَّهُ صَادَفَ قَلْباً خَالِياً قَابِلاً لِلخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ الْخَيْرُ الَّذِي يَمْنَعُ ضِدَّهُ لَمْ يَتِمَّكَنْ مِنْهُ الشَّرُّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الشُّوْءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]. وقال إبليس: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْذِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) [ص: ٨٢ - ٨٣]. وقال الله عز وجل: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤١ - ٤٢]. والإخلاصُ: خلوص القلب من تألُّهِ ما سِوَى اللَّهِ تَعَالَى وإرادته ومحبته، فخلص الله، فلم يَتِمَّكَنْ مِنْهُ الشَّيْطَانُ. وأما إذا صادَفَهُ فارغاً من ذلك، تَمَّكَنْ مِنْهُ بِحَسَبِ (١) فراغه، فيكون جعله مذنباً مسيئاً في هذه الحال عقوبةً له على عَدَمِ هذا الإخلاص، وهي مَحْضُ الْعَدْلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَذَلِكَ الْعَدَمُ مَنْ خَلَقَهُ فِيهِ؟ قِيلَ: هَذَا سُؤَالٌ فَايِدٌ، فَإِنَّ الْعَدَمَ كَاسْمِهِ، لَا يَفْتَقِرُ إِلَى تَعَلُّقِ التَّكْوِينِ وَالْإِحْدَاثِ بِهِ، فَإِنْ عَدَمَ الْفَعْلَ لَيْسَ أَمْرًا وَجُودِيًّا حَتَّى يُضَافَ إِلَى الْفَاعِلِ، بَلْ هُوَ شَرٌّ مُحْضٌ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَى اللَّهِ سَبْحَانَهُ، كَمَا قَالَ ﷺ فِي حَدِيثِ الْاسْتِفْتَاكِ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» (٢).

وكذا في حديث الشفاعة يوم القيامة، حين يقول له الله: يا محمد، فيقول: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» (٣).

(١) في (ب): حسب.

(٢) قطعة من حديث صحيح تقدم في ص ١٦٢.

(٣) قطعة من حديث أخرجه البزار (٣٤٦٢) من طريق محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن صلة، عن حذيفة قال: يجمع الناس في صعيد واحد، ولا تكلم نفس، فأول من - أحسبه قال - يتكلم محمد ﷺ، فيقول: لبَّيْكَ وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك، وإليك، ولا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت، فهذا قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾.

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشيطان إنما هو على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون، فلما تولّوه دون الله وأشركوا به معه، عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلّو القلب وفراغه من الإخلاص، فإلهامه البرّ والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجته، وإلهام الفجور عقوبة على خلّوه من الإخلاص.

فإن قلت: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً، عاد السؤال جدياً، وإن كان أمراً عدمياً، فكيف يعاقب على العدم المحض؟

قيل: ليس هنا ترك هو كف النفس ومنعها عما تُريدُه وتُحبُّه، فهذا قد يُقال: إنه أمر وجودي، وإنما هنا^(١) عدمٌ وخلوّ من أسباب الخير، وهذا العدم هو محض خلّوها مما هو أنفع شيء لها، والعقوبة على الأمر العدمي هي بفعل السيئات، لا بالعقوبات التي تنالُه بغد إقامة الحجة عليه بالرسول. فلله فيه عقوبتان:

٢٧٢ إحداهما: جعله مذنباً خاطئاً، وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله، وهذه العقوبة قد لا يُحسُّ بألمها ومضرّتها لموافقتها شهوته وإرادته، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

والثانية: العقوبات المؤلمة بغد فعله للسيئات، وقد قرّن الله تعالى بين هاتين العقوبتين في قوله تعالى: ﴿قَلَمًا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَاهُ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهذه العقوبة الأولى، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، فهذه العقوبة الثانية.

= قال الهيثمي في «المجمع» ٣٧٧/١٠: رواه البزار عن حذيفة موقوفاً، ورجاله رجال الصحيح، والطبراني في «الأوسط» عنه مرفوعاً، وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات، وفي صفة ليث بن أبي سليم بالتدليس وقفة، فإننا لا نعلم أحداً من أئمة الجرح والتعديل وصفه بذلك، وإنما هو سيء الحفظ. ومن طريق ليث بن أبي سليم أخرجه الحاكم أيضاً ٥٧٣/٤.

(١) في (ب): هو.

فإن قيل: فهل كان يُمكنُهُم أن يأتوا بالإخلاص والإنابة والمحبة له
وَحَدَهُ من غير أن يُخلَقَ ذلك في قلوبهم، وَبَجَعَلَهُم مخلصين له، منيبين
إليه، محبين له وحده؟ أم ذلك مَحْضُ جعله في قلوبهم وإلقائه فيها؟ قيل:
لا، بل هُوَ مَحْضُ مِيتَةٍ وفضله، وهو مِنْ أعظم الخير الذي هو بيده، والخَيْرُ
كُلُّه في يديه، ولا يَقْدِرُ أحد أن يأخذ من الخير إلا ما أعطاه، ولا يَتَّقِي مِنَ
الشَّرِّ إلا ما وَقَاه.

فإن قيل: فإذا لم يُخلَقَ ذلك في قلوبهم، ولم يُوقَفُوا له، ولا سَبِيلَ
لهم إليه بأنفسهم، عاد السُّؤال، وكان منعهم منه ظلماً، ولزكم القول: بأن
العدل هو تصرف المالك في ملكه بما يشاء، لا يُسأل عما يفعل وهم
يُسألون.

قيل: لا يكونُ سبحانه بمنعهم من ذلك ظالماً، وإنما يكون المانعُ
ظالماً إذا منع غيره حقاً لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حَرَّمَهُ الربُّ على
نفسه، وأوجبَ على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له، بل
هو محضُ فضله ومنته عليه، لم يكن ظالماً بمنعه، فَمَنَعَ الحقَّ ظلم، وَمَنَعَ
الفضل والإحسان عَدْلٌ، وهو سبحانه العدل في منعه، كما هو المحسنُ
المثانُ بعطائه.

فإن قيل: فإذا كان العطاء والتوفيق^(١) إحساناً ورحمةً، فهلاً كان العملُ
له والغلبة، كما أن رحمته تَغْلِبُ غَضَبَهُ؟

قيل: المَقْصُودُ في هذا المقام بَيَانُ أن هَذِهِ العقوبة المترتبة على هذا
المنع، والمنع المستلزم للعقوبة، ليس بظلم، بل هو مَحْضُ العدل.

وهذا سؤالٌ عن الحكمة التي أوجبت تقديمَ العَدْلِ على الفضل في
بعض المَحَالِّ؟ وهَلَّا سَوَّى بَيْنَ العباد في الفضل؟ وهذا السؤالُ حَاصِلُهُ: لِمَ
تَفَضَّلَ على هذا وَلَمْ يَتَفَضَّلْ على الآخر؟ وقد تَوَلَّى الله سبحانه الجوابَ عنه

(١) في (ب): التوفيق والعطاء.

بقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]. وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]. ولما سأله اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأجزئين وإعطائهم هُنَّ أَجْرًا أَجْرًا قال: «هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»^(١) وليس في الحكمة إطلاع كُلِّ فردٍ من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه، بل إذا كشف اللُّهُ عن بصيرة العبد، حتى أبصر طَرَفًا يسيرًا مِنْ حكمته في خلقه، وأمره وثوابه وعقابه، وتخصيصه وحرمانه، وتأمل أحوالَ مَحَالٍّ ذلك، استدُلَّ بما علمه على ما لم يعلمه.

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص، قالوا: ﴿أَهْتَوَلَاءَ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَتَا؟﴾ قال تعالى مجيباً لهم: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. فتأمل هذا الجواب، تَرَى فِي ضَمْنِهِ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَعْلَمَ بِالمَحَلِّ الذي يَضْلُحُ لغرس شجرة النعمة، فتثمر بالشكر من المحل الذي لا يَضْلُحُ لغرسها، فلو غُرِسَتْ فيه لم تُثْمِرْ، فكان غرسها هناك ضائعاً لا يليق بالحكمة، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

فإن قيل: إذا حَكَمْتُمْ باستحالة الإيجاد من العبد، فإذا لا فِعْلٌ للعبد أصلاً؟ قيل: العبدُ فاعِلٌ لفعله حقيقة، وله قُدْرَةٌ حقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦]، وأمثال ذلك.

وإذا ثبت كونُ العبد فاعلاً، فأفعاله نوعان:

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٥٥٧) و(٢٢٦٨) و(٢٢٦٩) و(٣٤٥٩) و(٥٠٢١) و(٧٤٦٧) و(٧٥٣٣)، والترمذي (٢٨٧١) وأحمد ٦/٢ و١١١ و١٢١ و١٢٩، والرامهرمزي في «الأمثال» ص ٥٩، والطالبي (١٨٢٠) من حديث ابن عمر.

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفة له، ولا يكون فعلاً، كحركات المرتعش.

ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفةً وفعلاً وكسباً للعبد، كالحركات الاختيارية. والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً، وهو الذي يقدر على ذلك وخذ له شريك له. ولهذا أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، فلا يكون إلا مع الإكراه، يقال: للأب ولاية إجبار البكر الصغيرة على النكاح، وليس له إجبار الثيب البالغ^(١)، أي: ليس له أن يزوجه مكرهه.

والله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار، لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد، قادر أن يجعله مختاراً، بخلاف غيره. ولهذا جاء في ألفاظ الشارع: «الجبَل» دون «الجبر»، كما قال ﷺ لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَلْقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْجَلْمُ وَالْأَنَاءُ» فَقَالَ: أَخْلَقْنِي تَخَلَّقْتُ بِهِمَا؟ أَمْ خُلِقْنِي جِئْتُ عَلَيْهِمَا؟ فَقَالَ: «بَلْ خُلِقْنِي جِئْتُ عَلَيْهِمَا» فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خُلُقَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ [ورسوله]^(٢) والله تعالى إنما يُعَذِّبُ عَبْدَهُ عَلَى

لا يوصف الله
بالإجبار

(١) انظر: بسط المسألة في «المغني» ٤٨٧/٦ - ٤٨٩.

(٢) حديث صحيح أخرجه بتمامه أبو داود (٥٢٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٥٣١٣) من طريق أم أبان بنت الوازع بن زارع، عن جدها زارع... وروى طرفاً منه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٥)، وفي «التاريخ» ٤٤٧/٣. ورجاله ثقات خلا أم أبان، فإنها لا تُعرف بجرح ولا تعديل. وزارع: هو ابن عامر العبدي من عبد القيس عداده في أعراب البصرة، وفد على النبي ﷺ مع الأشج.

وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٧) من طريق قيس بن حفص، حدثنا طالب بن حجير العبدي، حدثني هود بن عبد الله بن سعد، سمع جده مزينة العبدي، قال: جاء الأشج... وسنده حسن في الشواهد، وهو في مسند أبي يعلى ٣١٩/٢، و«معجم الطبراني الكبير» ٨١٢/٢٠، وانظر «مجمع الزوائد» ٣٨٨/٩. وأخرجه أحمد ٢٠٦/٤، وأبو يعلى فيما ذكره ابن الأثير في «أسد الغابة» ١١٧/١ من طريقين، عن يونس بن عبيد، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن الأشج بن عبد القيس، قال: قال لي رسول الله ﷺ... وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣٨٧/٩ - ٣٨٨ عن أحمد، وقال رجاله رجال الصحيح إلا أن ابن أبي بكرة لم يدرك الأشج =

فعله الاختياري، والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطر والعقول.

وإذا قيل: خُلِقَ الفعل مع العقوبة عليه ظلم!؟ كان بمنزلة أن يُقَالَ: ٢٧٤ خُلِقَ أَكَلَ السُّمِّ، ثم حصول الموت به ظلم!! فكما أن هذا سبب للموت^(١)، فهذا سبب للعقوبة، ولا ظلم فيهما.

فالحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى، ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: «وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد» أثبت للعباد فعلاً وكسباً، وأضاف الخلق إلى الله تعالى. والكسب: هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

قوله: «وَلَمْ يَكْلَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ. وَهُوَ تَفْسِيرُ: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»، نَقُولُ: لَا حِيلَةَ لِأَحَدٍ، وَلَا تَحْوِيلَ لِأَحَدٍ^(٢)، وَلَا حَرَكَةَ لِأَحَدٍ عَنْ مَغْصَبَةِ اللَّهِ، إِلَّا بِمَعُونَةِ اللَّهِ، وَلَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِقَامَةِ طَاعَةِ اللَّهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهَا إِلَّا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكُلُّ شَيْءٍ يَخْرِجُ بِمَشِئَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ. غَلَبَتْ مَشِئَتُهُ الْمَشِئَاتِ كُلَّهَا، وَغَلَبَ قَضَاؤُهُ الْحِيلَ كُلَّهَا، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

= وفي حديث ابن عباس الطويل أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة» أخرجه مسلم (١٧) (٢٥)، والترمذي (٢٠١١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٨٦)، وابن منده في «الإيمان» (١٥٢)، والطبراني في «الصغير» ١١/٢، والخطيب في «تاريخه» ٢٧٩/٥، وأخرجه من حديث أبي سعيد الخدري كذلك، مسلم (١٨)، وأحمد ٢٣/٣. وقول الشيخ ناصر الدين الألباني في تخريجه رواية الشارح: أخرجه مسلم وغيره عن ابن عباس، وهم منه كما ترى.

(١) في (ب): الموت

(٢) جملة: «ولا تحول لأحد» سقطت من (ب).

ش: فقلوه: «لَمْ يُكَلِّفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا مَا يُطِيقُونَ» قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢] و [الأعراف: ٤٢] و [المؤمنون: ٦٢].

وعن^(١) أبي الحسن الأشعري أن تكليف ما لا يُطاق جائز عقلاً^(٢)، ثم تَرَدَّد أصحابه أنه: هل ورد به الشرع أم لا؟ واحتج مَنْ قال بوروده بأمر أبي لهب بالإيمان، فإنه تعالى أخبر بأنه لا يُؤمن، وأنه^(٣) سيصلى ناراً ذات لهب، فكان مأموراً بأن يُؤمن بأنه لا يُؤمن، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين، وهو محال.

والجواب عن هذا بالمنع، فلا تُسلم أنه مأمور بأن يُؤمن بأنه لا يُؤمن، والاستطاعة التي بها يُقدَّر على الإيمان كانت حاصلة، فهو غير عاجز عن تحصيل الإيمان، فما كُلف إلا ما يُطيقه كما تقدَّم في تفسير الاستطاعة. ولا يُلزَم قوله تعالى للملائكة: ﴿أَتِيُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١]. مع عدم علمهم بذلك، ولا للمصورين يوم القيامة: «أحيوا ما خلقتم»^(٤)، وأمثال ذلك، لأنه ليس بتكليف طَلَب فعل يُثَاب فاعله، ويُعاقب تاركه، بل هو خطاب تعجيز.

(١) في مطبوعة مكة: وعند.

(٢) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» ١/ ٦٠ - ٦٥، و«مجموع الفتاوى» ٣/ ٣١٨ - ٣٢٦.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) أخرجه البخاري (٥٩٥١) و(٧٥٥٨) من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم» وأخرجه مسلم (٢١٠٨)، والنسائي ٢١٥/٨، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٦/ ٦٦، وأحمد ٤/ ٢٠ و٢٦ و٥٥ و١٤١. وفي الباب عن عائشة رضي الله عنها عند البخاري (٢١٠٥) و(٣٢٢٤) و(٥١٨١) و(٥٩٥٧) و(٥٩٦١) و(٧٥٥٧)، ومسلم (٢١٠٧) (٩٦)، ومالك ٩٦٧/٢، وأحمد ٦/ ٧٠ و٨٠ و١٠١ و١٢٦ و١٣٩ و١٤١ و٢٢٣ و٢٤٦، وابن ماجه (٢١٥١) والطيالسي (١٤٢٥)، والنسائي ٢١٥/٨ - ٢١٦.

وكذا لا يَلْزَمُ دُعَاءُ الْمُؤْمِنِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لِأَن تَحْمِيلَ مَا لَا يُطَاقُ لَيْسَ تَكْلِيفًا، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَحْمِلَهُ جَبَلًا لَا يُطِيقُهُ فَيَمُوتُ. وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: أَي: لَا تُحْمِلُنَا ٢٧٥ مَا يَثْقُلُ عَلَيْنَا أَدَاؤُهُ وَإِنْ كُنَّا مُطِيقِينَ لَهُ عَلَى تَجَشُّمٍ وَتَحْمُلٍ مَكْرُوهٍ، قَالَ: فَخَاطَبَ الْعَرَبَ عَلَى حَسَبِ مَا تَغَقَّلُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ يَقُولُ لِلرَّجُلِ يُبْغِضُهُ: مَا أَطِيقُ النَّظَرَ إِلَيْكَ، وَهُوَ مُطِيقٌ لِذَلِكَ، لَكِنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ، وَلَا يَجُوزُ فِي الْحِكْمَةِ أَنْ يُكَلِّفَهُ بِحَمْلِ جَبَلٍ بِحَيْثُ لَوْ فَعَلَ يُثَابُّ، وَلَوْ امْتَنَعَ يُعَاقَبُ، كَمَا أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ عَنْ نَفْسِهِ، أَنَّهُ لَا يَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وَسْعَهَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَجُوزُ تَكْلِيفُ الْمَمْتَنِعِ عَادَةً، دُونَ الْمَمْتَنِعِ لِدَاثِهِ، لِأَن ذَلِكَ لَا يَتَصَوَّرُ وَجُودَهُ، فَلَا يُغَقَّلُ الْأَمْرُ بِهِ، بِخِلَافِ هَذَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَا لَا يُطَاقُ لِلْعَجْزِ عَنْهُ لَا يَجُوزُ تَكْلِيفُهُ، بِخِلَافِ مَا لَا يُطَاقُ لِلِاسْتِغْثَالِ بِضِدِّهِ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ تَكْلِيفُهُ. وَهَؤُلَاءِ مُوَافِقُونَ لِلْسَّلَفِ وَالْأُئِمَّةِ فِي الْمَعْنَى، لَكِنْ كَوْنُهُمْ جَعَلُوا مَا يَتْرَكُهُ الْعَبْدُ لَا يُطَاقُ لِكَوْنِهِ تَارِكًا لَهُ مُشْتَغَلًا بِضِدِّهِ، بِدَعَا فِي الشَّرْعِ وَاللُّغَةِ، فَإِنْ مَضْمُونُهُ أَنَّ فِعْلًا مَا لَا يَفْعَلُهُ الْعَبْدُ لَا يُطِيقُهُ!.

وَهُمُ التَّزِمُوا هَذَا، لِقَوْلِهِمْ^(١): إِنْ الطَّاقَةُ - الَّتِي هِيَ الْإِسْطَاعَةُ وَهِيَ الْقُدْرَةُ - لَا تَكُونُ إِلَّا مَعَ الْفِعْلِ! فَقَالُوا: كُلُّ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ فِعْلًا، فَإِنَّهُ لَا يُطِيقُهُ! وَهَذَا خِلَافُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ، وَخِلَافُ مَا عَلَيْهِ عَامَةُ الْعُقَلَاءِ، كَمَا تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ عِنْدَ ذِكْرِ الْإِسْطَاعَةِ.

وَأَمَّا لَا يَكُونُ إِلَّا مُقَارِنًا لِلْفِعْلِ، فَذَاكَ لَيْسَ شَرْطًا فِي التَّكْلِيفِ، مَعَ أَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُنَاكَ إِرَادَةُ الْفِعْلِ. وَقَدْ يَحْتَجُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [هود: ٢٠] ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، ٧٢، ٧٥. وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِرَادَةُ مَا سَمَّوْهُ اسْتَطَاعَةً، وَهُوَ مَا لَا يَكُونُ إِلَّا

(١) فِي (ب): بِقَوْلِهِمْ.

مَعَ الْفَعْلِ، فَإِنَّ اللَّهَ ذَمَّ هَؤُلَاءِ عَلَى كَوْنِهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ، وَلَوْ أَرَادَ
بِذَلِكَ الْمَقَارَنَ، لَكَانَ جَمِيعُ الْخَلْقِ لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ قَبْلَ السَّمْعِ! فَلَمْ يَكُنْ
لِتَخْصِصِ هَؤُلَاءِ بِذَلِكَ مَعْنَى، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ - لِبُغْضِهِمُ الْحَقَّ وَثَقْلِهِ عَلَيْهِمْ،
إِمَّا حَسْداً لِمُصَاحِبِهِ، وَإِمَّا اتِّبَاعاً لِلْهَوَى - لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ. وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَا يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ، لِمُخَالَفَةِ مَا يَرَاهُ لِظَاهِرِ الشَّرْعِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُ عِلْمٌ.
وَهَذِهِ لُغَةُ الْعَرَبِ وَسَائِرِ الْأُمَمِ، فَمَنْ يُبْغِضُ غَيْرَهُ يُقَالُ: إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ
الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ، وَمَنْ يُحِبُّهُ يُقَالُ: إِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ عُقُوبَتَهُ، لِشِدَّةِ مُحَبَّتِهِ لَهُ، لَا
لِعُجْزِهِ عَنْ عُقُوبَتِهِ، فَيُقَالُ ذَلِكَ لِلْمُبَالَغَةِ، كَمَا تَقُولُ: لَأُضْرِبَنَّه حَتَّى يَمُوتَ،
وَالْمُرَادُ الضَّرْبَ الشَّدِيدَ، وَلَيْسَ هَذَا عَذْراً، فَلَوْ لَمْ يَأْمُرِ الْعِبَادَ إِلَّا بِمَا
يَهْوَوْنَهُ، لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْآخِثُ أَهْوَاءَهُمْ
لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

٢٧٦

وَقَوْلُهُ: «وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ» إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ. أَيْ: وَلَا يُطِيقُونَ
إِلَّا مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ. وَهَذِهِ الطَّاقَةُ هِيَ الَّتِي مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ، لَا الَّتِي مِنْ جِهَةِ
الصَّحَّةِ وَالْوُسْعِ وَالتَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ، وَ«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» دَلِيلُ
عَلَى إِبْطَالِ الْقَدْرِ، وَقَدْ فَسَّرَهَا الشَّيْخُ بَعْدَهَا، وَلَكِنْ فِي كَلَامِ الشَّيْخِ إِشْكَالٌ،
فَإِنَّ التَّكْلِيفَ لَا يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْإِقْدَارِ وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ،
وَهُوَ قَدْ قَالَ: «لَا يُكَلِّفُهُمْ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُطِيقُونَ إِلَّا مَا كَلَّفَهُمْ» وَظَاهِرُهُ أَنَّهُ
يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يُطِيقُونَ فَوْقَ مَا كَلَّفَهُمْ بِهِ، لَكِنَّهُ
سُبْحَانَهُ يُرِيدُ بِعِبَادِهِ الْيُسْرَ وَالتَّخْفِيفَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ
وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
عَنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾
[الحج: ٧٨]. فَلَوْ زَادَ فِيمَا كَلَّفْنَا بِهِ، لِأَطْقْنَاهُ، وَلَكِنَّهُ تَفَضَّلَ عَلَيْنَا وَرَحِمَنَا،
وَخَفَّفَ عَنَّا، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ^(١)، فِيهِ الْعِبَارَةُ قَلَقٌ، فَتَأْمَلْهُ.

(١) فِي (أ) وَ(ج) وَ(د) وَهَامِش (ب) بَعْدَ هَذَا مَا نَصَّهُ: «وَيُجَابِ عَنْ هَذَا الْإِشْكَالِ بِمَا
تَقْدَمُ: أَنَّ الْمُرَادَ الطَّاقَةَ الَّتِي مِنْ نَحْوِ التَّوْفِيقِ، لَا مِنْ جِهَةِ التَّمَكُّنِ وَسَلَامَةِ الْآلَاتِ، =

الفرق بين
القضاء الشرعي
والقضاء
الكوني

وقوله: «وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره»، يُريدُ بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي، فإنَّ القضاء يَكُونُ كونياً وشرعياً، وكذلك الإرادة والأمر والإذن والكتاب والحكم والتحريم والكلمات، ونحو ذلك^(١).

أما القضاء الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ مِمَّا سَنَّتَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ١٢].

والقضاء الديني الشرعي، في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وأما الإرادة الكونية والدينية، فقد تقدم ذكرها عند قول الشيخ: «ولا يكون إلا ما يريد»^(٢).

وأما الأمر الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَمَزْنَهَا تَذْمِيراً﴾ [الإسراء: ١٦]، في أحد الأقوال، وهو أقواها^(٣).

والأمر الشرعي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾، الآية [النحل: ٩٠]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وأما الإذن الكوني، ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]. والإذن الشرعي، في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥].

= لكن «إلا أنه قد أثبت في (أ) فوق كلمة: «ويجاب»: «لا»، وفوق كلمة «لكن»: «إلى»، وهذا اصطلاح منهم على أن ما بين «لا» و«إلى» من الكلام زائد على الأصل، وليس منه.

(١) انظر: «شفاء العليل» ص ٢٧٠ - ٢٨٣.

(٢) انظر: ص ٧٨.

(٣) انظر: تفسير الآية في «جامع البيان» ٤٣/١٥، و«زاد المسير» ١٨/٥ - ١٩.

وَأَمَّا الْكِتَابُ الْكَوْنِيُّ، ففي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والكتاب الشرعي الديني، في قوله تعالى: ﴿وَكَلَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كِتَابٌ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وأما الحُكْمُ الْكَوْنِيُّ، ففي قوله تعالى عن ابنِ يعقوب عليه السلام: ﴿لَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]. وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ^(١) أَخْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

والحُكْمُ الشرعي، في قوله تعالى: ﴿حَلَلْتُ لَكُمْ بَيْعَتَهُ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]. وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [المتحنة: ١٠].

وأما التَّحْرِيمُ الْكَوْنِيُّ، ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتَهَوَّنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦]. ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥].

والتَّحْرِيمُ الشرعي، في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾، الآية [النساء: ٢٣].

وأما الكلمات الكونية، ففي قوله تعالى: ﴿وَوَسَّيْتُ لَكَ رَيْكَ الْخُسْفَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧]. وفي قوله ﷺ: «أَعُوذُ

(١) في الأصل: (قُل) على الأمر، وهي قراءة أبي عمرو، وعامة القراء غير حفص، أي: قل يا محمد: يا رب احكم بالحق وقرأ حفص (قال رب احكم) هو إخبار الله جل وعز عن نبيه ﷺ أنه قال: يا رب احكم بالحق. انظر «حجة القراءات» ص ٤٧١.

بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ»^(١).

والكلمات الشرعية الدينية، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَتَيْنَاكَ إِبراهيمَ رُبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤].

وقوله: «يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ أَبَدًا» الذي دَلَّ عليه الْقُرْآنُ مِنْ تنزيه الله نفسه عن ظُلْمِ العبادِ، يقتضي قولاً وسطاً بَيْنَ قولي القدرية والجبرية^(٢)، فليس ما كان من بني آدم ظلماً وقيحاً يَكُونُ مِنْهُ ظُلماً وقيحاً، كما تَقُولُهُ القدرية والمعتزلة ونحوهم! فإن ذلك تمثيلٌ لله بخلقه! وقياسٌ له عليهم! هو الرُّبُّ الغنيُّ القادرُ، وهُمُ الْعِبَادُ الفقراءُ المقهورون. وليس الظُّلْمُ عبارةً عن الممتنع الذي لَا يَدْخُلُ تحت القدرة، كما يَقُولُهُ مَنْ يَقُولُهُ مِنَ المتكلمين وغيرهم، يقولون: إنه يمتنع أن يَكُونَ في الممكن المقدور ظلم! بل كل ما كان ممكناً، فهو منه - لو فعله - عَدْلٌ، إذ الظُّلْمُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ مأمور من غيره منهي، واللَّهُ ليس كذلك، فَإِنَّ قَوْلَهُ تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَحَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ [طه: ١١٢]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَدُّ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُحْزَنُ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٧]. وذلك يَدُلُّ على نقيض هذا القول.

ومنه قوله الذي رواه عنه رسوله: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى

(١) قطعة من حديث تقدم تخريجه ص ١٨٩ تعليق (١) رواه عن النبي ﷺ عبد الرحمن بن خنبل رحمه الله، وإسناده صحيح، وله شاهد من حديث خالد بن الوليد عند الطبراني في «الكبير» (٣٨٣٨) وآخر من حديث عبد الله بن مسعود عند الطبراني في «الصغير» كما في «المجمع» ١٠/١٢٧.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ١٨/١٣٧ - ١٤٥، و«جامع الرسائل» ص ١١٩ - ١٤٢، و«مختصر الصواعق المرسل» ١/٣١١ - ٣١٩.

نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا»^(١). فهذا دَلٌّ على شيئين:

أحدهما: أنه حَرَّمَ على نفسه الظُّلْمَ، والممتنعُ لا يُوصَفُ بذلك.

الثاني: أنه أخبر أنه حَرَّمَهُ على نفسه، كما أخبر أنه كَتَبَ على نفسه الرحمة، وهذا يُبْطِلُ احتجاجَهم بأنَّ الظُّلْمَ لا يكونُ إلا مِنْ مَأْمُورٍ مِنْهُيٍّ، والله ليس كذلك، فَيُقَالُ لَهُمْ: هو سبحانه كَتَبَ على نفسه الرحمة، وَحَرَّمَ على نفسه الظُّلْمَ، وإنما كتب على نفسه، وَحَرَّمَ على نفسه ما هُوَ قَادِرٌ عليه، لا ما هو ممتنع عليه.

وأيضاً: فَإِنْ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢] قد فَسَّرَهُ السلفُ، بأنَّ الظلمَ: أنْ تُوضَعَ عليه سيئاتُ غيره، والهضمُ: أنْ يُنْقَصَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإسراء: ١٥].

وأيضاً: فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخَافُ الْمَمْتَنِعَ الَّذِي لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْقُدْرَةِ حَتَّى يُؤْمَنَ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُؤْمَنُ مِمَّا يُمَكِّنُ، فَلَمَّا آمَنَهُ مِنَ الظُّلْمِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ [طه: ١١٢] عَلِمَ أَنَّهُ مِمَكِّنٌ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ﴾ [ق: ٢٨]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ لِلَّيِّدِ﴾ [ق: ٢٩]، لَمْ يَغْنِ بِهَا نَفْيَ مَا لَا يُقَدَّرُ عَلَيْهِ، وَلَا يُمَكِّنُ مِنْهُ، وَإِنَّمَا نَفَى مَا هُوَ مُقَدَّرٌ عَلَيْهِ مِمَكِّنٌ، وَهُوَ أَنْ يُجْزَوْا بِغَيْرِ أَعْمَالِهِمْ. فعلى قول هؤلاء: ليس الله منزهاً عن شيءٍ مِنَ الْأَفْعَالِ أَصْلًا، وَلَا مُقَدَّسًا عَنْ أَنْ يَفْعَلَهُ، بَلْ كُلُّ مِمَكِّنٍ، فَإِنَّهُ لَا يُنْزَهُ عَنْ فَعْلِهِ، بَلْ فَعْلُهُ حَسَنٌ، وَلَا حَقِيقَةُ لِلْفِعْلِ السُّوءِ، بَلْ ذَلِكَ مَمْتَنَعٌ، وَالْمَمْتَنَعُ لَا حَقِيقَةَ لَهُ!!

وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَى نَقِيضِ هَذَا الْقَوْلِ فِي مَوَاضِعَ نَزَّ اللَّهُ نَفْسَهُ فِيهَا عَنْ فَعْلٍ مَا لَا يَصْلُحُ لَهُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ، فَعَلِمَ أَنَّهُ مُنْزَهُ مُقَدَّسٌ عَنْ فَعْلِ السُّوءِ، وَالْفِعْلِ الْمَعِيبِ الْمَذْمُومِ، كَمَا أَنَّهُ مُنْزَهُ مُقَدَّسٌ عَنْ وَصْفِ السُّوءِ وَالْوَصْفِ الْمَعِيبِ الْمَذْمُومِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ

(١) تقدم تخريجه ص ٩٢ تعليق (٢) وهو صحيح.

إِنَّا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥]. فإنه نَزَّهَ نفسه عن خلقِ الخلق عبثاً، وأنكر على مَنْ حَسِبَ ذلك، وهذا فعل، وقوله تعالى: ﴿أَتَجْعَلُ الْمُتَلَبِّينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ تَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ ﴿٢٨﴾ [ص: ٢٨] إنكاراً منه على مَنْ جَوَّزَ أَنْ يُسَوِّيَ اللَّهُ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا. وكذا قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾ ^(١) نَجْعَلُهُمْ وَمَعَانُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الجاثية: ٢١] إنكاراً على مَنْ حَسِبَ أَنَّهُ يَفْعَلُ هَذَا، وإخباراً أن هذا حكمٌ سييءٌ قبيح، وهو مما يُنَزَّهُ الرَّبُّ عَنْهُ.

وروى أبو داود، والحاكم في «المستدرک»، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ لَوْ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَآوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ» ^(٢).

وهذا الحديث مما يحتاج به الجبرية، وأما القدريّة، فلا يتأتَّى على أصولهم الفاسدة! ولهذا قابلوهُ إما بالتكذيبِ أو بالتأويل!!
وَأَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ أَهْلُ السَّنَةِ ^(٣)، الَّذِينَ قَابَلُوهُ بِالتَّصْدِيقِ، وَعَلِمُوا مِنْ

(١) في الأصل: «سواء» بالرفع، وهي قراءة أبي عمرو، ونافع وابن كثير، وابن عامر وعاصم، وقرأ بالنصب حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، فمن رفع فعلى الابتداء، ومن نصب جعله مفعولاً ثانياً لنجعلهم، أو حالاً. «حجة القراءات» ص ٦٦١، انظر «زاد المسير» ٣٦١/٧.

(٢) قطعة من حديث مطول حسن، أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد ١٨٢/٥ - ١٨٣ و ١٨٥ و ١٨٩ من حديث ابن الدليمي، قال: أتيت أبي بن كعب، فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء، لعل الله أن يذهب من قلبي قال: لو أن الله عذب... فذكره. فقال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة، فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت، فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك. وأخرجه ابن حبان (١٨١٧)، وابن أبي عاصم (٢٤٥)، والآجري في «الشریعة» ص ١٨٧، والطبراني في «الكبير» (٤٩٤٠) واللالكائي في «السنة» (١٠٩٣) و(١٢٣٢).

(٣) انظر: «مختصر الصواعق المرسله» ١/ ٣٣١ - ٣٣٦.

عظمة الله تعالى وجلاله، قَدَّرَ نِعَمَ الله على خلقه، وَعَدَمَ قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم، إما عجزاً، وإما جهلاً، وإما تفريطاً وإضاعةً، وإما تقصيراً في المقدور من الشكر، ولو مِنْ بعض الوجوه، فإن حَقَّهُ على أهل السماوات والأرض أن يُطَاعَ فلا يُعْصَى، ويُذَكَّرَ فلا يُنْسَى، ويُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ، وتكون قُوَّةُ الحبِّ والإنابة، والتوكل والخشية، والمراقبة والخوف والرجاء، جَمِيعُهَا متوجهةً إليه، ومتعلقةً به، بحيث يكون القلبُ عاكفاً على محبته وتألُّهه، بل على إفراده بذلك، واللسان محبوساً على ذكره، والجوارح وقفاً على طاعته.

ولا ريب أن هذا مقدورٌ في الجملة، ولكن النفوس تشيخُ به، وهي في الشُّخْ على مراتب لا يُخَصِّصُهَا إِلَّا اللهُ تعالى، وأكثرُ المُطِيعِينَ تشيخُ به نَفْسُهُ مِنْ وجهه، وإن أتى به مِنْ وَجْهِ آخِر. فأينَ الذي لا تَقَعُ منه إزادةٌ تُزَاجِمُ مُرَادَ اللهِ، وما يُحِبُّه منه؟ ومن الذي لم يَضُدُّ مِنْهُ خِلَافٌ ما خُلِقَ له، ولو في وَقْتٍ من الأوقات؟ فلو وَضَعَ الرَّبُّ سبحانه عَذْلَهُ على أَهْلِ سَمَآوَاتِهِ وَأَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ بعدله، ولم يكن ظالماً لهم.

وغاية ما يُقَدَّرُ توبَةُ العبد من ذلك، واعترافه، وقبولُ التوبة محضُ فضله وإحسانه، وإلا فلو عَذَّبَ عَبْدَهُ على جنايته، لم يكن ظالماً، ولو قُدِّرَ أَنَّهُ تَابَ مِنْهَا، لكن أَوْجَبَ على نفسه؛ بمقتضى فضله ورحمته أَنَّهُ لَا يُعَذَّبُ مَنْ تَابَ، وقد كَتَبَ على نفسه الرحمةَ، فلا يَسَعُ الخَلَّائِقُ إِلَّا رَحْمَتُهُ وَعَفْوُهُ، وَلَا يَبْلُغُ عَمَلُ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَنْجُوَ بِهِ مِنَ النَّارِ، أَوْ يَدْخُلَ بِهِ الْجَنَّةَ، كما قال أَطْوَعُ النَّاسِ لِرَبِّهِ، وَأَفْضَلُهُمْ عَمَلًا، وَأَشَدُّهُمْ تَعْظِيمًا لِرَبِّهِ وَإِجْلَالًا: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعِمَّنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»^(١).

وسأله الصَّدِيقُ دعاءَ يدعو به في صلاته، فقال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ

(١) تقدم تخريجه ص ٦٤٠.

عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١).

فإذا كان هذا حال الصَّدِيق، الذي هو أَفْضَلُ الناس بعد الأنبياء والمرسلين فما الظنُّ بسواه؟ بل إنما صار صِدِّيقاً بتوفية هذا المقام حقّه، الذي يتضمَّن معرفة ربه، وحقّه وعظمته، وما ينبغي له، وما يستحقّه على عبده، ومعرفة تقصيره. فَسُخِّقاً وَبُعْداً لِمَن زَعَمَ أَنَّ المخلوقَ يستغني عن مغفرة ربه، ولا يكونُ به حاجةٌ إليها! وليس وراءَ هذا الجهلِ بالله وحقه غاية!! فإن لم يتَّسِعْ فهمُك لهذا، فانزل إلى وطأة التَّعَمُّ، وما عليها من الحقوق، ووازنْ بَيْنَ شُكْرِها وكُفْرِها، فحينئذ تَعْلَمُ أنه سبحانه لو عَذَّبَ أهل سَمَواتِهِ وأرضه لعَذْبِهِمْ وهو غيرُ ظالمٍ لهم.

قوله: وَفِي دُعَاءِ الْأَخْيَاءِ، وَصَدَقَاتِهِمْ مُنْفَعَةٌ لِلْأَمْوَاتِ.

انتفاع الأموات
من سعي
الأحياء

ش: اتفق أهل السنة أن الأموات يتنفعون من سعي الأحياء بأمرين^(٢): أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دُعَاءُ المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج، على نزاع فيما يصل من ثواب الحج، فعن محمد بن الحسن رحمته الله: أنه إنما يَصِلُ إلى الميت ثوابُ النفقة، والحجِّ لِلْحَاجِّ، وعند عامة العلماء: ثَوَابُ الْحَجِّ للمحجوج عنه، وهو الصحيح.

واختُلِفَ في العبادات البدنية، كالصَّوْمِ، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، فذهب^(٣) أبو حنيفة، وأحمد، وجُمْهُورُ السلف إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي، ومالك عَدَمُ وصولها.

(١) أخرجه البخاري (٨٣٤) و(٦٣٢٦) و(٧٣٨٨)، ومسلم (٢٧٠٥)، والترمذي (٣٥٢١) و(٣٨٣٥)، وأحمد ٤/١ و٧، والنسائي ٣/٥٣، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٥/٢٩٧، وابن ماجه (٣٨٣٥)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (٦٠) و(٦١)، والبغوي (٦٩٤).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» ٢٤/٣٠٦ - ٣١٣ و٣٢٤ و٣٦٦، و«الروح» ص ١٥٩ - ١٩٣ لابن القيم، فقد بسط القول في المسألة.

(٣) في (ب): «فذكر» وهو خطأ.

وذهب بغض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء البتة، لا الدعاء، ولا غيره. وقولهم مردود بالكتاب، والسنة، لكنهم استدلوا بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]. وقوله: ﴿وَلَا تُحْزَنْتُمْ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]. وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا مات ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعوه له، أو علم ينتفع به من بعده»^(١). فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه^(٢) في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة، فهو منقطع عنه.

واستدل المقتصرون على وصول العبادات التي تدخلها النيابة، كالصدقة والحج بأن النوع الذي لا تدخله النيابة^(٣) بحال، كالإسلام والصلاة والصوم، وقراءة القرآن، يختص ثوابه بفاعله لا يتعداه، كما أنه في الحياة لا يفعله أحد عن أحد، ولا ينوب فيه عن فاعله غيره، وقد روى النسائي بسنده، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، أنه قال: «لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مداً من حنطة»^(٤).

والدليل على انتفاع الميت بغير ما تسبب فيه: الكتاب والسنة والإجماع، والقياس الصحيح.

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١)، والترمذي (١٣٧٦)، وأبو داود (٢٨٨٠)، والنسائي ٦/٢٥١، وأحمد ٣٨٢/٢، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٣٨)، وابن الجارود (٣٧٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) في هامش (أ) و(ب): «إليه في الحياة»، وفيهما: «كذا في نسخة المصنف». (٣) من قوله: «كالصدقة» إلى هنا مذكور في (أ)، ولكنه مرشح، أمّا في (ب) فقد ألحق بالهامش، ولم يرد في (ج) ولا (د) والصواب إثباتها. انظر «الروح» ص ١٦٨.

(٤) أخرجه النسائي في «الكبرى» ١/٤٣، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣/١٤١ موقوفاً على ابن عباس، وسنده صحيح، ولا يعرف في المرفوع. انظر «الروح» ص ٢٣٩ لابن القيم.

أما الكتاب، فَقَالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠]. فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، قَدْ عَلَى انتفاعهم باستغفار الأحياء. وقد ذَلَّ عَلَى انتفاع الميت بالدُّعَاءِ إجماعُ الأمة على الدُّعَاءِ له في صلاة الجنازة، والأدعيةُ التي وَرَدَتْ بها السُّنَّةُ في صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا الدُّعَاءُ له بَعْدَ الدفن، ففي «سنن أبي داود»، من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا قَرَعَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «استغفروا لأخيكُم، واسألوا له الثَّيِّبَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(١).

٢٨١

وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما في «صحيح مسلم»، من حديث بُريدة بن الحَصِيب، قال: كان رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يَقُولُوا: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ»^(٢).

وفي «صحيحه» أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ: كَيْفَ تَقُولُ إِذَا اسْتَغْفَرْتَ لِأَهْلِ الْقُبُورِ^(٣)؟ قَالَ: «قُولِي: السَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا وَالْمُسْتَأَخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»^(٤).

وأما وُضُوءُ ثَوَابِ الصَّدَقَةِ، ففي «الصحيحين»، عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أُمِّي افْتَلَتَتْ نَفْسَهَا، وَلَمْ تُوصِ، وَأَظْهَرْتُهَا لَوْ تَكَلَّمْتُ تَصَدَّقْتُ، أَفَلَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»^(٥).

(١) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» ص ١٢٩، والبيهقي في «سننه» ٥٦/٤، وفي «إثبات عذاب القبر» (٢١١) و(٢١٢)، والبيهقي (١٥٢٣)، وسنده قوي. حسنه النووي في «الأذكار»، والحافظ في «أمالیه»، وصححه الحاكم ٣٧٠/١، ووافقه الذهبي.

(٢) تقدم تخريجه ص ٤٩٦.

(٣) في «صحيح مسلم»: قلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟. وهم برقم (٩٧٤).

(٤) تقدم تخريجه ص ٤٩٦.

(٥) أخرجه البخاري (١٣٨٨) و(٢٧٦٠)، ومسلم (١٠٠٤) ٣/١٢٥٤، والنسائي =

وفي «صحيح البخاري»، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: «نعم»، قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف^(١) صدقة عنها^(٢). وأمثال ذلك كثيرة في السنة.

وأما وصول ثواب الصوم، ففي «الصحيحين»، عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»^(٣). وله نظائر في «الصحيح».

ولكن أبو حنيفة رحمه الله قال بالإطعام عن الميت ذون الصيام عنه، لحديث ابن عباس المتقدم، والكلام على ذلك معروف في كتب الفروع.

وأما وصول ثواب الحج، ففي «صحيح البخاري»، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي

= ٢٥٠/٦، وابن ماجه (٢٧١٧)، ومالك ٧٦٠/٢، والبخاري (١٦٩٠)، والبيهقي ٤/٦٢، وأخرجه أبو داود (٢٨٨١)، وفيه: أن امرأة... والرجل المبهمة هو سعد بن عبادة، كما في الحديث الذي بعده. وانظر «الفتح» ٣٨٩/٥.

(١) المخراف - بكسر الميم وسكون الخاء -: المكان المثمر، سمي بذلك لما يخرف منه أي: يجتنى، تقول: شجرة مخراف مثمار.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٥٦) و(٢٧٦٢) و(٢٨٧٠)، وأبو داود (٢٨٨٢)، والترمذي (٦٦٩)، والنسائي ٢٥٢/٦ - ٢٥٣، وأحمد ٣٣٣/١ و٣٧٠، والطبراني في «الكبير» (١١٦٣٠) و(١٦٦٣١) من طريقين، عن عكرمة، عن ابن عباس. وأخرجه مالك ٤٧٢/٢، والبخاري (٢٧٦١) و(٦٦٩٨) و(٦٩٥٩)، ومسلم (١٦٣٨)، والنسائي ٢٥٣/٦ و٢٠/٧ - ٢١، وأبو داود (٣٣٠٧)، والترمذي (١٥٤٦)، وابن ماجه (٢١٣٢) من طرق عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس أنه قال: إن سعد بن عبادة استفتى رسول الله ﷺ، فقال: إن أمي ماتت وعليها نذر ولم تقضيه، فقال رسول الله ﷺ: «اقضه عنها».

(٣) البخاري (١٩٥٢)، ومسلم (١١٤٧)، وأخرجه أبو داود (٢٤٠٠)، وأحمد ٦٩/٦، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢١/١٢، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١٤٠/٣ - ١٤١، والبخاري (١٧٧٣)، والبيهقي ٢٥٥/٤.

نَذَرْتُ أَنْ تَحُجَّ، فلم تحجَّ حتى ماتت أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نعم» حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أَمَلِكِ دِينَ، أَكُنْتُ قَاضِيَتِهِ؟ أَقْضُوا اللَّهَ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ^(١)، ونظائره أيضاً كثيرة.

وأَجْمَعَ المسلمون على أن قضاء الدَّيْنِ يُسْقِطُهُ من ذِمَّةِ الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته، وقد دُلَّ على ذلك حَدِيثُ أَبِي قَتَادَةَ، حيث ضَمِنَ الدينارين عن الميت، فلَمَّا قضاهما، قال النبي ﷺ: «الآن بَرَدَتْ عَلَيْهِ جِلْدَتُهُ»^(٢).

وَكُلُّ ذلك جَارٍ على قواعد الشرع، وهو مَخْضُ القياس، فإنَّ الثَّوَابَ حَقُّ العَامِلِ، فإذا وهبه لأخيه المسلم، لم يُمْنَعْ من ذلك، كما لم يُمْنَعْ من هبة ماله له في حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته.

وقد نَبَّه الشَّارِعُ بوصولِ ثوابِ الصوم وعلى وصولِ ثوابِ القراءة ٢٨٢ ونحوها من العبادات البدنية، يُوَضِّحُهُ: أن الصومَ كَفُّ النفس عن المفطرات بالنية، وقد نصَّ الشَّارِعُ على وصولِ ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عَمَلٌ ونية؟

(١) أخرجه البخاري (١٨٥٢) و(٦٦٩٩) و(٧٣١٥)، وأحمد ١/٢٧٩، والنسائي ٥/١١٦، والطبراني (٢٦٢١)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٤٣) و(١٢٤٤٤) والبيهقي ٢٥٥/٤.

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد ٣/٣٣٠، والطبراني (١٦٧٣)، والبيهقي ٦/٧٥، والبخاري (١٣٣٤) من حديث جابر بن عبد الله قال: مات رجل منا فغسلناه، وكفناه، وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنازة عند مقام جبريل، ثم أذن رسول الله ﷺ بالصلاة عليه، فجاء معنا خطي، ثم قال: «لعل على صاحبكم ديناً؟» قالوا: نعم ديناران، فتخلف، فقال له رجل مئاً يقال له أبو قتادة: يا رسول الله هما عليّ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هما عليك، وفي مالك، والميت منها بريء» فقال: نعم، فصلى عليه، فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبا قتادة يقول: «ما فعل الديناران» حتى كان آخر ذلك قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: «الآن بردت عليه جلده» وسنده حسن، وصححه الحاكم ٢/٥٨، ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٣/٣٩، ونسبه لأحمد والبخاري، وحسن إسناده.

معنى قوله
تعالى: ﴿وَأَنْ
لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ
إِلَّا مَا سَعَى﴾

والجواب عما استدلوا به مِنْ قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩] قد أَجَابَ العلماءُ بأجوبة^(١): أَصْحُهَا جوابان:

أحدهما: أَنَّ الْإِنْسَانَ بِسَعِيهِ وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ اكْتَسَبَ الْأَصْدِقَاءَ، وَأَوْلَدَ الْأَوْلَادَ، وَنَكَحَ الْأَزْوَاجَ، وَأَسَدَى الْخَيْرَ، وَتَوَدَّدَ إِلَى النَّاسِ، فَتَرَحَّمُوا عَلَيْهِ، وَدَعَوْا لَهُ، وَأَهْدَوْا لَهُ ثَوَابَ الطَّاعَاتِ، فَكَانَ ذَلِكَ أَثَرَ سَعِيهِ، بَلْ دُخُولُ الْمُسْلِمِ مَعَ جَمَلَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي عَقْدِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْظَمِ الْأَسْبَابِ فِي وَصُولِ نَفْعِ كُلِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى صَاحِبِهِ، فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ، وَدَعْوَةُ الْمُسْلِمِينَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ.

يُوضَّحُه: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْإِيمَانَ سَبَبًا لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به، فقد سعى في السَّبَبِ الَّذِي يُوصِلُ إِلَيْهِ ذَلِكَ.

الثاني: - وهو أقوى منه - أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْفَعِ انْتِفَاعَ الرَّجُلِ بِسَعِي غَيْرِهِ، وَإِنَّمَا نَفَى مِلْكَهُ لغير سعيه، وَبَيَّنَّ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الْفَرْقِ مَا لَا يَخْفَى، فَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ إِلَّا سَعِيهِ، وَأَمَّا سَعْيُ غَيْرِهِ، فَهُوَ مُلْكٌ لِسَاعِيهِ، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَنْزِلَهُ لغيره، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُبْقِيَهُ لِنَفْسِهِ.

وقوله سبحانه: ﴿أَلَا نُرِزُّ وَرِزًّا وَرَزَّ آخَرُ﴾ (٢٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا

(١) مذكورة في «الروح» ص ١٦٩، وقد بين ضعفها ابن القيم، ورجع الجوابين اللذين ذكرهما الشارح هنا، وقال: كان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجحها.

وفي «مجموع الفتاوى» ٣١٢/٢٤: وأما الآية فللناس عنها أجوبة متعددة، كما قيل: إنها تختص بشرع من قبلنا، وقيل: إنها مخصوصة، وقيل: إنها منسوخة، وقيل: إنها تنال السعي مباشرة وسبباً، والإيمان من سعيه الذي تسبب فيه، ولا يحتاج إلى شيء من ذلك، بل ظاهر الآية حق، لا يخالف بقية النصوص، فإنه قال: (وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) وهذا حق، فإنه إنما يستحق سعيه، فهو الذي يملكه ويستحقه، كما أنه إنما يملك من المكاسب ما اكتسبه هو، وأما سعي غيره فهو حق، وملك لذلك الغير لا له، لكن هذا لا يمنع أن ينتفع بسعي غيره، كما ينتفع الرجل بكسب غيره.

سَعَى ﴿٣٩﴾ [النجم: ٣٨ - ٣٩]. آيتان محكمتان، تقتضيان عدل الرب تعالى: فالأولى: تقتضي أنه لا يُعاقَبُ أحداً بِجُزْمٍ غَيْرِهِ، ولا يُؤاخِذُهُ بِجَرِيرَةٍ غَيْرِهِ، كما يَفْعَلُهُ ملوك الدنيا.

والثانية: تقتضي أنه لا يُفْلِحُ إلا بعمله، لِيَقْطَعَ طَمَعَهُ مِنْ نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه، كما عليه أَصْحَابُ الطَّمَعِ الكاذب، وهو سبحانه لم يقل: لا ينتفع إلا بما سعى.

وكذلك قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله: ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤]. على أَنَّ سِياقَ هَذِهِ الآيَةِ يدل على أن المنفي عُقُوبَةُ العبدِ بعملِ غَيْرِهِ، فَإِنَّهُ تعالى قال: ﴿فَأَلَيْكُم لَّا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

وأما استدلالهم بقوله ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ»^(١) فاستدلالٌ ساقط، فإنه لم يقل انقطع انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عَمَلٌ غَيْرِهِ، فهو لعامله، فإن^(٢) وهبه له، وَصَلَ إِلَيْهِ ثَوَابُ عَمَلِ الْعَامِلِ، لا ثَوَابُ عَمَلِهِ هُوَ، وَهَذَا كَالَّذِينَ يُوفِيهِ الْإِنْسَانُ عَنْ غَيْرِهِ، فَتَبَرَأَ ذِمَّتُهُ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ مَا وَفَى بِهِ الدِّينَ.

وأما تفريق مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الْعِبَادَاتِ الْمَالِيَةِ وَالْبَدَنِيَّةِ، فَقَدْ شَرَعَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّوْمَ عَنْ الْمَيِّتِ، كما تقدم، مع أن الصَّوْمَ لا تجري^(٣) فِيهِ النَّيِّابَةُ، وكذلك حديثُ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الْأَضْحَى، فَلَمَّا انْصَرَفَ، أَتَى بِكَبْشٍ فَذَبَحَهُ، فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي»، رواه أحمد وأبو داود والترمذي^(٤)، وحديث

(١) تقدم تخريجه ص ٦٦٣ تعليق (٢).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) في (ب): تجزئ.

(٤) أحمد ٣/٣٥٦ و ٣٦٢، وأبو داود (٢٨١٠)، والترمذي (١٥٢١)، وأخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٤/١٧٧ - ١٧٨، والدارقطني ٤/٢٨٥، والبيهقي =

الكبشين اللذين قال في أحدهما: «اللَّهُمَّ هَذَا عَنْ أُمَّتِي جَمِيعاً»، وفي الآخر: «اللَّهُمَّ هَذَا عَنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ»، رواه أحمد^(١). والقربة في الأضحية إراقة الدم، وقد جعلها لغيره.

٢٨٣

وكذلك عبادة الحج بادية، وليس المال ركناً فيه، وإنما هو وسيلة، ألا ترى أن المكّي يجب عليه الحج إذا قدر على المشي إلى عرفات من غير شرط المال، وهذا هو الأظهر، أعني أن الحج غير مركب من مال وبدن، بل بدني محض، كما قد نص عليه جماعة من أصحاب أبي حنيفة المتأخرين.

وانظر إلى فروض الكفايات: كيف قام فيها البعض عن الباقيين.

ولأن هذا إهداء ثواب، وليس من باب النيابة، كما أن الأجير الخاص ليس له أن يستنيب عنه، وله أن يُعطى أجرته لمن شاء.

= ٢٦٤/٩ و ٣٨٧ من طريق عمرو مولى المطلب، عن المطلب بن عبد الله، (وزاد الطحاوي والبيهقي: وعن رجل من بني سلمة) عن جابر بن عبد الله، ورجاله ثقات، وصححه الحاكم ٢٩٩/٤، ووافقه الذهبي، وهو كما قال، فإن المطلب قد صرح بالتحديث في رواية الطحاوي والحاكم، فانتفت شبهة تدليس، وله طريق آخر بنحوه عند أبي داود (٢٧٩٥)، والدارمي ٧٥/٢ - ٧٦، والطحاوي ١٧٧/٤، والبيهقي ٢٨٥/٩ و ٢٨٧، وسندها حسن، وصححه ابن خزيمة (٢٨٩٩)، وثالث عند أبي يعلى (١٧٩٢)، والطحاوي، والبيهقي، وسنده حسن، كما قال الهيثمي في «المجمع» ٢٢/٤.

(١) أخرجه أحمد ٣٩١/٦ - ٣٩٢، والبخاري (١٢٠٨)، والبيهقي ٢٥٩/٩ - ٢٦٠ و ٢٦٨ من طريق أبي عامر العقدي، عن زهير بن محمد العبدي، عن عبد الله بن محمد بن عقال، عن علي بن حسين، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحّى، اشترى كبشين سميتين أقرنين أملحين، فإذا صلى، وخطب الناس، أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه، فذبحه بنفسه بالمدينة، ثم يقول: «اللهم إن هذا عن أمتي جميعاً ممن شهد لك بالتوحيد، وشهد لي بالبلاغ» ثم يؤتى بالآخر، فيذبحه بنفسه، ويقول: «هذا عن محمد وآل محمد» فيطعمهما جميعاً المساكين، ويأكل هو وأهله منهما، فمكثنا سنين ليس رجل من بني هاشم يضحى قد كفاه الله المؤنة برسول الله ﷺ والغزم. وسنده حسن، كما قال الهيثمي في «المجمع» ٤/٢٢، وأخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١٧٧/٤ من طريق علي بن معبد، عن عبيد الله بن عمر، عن عبد الله بن محمد بن عقال به.

وأما استئجار قَوْمٍ يقرؤون القرآن، ويُهْدُونَهُ للميت. فهذا لم يَفْعَلْهُ أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه، والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف، وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه، مما فيه منفعة تصل إلى الغير. والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع عبادة خالصة، فلا يكون ثوابه مما يهدى إلى الموتى ولهذا لم يقل أحد: إنه يكتري من يصوم ويصلي ويهدي ثواب ذلك إلى الميت، لكن إذا أعطى لمن يقرأ القرآن ويعلمه ويتعلمه معونة لأهل القرآن على ذلك، كان هذا من جنس الصدقة عنه، فيجوز.

وفي «الاختيار»^(١): لو أوصى بأن يُعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرآن على قبره، فالوصية باطلة، لأنه في معنى الأجرة، انتهى.

وذكر الزاهدي^(٢) في «القنية»: أنه لو وقف على من يقرأ عند قبره، فالتعيين باطل.

(١) ٨٤/٥، وهو شرح «المختار» أحد المتون الأربعة المعتمدة عند المتأخرين من الحنفية، وكلاهما لأبي الفضل مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي المتوفى سنة ٦٨٣هـ ألف «المختار» في عنقوان شبابه ضمنه أقوال الإمام أبي حنيفة، فتداولته أيدي الطلبة، وصار مرجعاً لهم في الفتوى، فصنف شرحاً له، وسماه «الاختيار» أشار فيه إلى علل المسائل ومعانيها، وذكر فروعاً يحتاج إليها، ويعتمد النقل عليها، وقد طبع بخمسة أجزاء لطيفة في مصر، وعلق عليه الشيخ محمود أبو دققة. انظر «الفوائد البهية» ص ١٠٦.

(٢) هو مختار بن محمود بن محمد أبو الرجاء نجم الدين الزاهدي الغزميني - نسبة إلى غزمين من قصبات خوارزم - الحنفي المتوفى سنة ٦٥٨هـ. كان من كبار الأئمة، وأعيان الفقهاء عالماً كاملاً، له اليد الباسطة في الخلاف والمذهب، والباع الطويل في الكلام والمناظرة، وقد ذكر في أول «القنية» أنه استصفاه من «منية الفقهاء» لأستاذه فخر الدين بدیع بن أبي منصور الحنفي، وسماه: «قنية المنية لتتميم البغية» وهذا الكتاب لم يطبع بعد، وابن عابدين الشامي يكثر النقل عنه في حاشيته «رد المحتار على الدر المختار». انظر «كشف الظنون» ص ١٣٥٧ و ١٨٨٦، و«الفوائد البهية» ص ٥٤ و ٢١٢ - ٢١٣.

وأما قراءة القرآن وإهداؤها له تطوعاً بغير أجرة، فهذا يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج.

فإن قيل: هذا لم يكن معروفاً في السلف، ولا أرشدهم إليه النبي ﷺ؟

فالجواب: إن كان مُورِداً هذا السؤالَ معترفاً بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء، قيل له: ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة القرآن؟ وليس كون السلف لم يفعلوه حجة في عدم الوصول، ومن أين لنا هذا النفي العام؟

فإن قيل: فرسولُ الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة؟ قيل: هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم، فهذا سألَه عن الحج عن ميتته، فأذن له فيه، وهذا سألَه عن الصوم عنه^(١)، فأذن له فيه، ولم يمنعهم مما سوى ذلك، وأي فرق بين وصول ثواب الصوم - الذي هو مُجرّد نية وإمساك - وبين وصول ثواب القراءة والذكر؟

فإن قيل: ما تقولون في الإهداء إلى رسول الله ﷺ؟

قيل: من المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة، لأن الصحابة لم يكونوا يفعلونه، ولأن النبي ﷺ له مثل أجر كل من عمل خيراً من أمته، من غير أن ينقص من أجر العامل شيء، لأنه هو الذي دلّ أمته على كل خير، وأرشدهم إليه.

ومن قال: إن الميت يتنفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام الله، فهذا لم يصح عن أحد من الأئمة المشهورين. ولا شك في سماعه^(٢)،

(١) سقطت من (ب).

(٢) قوله: «ولا شك في سماعه» ليس على إطلاقه، لأن الله سبحانه نفى سماع الموتى بقوله عز وجل: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾، وقوله سبحانه: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾، وما جاء في معنى ذلك من الآيات والأحاديث، وإنما يستثنى من ذلك ما صحت به الأحاديث من سماع الميت سؤال منكر ونكير، وسماعه قرع =

ولكن انتفاعه بالسماع لا يَصِحُّ، فإن ثواب الاستماع مشروطٌ بالحياة، فإنَّه عَمَلٌ اختياريٌّ، وقد انقطع بموته، بل ربما يَنْصَرِّزُ ويتألم، لكونه لم يمثل أَوَامِرَ الله ونواهيه، أو لكونه لم يَزِدْ مِنَ الْخَيْرِ^(١).

واختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال: هل تكره، أم لا بأس بها، أم لا بأس بها وقت الدفن، وتكره بعده؟
فَمَنْ قال بكراهتها، كأبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية، قالوا: لأنَّه محدث، لم تَرِدْ به السُّنة، والقراءة تُشِبُّ الصلاة، والصلاة عند القبور منهية، عنها، فكذلك القراءة.

اختلف
العلماء في
حكم قراءة
القرآن عند
القبور

ومن قال: لا بأس بها، كمحمد بن الحسن وأحمد في رواية استدلوا بما نُقِلَ عن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما: أنه أوصى أن يُقْرَأَ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها، ونُقِلَ أيضاً عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة.

ومن قال: لا بأس بها وقت الدفن فقط - وهو رواية عن أحمد - أخذ بما نُقِلَ عن ابن عمر وبعض المهاجرين.

وأما بعد ذلك، كالذين يتناوبون القَبْرَ للقراءة عنده، فهذا مكروه، فإنه لم تأت به السُّنة، ولم يُثَقَّلْ عن أحد من السَّلَفِ مثل ذلك أصلاً، وهذا القول لعله أقوى من غيره، لما فيه من التوفيق بين الدليلين^(٢).

استجابة الله
دعاء عبده

قوله: «وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْتَجِيبُ الدَّعَوَاتِ، وَيَقْضِي الْحَاجَاتِ».

= نعال المشيعين، وسماع قتلى بدر كلام الرسول ﷺ، ونحو ذلك مما صح به النص، وما سوى ذلك، فالأصل عدم سماعهم للقرآن وغيره.

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - أن الميت لا ينتفع بسماع القرآن، وأن من قال بذلك فقد أخطأ. وإنما يقتصر انتفاع الميت بالقراءة إذا أهدى ثوابها له من القارئ. «مجموع الفتاوى» ٢٤/٣٠٠، ٣١٧.

(٢) انظر: «المغني» ٥٦٦/٢ - ٥٦٧، و«المجموع» ٣١١/٥، و«رد المحتار» ٢/٢٤٢ - ٢٤٣، و«الروح» ص: ١٧، و«أحكام الجنائز» للألباني: ١٩٢ - ١٩٣.

ش: قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(١) [البقرة: ١٨٦]. والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم: أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار^(٢)، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دَعَوْا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر، دعاه لجنبه، أو قاعداً، أو قائماً. وإجابة الله لِدُعَاءِ العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطاؤه سُؤْلَه، مِن جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما تُوجِبُهُ الربوبية للعبد مطلقاً. ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه، إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك، وفي «سنن ابن ماجه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»^(٣) وقد نظم بعضهم هذا المعنى، فقال:

(١) قرأ أبو عمرو، وأبو جعفر وورش بإثبات الياء في «الداعي» و«دعاني» في الوصل دون الوقف، وقرأ يعقوب بإثبات الياء فيهما في الحالين، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين. انظر «حجة القراءات» ص ١٢٦ - ١٢٧، و«الكشف» ١/ ٣٣٣، و«النشر» ١٨٣/ ٢، و«البدور الزاهرة» ص ٤٦.

(٢) انظر: «مدارج السالكين» ١٠٢/ ٣ - ١٠٥ و«الداء والدواء» ص ٧ - ٢١.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٨٢٧)، وأحمد ٤٧٧/ ٢، وابن أبي شيبة ٢٠٠/ ١٠، وابن عدي في «الكامل» ٧/ ٢٧٥٠، والبغوي (١٣٨٩)، بلفظ: «من لا يدع الله غضب عليه» وأخرجه أحمد ٤٤٢/ ٢ بلفظ: «من لا يسأله يغضب عليه» وهو في «المستدرک» ١/ ٤٩١ بلفظ: «من لا يدع الله يغضب عليه» كلهم من رواية أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة، وأبو صالح الخوزي ضعفه ابن معين، وقال أبو زرعة: لا بأس به، وباقي رجاله ثقات، ومع ذلك فقد صححه الحاكم وأقره الذهبي، وقد ظن الحافظ ابن كثير أن أبا صالح هذا هو السمان. فجزم بأن أحمد تفرد بتخريجه، قال الحافظ في «الفتح» ١١/ ٧٩: وليس كما قال، فقد جزم شيخه المزي في «الأطراف» ١١/ ٨٤ بأنه الخوزي، ووقع في رواية البزار والحاكم: عن أبي صالح الخوزي سمعت أبا هريرة، وفي الباب ما يؤيده عند الترمذي (٣٥٧٠١)، والطبراني (١٠٠٨٨) من حديث ابن مسعود رفعه: «سلوا الله من فضله، فإنه يحب أن يسأل» وله (٣٥٤٨) من حديث ابن عمر رفعه: «إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء» وفي سننه لين، وأخرج =

الرَّبُّ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُئِيَ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ^(١)
قال ابن عقيل^(٢): قد نَدَبَ اللَّهُ تعالى إلى الدُّعَاءِ، وفي ذلك مَعَانٍ:
أحدها: الوجود، فإن مَنْ ليس بوجود لا يُدْعَى.

الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يُدْعَى.

الثالث: السَّمْعُ، فإن الأصم لا يُدْعَى.

الرابع: الكَرَمُ، فإن البخل لا يُدْعَى.

الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يُدْعَى.

السادس: القدرة، فإن العاجز لا يُدْعَى.

ومن يَقُولُ بالطباع يعلم أن النار لا يُقَالُ لها: كُفِّي! ولا النجم يقال له: أَصْلِحْ مزاجي!! لأن هذه عندهم مؤثرة طبعاً لا اختياراً، فَشَرَعَ الدُّعَاءُ وصلاة الاستسقاء لِيُبَيِّنَ كَذِبَ أَهْلِ الطَّبَاعِ.

الرد على من
يزعم عدم
فائدة الدعاء
٢٨٥

وذهب قومٌ من المتفلسفة، وغالية المتصوفة إلى أن الدعاء لا فائدة فيه! قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب، فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تَقْتَضِهِ، فلا فائدة في الدعاء!! وقد يَخْصُ بعضهم بذلك خَوَاصَّ العارفين! ويجعل الدعاء علة في مقام الخواص!! وهذا من غَلَطَاتِ بعض الشيوخ، فكما أنه مَغْلُومُ الفساد بالاضطرار من دين الإسلام، فهو

= الطبراني في «الدعاء» بسند رجاله ثقات إلا أن فيه عنينة بقية، عن عائشة مرفوعاً: «إن الله يحب الملحين في الدعاء».

(١) أورده السيوطي في «الأزهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار» لوحة (٤٣) نقلاً عن البيهقي في «شعب الإيمان» ولم ينسبه لأحد.

(٢) أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري المقرئ الفقيه الأصولي الراعظ المتكلم. له تصانيف عدة، منها «كتاب الفنون» وهو أكثر من ثلاث مئة مجلد. قال الإمام الذهبي: لم يصنف في الدنيا أكبر منه، وفي هذا الكتاب فوائد كثيرة جلييلة في التفسير والفقه والأصولين واللغة والأخلاق والشعر والتاريخ والحكايات، وفيه مناظرته ومجالسه التي وقعت له، وخواطره ونتائج فكره، توفي سنة ٥١٣هـ. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٩/رقم الترجمة (٢٥٩).

مَغْلُومُ الفسادِ بالضرورة العقلية، فإن منفعة الدُّعاء أمرٌ اتفقت عليه تجاربُ الأمم، حتى إن الفلاسفة تقول: صَحِيحُ الْأَضْوَاتِ فِي^(١) هَيَاكِلِ الْعِبَادَاتِ، يَفْتُونُ اللَّغَاتِ، يُحَلِّلُ مَا عَقَدَتْهُ الْأَفْلَاكُ الْمُؤَثَّرَاتِ^(٢)، هَذَا وَهُمْ مُشْرِكُونَ.

وَجَوَابُ الشبهة بمنع المقدمتين: فَإِنَّ قَوْلَهُمْ عَنِ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ، إِمَّا أَنْ تَقْتَضِيهِ أَوْ لَا، ثُمَّ قِسْمٌ ثَالِثٌ^(٣)، وَهُوَ: أَنْ تَقْتَضِيَهُ بِشَرَطٍ لَا تَقْتَضِيهِ مَعَ عَدَمِهِ، وَقَدْ يَكُونُ الدُّعَاءُ مِنْ شَرْطِهِ، كَمَا تُوجِبُ الشَّعْبُ وَالرَّيُّ عِنْدَ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ، وَلَا تُوْجِبُهُ مَعَ عَدَمِهَا، وَحَصُولُ الْوَلَدِ بِالْوَطءِ، وَالزَّرْعُ بِالْبَذْرِ. فَإِذَا قُدِّرَ وَقُوعُ الْمَدْعُوِّ بِهِ بِالْدُّعَاءِ لَمْ يَصِحَّ أَنْ يَقَالَ: لَا فَائِدَةٌ فِي الدُّعَاءِ، كَمَا لَا^(٤) يَقَالُ: لَا فَائِدَةٌ فِي الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالْبَذْرِ وَسَائِرِ الْأَسْبَابِ. فَقَوْلُ هَؤُلَاءِ، كَمَا أَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلشَّرْعِ، فَهُوَ مُخَالَفٌ لِلْحَسَنِ وَالْفَطْرَةِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ، مَا قَالَهُ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَهُوَ: أَنَّ الْاِلْتِفَاتَ إِلَى الْأَسْبَابِ شِرْكٌ فِي التَّوْحِيدِ، وَمَحْوُ الْأَسْبَابِ، أَنْ تَكُونَ أَسْبَابًا، نَقْصٌ فِي الْعَقْلِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْأَسْبَابِ بِالْكُلِّيَّةِ قَذْحٌ فِي الشَّرْعِ، وَمَعْنَى التَّوَكُّلِ وَالرَّجَاءِ، يَتَأَلَّفُ مِنْ مَوْجِبِ التَّوْحِيدِ وَالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ.

وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ الْاِلْتِفَاتَ إِلَى السَّبَبِ هُوَ اعْتِمَادُ الْقَلْبِ عَلَيْهِ، وَرَجَاؤُهُ، وَالِاسْتِنَادُ إِلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يَسْتَحِقُّ هَذَا، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَقْلٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ شُرَكَاءٍ وَأَضْدَادٍ مَعَ هَذَا كُلِّهِ، فَإِنْ لَمْ يُسَخَّرْهُ مُسَبِّبُ الْأَسْبَابِ، لَمْ يُسَخَّرْ.

وقولهم: إِنْ اقْتَضَتْ الْمَشِيئَةُ الْمَطْلُوبَ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الدُّعَاءِ قُلْنَا: بَلْ قَدْ تَكُونُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، مِنْ تَحْصِيلِ مَصْلَحَةٍ أُخْرَى عَاجِلَةٍ وَأَجَلَةٍ، وَدَفْعِ مَضَرَّةٍ أُخْرَى عَاجِلَةٍ وَأَجَلَةٍ.

(١) سقطت من (ب).

(٢) فِي (أ) وَ(ب) وَ(ج): الْمُؤَثَّرَاتِ، وَالْمُثَبِّتِ مِنْ (د) وَمَطْبُوعَةُ مَكَّةَ.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» ١١٨/٢ - ١٢٠، و«الداء والدواء» ص ١٨ - ٢٢.

(٤) سقطت من (ب).

وكذلك قَوْلُهُمْ: وإن لم تقتضه، فلا فائدة فيه. قلنا: بل فيه فوائد عظيمة، من جلب منافع، ودفع مضار، كما نبه عليه النبي ﷺ، بل ما يُعجلُ للعبد من معرفته بربه، وإقراره به، وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه، واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العلية، والأحوال الزكية، التي هي من أعظم المطالب.

فإن قيل: إذا كان إعطاء الله معللاً بفعل العبد، كما يُغفل من إعطاء المسؤول للسائل، كان السائل قد أثر في المسؤول حتى أعطاه؟! ٢٨٦

قلنا: الرب سبحانه هو الذي حرك العبد إلى دعائه، فهذا الخير منه، وتماؤه عليه، كما قال عمر رضي الله عنه: إني لا أخجل هم الإجابة، وإنما أخجل هم الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُذِئِرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝﴾ [السجدة: ٥]. فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بالتدبير، ثم يضعد إليه الأمر الذي دبره، فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سبباً للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة، ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شيء من المخلوقات، بل هو جعل ما يفعله سبباً لما يفعله، قال مطرف بن عبد الله بن الشخير، أخذ أئمة التابعين^(١): نظرت في هذا الأمر، فوجدت مبدأه من الله، وتماؤه على الله، ووجدت ملاك ذلك الدعاء.

بيان الحكمة
في أن الداعي
قد لا يعطى
شيئاً أو يعطى
غير ما سأل

وهنا سؤال معروف، وهو: أن من^(٢) الناس من قد يسأل الله شيئاً فلا يعطى، أو يعطى غير ما سأل، وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة:

(١) كان إماماً، قدوة، فقيهاً، عابداً، مجاب الدعوة، توفي سنة ٩٥ هـ. مترجم في «السير» ١٨٧/٤ - ١٩٥.

(٢) «من» كتبت في (د) فوق كلمة: الناس، وقد أخلت بها باقي الأصول.

أحدها: أَنَّ الْآيَةَ لَمْ تَتَضَمَّنْ عَطِيَّةَ السَّوَالِ مُطْلَقًا، وَإِنَّمَا تَضَمَّنَتْ^(١) إِبْجَابَةَ الدَّاعِي، والدَّاعِي أَعْمُ مِنَ السَّائِلِ، وإِبْجَابَةُ الدَّاعِي أَعْمُ مِنَ إعْطَاءِ السَّائِلِ. ولهذا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٢).

فَفَرَّقَ بَيْنَ الدَّاعِي وَالسَّائِلِ، وَبَيَّنَّ الْإِبْجَابَةَ وَالْإِعْطَاءَ، وَهُوَ فَرْقٌ بِالْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ، كَمَا أَتَبَعَ ذَلِكَ بِالْمُسْتَغْفِرِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ السَّائِلِ، فَذَكَرَ الْعَامَّ، ثُمَّ الْخَاصَّ، ثُمَّ الْأَخْصَرَ. وَإِذَا عَلِمَ الْعِبَادُ أَنَّهُ قَرِيبٌ، يُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي، عَلِمُوا قُرْبَهُ مِنْهُمْ، وَتَمَكَّنَتْهُمْ مِنْ سَوْأِهِ. وَعَلِمُوا عِلْمَهُ وَرَحْمَتَهُ وَقُدْرَتَهُ، فَدَعَوْهُ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ فِي حَالٍ، وَدُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ فِي حَالٍ، وَجَمَعُوا بَيْنَهُمَا فِي حَالٍ، إِذِ الدُّعَاءُ اسْمٌ يَجْمَعُ^(٣) الْعِبَادَةَ وَالِاسْتِعَانَةَ، وَقَدْ فَسَّرَ قَوْلَهُ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] بِالدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ الْعِبَادَةُ، وَالدُّعَاءِ الَّذِي هُوَ الطَّلِبُ، وَقَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠] يُوْزِدُ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ.

الْجَوَابُ الشَّانِي: أَنَّ إِبْجَابَةَ دُعَاءِ السَّوَالِ أَعْمُ مِنَ إعْطَاءِ عَيْنِ الْمَسْئُولِ^(٤)، كَمَا فَسَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِيْمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ إِلَّا أَعْطَاهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، أَوْ يَدْخِرَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ مِثْلَهَا، أَوْ يَضْرِبَ عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَهَا»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا تَكْثُرَ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»^(٥). فَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الدَّعْوَةِ

٢٨٧

(١) فِي (ب): تَتَضَمَّنْ.

(٢) حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ ص ٢٦٩.

(٣) فِي (ب): لَجْمِيعٍ.

(٤) فِي (ب): السَّوَالِ.

(٥) فِي (ب) وَ(ج): «أَكْبَرُ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ، وَلَيْسَ هُوَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» كَمَا ظَنَ الشَّارِحُ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي «الْمُسْنَدِ» ١٨/٣، وَالبخاري فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (٧١٠)، =

الخالية عن العُدْوَانِ من إعطاء السؤل مُعْجَلًا، أو مثله من الخير مُؤَجَّلًا، أو يُضَرَفُ عنه مِنَ السَّوءِ مثله.

الجواب الثالث: أنَّ الدَّعَاءَ سبَبٌ مُقْتَضٍ لِنَيْلِ الْمَطْلُوبِ، والسببُ له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه، وانتفت موانعه، حَصَلَ الْمَطْلُوبُ، وإلا فلا يَحْصُلُ ذلك المطلوب، بل قد يَحْصُلُ غَيْرُهُ. وهكذا سَائِرُ الكلمات الطيبات، من الأذكار الماثورة المعلق عليها جَلْبُ منافع أو دَفْعُ مَضَارٍّ، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تَخْتَلِفُ باختلاف قُوَّتِهِ وما يُعِينُهَا، وقد يُعَارِضُهَا مانع من الموانع. ونُصَوِّصُ الوعدِ والوعيدِ المتعارضة في الظاهر: من هَذَا الباب. وكثيراً ما تَجِدُ أدعية دعا بها قَوْمٌ، فاستُجِيبَ لهم، وَيَكُونُ قد اقترن بالدُّعَاءِ ضرورةٌ صاحبه وإقباله على الله، أو حَسَنَةٌ تَقَدَّمَتْ منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكراً لحسنته، أو صَادَفَ وقت إجابة، ونحو ذلك، فَأُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ، فيظن أن السِّرَّ في ذلك الدُّعَاءِ، فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رَجُلٌ دواءً نافعاً في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظنَّ آخرُ أن استعمالَ هذا الدواءِ بِمُجَرَّدِهِ كافٍ^(١) في حُصُولِ الْمَطْلُوبِ، فكان غالطاً.

= والبزار (٣١٤٣) و(٣١٤٤)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٧٥/١، وأبي يعلى في «مسنده» (١٠١٩)، وأبي نعيم في «الحلية» ٣١١/٦، كلهم من حديث أبي سعيد الخدري، وصححه الحاكم ٤٩٣/١، ووافقه الذهبي، وهو كما قال، وقال الهيثمي في «المجمع» ١٤٨/١٠ - ١٤٩: رجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرفاعي، وهو ثقة. وفي الباب عن عبادة بن الصامت عند الترمذي (٣٥٧٣)، وأحمد ٣٢٩/٥، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٧٥/١، والبغوي (١٣٨٧)، وأبي نعيم في «الحلية» ١٣٧/٥. وعن جابر عنده أيضاً (٣٣٨١)، ولمسلم (٢٧٣٥) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل» قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: «يقول: قد دعوت، فلم أرَ يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء». وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٥)، والبغوي (١٣٩٠).

(١) في الأصول: كافياً، وهو خطأ.

وكذا قد يدعو باضطرابٍ عند قبر، فَيَجَابُ، فيظنُّ أنَّ السِّرَّ لِلْقَبْرِ، ولم يَذِرْ أنَّ السِّرَّ للاضطرابِ وصدقِ اللُّجَأِ إلى الله تعالى، فإذا حَصَلَ ذلك في بيتٍ من بيوت الله تعالى كان أَفْضَلَ وأحَبَّ إلى الله تعالى.

فالأذعيةُ والتعوذات والرُقَى بمنزلة السِّلَاحِ، والسِّلَاحُ بِضَارِيهِ، لا يَحْدَهُ فقط، فمتى كان السِّلَاحُ سلاحاً تامّاً، والسَّاعِدُ ساعداً قوياً، والمَحَلُّ قابلاً، والمَانِعُ مفقوداً: حصلت به التُّكَايَةُ في العدو، ومتى تَخَلَّفَ وَاحِدٌ من هذه الثلاثة تَخَلَّفَ التأثيرُ.

فإذا كان الدُّعَاءُ في نفسه غَيْرَ صالح، أو الدَّاعِي لم يجمع بَيْنَ قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثَمَّ مانعٌ مِنَ الإجابة: لم يَخْصُلِ الأثر.

قوله: «وَيَمْلِكُ كُلُّ شَيْءٍ، وَلَا يَمْلِكُهُ شَيْءٌ. وَلَا غِنَى عَنِ اللَّهِ تَعَالَى طَرْفَةً عَيْنٍ، وَمَنْ اسْتَغْنَى عَنِ اللَّهِ طَرْفَةً عَيْنٍ، فَقَدْ كَفَرَ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْحَيْنِ».

ش: كلامٌ حقٌّ ظاهرٌ لا خفاءَ فيه. وَالْحَيْنُ، بالفتح: الهلاك.

٢٨٨

قوله: «وَاللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى، لا كأحدٍ من الوَرَى».

ش: قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] [المجادلة: ٢٢] و [البينة: ٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. وقال تعالى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠]. ﴿وَعُذِّبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣]. ﴿وَبَاؤُوا^(١) يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١]. ونظائر ذلك كثيرة.

غضب الله
ورضاه

(١) قال أبو جعفر الطبري ١٣٨/٢: يعني بقوله: ﴿وَبَاؤُوا يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ﴾: انصرفوا ورجعوا، ولا يقال: «بَاؤُوا» إلا موصولاً إما بخير، وإما بشر، يقال منه: «باء فلان بذنبه، يبوء به بؤءاً وبؤاء»، ومنه قول الله عز وجل: ﴿إِنِّي أريدُ أن تبوءَ بإثمي وإثمك﴾ يعني: تنصرف متحملهما، وترجعَ بهما قد صارا عليك دوني. فمعنى الكلام إذا: ورجعوا منصرفين متحملين غضب الله، قد صار عليهم من الله غضب، ووجب عليه منه سخط. وانظر «جامع البيان» ١٨٨/١ - ١٨٩.

ومذهب السلف^(١) وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرّضى،
والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي وردَ
بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يضرّفها عن حقائقها اللائقة بالله
تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات،
كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله: «إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى
يضاف إلى الربوبية، ترك التأويل، ولزوم التسليم، وعليه دين المرسلين».

وانظر إلى جواب الإمام مالك رحمته الله في صفة الاستواء كيف؟ قال:
الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وزوي أيضاً^(٢) عن أم سلمة رضي الله
عنها موقوفاً عليها، ومرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك قال الشيخ رحمته الله فيما تقدم: «من لم يتوقّف الثفي والتشبيه، زلّ
ولم يصب التنزيه». ويأتي في كلامه: «أن الإسلام بين الغلو والتقصير، وبين
التشبيه والتعطيل».

فقول الشيخ رحمته الله: «لا كأحد من الوري» نفي التشبيه، ولا يقال: إن
الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإنّ هذا نفي للصفة. وقد
اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبّه ويرضاه، وإن كان لا يريدّه ولا
يشاءه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويغضبه، ويغضب على فاعله، وإن
كان قد شاء وأراده، فقد يحبّ عندهم، ويرضى ما لا يريدّه، ويكره
ويسخط ويغضب لما أَراده.

ويقال لمن تأوّل الغضب والرضى بإرادة الإحسان: لم تأوّل ذلك؟
فلا بدّ أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة،
وذلك لا يليق بالله تعالى! فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي أمر ينشأ عن
صفة الغضب، لا أنّه هو الغضب. ويقال له أيضاً: وكذلك الإرادة والمشية

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» ٣/ ٣٨٠ - ٣٨٥.

(٢) سقطت من: (ب).

(٣) لا يصح في المرفوع، وقد تقدم الكلام عليه، فانظر ص ٣٧٣.

فيما، هي مَيْلُ الحيِّ إلى الشَّيْءِ أو إلى ما يُلائِمُهُ وَيُنَاسِبُهُ، فَإِنَّ الْحَيَّ مَيْلاً لَا يُرِيدُ إِلَّا مَا يَجْلِبُ لَهُ مَنْفَعَةٌ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَضَرَّةٌ، وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَا يُرِيدُهُ، وَمُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ، يَزْدَادُ^(١) بِوُجُودِهِ، وَيَنْقُصُ^(٢) بِعَدَمِهِ. فَالْمَعْنَى الَّذِي صَرَفَتْ إِلَيْهِ اللَّفْظَ كَالْمَعْنَى الَّذِي صَرَفَتْهُ عَنْهُ سَوَاءٌ، فَإِنْ جَازَ هَذَا جَازَ ذَاكَ، وَإِنْ امْتَنَعَ هَذَا، امْتَنَعَ ذَاكَ.

فَإِنْ قَالَ: الْإِرَادَةُ الَّتِي يُوصَفُ اللَّهُ بِهَا مُخَالَفَةٌ لِلْإِرَادَةِ الَّتِي يُوصَفُ بِهَا الْعَبْدُ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا حَقِيقَةً، قِيلَ لَهُ: فَقُلْ: إِنَّ الْغَضَبَ وَالرَّضَى الَّذِي يُوصَفُ اللَّهُ بِهِ مُخَالَفٌ لِمَا يُوصَفُ بِهِ الْعَبْدُ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا حَقِيقَةً. فَإِذَا كَانَ مَا يَقُولُهُ فِي الْإِرَادَةِ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَالَ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ، لَمْ يَتَّعَيْنِ التَّأْوِيلُ، بَلْ يَجِبُ تَرْكُهُ، لِأَنَّكَ تَسْلِمُ مِنَ التَّنَاقُضِ، وَتَسْلِمُ أَيْضاً مِنْ تَعْطِيلِ مَعْنَى أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ بِلاَ مُوجِبٍ. فَإِنَّ صَرْفَ الْقُرْآنِ عَنْ ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ بِغَيْرِ مُوجِبٍ حَرَامٌ، وَلَا يَكُونُ الْمَوْجِبُ لِلصَّرْفِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ عَقْلُهُ، إِذِ الْعُقُولُ مُخْتَلِفَةٌ، فَكُلُّ يَقُولُ: إِنَّ عَقْلَهُ دَلَّ عَلَى خِلَافٍ مَا يَقُولُهُ الْآخَرُ!

وَهَذَا الْكَلَامُ يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ نَفَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، لَامْتِنَاعِ مَسْمَى ذَلِكَ فِي الْمَخْلُوقِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُثَبِّتَ شَيْئاً لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى خِلَافٍ مَا يَعْهَدُهُ حَتَّى فِي صِفَةِ الْوُجُودِ، فَإِنَّ وُجُودَ الْعَبْدِ كَمَا يَلِيْقُ بِهِ، وَوُجُودَ الْبَارِي تَعَالَى كَمَا يَلِيْقُ بِهِ، فَوُجُودُهُ تَعَالَى يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ، وَوُجُودُ الْمَخْلُوقِ لَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ، وَمَا سَمَّى بِهِ الرَّبُّ نَفْسَهُ وَاسْمَى بِهِ مَخْلُوقَاتِهِ، مِثْلَ الْحَيِّ وَالْعَلِيمِ وَالْقَدِيرِ، أَوْ سَمَّى بِهِ بَعْضَ صِفَاتِهِ، كَالْغَضَبِ وَالرَّضَى، وَاسْمَى بِهِ بَعْضَ صِفَاتِ عِبَادِهِ، فَنَحْنُ نَعْقِلُ بِقُلُوبِنَا مَعَانِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ حَقٌّ ثَابِتٌ مُوجُودٌ، وَنَعْقِلُ أَيْضاً مَعَانِيَ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ، وَنَعْقِلُ بَيْنَ الْمَعْنَيْنِ قَدراً مُشْتَرِكاً، لَكِنْ هَذَا الْمَعْنَى لَا يُوجَدُ فِي الْخَارِجِ مُشْتَرِكاً، إِذِ الْمَعْنَى الْمُشْتَرِكُ الْكُلِّيُّ لَا يُوجَدُ مُشْتَرِكاً إِلَّا فِي الْأَذْهَانِ،

(١) فِي (ب): وَيَزْدَادُ.

(٢) فِي (ب): وَيَنْقُصُ.

ولا يُوجدُ في الخارج إلا معيناً مختصّاً. فيثبت في كل منهما كما يليقُ به. بل لو قيل: غَضِبُ مالِكٍ خازن النار، وغَضِبُ غيره من الملائكة: لم يَجِبْ أن يكون مماثلاً لكيفية غَضِبِ آدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة، حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دَمُ قلبِ الإنسان عند غضبه، فغَضِبُ الله أولى.

وقد نفى الجَهَنمُ^(١) ومَن وافقه كُلُّ ما وَصَفَ الله به نفسه، مِن كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبُغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا: إنما هي أُمُورٌ مخلوقةٌ منفصلةٌ عنه، ليس هو في نفسه مُتَّصِفاً بشيءٍ من ذلك!!

وعارض هؤلاء مِن الصُّفَاتِيَّةِ ابنُ كُلابٍ ومَن وافقه، فقالوا: لا يُوصَفُ الله بشيءٍ يَتَعَلَّقُ بمشيئته وقدرته أصلاً، بل جَمِيعُ هذه الأمور صفاتٌ لازمةٌ لذاته، قديمةٌ أزلية، فلا يرضى في وقتٍ دُونَ وقتٍ، ولا يَغْضِبُ في وقتٍ دُونَ وقتٍ. كما قال في حديث الشفاعة: «إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ ٢٩٠ غَضَبًا لَمْ يَغْضِبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضِبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ»^(٢).

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبُّ؟ وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِّنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِمَّنْ دُونَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبُّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِمَّنْ دُونَكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(٣).

فيستدل به على أنه يُحِلُّ رِضْوَانَهُ في وقتٍ دُونَ وقتٍ، وأنه قد يُحِلُّ

(١) في (ب): جهنم.

(٢) قطعة من حديث الشفاعة المطول، وقد تقدم تخريجه ص ٩٦.

(٣) البخاري (٦٥٤٩) و(٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩)، وأخرجه الترمذي (٢٥٥٨)، وأحمد ٨٨/٣، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٤٠٥/٣، والبخاري (٤٣٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٨٤/٨، وابن منده في «الإيمان» (٨١٩).

رضوانه ثُمَّ يَسْخَطُ، كما يُحِلُّ السَخَطَ ثُمَّ يَرْضَى، لكن هؤلاء أحلَّ عليهم رضواناً لا يتعقَّبُه سَخَطٌ.

وَهُمْ قالوا: لا يتكلَّم إذا شاء، ولا يَضْحَك إذا شاء، ولا يَغْضَبُ إذا شاء، ولا يَرْضَى إذا شاء، بل إمَّا أن يجعلوا الرِّضَى والغَضَبَ والْحَبَّ والبُغْضَ هو الإرادة، أو يجعلوها صفاتٍ أخرى، وعلى التقديرين، فلا يَتَعَلَّقُ شيءٌ من ذلك لا بمشيئته ولا بقدرته، إذ لو تعلقت بذلك، لكان محلاً للحوادث!! فنفي هؤلاء الصِّفَاتِ الفعلية الدَّائِيَّة بهذا الأصل، كما نفى أولئك الصِّفَاتِ مطلقاً بقولهم: ليس محلاً للأعراض. وقد يُقال: بل هي أفعال ولا تُسمَّى حوادث، كما سُمِّيَتْ تلك صفات، ولم تُسمَّ أعراضاً. وقد تَقَدَّمت الإشارةُ إلى هذا المعنى، ولكنَّ الشَّيخ رَحِمَهُ اللهُ لَمْ يَجْمَعْ الكلامَ في الصِّفَاتِ في المختصر في مكانٍ واحد، وكذلك الكلامُ في القدر ونحو ذلك، ولم يعتن فيه بترتيب.

وأحسن ما يُرْتَّبُ عليه كتابُ أصول الدِّين تَرْتيبُ جوابِ النَّبِيِّ ﷺ لجبريل ﷺ، حين سألَه عن الإيمان، فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ باللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ»^(١)، الحديث، فيبدأ بالكلام على التَّوْحِيدِ والصِّفَاتِ وما يتعلَّقُ بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم، وثم، إلى آخره^(٢).

قوله: «وَنُحِبُّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا تُفْرِطْ فِي حُبِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا تَنْتَبِرْ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ. وَتُبْغِضْ مَنْ يَبْغِضُهُمْ، وَبَغِّيرِ الْخَيْرِ يَذْكُرُهُمْ. وَلَا تَذْكُرْهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ. وَحُبُّهُمْ دِينٌ وَإِيمَانٌ وَإِحْسَانٌ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ».

ش: يُشير الشَّيخُ رَحِمَهُ اللهُ إلى الرَّدِّ على الرِّوافِضِ والتَّوَّاصِبِ. وقد أثنى الله

ما ورد من
النصوص في
الثناء على
الصحابه

(١) تقدم تخريجه ص ٣٥٦.

(٢) في هامش (أ) ما نصه: بلغ مقابلة وتصحيحاً على نسخة المؤلف رحمه الله تعالى.

على الصحابة هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنى^(١).

كما قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِحُسْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَانصَرَوْا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَكَذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَرْضَوْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

(١) انظر «مجموع الفتاوى» ١٥٢/٣ - ١٥٣ و ١٥٧ و ٣٠٥ و ٤٠٥ و ٤٠٩ و ٣٩٨/٤ - ٤٥٢، ٤٥٣ - ٤٥٥ و ٢٢٢/١١ و ٤٦٥ - ٥٨/٣٥ و ٦٤.

(٢) قرأ ابن كثير: «من تحتها» بزيادة «من»، وكذلك هي في مصحف أهل مكة، وقرأ الباقر بن عمار: «من»، وهي في مصاحف جميع الأمصار غير مكة كذلك. انظر «حجة القراءات» ص ٣٢٢، و«الكشف» ٥٠٥/١، و«زاد المسير» ٤٩١/٣.

ولهذه الآيات تتضمَّن الثَّنَاء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يَسْتَغْفِرُونَ لَهُمْ، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمَّن أن هؤلاء هم المستحقُّون للفيء، فمن كان في قلبه غلٌّ للذين آمنوا، ولم يَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لا يستحق في الفيء نصيباً بنص القرآن.

وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبَّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبُّوا أحداً من أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مدَّ أحدِهِم ولا نصيفُهُ»^(١). انفرد مسلمٌ بذكر سبِّ خالد لعبد الرحمن، دون البخاري.

فالنبي ﷺ يقول لخالد ونحوه: «لا تسبُّوا أصحابي»، يعني عبد الرحمن وأمثاله، لأنَّ عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل، وأخصُّ بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان^(٢)، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، ويعدُّ مصالحة النبي ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبقُ ممن تأخَّر إسلامهم إلى فتح مكة، وسُمُّوا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية.

والمقصود أنه نهى من له صحبة آخر أن يسبَّ من له صحبة أولاً،

٢٩٢

(١) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١)، وأخرجه أبو داود (٤٦٥٨)، والترمذي (٣٨٦٠)، وأحمد في «المسند» ١١/٣، وفي «فضائل الصحابة» (٥) و(٦) و(٧) و(٦٥٤) و(١٧٣٥)، والطيالسي (٢١٨٣)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١٢٢/٢، والبيهقي (٣٨٥٦)، والخطيب في «تاريخه» ١٤٤/٧، وابن أبي عاصم (٩٨٨). وأخرجه مسلم أيضاً (٢٥٤٠)، وابن ماجه (١٦١) من حديث الأعمش، عن أبي صالح، عن أبيه هريرة. ورواه البزار (٢٧٦٨) من طريق زائدة عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وذكر فيه قصته. وانظر «الفتح» ٣٥/٧ - ٣٦، فقد نقل عن غير واحد من أئمة النقد أن الصحيح رواية الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري، وأن رواية أبي صالح عن أبي هريرة شاذة.

(٢) من قوله: «فهم أفضل» إلى هنا سقط من (ب).

لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يُمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أخذ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه.

فإذا كان هذا حال الذين أسلموا بعد الحديبية، وإن كان قبل فتح مكة فكيف حال من ليس من الصحابة بحال مع الصحابة؟! رضي الله عنهم أجمعين. والسابقون الأولون، من المهاجرين والأنصار، هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقَاتَلُوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربع مئة.

وقيل: إن السابقين الأولين من صَلَّى إلى القبلتين، وهذا ضعيف، فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، لأن النسخ ليس من فعلهم، ولم يدل على التفضيل به دليل شرعي، كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعات التي كانت تحت الشجرة.

وأما ما يُروى عن النبي ﷺ أنه قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»^(١) - فهو حديث ضعيف، قال البزار^(٢): هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة.

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ٩١/٢، وابن حزم في «الإحكام» ٨٢/٦ من طريق سلام بن سليم قال: حدثنا الحارث بن غصين، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر مرفوعاً: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وسلام بن سليم مجمع على ضعفه، وكذبه ابن حراش، وقال ابن حبان: روى أحاديث موضوعة، والحارث بن غصين مجهول، وأخرج الخطيب في «الكفاية» في علم الرواية ص ٤٨ من طريق سليمان بن أبي كريمة، عن جوير، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس مرفوعاً: «مهما أو تيتن من كتاب الله، فالعمل به لا عذر لأحدكم في تركه، فإن لم يكن في كتاب الله، فسنة مني ماضية، فإن لم يكن سنة ماضية، فما قال أصحابي، إن أصحابي بمتزلة النجوم في السماء، فأياها أخذتم به اهتديتم، واختلاف أصحابي لكم رحمة» وسليمان بن أبي كريمة ضعيف الحديث، وجوير - وهو ابن سعيد الأزدي - متروك، والضحاك لم يلق ابن عباس، وروي من حديث عمر وابنه، وكلاهما لا يصح.

(٢) هو الإمام الحافظ الكبير أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب «المسند الكبير» الذي تكلم على أسانيده، المتوفى سنة ٢٩٢هـ، مترجم في «السير» =

وفي «صحيح مسلم» عن جابر، قال: قيل لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّ نَاسًا يَتَنَازَلُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أبا بَكْرٍ وَعُمَرَا فَقَالَتْ: وَمَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا! انْقَطَعَ عَنْهُمْ الْعَمَلُ، فَأَحَبَّ اللَّهُ أَنْ لَا يَقْطَعَ عَنْهُمْ الْأَخْرَ^(١).

وروى ابن بطة^(٢) بإسناد صحيح، عن ابن عباس، أنه قال: «لا تُسَبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ، فَلَمَقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً - يَغْنِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ - خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً»^(٣) وفي رواية وكيع: «خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ».

= ١٣ / رقم الترجمة (٢٨١)، وقد جرد زوائده على الكتب الستة الحافظ الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، وسماه «كشف الأستار عن زوائد البزار» وقد تم نشره في أربع مجلدات في مؤسسة الرسالة بتحقيق العلامة حبيب الرحمن الأعظمي.

(١) لم نجده في «مسلم» بعد البحث، ولا في المصادر الأخرى التي بين أيدينا.
(٢) هو الإمام العلامة شيخ العراق، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَرِي الحنبلي، أبو عبد الله ابن بطة، صاحب كتاب «الإبانة الكبرى» كان - فيما قيل - مستجاب الدعوة، تُوفي سنة (٣٨٧هـ). مترجم في «السير» ١٦ / رقم الترجمة (٣٨٩).

(٣) الأثر بهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٢٠) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن سفيان، عن نسير بن ذعلوق، قال: سمعت ابن عمر يقول... ورواية وكيع أخرجه ابن ماجه (١٦٢)، وأحمد في «فضائل الصحابة» رقم (١٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٠٦) من طريق وكيع، عن سفيان به، وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير نسير بن ذعلوق وهو ثقة، وثقه ابن معين ويعقوب بن سفيان، وقال ابن عبد البر: هو عندهم من ثقات الكوفيين، وقد تصحف في المطبوع من «السنة» لابن أبي عاصم إلى بسر بن ذعلوق، فقال محققه: لم أعرفه!

وفي «فضائل الصحابة» لأحمد رقم (١٨) من طريق أبي معاوية قال: وأخبرنا رجل عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله عز وجل قد أمر بالاستغفار لهم، وهو يعلم أنهم سيقتلون. وانظر «منهاج السنة» لشيخ الإسلام ١٤ / ٢، فقد نسب إلى ابن بطة، وصحح إسناده من طريق عبد الله بن أحمد، عن أبيه، عن أبي معاوية به. وأخرجه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦) من حديث جابر أن النبي ﷺ قال لهم يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض» قال الحافظ: وهذا صريح في فضل أصحاب الشجرة، فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعة بمكة وبالمدينة وبغيرهما، وعند أحمد بإسناد حسن عن أبي سعيد الخدري قال: =

وفي «الصحيحين» من حديث عمران بن حصين وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْزِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَذْرِي: أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْزِي قَرْزَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، الْحَدِيثُ^(١).

وقد ثبت في «صحيح مسلم»، عن جابر رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَاتَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(٢).

= لما كان بالحديثية قال النبي ﷺ: «لا توقدوا ناراً بليل» فلما كان بعد ذلك، قال: «أوقدوا واصطنعوا، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم».

(١) أخرجه من حديث عمران بن الحصين البخاري (٢٦٥١) و (٣٦٥٠) و (٦٤٢٨) و (٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥)، والترمذي (٢٢٢١) و (٢٢٢٢) و (٢٣٠٣)، وأبو داود (٤٦٥٧)، وأحمد ٤/٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٣٦ و ٤٤٠، والنسائي ١٧/٧ - ١٨، وابن حبان (٢٢٨٥)، والحاكم ٣/٤٧١، والطيالسي (٨٥٢)، والطحاوي في «المشكّل» ٣/١٧٦ و ١٧٧، والطبراني في «الكبير» ١٨/ (٥٢٦) و (٥٢٧) و (٥٢٨) و (٥٢٩) و (١٤٦٩) و (١٤٧٠) و (١٤٧١) و (١٤٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/٧٨ و ٣٩١/٨. وأخرجه من حديث عبد الله بن مسعود البخاري (٢٦٥٢) و (٣٦٥١) و (٦٤٢٩) و (٦٦٥٨)، ومسلم (٢٥٣٣) (٢١٢)، والترمذي (٣٨٥٩)، وابن ماجه (٢٣٦٢)، وأحمد ١/٣٧٨ و ٤١٧ و ٤٣٤ و ٤٣٨ و ٤٤٢، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٧/٩٢، والطيالسي (٢٩٩)، والطحاوي في «مشكّل الآثار» ٣/١٧٦، وابن أبي عاصم (١٤٦٦) و (١٤٦٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٣٧) و (١٠٣٣٨)، والخطيب في «تاريخه» ١٤/٥٣، وأبو نعيم في «الحلية» ٢/٧٨. وأخرجه من حديث أبي هريرة مسلم (٢٥٣٤) (٢١٣)، وأحمد ٢/٢٢٨ و ٤١٠ و ٤٧٩، والطيالسي (٢٥٥٠)، وأخرجه من حديث عمر بن الخطاب الترمذي (٢٣٠٤)، وابن ماجه (٢٣٦٣)، والبزار (٢٧٦٤)، والطحاوي في «المشكّل» ٣/١٧٥ - ١٧٦، والطبراني في «الصغير» ١/١٢٨، وأخرجه من حديث النعمان بن بشير أحمد ٤/٢٦٧ و ٢٧٦ و ٢٧٧، والبزار (٢٧٦٧)، والطحاوي ٣/١٧٧، وأبو نعيم ٢/٧٨ و ٤/١٢٥، وابن أبي عاصم (١٤٧٧). وأخرجه من حديث بريدة الأسلمي أحمد ٥/٣٥٠ و ٣٥٧، وابن أبي عاصم (١٤٧٣) و (١٤٧٤)، وأبو نعيم ٢/٧٨.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٣٨٥٩)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢/٣٤٠، وأخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث جابر بن عبد الله قال: أخبرني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار»

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، الآيات.

ولقد صدّق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم، حيث قال: إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعته برسالته^(١)، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد رضي الله عنه، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم ورّاء نبيه^(٢)، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رآه سيئاً، فهو عند الله سيئ^(٣).

وفي رواية: وقد رأى أصحاب محمد جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر. وتقدّم^(٤) قول ابن مسعود: من كان منكم مستئناً فليستن بمن قد مات... إلخ، عند قول الشيخ: «وتتبع السنة والجماعة».

= إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة: «وإن منكم إلا واردها» فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾». وهو في «المسند» ٣٦٢/٦ و ٤٢٠، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٠٤/١٣، وابن سعد ٤٥٨/٨، وابن أبي عاصم (٨٦١)، والطبراني في «الكبير» ٢٥/ (٢٦٦) و (٢٦٩). وأخرجه من حديث جابر، عن أم مبشر، عن حفصة أحمد ٢٨٥/٦، والبخاري (٣٩٩٤)، وابن أبي عاصم (٨٦٠)، وابن ماجه (٤٢٨١)، والطبراني ٢٣/ (٣٥٨) و (٣٦٣)، وفيه: «ممن شهد بدرًا والحديبية»، وأخرجه أحمد ٣٩٦/٣ من حديث جابر بلفظ: «لن يدخل النار رجل شهد بدرًا والحديبية».

(١) في (ب): لرسالته.

(٢) في الأصول: «دينه»، والمثبت من «المسند».

(٣) أخرجه أحمد ٣٧٩/١، وفي «فضائل الصحابة» (٥٤١)، والطبراني (٨٥٨٢) و (٨٥٨٣) و (٨٥٩٣)، والطيالسي (٢٤٦)، والبخاري (١٠٥)، والبيهقي (١٣٠)، والخطيب في «الفيء والمتفق» ١٦٦/١ - ١٦٧، وسنده حسن، وصححه الحاكم ٧٨/٣، ووافقه الذهبي، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٧٧/١ - ١٧٨، وقال: رواه أحمد والبيهقي، ورجاله موثقون.

(٤) ص ٥٤٦.

فمن أضلُّ ممَّن يكونُ في قلبه غلٌّ لخيارِ المؤمنين، وساداتِ أولياءِ الله تعالى بعدَ النَّبِيِّينَ؟! بل قد فَضَّلْتَهُمُ الْيَهُودُ والنصارى بِخَصْلَةٍ، قيل لليهود: مَنْ خَيْرُ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قالوا: أَصْحَابُ عِيسَى، وقيل للرافضة: مَنْ شَرُّ أَهْلِ مِلَّتِكُمْ؟ قالوا: أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ!! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبُّوهم مَنْ هو خَيْرٌ ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.

وقوله: «ولا تُفْرِطْ في حُبِّ أَحَدٍ منهم» أي: لا نتجاوز الحدَّ في حُبِّ أَحَدٍ منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون مِنَ المعتدين، قلل تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١].

وقوله: «ولا تَتَّبِعُوا مِنْ أَحَدٍ منهم كما فعلتِ الرَّافِضَةُ!» فعندهم لا ولاء إلا لبراء، أي: لا يتولَّى أَهْلَ الْبَيْتِ حتَّى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!! وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤَالُونَهُمْ كُلَّهُمْ، وَيُنْزِلُونَهُمْ مَنْزِلَهُمُ الَّتِي يَسْتَحِقُّونَهَا، بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ، لا بالهوى والتعصب، فإنَّ ذلك كُلُّهُ مِنَ الْبَغْيِ الَّذِي هُوَ مُجَاوِزَةُ الْحَدِّ، كما قال تعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٌ يَنْبَهُنَّ﴾ [الجاثية: ١٧]. وهذا معنى قول مَنْ قال من السَّلف: الشَّهَادَةُ بدعة، والبراءة بدعة، يُروى ذلك عن جماعة مِنَ السَّلفِ، من الصَّحابة والتَّابعين، منهم: أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ، وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ^(١)، وَالضَّحَّاكُ، وغيرهم.

ومعنى الشهادة: أَنْ يَشْهَدَ عَلَى مُعَيَّنٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ أَنَّهُ كَافِرٌ، بِدُونِ الْعِلْمِ بِمَا خَتَمَ اللَّهُ لَهُ بِهِ.

وقوله: «وَحُبُّهُمْ دِينَ وَإِيمَانًا وَإِحْسَانًا» لَأَنَّهُ امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ النُّصُوصِ، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا [بُعْدِي]،

(١) هو الإمام الحافظ فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، اليماني، ثم الكوفي، المتوفى سنة ٩٦ هـ. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ٤ / رقم الترجمة (٢١٣).

فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِإِبْغَضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»^(١).

وتسمية حُب الصحابة إيماناً مشكلاً على الشيخ رحمه الله، لأن الحُبَّ عَمَلُ الْقَلْبِ، وليس هو التصديق، فيكون العملُ داخلًا في مُسمى الإيمان، وقد تقدّم في كلامه: «أَنَّ الإيمانَ هو الإقرارُ باللسانِ والتَّصديقُ بالجنانِ»، ولم يجعل العملَ داخلًا في مسمى الإيمان، وهذا هو المعروفُ من مذهب أبي حنيفة، إلا أن تكونَ هذه التسمية مجازاً.

وقوله: «وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ وَطُغْيَانٌ»: تقدّم الكلام في تكفير أهل البدع، وهذا الكفر نظيرُ الكفر المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. وقد تقدّم الكلام في ذلك.

قوله: «وَتُبِّتُ^(٢) الْخِلَافَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَّلًا لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، تَفْضِيلًا لَهُ وَتَقْدِيمًا عَلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ».

ش: اختلف أهل السُنَّةِ في خلافة الصِّدِّيقِ ﷺ: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟ فذهب الحسنُ البصريُّ وجماعةٌ من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي. وذهب جماعةٌ من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها تَبَيَّنَتْ بالاختيار.

والدليل على إثباتها بالنص أخبار:

مِنْ ذَلِكَ مَا أَسْنَدَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ، قَالَ^(٣): أَتَيْتِ

ثبوت الخلافة
لأبي بكر
الصدِّيقِ ﷺ
بالنص

(١) الترمذي (٣٨٦٢)، وأخرجه أحمد في «المسند» ٨٧/٤ و ٥٤/٥ و ٥٧، وفي «فضائل الصحابة» (١) و (٢) و (٣) و (٤)، وابن أبي عاصم (٩٩٢)، والخطيب في «تاريخه» ١٢٣/٩، وأبو نعيم في «الحلية» ٢٨٧/٨، والبخاري في «تاريخه» ٥/١٣١. وفي سننه عبد الله بن عبد الرحمن، وقيل: عبد الرحمن بن زياد، وقيل: عبد الرحمن بن عبد الله، لم يوثقه غير ابن حبان، وقال ابن معين: لا أعرفه. قال الذهبي: لا يعرف. ومع ذلك فقد حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٢٢٨٤).

(٢) في (ب): وثبت.

(٣) تحرفت في (ب): إلى: «قالت».

امرأة النبي ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهُمَا تُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»^(١). وذكر له سياقاً آخر^(٢)، وأحاديث أخرى. وذلك نص على إمامته.

وحديث حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ»، رواه أهل السنن^(٣).

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْيَوْمِ الَّذِي بُدِئَ فِيهِ، فَقَالَ: «ادْعِي لِي أَبَاكَ وَأَخَاكَ، حَتَّى أَكْتُبَ لَأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا»، ثُمَّ قَالَ: «يَأْبَى اللَّهُ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ». وفي رواية: «فَلَا يَطْمَعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ طَامِعٌ».

وفي رواية: قال: «ادْعِي لِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، لِأَكْتُبَ لَأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لَا يُخْتَلَفُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَخْتَلِفَ الْمُؤْمِنُونَ فِي أَبِي بَكْرٍ»^(٤).

(١) البخاري (٣٦٥٩) و (٧٢٢٠) و (٧٣٦٠)، وأخرجه مسلم (٢٣٨٦)، وأحمد ٤/ ٨٢ و ٨٣، والطحاوي (٩٤٤)، وابن أبي عاصم (١١٥١)، والبغوي (٣٨٦٨).

(٢) انظر الحديث رقم (٧٣٦٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢) و (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧)، وأحمد ٥/ ٣٨٢ و ٣٨٥ و ٣٩٩ و ٤٠٢، وابن أبي شيبة ١١/ ١٢، والحميدي (٤٤٩)، وابن أبي عاصم (١١٤٨) و (١١٤٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٨٣/ ٢ - ٨٤ و ٨٤ و ٨٥، وأبو نعيم في «الحلية» ١٨٥/ ٢. وسنده حسن، وصححه الحاكم ٣/ ٧٥، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان (٢١٩٣) من طريق آخر.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٨٧)، وأحمد ٦/ ٤٧ و ١٠٦ و ١٤٤. والطحاوي (١٥٠٨)، وابن سعد ٣/ ١٨٠، وابن أبي عاصم (١١٥٦) و (١١٦٣)، والبغوي (١٤١١)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٨٥/ ٢، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣٤٣/ ٦، وأخرجه البخاري (٥٦٦٦) و (٧٢١٧) بلفظ: «هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يَأْبَى اللَّهُ ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون».

وأحاديث تُقدِّمه في الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ^(١).

وقد رُوِّجَ في ذلك مرةً بعد مرة، فصلى بهم مدة مرض النبي ﷺ.

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ، عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَتَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَتَزَعَّ مِنْهَا ذَنْبًا أَوْ ذَنْبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ^(٢)، فَلَمْ أَرَ عَبْدًا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي قَرِيئَهُ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ^(٣)».

٢٩٥

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٦٦٤) و (٦٧٩) و (٧١٢) و (٧١٣) و (٧١٦) و (٣٣٨٣) و (٧٣٠٣)، والدارمي ٣٩/١، وأحمد في «المسند» ٩٦/٦ و ١٥٩ و ٢٠٢ و ٢١٠ و ٢٢٤، وفي «فضائل الصحابة» (٨٨) و (٥٨٩)، ومالك ١٧٠/١ - ١٧١، والترمذي (٣٦٧٢)، والنسائي ٩٩/٢ - ١٠٠، وفي «الكبرى» كما في «التحفة» ٣٩٢/١١، و ١٩٤/١٢، وابن ماجه (١٢٣٢)، والبخاري (٨٥٣)، وابن أبي عاصم (١١٦٧)، وابن سعد ٧٩/٣، و ١٧٩ - ١٨٠، والبيهقي ٨١/٣ من حديث عائشة رضي الله عنها. وأخرجه من حديث أبي موسى الأشعري البخاري (٦٧٨) و (٣٣٨٠)، ومسلم (٤٢٠)، وأحمد ٤١٢/٤ - ٤١٣، وابن أبي عاصم (١١٦٤)، وابن سعد ١٧٨/٣، وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٤٠) و (٥٨٢)، وأخرجه من حديث ابن عمر البخاري (٦٨٢)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٣٤١/٥، وأخرجه من حديث العباس أحمد في «المسند» ٢٠٩/١، وفي «فضائل الصحابة» (٧٩) و (٨٠)، وصححه ابن حبان (٢١٧٤).

(٢) هذه رواية البخاري في موضعين من «صحيحه» (٣٦٦٤) و (٧٠٢١)، ورواية مسلم (٢٣٩٢)، ولفظه في بعضها: «ثم أخذها عمر، فاستحالت غرباً» ولفظ بعضها من حديث ابن عمر: «ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر، فاستحالت في يده غرباً».

(٣) البخاري (٣٦٦٤) و (٧٠٢١) و (٧٠٢٢) و (٧٤٧٥)، ومسلم (٢٣٩٢)، وأخرجه أحمد ٣٦٨/٢ و ٤٥٠، وابن أبي شيبة ٢١/١٢ - ٢٢، والبخاري (٣٨٨١) و (٣٨٨٢) و (٣٨٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣٤٤/٦، كلهم من حديث أبي هريرة. وأخرجه من حديث ابن عمر البخاري (٣٦٣٣) و (٣٦٧٦) و (٣٦٨٢) و (٧٠١٩) و (٧٠٢٠)، ومسلم (٢٣٩٣)، والترمذي (٢٢٨٩)، وأحمد ٢٧/٢ و ٢٨ و ٣٩ و ٨٩ و ١٠٤ و ١٠٧، وابن أبي شيبة ٢١/١٢.

وفي «الصحيح» أنه ﷺ قال على منبره: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، لَا يَبْقَيْنُ فِي الْمَسْجِدِ خَوْفَةٌ إِلَّا سُدَّتْ، إِلَّا خَوْفَةُ أَبِي بَكْرٍ»^(١).

وفي «سنن أبي داود» وغيره، من حديث الأشعث، عن الحسن، عن أبي بكرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ أَنَا رَأَيْتُ [كَأَنَّ] مِيزَانًا أَنْزَلَ^(٢) مِنَ السَّمَاءِ، فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ وَزَنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ، فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ [المِيزَانُ]، فَرَأَيْتُ الْكَرَاهَةَ فِي وَجْهِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:

= وقوله: «على قلب» أي: على بشر، وقوله: «ذنوباً أو ذنوبين» الذنوب: الدلو الممثلة. قال الشافعي في «الأم»: ومعنى قوله: «وفي نزع ضَعْف»: قصر مدته، وعجلة موته، وشغله بالحرب لأهل الردة عن الافتتاح والازدياد الذي بلغه عمر في طول مدته. وقوله: «ثم استحالت غرباً» الغرب - بفتح الغين المعجمة وإسكان الراء -: الدلو العظيم يسقى به البعير، فهي أكبر من الذنوب، أي تحولت من الصغر إلى الكبر. وقوله: «فلم أر عبقرياً يفري فَرِيَّه» العبقرى، قال أبو عمرو الشيباني: عبقرى القوم: سيدهم وقويهم وكبيرهم، وقال الفارابي: العبقرى من الرجال الذي ليس فوقه شيء، وذكر الأزهري أن «عبقر» موضع بالبادية، وقيل: بلد كان ينسج فيه البسط الموشية، فاستعمل في كل شيء جيد، وفي كل شيء فائق، وقال الفراء: العبقرى: السيد وكل فاخر من حيوان وجوهر وبساط وضعت عليه، وأطلقوه في كل شيء عظيم في نفسه وقوله: «يفري فَرِيَّه» بفتح الفاء وكسر الراء وتشديد التحتانية المفتوحة، وروي بسكون الراء، والتخفيف، ومعناه: يعمل عمله، ويقطع قطعه، وقوله: «حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بَعْطَنَ» العطن - بفتح المهملة ونون - آخره النون -: هو ما يعد للشرب حول البشر من مبارك الإبل، والمراد بقوله: «ضَرَبَ» أي: ضَرَبَ الإبل بَعْطَنَ: بركت، والعَطَنُ للإبل كالوطن للناس، لكن غلب على مبركها حول الحوض، ووقع في رواية أبي بكر بن سالم، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، عند أبي بكر بن أبي شيبة ٦٢/١١ و ٢١/١٢: «حتى روي الناس وضربوا بَعْطَنَ».

(١) تقدم تخريجه ص ١٦٤.

(٢) سقطت من (ب)، وفي المطبوع من سنن أبي داود: «نزل» وفي «المسند» وابن أبي عاصم: دُلِّي.

«خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ»^(١).

فَبَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ وَلَايَةَ هَؤُلَاءِ خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مُلْكٌ.

وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ عَلِيٍّ ﷺ، لِأَنَّهُ لَمْ يَجْتَمِعِ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ، بَلْ كَانُوا مُخْتَلِفِينَ، لَمْ يَنْتَظِمِ فِيهِ خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ وَلَا الْمُلْكِ^(٢).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ جَابِرٍ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَأَى^(٣) اللَّيْلَةَ رَجُلًا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نَيْطُ بَرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَيْطُ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ، وَنَيْطُ عُثْمَانُ بِعُمَرَ»، قَالَ جَابِرٌ: فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْنَا: أَمَّا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَّا الْمَنُوطُ^(٤) بَعْضُهُمْ يَبْغِضُ، فَهَمُ وَلَاؤُهُ هَذَا الْأَمْرَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ^(٥).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٣٤) وَ (٤٦٣٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٢٨٧)، وَأَحْمَدُ (٤٤/٥ وَ ٥٠، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ (١١٣٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١٨/١٢)، وَالحَاكِمُ (٧٠/٤ - ٧١، وَالبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَالِلِ النُّبُوَّةِ» ٣٤٨/٦ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ، وَهُوَ صَحِيحٌ دُونَ قَوْلِهِ: «خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ» فَإِنَّهَا ضَعِيفَةٌ لِتَفَرُّدِ عَلِيٍّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ بِهَا، وَهُوَ ضَعِيفٌ، لَكِنْ يَشْهَدُ لَهَا حَدِيثُ سَفِينَةَ الْآتِي، فَهِيَ صَحِيحَةٌ بِهِ. (٢) وَيُرَدُّ عَلَى مَا فَهَمَهُ الشَّارِحُ مِنَ الْحَدِيثِ مَا سَيَأْتِي فِي حَدِيثِ سَفِينَةَ ﷺ، وَفِيهِ: «خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً» فَإِنْ خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ سَنَتَانِ، وَخِلَافَةُ عُمَرَ عَشْرَ سَنِينَ، وَخِلَافَةُ عُثْمَانَ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً، وَخِلَافَةُ عَلِيٍّ سِتَّ سَنِينَ، فَيَكُونُ الْمَجْمُوعُ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي خِلَافَةِ النُّبُوَّةِ مَعَ الثَّلَاثَةِ ﷺ، وَعَنْ جَمِيعِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ. وَانْظُرْ «دَلَالِلِ النُّبُوَّةِ» ٣٤١/٦ - ٣٤٢.

(٣) فِي «سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ»: أَرَى.

(٤) فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ: «أَمَا تَنْوُطُ».

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٣٦)، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ (١١٣٤)، وَأَحْمَدُ (٣٥٥/٣)، وَالحَاكِمُ (٧١/٣ - ٧٢، وَصَحَّحَهُ هُوَ وَالذَّهَبِيُّ مَعَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ أَبَانَ رَاوَاهُ عَنْ جَابِرٍ لَمْ يُوَثِّقْهُ غَيْرُ ابْنِ حَبَانَ (٢١٦/٧)، وَقَالَ: رَوَى عَنْ جَابِرٍ، فَلَا أُدْرِي أَسْمَعُ مِنْهُ أَمْ لَا. وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ بِإِثْرِهِ: وَرَوَاهُ يُونُسُ وَشُعَيْبٌ لَمْ يَذْكُرَا عَمْرُو بْنَ أَبَانَ، قَالَ الْخَطَّابِيُّ فِي «مَعَالِمِ السَّنَنِ» ٣٠٥/٤ - ٣٠٦: قَوْلُهُ: «نَيْطُ» مَعْنَاهُ: «عَلَّقَ»، وَالتَّوْطُ: التَّعْلِيقُ، وَالْأَنْوَاطُ: جَمْعُ نَوَاطٍ، وَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ مَعْلُوقٍ. يَقُولُ: هُوَ يَتَنَاوَلُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مَعَالِيقٌ، يَضْرِبُ لِمَنْ يَدْعِي مَا لَيْسَ يَمْلِكُهُ.

رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْتُ كَأَنَّ دُلُوءًا ذُلِّي مِنَ السَّمَاءِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ شَرْبًا ضَعِيفًا، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتَشِطَتْ مِنْهُ، فَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ^(١).

وعن سعيد بن جُمَهان، عن سَفِينَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خِلَافَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ أَوْ الْمَلِكُ»^(٢).

واحتجَّ من قال: لَمْ يَسْتَخْلَفْ بِالْخَبَرِ الْمَأْثُورِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلَفْتُ، فَقَدْ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ، وَإِنْ لَا اسْتَخْلَفْتُ، فَلَمْ يَسْتَخْلَفْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ^(٣).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٧)، وأحمد ٢١/٥، وابن أبي عاصم (١١٤١)، والطبراني في «الكبير» (٦٩٦٥). وفي سنده عبد الرحمن الجرمي، لم يوثقه غير ابن حبان وما حدث عنه سوى ولده الأشعث. وقوله: «ذُلِّي مِنَ السَّمَاءِ» يريد: أرسل، يقال: أدليت الدلو، إذا أرسلتها، ودلوها: إذا نزعته. و«العراقي»: أعواد يخالف بينها، ثم تشد في عرى الدلو، ويعلق بها الحبل، واحدها عرقوة. «معالم السنن» ٤/٣٠٦، وقوله: فانتشطت منه: أي: جذبت منه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣١٣/٤، وأحمد ٢٢٠/٥ - ٢٢١ في «المسند»، وفي «فضائل الصحابة» (٧٨٩) و (٧٩٠) و (١٠٢٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» ٥٦٢/٢، والطبراني في «الكبير» (١٣) و (١٣٦) و (٦٤٤٢)، والطيالسي (١١٠٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣٤١/٦، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٥٢) من طرق عن سعيد. وسنده حسن، وحسنه الترمذي (٢٢٢٦). وصححه ابن حبان (١٥٣٤) و (١٥٣٥)، والحاكم ٧١/٣ و ١٤٥، ووافقه الذهبي، وله شاهد من حديث أبي بكر الثقفى، وفي سنده ابن جدعان، وهو ضعيف، وقد تقدم قريباً، وآخر من حديث جابر بن عبد الله عند الواحدي في تفسيره «الوسيط» ٢/١٢٦/٣، وفي سنده من لا يعرف، فيصح الحديث بهما. وزاد الترمذي وغيره: قال سفينه: أمسك خلافة أبي بكر ﷺ سنتين، وخلافة عمر ﷺ عشر سنين، وخلافة عثمان ﷺ اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي ﷺ ست سنين.

(٣) أخرجه البخاري (٧٢١٨)، وأحمد ٤٣/١، والترمذي (٢٢٢٥)، ورواه أحمد =

وبما رُوِيَ عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئِلَتْ من كان رسولُ الله ﷺ مُسْتَخْلِفاً لو استخلف^(١)؟

والظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كَتَبَ عهداً، لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثُمَّ تركه، وقال: «يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر»^(٢).

فكان هذا أَبْلَغَ مِنْ مُجَرِّدِ النِّعْدِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَلَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى اسْتِخْلَافِ أَبِي بَكْرٍ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَيْهِ بِأُمُورٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَأَخْبَرَ بِخِلَافَتِهِ إِخْبَارَ رَاضٍ بِذَلِكَ، حَامِدٍ لَهُ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يَكْتُبَ بِذَلِكَ عَهْداً، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَتَرَكَ الْكِتَابَ اكْتِفَاءً بِذَلِكَ، ثُمَّ عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ فِي مَرَضِهِ يَوْمَ الْخَمِيسِ، ثُمَّ لَمَّا حَصَلَ لِبَعْضِهِمْ شَكٌّ: هَلْ ذَلِكَ الْقَوْلُ مِنْ جِهَةِ الْمَرَضِ؟ أَوْ هُوَ قَوْلٌ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ^(٣)؟ تَرَكَ الْكِتَابَةَ، اكْتِفَاءً بِمَا عَلِمَ

٢٩٦

= ٤٧/١، ومسلم (١٨٢٣)، وأبو داود (٢٩٣٩)، فزادوا فيه: قال (القائل عبد الله بن عمر): فوالله ما هو إلا أن ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر، فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله ﷺ أحداً، وأنه غير مستخلف. لفظ أحمد.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٥) من طريق ابن أبي مليكة قال: سمعتُ عائشة وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقبل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا. وانظر: «المسند» ٦/٦٣، وابن سعد ٣/١٨١ وفي «الكنى» للدولابي ٣٩/٢، و«فضائل الصحابة» لأحمد (٢٠٣) و (٢٠٤) و (١٢٨٦).

(٢) تقدم تخريجه ص ٦٩٨.

(٣) أخرج البخاري (٧٣٦٦) ومسلم (١٦٣٧) (٢٢) من طريق معمر، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: لما حضر النبي ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبي ﷺ: «هلم (وفي رواية: إيتوني بكتاب) أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده» فقال عمر: إن النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندكم القرآن، فحسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت، واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغط والاختلاف عند النبي ﷺ قال: «قوموا عني» قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولعظهم. وأخرجه البخاري أيضاً (١١٤) و (٣٠٥٣)=

أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر.

فلو كان التَّعْيِينُ مما يَشْتَبِهُ على الأُمَّة، لَبَيَّنَهُ بياناً قاطعاً لِلْعُذْرِ، لكن لما دَلَّهم دَلالاتٌ متعددة على أَنَّ أبا بكر المُتَّعَيْنُ، وفهموا ذلك، حَصَلَ المقصودُ، ولهذا قال عُمَرُ رضي الله عنه، في خُطْبته التي خطبها بِمَخْضَرٍ مِنَ المهاجرين والأنصار: أَنتَ خَيْرُنَا وَسَيِّدُنَا وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ^(١)، ولم يُنْكِرْ ذلك منهم أحدٌ، ولا قال أحدٌ من الصَّحابة: إِنَّ غَيْرَ أَبِي بكرٍ من المهاجرين أحقُّ بالخلافة منه، ولم يُنازِعْ أحدٌ في خلافته إلا بعضُ الأنصار، طمعاً في أن يكونَ من الأنصار أميرٌ، ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوصِ المتواترة عن النَّبِيِّ ﷺ بطلانه.

= و (٣١٦٨) و (٤٤٣١) و (٤٤٣٢) و (٥٦٦٩) و (٧٣٦٦). وفي بعضها ومسلم: أن ذلك كان يوم الخميس.

قال القرطبي فيما نقله عنه الحافظ في «الفتح» ٢٠٨/١ - ٢٠٩: وكان حق المأمور أن يبادر للامتنال، لكن ظهر لعمر رضي الله عنه مع طائفة أنه ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، فكرهوا أن يكلفوه من ذلك ما يشق عليه في تلك الحالة مع استحضارهم قوله تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ وقوله تعالى: ﴿تبياناً لكل شيء﴾ ولهذا قال عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله، وظهر لطائفة أخرى أن الأولى أن يكتب لما فيه من امتثال أمره وما يتضمنه من زيادة الإيضاح، ودل أمره لهم بالقيام على أن أمره الأول كان على الاختيار، ولهذا عاش رضي الله عنه بعد ذلك أياماً، ولم يعاود أمرهم بذلك، ولو كان واجباً لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف، وقد كان الصحابة يراجعونه في بعض الأمور ما لم يجرم بالأمر، فإذا اعتزم امتثلوا. قال الحافظ: واختلف في المراد بالكتاب، فقيل: كان أراد أن يكتب كتاباً ينص فيه على الأحكام ليرتفع الاختلاف، وقيل: بل أراد أن ينص على أسامي الخلفاء بعده حتى لا يقع بينهم الاختلاف، قاله سفيان بن عيينة، ويؤيده أنه رضي الله عنه قال في أوائل مرضه وهو عند عائشة: «ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن، ويقول قائل، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» أخرجه مسلم (٢٣٨٧) وللمصنف (أي البخاري) معناه، ومع ذلك فلم يكتب، والأول أظهر، لقول عمر: كتاب الله حسبنا، أي: كافينا، مع أنه يشمل الوجه الثاني؛ لأنه بعض أفرادها، والله أعلم.

(١) هي في البخاري، وسيذكرها الشارح قريباً.

ثم الأنصار كُلُّهم بايعوا أبا بكر، إلا سَعْدَ بن عبادَةَ، لكونه^(١) هو الذي كان يَطْلُبُ الْوِلَايَةَ، ولم يَقُلْ أَحَدٌ من الصَّحَابَةِ قَطُّ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَصَّ عَلَى غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ، لا عَلِيٍّ، ولا العباسُ، ولا غيرُهما، كما قد قال أهل البدع!

وروى ابنُ بطة بإسناده: أن عُمَرَ بن عبد العزيز بعثَ محمدَ بن الزبير الحنظلي^(٢) إلى الحسن، فقال: هل كان النَّبِيُّ ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال: أو في شكٍّ صَاحِبُكَ؟ نعم، واللَّهِ الذي لا إِلَهَ إلا هو استخلفه، لَهُوَ كان أتقى لله من أن يتوَتَّبَ عليها.

وفي الجملة: فجميعُ من نُقِلَ عنه أَنَّهُ طَلَبَ تَوَلِيَةَ غَيْرِ أَبِي بَكْرٍ، لم يذكر حُجَّةً دِينِيَّةً شَرْعِيَّةً، ولا ذكر أن غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ أَفْضَلُ منه، أو أَحَقُّ بها، وإنما نشأ من حُبِّ قَبِيلَتِهِ وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، وحَبَّ رسولِ اللَّهِ ﷺ له، ففي «الصحيحين» عن عمرو بن العاص: أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعثه على جيش ذاتِ السَّلاسلِ، فَأَتَيْتُهُ، فقلت: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: «عائِشَةُ»، قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قال: «أبوها»، قلت: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «عمر» وعدَّ رجالاً^(٣).

وفيهما أيضاً، عن أبي الدرداء، قال: كُنْتُ جالِساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذاً بِطَرَفِ ثَوْبِهِ، حَتَّى أَبْدَى عَن رُكْبَتَيْهِ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ، فَقَدْ غَامَرَ»، فَسَلَّمَ، وقال: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي، فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فقال: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ»، ثلاثاً، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزَلَ أَبِي

٢٩٧

(١) في (ب): لكونه كان هو الذي يطلب.

(٢) ضعفه ابن معين والنسائي، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي، في حديثه إنكار، وقال البخاري: منكر الحديث، وفيه نظر، وكان شعبة لا يرضاه، وقال ابن عدي: بصري كوفي الأصل، قليل الحديث، والذي يرويه غرائب وأفراد. مترجم في «تهذيب التهذيب» ١٦٧/٩.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٩٧.

بكر، فسأل: أئنم هو^(١)؟ فقالوا: لا، فأتى النبي ﷺ، فسلم عليه، فجعل وجه النبي ﷺ يتممر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، واللّه أنا كُنْتُ أَظْلَمَ مرتين، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي؟» مرتين، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا^(٢).

ومعنى: غامر: غاضب وخاصم^(٣)، وَيَضِيقُ هَذَا الْمُخْتَصَرُ عَنْ ذِكْرِ فضائله.

وفي «الصحيحين» أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مات وأبو بكر بالسُّنْحِ^(٤) - فَذَكَرَتِ الْحَدِيثَ - إِلَى أَنْ قَالَتْ: وَاجْتَمَعَ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ، فَقَالُوا: مَنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَذَهَبَ عُمَرُ يَتَكَلَّمُ، فَأَسْكَنَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنِّي هَيَأْتُ فِي نَفْسِي كَلَاماً قَدْ أَعْجَبَنِي، خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْلُغَهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ تَكَلَّمْتُ أَبُو بَكْرٍ، فَتَكَلَّمْتُ أَبْلَغُ^(٥) النَّاسِ، فَقَالَ فِي كَلَامِهِ: نَحْنُ الْأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمْ

(١) في البخاري: أئنم أبو بكر.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٦١) و (٤٦٤٠)، ولم يخرجته مسلم، وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» ٢/٢٨٨، ورواه باختصار ابن أبي عاصم (١٢٢٣).

(٣) الفتح ٢٥/٧ أي: دخل في غمرة الخصومة، والغامر، الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحرب وغيره، وقيل: من الغمر بكسر المعجمة، وهو الحقد، أي: صنع أمراً اقتضى له أن يحقد على من صنعه معه ويحقد الآخر عليه.

(٤) السُّنْحُ - بضم السين وسكون النون ويجوز ضمها -: طرف من أطراف المدينة بعواليها، كان بينها وبين منزل النبي ﷺ ميل، وكان بها منزل أبي بكر الصديق.

(٥) نصب: «أبلغ» على الحالية، ويجوز رفعه على أنه فاعل، أي: تكلم رجل هذه صفته، وقال السهيلي: النصب أوجه؛ ليكون تأكيداً لمدحه وصرف الوهم عن أن يكون أحد موصوفاً بذلك غيره، وفي رواية ابن عباس: قال: قال عمر: والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قالها في بديهته، أو مثلها أو أفضل حتى سكت. انظر «سيرة ابن هشام» ٣٠٩/٤ - ٣١٠.

الْوَزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا ^(١) نَفْعَلُ، مَنَا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، لَا وَلَكِنَّا الْأَمْرَاءُ، وَأَنْتُمْ الْوَزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ، وَأَعَزُّهُمْ أَحْسَابًا، فَبَايَعُوا عُمَرَ أَوْ ^(٢) أَبَا عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ عُمَرُ: بَلْ تُبَايِعُكَ، فَأَنْتَ سَيِّدُنَا، وَخَيْرُنَا، وَأَحَبُّنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ عُمَرُ بِيَدِهِ، فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَهُ النَّاسُ، فَقَالَ قَاتِلُ: قَتَلْتُمْ سَعْدًا ^(٣)، فَقَالَ عُمَرُ: قَتَلَهُ اللَّهُ ^(٤).

وَالسُّنْحُ: الْعَالِيَةُ، وَهِيَ حَدِيقَةٌ مِنْ حَدَائِقِ الْمَدِينَةِ مَعْرُوفَةٌ بِهَا.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ».

ش: أَيِ وَثُبِتَ ^(٥) الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَذَلِكَ بِتَفْوِضِ أَبِي بَكْرٍ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ، وَاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ بَعْدَهُ عَلَيْهِ. وَفَضَائِلُهُ ﷺ أَشْهُرُ مِنْ أَنْ تُنْكَرَ، وَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ. فَقَدْ رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي: يَا أَبَتِ، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، أَوْ مَا تَعْرِفُ؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَ: أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: عُمَرُ، وَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَ: ثُمَّ عَثْمَانُ فَقُلْتُ: ثُمَّ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مَا أَنَا إِلَّا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ^(٦).

خلافة عمر
الفاروق ﷺ

(١) (أ) و (ج): مَا.

(٢) فِي (ب): «و»، وَهُوَ خَطَأً.

(٣) فِي الْبُخَارِيِّ: سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٦٨)، وَلَمْ نَجِدْهُ فِي مُسْلِمٍ.

(٥) فِي (ب): وَثُبِتَ.

(٦) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٦٧١)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٦٢٩)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ١٢/١٢، وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ (١٢٠٤) وَ (١٢٠٦)، وَالْبَغَوِيُّ (٣٨٧١) وَهُوَ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» لِأَحْمَدَ (١٣٦) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ قَدَامَةَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ (الْقَاتِلُ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ قَدَامَةَ، هُوَ الْقَطِيعِيُّ، وَلَيْسَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَلَا ابْنُهُ فَإِنْ وَفَاةُ أَحْمَدَ ٢٤١ هـ وَوفاة ابنه ٢٩٠ هـ) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِقَاتٍ، حَدَّثَنَا الْفَرَاتُ بْنُ خَالِدٍ وَسَفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عَنْ جَامِعِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، عَنْ مَنْذَرِ الثَّوْرِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ... فَهُوَ مِنْ زِيَادَاتِ الْقَطِيعِيِّ.

وَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ ﷺ: «اَقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ»^(١).

٢٩٨

وفي «صحيح مسلم»، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وَضِعَ عُمَرُ عَلَى سُرِيرِهِ، فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ، وَيُثْنُونَ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُزْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَلَمْ يُرْغَنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ عَلَيَّ، فَتَرَحَّمَ عَلَيَّ عُمَرُ، وَقَالَ: مَا خَلَّفْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَإِنَّمِ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لَأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ كَثِيرًا مَا أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو، أَوْ لَأُظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا»^(٢).

وَتَقَدَّمَ^(٣) حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي رُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَزْعِهِ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ نَزَلَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ اسْتَحَالَتِ الدَّلُوءُ غَرْبًا، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرْ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ.

وفي «الصحيحين»، من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ: قَالَ: اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ، يُكَلِّمْنَهُ، عَالِيَةً أَصَوَاتُهُنَّ، الْحَدِيثُ... وفيه فقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِيهَأْ يَا ابْنُ الْخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»^(٤).

(١) تقدم تخريجه ص ٦٩٧.

(٢) أخرجه من حديث ابن عباس البخاري (٣٦٧٧) و (٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩)، وابن ماجه (٩٨)، وابن أبي عاصم (١٢١٠)، والبيهقي (٣٨٩١)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٤)، وأحمد ١/ ١١٢، وفي «فضائل الصحابة» (٣٢٧)، وابن شبة في «تاريخ المدينة» ٣/ ٩٤١.

(٣) انظر: ص ٧٠١ ت (٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٩٤) و (٣٦٨٣) و (٦٠٨٥)، ومسلم (٢٣٩٦)، وأحمد ١/ ١٧١ و ١٨٢ و ١٨٧، وفي «فضائل» (٣٠١) و (٣٢٦)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٢٨) وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٠٧)، والبيهقي (٣٨٧٤)، وابن أبي عاصم (١٢٥٣) و (١٢٥٤)، وابن أبي شبة ١٤/ ٣٠. و «إِيهَأْ» بكسر الهمزة منوناً منصوباً، ومعناها: لا تبدئنا بحديث، وفي رواية: «إِيه» بالكسر والتنوين، ومعناها: =

وفي «الصحيحين» أيضاً، عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: «قَدْ كَانَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ»^(١).

قال ابن وهب: تفسير محدثون: مُلْهَمُونَ^(٢).

قوله: «ثُمَّ لِعُثْمَانَ ﷺ».

خلافة عثمان

ﷺ

ش: أي: وثُبِتَتِ الخلافةُ بعدَ عمرَ لعثمانَ رضي الله عنهما، وقد ساق البخاري ﷺ قِصَّةَ قَتْلِ عُمَرَ ﷺ، وأمرَ السُّورِي والمبايعَةِ لعثمانَ في «صحيحه»، فأحْبَبْتُ أَنْ أُسَرِّدَهَا كَمَا رَوَاهَا بِسَنَدِهِ: عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِالْمَدِينَةِ بِأَيَّامِ^(٣)، وَوَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، فَقَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُمَا؟ أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ؟ قَالَا: حَمَلْنَاهَا أَمْرًا هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَثِيرٌ^(٤) فَضْلٍ: قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَلْتُمَا الْأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ؟ قَالَا: لَا،

= حدثنا ما شئت، والفج: الطريق الواسع، ومنه قوله سبحانه: ﴿سَبِيلًا فَجَاجًا﴾ أي: طرقات واسعة.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٩) و (٣٦٨٩)، ومسلم (٢٣٩٨)، وابن أبي شيبة ٢٢/١٢، وأحمد في «المسند» ٢/ ٣٣٩، والبغوي (٣٨٧٣)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٩) من حديث أبي هريرة، وفي الباب عن عائشة عند مسلم (٢٣٩٨)، والترمذي (٣٦٩٣)، وأحمد ٥٥/٦ في «المسند» وفي «الفضائل» (٥١٦) و (٥١٧)، والفسوي في «تاريخه» ٤٥٧/١ و ٤٦١، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٨)، والحميدي (١٢٥٣)، والحاكم ٨٦/٣.

(٢) قال ابن الأثير في جامع «الأصول» ٨/ ٦١٠ الطبعة الشامية: أراد بقوله: «محدثون» أقواماً يصيبون إذا ظنوا وحّدسوا، فكأنهم قد حدثوا بما قالوا، وقد جاء في الحديث تفسيره: «أنهم ملهَمُونَ» والمْلَهَمُ: الذي يُلْقَى فِي نَفْسِهِ الشَّيْءُ، فَيُخْبِرُ بِهِ حَدَسًا وَظَنًّا وَفِرَاسَةً، وَهُوَ نَوْعٌ يَخْتَصُّ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى، مِثْلَ عُمَرَ ﷺ.

(٣) في البخاري: بِأَيَّامِ الْمَدِينَةِ.

(٤) في البخاري: «كَبِيرٌ».

فقال عُمَرُ: لئن^(١) سلّمني الله، لأدعنّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَخْتَجِنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ^(٢) حَتَّى أُصِيبَ.

قَالَ: إِنِّي لِقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةً أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفِّينِ قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ^(٣) حُلَلًا تَقْدُمُ [فَكَبَّرَ، وَرَبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى، حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ^(٤)، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي، أَوْ أَكَلَنِي الْكَلْبُ، حِينَ^(٥) طَعَنَهُ، فَطَارَ الْعِلْجُ بِسَكِينِ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ، ٢٩٩ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ، فَقَدْ يَرَى^(٦) الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عَمْرٍ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً خَفِيفَةً^(٧)، فَلَمَّا انْصَرَفُوا، قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي؟ فَجَالَ سَاعَةً، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: غُلَامٌ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنْعُ^(٨)؟ قَالَ: نَعَمْ،

(١) فِي الْأَصُولِ: «إِنْ»، وَالْمُثَبَّتُ مِنَ الْبُخَارِيِّ.

(٢) فِي الْبُخَارِيِّ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ.

(٣) فِي الْبُخَارِيِّ: فِيهِمْ.

(٤) مَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنَ الْبُخَارِيِّ.

(٥) فِي (ب): «حَتَّى»، وَمَا فِي (أ) مُوَافِقٌ لِرَوَايَةِ الْبُخَارِيِّ.

(٦) فِي الْبُخَارِيِّ: رَأَى.

(٧) فِي رَوَايَةِ أَبِي إِسْحَاقَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: «بِأَقْصَرِ سُورَتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ، وَإِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ» وَزَادَ فِي رَوَايَةِ ابْنِ شَهَابٍ الزَّهْرِيُّ عِنْدَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ (٩٧٧٥): فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: فَاحْتَمَلْنَا عَمْرَ أَنَا وَنَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى أَدْخَلْنَاهُ مَنْزِلَهُ، فَلَمْ يَزَلْ فِي غَشِيَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى أَسْفَرَ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّكُمْ لَنْ تَفْزَعُوهُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ، قَالَ: فَقُلْنَا: الصَّلَاةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَفَتَحَ عَيْنَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَاحِظٌ فِي الْإِسْلَامِ لِأَحَدٍ تَرَكَ الصَّلَاةَ. ثُمَّ صَلَّى وَجَرَحَهُ يَثْعَبَ دَمًا.

(٨) الصَّنْعُ - بَفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَالنُّونِ -: الْمَاهِرُ الْحَازِقُ فِي الصَّنَاعَةِ، وَفِي رَوَايَةِ ابْنِ فَضِيلٍ =

قال: قاتله الله، فلقد أَمَرْتُ به معروفًا! الحمد لله الذي لم يجعل منيتي^(١) بِبَيْدِ رَجُلٍ يَدْعِي الإسلامَ، قد كُنْتُ أَنْتَ وأبوك تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بالمدينة، وكان العباسُ أَكْثَرَهُمْ رَقِيقًا، فقال: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ، أَي: إِنْ شِئْتَ، قَتَلْنَا، فقال: كَذَبْتَ^(٢)، بعد ما تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلُّوا قِبَلَتَكُمْ، وَحَجُّوا حَجَّكُمْ! فَاحْتَمِلْ إِلَى بَيْتِهِ، فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَانَ النَّاسُ لَمْ تُصْنِبْهُمْ مَصِيبَةً قَبْلَ يَوْمِئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ عَلَيْهِ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُ بَنِيئِي^(٣) فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ^(٤)، ثُمَّ أَتَيْتُ بَلْبِنَ فَشَرِبَهُ، فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ مَيِّتٌ.

فدخلنا عليه، وجاء الناسُ يُثْنُونَ عليه، وجاء رجلٌ شابٌّ، فقال: أَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ لَكَ، مِنْ صُخْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَقَدِمَ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتُ، ثُمَّ وَلَيْتَ فَعَدَلْتُ، ثُمَّ شَهِدْتُ، قَالَ وَدِدْتُ أَنْ ذَلِكَ كَانَ^(٥) كِفَافًا، لَا عَلَيَّ وَلَا لِي، فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ^(٦) يَمَسُّ الْأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ الْعُلَامَ، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، ازْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَنْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَثَقَى لِرَبِّكَ، يَا عَبْدَ اللَّهِ بَنَ عَمْرٍ، انْظُرْ مَا عَلَيَّ مِنَ الدِّينِ، فَحَسْبُوه، فوجدوه سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَنَحْوَهُ^(٧)، قَالَ: إِنَّ^(٨) وَفَى لَهُ مَالُ آلِ عَمْرٍ، [فَأَذَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ]، وَإِلَّا فَسَلَّ فِي بَنِي عَدِي بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ^(٩)، فَسَلَّ فِي قَرِيشٍ، وَلَا

= عن حصين عند ابن أبي شيبة ٥٧٥/١٤، وابن سعد: «الصناع» بتخفيف النون، قال أهل اللغة: رجل صنَّعَ اليد واللسان، وامرأة صناعُ اليد، وحكى أبو زيد: الصناع، والصنع يقعان معاً على الرجل والمرأة. وفي المثل: «تحسبها خرقاء وهي صناع».

- (١) في البخاري: ميتني.
- (٢) أهل الحجاز يقولون: «كذبت» في موضع «أخطأت».
- (٣) هو نقيع التمر كانوا يصنعون ذلك لاستعذاب الماء.
- (٤) قال الحافظ: في رواية الكشميهني: من جرحه، وهي أصوب.
- (٥) سقطن من (ب)، ولفظ البخاري: وددت أن ذلك كفاف.
- (٦) في الأصول: ردائه، والمثبت من البخاري.
- (٧) في البخاري: «أو نحوه».
- (٨) «إن» سقطت من (أ) و (ب) و (ج).
- (٩) في الأصول زيادة: «وإلا».

تَغْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَذَّ عَنِي هَذَا الْمَالَ. انْطَلَقَ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَقُلْتُ: يقرأ عليك [عُمَرُ] السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيرًا، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُذْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ، فَسَلِّمْ وَاسْتَأْذِنْ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يقرأ عليك عُمَرُ [ابن الخطاب] السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُذْفَنَ مَعَ صَاحِبِيهِ، قَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلَا وَثِرَ^(١) بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ، قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارفعوني، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ، قَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَذِنْتُ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ شَيْءٌ^(٢) أَحَبَّ^(٣) إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ، فَاحْمِلُونِي، ثُمَّ سَلِّمْ، فَقُلْتُ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنْتُ لِي، فَأَدْخُلُونِي، وَإِنْ رَدْتَنِي، فَرُدُّونِي^(٤) إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ. وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسْرُبُ^(٥) مَعَهَا فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا، قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ، فَبَكَتْ عِنْدَهُ سَاعَةً^(٦)، وَاسْتَأْذَنَ الرَّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلًا لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّخْلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اسْتَخْلَفَ، قَالَ: مَا أَجِدُ^(٧) أَحَقَّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَوْ الرَّهْطِ، الَّذِينَ تُؤْفِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيًّا، وَعِثْمَانَ^(٨)، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْدًا، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ،

(١) فِي الْبُخَارِيِّ: وَلَا وَثِرَهُ.

(٢) تَحَرَّفَتْ فِي الْأَصُولِ إِلَى: «شَيْئًا».

(٣) فِي الْبُخَارِيِّ: مَا كَانَ مِنْ شَيْءٍ أَهَمَّ.

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

(٥) أَي: تَمْضِي، وَفِي الْبُخَارِيِّ: تَسِيرُ.

(٦) ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ ٣٦١/٣ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ الْمَقْدَامِ بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، وَيَا صَهِرَ رَسُولِ اللَّهِ، وَيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عُمَرُ لَابْنُ عُمَرَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَجْلِسْنِي، فَلَا صَبْرَ لِي عَلَى مَا أَسْمَعُ، فَأَسْنَدَهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَقَالَ لَهَا: إِنِّي أَحْرَجُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَنْدَبِيَنِي بَعْدَ مَجْلِسِكَ هَذَا، فَأَمَّا عَيْنُكَ فَلَا أَمْلِكُهَا.

(٧) فِي (ب): أَحَدٌ.

(٨) فِي (ب): «عِثْمَانًا» وَهُوَ خَطَأٌ.

كهية التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك^(١)، وإلا فلنستعين به أيكم ما أمر، فإني^(٢) لم أعزله من عجز ولا خيانة.

وقال: أوصي الخليفة من بغدي بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حُرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم، ويتجاوز^(٣) عن سيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردة الإسلام، وجبأة الأموال، وغنيظ العدو، أن^(٤) لا يؤخذ منهم إلا فضلهم، عن رضاهم، وأوصيه بالأغراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم، وأن يرد على فقرائهم، وأوصيه بدمّة الله ودمّة رسوله أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا [إلا طاقتهم].

فلما قبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أذخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فرغ من دفنه، اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال [طلحة]: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن، فقال عبد الرحمن: أيكما^(٥) تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، واللّه عليه والإسلام^(٦) لينظر أفضلهم^(٧) في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه^(٨) إلي؟ واللّه علي أن لا آلو عن

(١) في البخاري: فهو ذاك.

(٢) في (أ) و (ب) و (ج): «فإنه»، والمثبت من (د) والبخاري.

(٣) في البخاري: يُعفى.

(٤) في البخاري: وأن.

(٥) في الأصول: أيكم، والمثبت من البخاري.

(٦) بالرفع فيهما، والخبر محذوف، أي: عليه رقيب، أو نحو ذلك.

(٧) في الأصول: «أفضل من» والمثبت من البخاري.

(٨) تحرف في (أ) و (ج) إلى: «أفتجعلوه».

أَفْضَلِكُمْ؟ قَالَا: نَعَمْ، فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا، [فَقَالَ]: لَكَ ^(١) قَرَابَةٌ [مِنْ] رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقَدَمُ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَبِاللَّهِ عَلَيْكَ، لَئِنْ أَمَرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَرْتُ عَلَيْكَ لَتَسْمَعَنَّ [و] لَتَطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالْآخَرِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ، قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ، فَبَايَعَهُ، وَبَايَعَ لَهُ عَلِيٌّ، وَوَلَّجَ أَهْلَ الدَّارِ، فَبَايَعُوهُ ^(٢).

وعن حميد بن عبد الرحمن: أَنَّ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ [أَخْبَرَهُ]: أَنَّ الَّذِينَ وَلَّاهُمْ عُمَرُ، اجْتَمَعُوا وَتَشَاوَرُوا، قَالَ لَهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَسْتُ أَنَا فِيكُمْ عَنْ ^(٣) هَذَا الْأَمْرِ، وَلَكِنَّكُمْ إِنْ شِئْتُمْ اخْتَرْتُ لَكُمْ مِنْكُمْ؟ فَجَعَلُوا ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَلَمَّا وَلَّوْا عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَمْرَهُمْ، مَالَ النَّاسُ إِلَى ^(٤) ٣٠١
عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَتَّى مَا أَرَى أَحَدًا مِنَ النَّاسِ يَتَّبِعُ أَوْلَئِكَ الرَّهْطَ، وَلَا يَطَأُ

(١) تحرفت في الأصول إلى: «إلى».

(٢) أخرجه البخاري رقم (٣٧٠٠)، وفيه مقتل عمر رضي الله عنه من طريق موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمرو بن ميمون، وهو عنده مختصراً (١٣٩٢) و (٣٠٥٢) و (٤٨٨٨)، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٣٣٧ - ٣٣٩، وابن أبي شيبة ١٤/ ٥٧٤ - ٥٧٨، كلاهما من طريق محمد بن فضيل، عن حصين بن عبد الرحمن بهذا الإسناد، ورواه عن عمرو بن ميمون أبو إسحاق السبيعي، أخرجه من طريقه ابن أبي شيبة ١٤/ ٥٧٨، وابن سعد ٣/ ٣٤٠ - ٣٤٢، وفي روايته زوائد ليست في رواية حصين. قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٦٢: وروى بعض قصة مقتل عمر أيضاً أبو رافع؛ وروايته عند أبي يعلى وابن حبان، وجابر؛ وروايته عند مسلم (٥٦٧)، وابن أبي شيبة ١٤/ ٥٧٩، وأبي يعلى (١٨٤)، وأحمد ١/ ١٥ و ٢٧ - ٢٨، والنسائي ٢/ ٤٣، وعند كل منهم ما ليس عند الآخر، قال الحافظ في «الفتح» ٧/ ٦٣: وفي قصة عمر من الفوائد: شفقته على المسلمين، ونصيحته لهم، وإقامته السنة فيهم، وشدة خوفه من ربه، واهتمامه بأمر الدين أكثر من اهتمامه بأمر نفسه، وأن النهي عن المدح في الوجه مخصوص بما إذا كان فيه غلو مفرط أو كذب ظاهر، ومن ثم لم ينه عمر الشاب عن مدحه له مع كونه أمره بتشجير إزاره، والوصية بأداء الدين، والاعتناء بالدفن عند أهل الخير، والمشورة في نصب الإمام، وتقديم الأفضل، وأن الإمامة تتعقد بالبيعة.

(٣) في البخاري: على.

(٤) في البخاري: على.

عَقِبَهُ^(١)، وَمَالَ النَّاسُ إِلَى^(٢) عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُشَاوِرُونَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي، حَتَّى إِذَا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَصْبَحْنَا فِيهَا^(٣)، فَبَايَعَنَا عُثْمَانُ، قَالَ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ: طَرَقَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَعْدَ هَجْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَضَرَبَ الْبَابَ حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَقَالَ: أَرَأَيْكَ نَائِمًا؟! فَوَاللَّهِ^(٤) مَا اكْتَحَلْتُ هَذِهِ الثَّلَاثَ بِكَبِيرِ نَوْمٍ، انْطَلِقْ، فَادْعُ لِي الزُّبَيْرَ وَسَعْدًا، فَدَعَوْتُهُمَا [لَهُ]، فَشَاوَرَهُمَا ثُمَّ دَعَانِي، فَقَالَ: ادْعُ لِي عَلِيًّا، فَدَعَوْتُهُ، فَجَاجَاهُ حَتَّى ابْهَارَ^(٥) اللَّيْلُ، ثُمَّ قَامَ عَلِيٌّ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ عَلَى طَمَعٍ، وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَخْشَى مِنْ عَلِيٍّ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي عُثْمَانَ، [فَدَعَوْتُهُ] فَجَاجَاهُ حَتَّى فَرَّقَ بَيْنَهُمَا الْمُؤَذِّنُ بِالصُّبْحِ، فَلَمَّا صَلَّى النَّاسُ^(٦) الصُّبْحَ، وَاجْتَمَعَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ عِنْدَ الْمَنْبَرِ، أُرْسِلَ إِلَى مَنْ كَانَ حَاضِرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، [وَأُرْسِلَ] إِلَى أُمَرَاءِ الْأَجْنَادِ، وَكَانُوا وَافِقُوا^(٧) تِلْكَ الْحَجَّةَ مَعَ عُمَرَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَشَهَّدَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ، يَا عَلِيُّ، إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ النَّاسِ، فَلَمْ أَرَهُمْ يَغْدِلُونَ بِعُثْمَانَ، فَلَا تَجْعَلَنَّ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا^(٨)، فَقَالَ لِعُثْمَانَ: أَبَايُكَ عَلَى سُنَّةِ اللَّهِ وَ

(١) أي: يمشي خلفه، وهو كناية عن الإعراض.

(٢) في البخاري: على.

(٣) في البخاري: منها.

(٤) في (ب): «فقال: والله».

(٥) ابهار الليل: انتصف، وبهرة كل شيء: وسطه، وقيل: معظمه.

(٦) في البخاري: للناس.

(٧) في البخاري: وافقوا.

(٨) قال الحافظ في «الفتح» ١٣/١٩٧: أي من الملامة إذا لم توافق الجماعة، وهذا ظاهر في أن عبد الرحمن لم يتردد عند البيعة في عثمان، لكن قد تقدم في رواية عمرو بن ميمون التصريح بأنه بدأ بعلي، فأخذ بيده، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ، والقِدَم في الإسلام ما قد علمت والله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه، وبايع له علي. وطريق الجمع بينهما، أن عمرو بن ميمون حفظ ما لم يحفظه الآخر، ويحتمل أن يكون الآخر حفظه، لكن طوى بعض الرواة ذكره، ويحتمل أن يكون ذلك وقع في الليل لما تكلم معهما =

[سنة] رسوله، والخليفتين^(١) مِنْ بعده، فبايعه عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وبايعه النَّاسُ، والمهاجرون والأنصارُ وأمراءُ الأجناد والمسلمون^(٢).

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة: كونه خَتَنَ رسولِ الله ﷺ على ابنتيه^(٣).

وفي «صحيح مسلم»، عن عائشة، قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مضطجعا في بيته، كاشفاً عن فَخْذَيْهِ أو ساقيه، فاستأذَنَ أبو بكر، فَأَذِنَ لَهُ وهو على تلك الحالة، فَتَحَدَّثَ، ثم استأذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ وهو على تلك الحالة، فَتَحَدَّثَ، ثم استأذَنَ عُثْمَانُ، فجلس رسولُ الله ﷺ وسَوَّى ثِيَابَهُ، فدخل فَتَحَدَّثَ، فلما خرج، قالت عَائِشَةُ: دخلَ أبو بكر، فلم تَهَشَّ^(٤) له، ولم تُبَالِهْ، ثم دَخَلَ عُمَرُ، فلم تَهَشَّ له، ولم تُبَالِهْ، ثم دَخَلَ عُثْمَانُ، فجلست وسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ؟ فقال: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ»^(٥).

وفي «الصحيح»: لما كان يومُ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، وأن عثمان رضي الله عنه كان قد

= واحداً بعد واحد، فأخذ على كل منهما العهد والميثاق، فلما أصبح، عرض على علي، فلم يوافقه على بعض الشروط، وعرض على عثمان فقبل.

(١) استدل بعضهم بهذا على جواز تقليد المجتهد، وأن عثمان وعبد الرحمن كانا يريان ذلك وأجاب من منعه - وهم الجمهور - بأن المراد بالسيرة ما يتعلق بالعدل ونحوه، لا التقليد في الأحكام الشرعية.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٧٢٠٧) من طريق مالك عن الزهري، أن حميد بن عبد الرحمن أخبره... وهو في «مسنف عبد الرزاق» ٤٧٧/٥.

(٣) وهما رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما. وانظر ترجمتهما في «السير» ٢ / رقم الترجمة (٢٩) و (٣٠).

(٤) من الهشاشة، وهي طلاقة الوجه، وحسن اللقاء، يقال منه: هَشَّ يَهْشُ «بفتح الهاء»، كَشَمَّ يَشُمُّ، وأما الهش الذي هو خيط الورق من الشجر، فيقال منه: هَشَّ يَهْشُ «بضمهما»، قال الله تعالى: ﴿وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾.

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٠٢)، وأحمد في المسند ١٥/٦ و ٦٢ و ١٥٥، وفي «فضائل الصحابة» (٧٦٠) و (٧٩٣) و (٧٩٤)، والبخاري (٤٨٩٩)، وفي الباب عن حفصة عند أحمد ٦/٦٨٨، و «فضائل الصحابة» (٧٤٨)، وابن أبي عاصم (١٢٨٤).

بعثه النبي ﷺ^(١) إلى مكة، وكانتبيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمينى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»، فضرب بها على يده، فقال: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»^(٢).

قوله: «ثُمَّ لِعَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ».

خلافة علي بن
أبي طالب
ﷺ وفضائله

ش: أي: وثبتت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما. لما قُتِلَ عُثْمَانُ وبايع الناس علياً، صار إماماً حقاً، واجِبُ الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دلَّ عليه حديث سفينته المُقَدَّم ذِكْرُهُ، أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خِلاَفَةُ النَّبَوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ»^(٣).

٣٠٢

وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر^(٤) سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ابنه ستة أشهر.

وأول ملوك المسلمين معاوية ﷺ، وهو خير ملوك المسلمين، لكنه إنما صار إماماً حقاً لما فوّض إليه الحسن بن علي رضي الله عنهما الخلافة، فإن الحسن ﷺ بايعه أهل العراق بعد موت أبيه، ثم بعد ستة أشهر، فوّض

(١) في (ب): بعثه رسول الله.

(٢) أخرجه من حديث ابن عمر البخاري (٣٦٩٨) و (٤٠٦٦)، والترمذي (٣٧٠٦)، وأحمد في «المسند» ١٠١/٢، وفي «الفضائل» (٧٣٧). وكان النبي ﷺ قد بعث عثمان ليعلم قريشاً أنه إنما جاء معتمراً لا محارباً، وفي غيبة عثمان شاع عندهم أن المشركين تعرضوا لحرب المسلمين، فاستعد المسلمون للقتال، وبايعهم النبي ﷺ حينئذ تحت الشجرة على أن لا يفروا، وذلك في غيبة عثمان، وقيل: بل جاء الخبر بأن عثمان قتل، فكان ذلك سبب البيعة، وكانت عدة من بايع أكثر من ألف وأربع مئة، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وهذه الشجرة كانت شجرة بأرض الحديبية، وهي قرية متوسطة على تسعة أميال من مكة، وكان ذلك في سنة ست من الهجرة. انظر «زاد المعاد» ٣/٣٨٦ - ٣٨٦.

(٣) تقدم تخريجه ص ٧٠٢، وهو حسن.

(٤) سقطن من (ب).

الأمر إلى معاوية، وظَهَرَ^(١) صِدْقُ قولِ النبي ﷺ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُضْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢). والقصة معروفة في موضعها.

فالخلافة ثبتت لأُمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام.

والحق مع علي رضي الله عنه، فإن عثمان رضي الله عنه لما قُتِلَ، كَثُرَ الكَذِبُ والافتراء على عثمان، وعلى مَنْ كان بالمدينة من أكابر الصحابة، كعلي، وطلحة، والزبير، وعَظُمَتِ الشبهة عند من لم يَعْرِفِ الحالَ، وَقَوِيَتِ الشهوة في نفوس ذوي الأهواء والأغراض، ممن بعدت دأره من أهل الشام، ومحبي عثمان تَظَنُّ^(٣) بالأكابر ظُنُونٌ سُوءٌ، وَبُلِّغَ عنهم أخباراً^(٤)، منها ما هو كَذِبٌ، ومنها ما هو مُحَرَّفٌ، ومنها ما لم يُعَرَفْ وجهه، وانضمَّ إلى ذلك أهواء قوم يُحِبُّونَ العُلُوَّ في الأرض، وكان في عسكر علي رضي الله عنه - من أولئك الطُّغَاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان - من لم يُعَرَفْ بعينه، ومن تَنَتَّصِرُ له قبيلته، ومن لم تَقُمْ عليه حُجَّةٌ بما فعله، وَمَنْ في قلبه نفاقٌ لم يتمكن من إظهاره كُلِّه، ورأى طلحة والزبير أنه إن لم يُنْتَصَرَ للشهيد المظلوم، وَيُقَمَّعَ أهل الفساد والعُدوان، وإلا استوجبوا غَضَبَ الله وعقابه، فجرت فِتْنَةُ الجَمَلِ^(٥) على غير اختيارٍ من علي، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيارٍ

(١) في (ب): فظهر.

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٠٤) و (٣٦٢٩) و (٣٧٤٦) و (٧١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٥)، وأبو داود (٤٦٦٢)، والنسائي ١٠٧/٣، وفي «فضائل الصحابة» (٦٣)، وفي «اليوم والليلة» (٢٥١)، وأحمد ٤٩/٥، والحاكم ١٧٤/٣، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٤٤٢/٦ و ٤٤٣، وأبو نعيم في «الحلية» ٣٥/٢.

(٣) في مطبوعة مكة: ويحيي الله عثمان أن يظن.

(٤) في مطبوعة مكة: وبلغه عنهم أخبار.

(٥) في سنة ٣٦هـ. انظر تفصيل خبر هذه الواقعة في «الطبري» ٤٥٥/٤ - ٥٤٠، وابن الأثير «الأثير» ٢٢١/٣ - ٢٦٤، «وابن كثير» ٢٤١/٧ - ٢٥٨.

السابقين، ثم جَرَتْ فِتْنَةُ صِفِّين^(١) لرأي، وهو أن أهل الشام لم يعدل عليهم، أو لا يتمكن من العدل عليهم، وهم كأفون، حتى يَجْتَمِعَ أمرُ الأمة، وأنهم يخافون طُغْيَانَ مَنْ فِي الْعُسْكَرِ، كما طَعَنُوا^(٢) على الشهيد المظلوم، وعليه عليه السلام هو الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي تَجِبُ طَاعَتُهُ، ويجب أن يَكُونَ النَّاسُ مُجْتَمِعِينَ عَلَيْهِ، اعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين^(٣) عليهم تَحْصُلُ بِقِتَالِهِمْ، بطلب إمام أن لو أصر عليهم بما اعتقد أنه يَحْصُلُ به أداء الواجب^(٤)، ولم يَغْتَقِذْ أن التَّأْلِيفَ لَهُمْ كِتَابُ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ مِمَّا^(٥) يَسُوعُ، فحمله^(٦) ما رآه - من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة، دُونَ تَأْلِيفِهِمْ -: عَلَى الْقِتَالِ، وَقَعَدَ عَنِ الْقِتَالِ أَكْثَرُ الْأَكْبَارِ لِمَا سَمِعُوهُ مِنَ النُّصُوصِ فِي الْأَمْرِ بِالْقُعُودِ فِي الْفِتْنَةِ، وَلِمَا رَأَوْهُ مِنَ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَرَبَّوْا مَفْسِدَتُهَا عَلَى مَصْلَحَتِهَا، وَالْقَوْلِ فِي الْجَمِيعِ بِالْحُسْنَى: ﴿رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وَالْفِتْنَةُ الَّتِي كَانَتْ فِي أَيَّامِهِ قَدْ صَانَ اللَّهُ عَنْهَا أَيْدِينَا، فَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصُونَهَا عَنْهَا أَلَسْتَنَا، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ^(٧).

(١) في سنة ٣٧هـ، وصفين: موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات. انظر الطبري ٤/ ٥٦٣ - ٥٧٥ و ٥/ ٥ - ٦٣. وابن الأثير ٣/ ٢٧٦ - ٣٢٦، وابن كثير ٧/ ٢٦٤ - ٢٩٥.

(٢) في (أ) و (ب) و (ج): كما ظفرا، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.

(٣) في الأصول: الواجبين، والمثبت من مطبوعة مكة.

(٤) في مطبوعة مكة، وعننا نقل الشيخ أحمد شاکر: فيطلب إمام، فاعتقد أنه يحصل به أداء الواجب. وفي مطبوعة المكتب الإسلامي بدمشق: بطلب الواجب عليهم بما اعتقد أنه...

(٥) في الأصول: بما، وكذا هو في مطبوعة مكة، وقد نبه الشيخ أحمد شاکر على أنه تحريف فيما يرى، وأثبت مكانه «مما».

(٦) في (أ): محمله، وفي (ب): مجمله، وفي (ج): تحمله، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.

(٧) انظر «مجموع الفتاوى» ٣٥/ ٧٠ - ٧٤ و «منهاج السنة» ٢/ ٢٠٢ - ٢٠٣ و ٢١٩ و ٢٢٤.

وَمِنْ فَضَائِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام: مَا فِي «الصَّحِيحِينَ»، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِعَلِيِّ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١).

وقال عليه السلام يومَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ [عَدَا] رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قَالَ: فَتَطَاوَلْنَا لَهَا، فَقَالَ: «اذْعُوا لِي عَلِيًّا، فَأَتَيْتَنِي بِهِ أَرْمَدًا»^(٢)، فَصَقَّ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَفَعَ الرَايَةَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٦) و(٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤)، والترمذي (٣٧٦٤) و(٣٧٣١)، وأحمد في «المسند» ١٧٠/١ و١٧٤ و١٧٥ و١٧٧ و١٧٩ و١٨٢، وفي «فضائل الصحابة» له (٩٥٦) (٩٥٧) و(١٠٤١) و(١٠٤٥)، وابن أبي شيبة ٢/٦٠ و٦١ و٦٢، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٣٥) و(٣٦) و(٣٧) و(٣٨) و(٣٩)، و«خصائص علي» (٩) و(١٠)، وابن ماجه (١١٥) و(١٢١)، وعبد الرزاق (٢٠٣٩٠)، وابن أبي عاصم (١٣٣١) و(١٣٣٢) و(١٣٣٣) و(١٣٣٤) و(١٣٣٥) و(١٣٤١)، والحميدي (٧١)، وأبو يعلى (٦٩٨) و(٧٠٩) و(٧١٨) و(٧٣٨) و(٨٠٩)، وابن سعد ٣/٢٤، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٢/٣٠٩، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» ١/٨٠، وفي «الحلية» ٧/١٩٥ و١٩٦ و١٩٧، والخطيب في «تاريخه» ١/٣٢٥ و٤/٢٠٤ و٨/٥٣ و٩/٣٦٥ و١١/٤٣٢، والطيالسي (٢٠٥) و(٢٠٩) و(٢١٣)، والطبراني في «الصغير» ٢/٢٢، والحاكم ٣/١٠٨، والبغوي (٣٩٠٧). وفي الباب عن جابر عند الترمذي (٣٧٣٢)، والخطيب ٣/٢٨٩، وعن أسماء بنت عميس عند ابن أبي شيبة ١٢/٦٠ - ٦١، والخطيب ٣/٤٠٦ و١٠/٤٣ و١٢/٣٢٣، وعن زيد بن أرقم عند ابن أبي شيبة ١٢/٦١، وابن سعد ٣/٢٤ - ٢٥، وعن علي عند الخطيب ٤/٧١، وعن حبش بن جنادة عند أبي نعيم في «الحلية» ٤/٣٤٥، وفي «أخبار أصبهان» ٢/٢٨١، والطبراني في «الصغير» ٢/٥٣ - ٥٤، وعن ابن عباس عند أبي نعيم في «أخبار أصبهان» ٢/٣٢٨، وعن أبي سعيد عند أبي نعيم في «الحلية». ٨/٣٠٧، والخطيب ٤/٣٨٣.

(٢) تعرف في (أ) و(ب): إلى: أرسد.

(٣) أخرجه من حديث سهل بن سعد البخاري (٣٠٠٩) و(٣٧٠١) و(٤٢١٠) ومسلم (٢٤٠٦)، وأحمد في «المسند» ٥/٣٣٣، وفي «الفضائل» (١٠٣٧)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٤٦) وفي «خصائص الإمام علي» (١٦)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٤٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ١/٦٢، والبغوي (٣٩٠٦)، والطبراني في «الكبير» (٥٨٧٦) و(٥٩٥٠) و(٥٩٩١).

ولما نَزَلَتْ هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي»^(١).

قوله: «وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون».

الخلفاء الأربعة
هم الخلفاء
الراشدون

ش: تقدّم^(٢) الحديث الثابت في «السنن»، وصحّحه الترمذي، عن العرياض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً بليغة، ذرّفت منها العيون، ووجّلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأنّ هذه موعظةٌ مودّع، فماذا تعهّد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي، فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِنَّاكُمْ وَمُخَدَّاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَذْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٤) (٣٢) من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، لأنّ تكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حُمُر النَّعَمِ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له، خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول الله، خلّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعتّه يقول يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلاً يُحِبُّ الله ورسوله، ويُحِبُّه الله ورسوله» قال: فتناولنا لها، فقال: «ادعوا لي عليّاً» فأتني به أرمداً، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي». وأخرجه الترمذي (٣٧٢٤)، وأحمد ١/١٨٥، والنسائي في «خصائص الإمام علي» (٩)، وصحّحه الحاكم ٣/١٠٨ - ١٠٩ على شرط الشيخين، فتعقبه الذهبي بأنه على شرط مسلم فقط.

(٢) في الصفحة ٥٤٥.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٨)، وأحمد ٤/١٢٦ و١٢٧، وابن ماجه (٤٢)، والدارمي ١/٤٤ - ٤٥، والآجري في «الشریعة» ص ٤٦ و٤٧، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ٢/٢٢٢ و٢٢٤، والطبراني في «الكبير» ١٨/ رقم (٦١٧) و(٦١٨) و(٦١٩) و(٦٢٠) و(٦٢٢) و(٦٢٣) و(٦٢٤)، والبيهقي في =

وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين في الفضل،
 كترتيبهم في الخلافة، ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية: أن
 النبي ﷺ أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا في الاقتداء في
 الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: «اقتدوا بالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ
 وعُمَرُ»^(١)، وفَرَّقَ بَيْنَ اتِّبَاعِ سُنَّتِهِمُ وَالْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ، فحال أبي بكر وعمر فوق
 حال عثمان وعلي رضي الله عنهما أجمعين. وقد روي عن أبي حنيفة تقديم علي على
 عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان، وعلى هذا عامة أهل السنة.

وقد تقدّم قول عبد الرحمن بن عوف لعلي رضي الله عنهما: إني قد
 نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان.

وقال أيوب السخيتاني^(٢): من لم يُقدِّم عثمانَ على عليٍّ، فقد أزرى
 بالمهاجرين والأنصار.

وفي «الصحيحين» عن ابن عمر، قال: كنا نقولُ ورسولُ الله ﷺ حيٌّ:
 أفضلُ أمةِ النَّبِيِّ ﷺ بعده: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان^(٣).

= «مناقب الشافعي» ١٠/١ - ١١، الحاكم في «المدخل» ١/١، وأبو نعيم في
 «الحلية» ٥/٢٢٠ - ٢٢١ و ١٠/١١٤ - ١١٥، والخطيب في «الفيء والمتفق» ١/
 ١٧٦. وإسناده صحيح، وصححه ابن حبان (٥)، والحاكم ٩٥/١ - ٩٦ و ٩٧،
 ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(١) تقدم تخريجه ص ٦٩٧، وهو صحيح.

(٢) تحرف في الأصول إلى: «السجستاني»، وهو الإمام الحافظ الثقة، أبو بكر أيوب بن
 أبي تميمة العنزي، مولا هم، البصري، المتوفى سنة (١٣١ هـ) بالبصرة زمن
 الطاعون. مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٥/٦ - ٢٦.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٩٧) وهو من أفراد، وليس هو في «مسلم» كما ظن الشارح،
 وأخرجه أحمد في «المسند» ١٤/٢، و«فضائل الصحابة» (٥٢) و(٥٣) و(٥٤)
 و(٥٥) و(٥٦) و(٥٧) و(٥٨)، وابن أبي عاصم (١١٩٠) و(١١٩١) و(١١٩٢)
 و(١١٩٣) و(١١٩٤) و(١١٩٥)، وابن أبي شيبة ٩/١٢، وأبو داود (٤٦٢٧)،
 والترمذي (٣٧٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١٣١٣١) و(١٣١٣٢) و(١٣١٨١)
 و(١٣٣٠١).

قوله: «وَأَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبَشَّرَهُم بِالْجَنَّةِ، تَشْهَدُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، عَلَى مَا شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ، وَسَعِيدُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَهُوَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ».

العشرة
المبشرون
بالجنة

ش: تقدم ذُكِرَ بعض فضائل^(١) الخلفاء الأربعة. وَمِنْ فضائل السُّنَّةِ الباقيين مِنَ العشرة رضي الله عنهم أجمعين ما رواه مسلم: عن عائشة رضي الله عنها: أَرَقَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، [فَقَالَ]: «لَيْتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يَخْرُسُنِي اللَّيْلَةَ»، قَالَتْ: وَسَمِعْنَا صَوْتَ السَّلَاحِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ هَذَا؟» فَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُ أَخْرُسُكَ. وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: وَقَعَ فِي خَوْفٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَخْرُسُهُ، فَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَامَ^(٢).

وفي «الصحيحين»: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَبُويهِ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «أَزِم، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»^(٣).

وفي «صحيح مسلم»، عن قيس بن أبي حازم، قال: رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ

(١) سقطت من (ب).

(٢) هو في صحيح مسلم (٢٤١٠)، وأخرجه البخاري (٢٨٨٥) و(٧٢٣١)، والترمذي (٣٧٥٧)، وأحمد في «المسند» ١٤١/٦، وفي «فضائل الصحابة» (١٣٠٥)، وابن أبي عاصم (١٤١١)، والنسائي في «الفضائل» (١١٣)، والحاكم ٥٠١/٣ من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٥) و(٤٠٥٨) و(٤٠٥٩) و(٦١٨٤)، ومسلم (٢٤١١)، والترمذي (٣٧٥٦)، وابن أبي شيبة ٨٦/١٢ - ٨٧، وأحمد ٩٢/١، وفي «الفضائل» (١٣٠٤)، وابن ماجه (١٢٩)، وابن أبي عاصم (١٤٠٥)، وابن سعد ١٤١/٣ من حديث علي رضي الله عنه. وفي الباب عن عائشة بنت سعد عند أحمد في «الفضائل» (١٣٠٢)، والفسوي ٦٥٩/٢. وعن سعد عند البخاري (٤٠٥٦) و(٤٠٥٧)، والنسائي في «الفضائل» (١١١) و(١١٢)، وابن أبي عاصم (١٤٠٦) و(١٠٤٧).

التي وَفَى بها النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ قَدْ شَلَّتْ^(١).

وفيه أيضاً عن أبي عثمان النَّهْدِيِّ^(٢)، قال: لم يَبْقَ مع رسولِ الله ﷺ في بعضِ تِلْكَ الأيامِ التي قَاتَلَ فيها النَّبِيُّ ﷺ غيرَ^(٣) طلحة وسَعْدِ^(٤).

وفي «الصحيحين»، واللفظُ لمسلم، عن جابرِ بنِ عَبْدِ الله قال: نَدَبَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ يَوْمَ الخَنْدَقِ فانتدب الزُّبَيْرُ، ثم نَدَبَهُمْ، فانتدب الزُّبَيْرُ، ثُمَّ نَدَبَهُمْ فانتدب الزُّبَيْرُ، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ، وَحَوَارِيُّ^(٥) الزُّبَيْرِ»^(٦).

وفيهما أيضاً عن الزبيرِ رضي الله عنه، أن النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَنْ يَأْتِي بَنِي قُرَيْظَةَ، فَيَأْتِيَنِي بِخَبَرِهِمْ؟ فَأَنْطَلَقْتُ، فَلَمَّا رَجَعْتُ، جَمَعَ لِي رَسُولُ الله ﷺ أبويه، فقال: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»^(٧).

- (١) هو في «صحيح البخاري» (٣٧٢٤) و(٤٠٦٣)، وليس هو في «صحيح مسلم» كما ذكر الشارح. وأخرجه أحمد في «المسند» ١/١٦١، وفي «الفضائل» (١٢٩٢)، وابن ماجه (١٢٨)، والطبراني (١٩٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» ٣/٢٣١، والبغوي (٣٩١٧)، وشَلَّتْ، بفتح الشين: هي اللغة الفصحى، وبضمها: لغة رديئة، قال ابن الأثير: يقال: شَلَّتْ يَدُهُ تَشْلُ شَلًّا، ولا تضم الشين.
- (٢) تحرفت في الأصول إلى: الهندي، وقد جاءت على الصواب في هامش (د).
- (٣) تحرفت في الأصول إلى: عن، وجاءت على الصواب في هامش (د).
- (٤) أخرجه البخاري (٣٧٢٤) و(٤٠٦٠)، ومسلم (٢٤١٤).
- (٥) قال القاضي عياض: اختلف في ضبطه أكثرهم، ف ضبطه جماعة من المحققين بفتح الياء كمصرخي، وضبطه أكثرهم بكسرهما، والحواري: الناصر.
- (٦) أخرجه البخاري (٢٨٤٦) و(٢٨٤٧) و(٢٩٩٧) و(٣٧١٩) و(٤١١٣) و(٧٢٦١)، ومسلم (٢٤١٥)، والترمذي (٣٧٤٥)، وابن ماجه (١٢٢)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٠٧)، وأحمد ٣/٣٠٧ و٣١٤ و٣٣٨، و٣٦٥، وفي «فضائل الصحابة» (١٢٦٤)، وابن سعد ٣/١٠٥ و١٠٦، والطبراني في «الكبير» (٢٢٧)، والبغوي (٣٩١٨)، وابن أبي عاصم (١٣٩٣)، والحميدي (١٢٣١).
- (٧) أخرجه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦)، والترمذي (٣٧٤٣)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٠٩) و(١١٠)، وفي «اليوم والليلة» (١٩٩) و(٢٠٠) ز(٢٠١) و(٢٠٢)، وابن سعد ٣/١٠٦، وابن أبي عاصم (١٣٩٠).

وفي «صحيح مسلم»، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَتَيْتَهَا الْأُمَّةُ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(١).

وفي «الصحيحين» عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، قال: جاء أهلُ نَجْرَانَ إلى النَّبِيِّ ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا^(٢) [رجلاً] أميناً، فقال: «لَأُبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا آمِينًا حَقَّ آمِينٍ»^(٣)، [قال]: فاستشرف لها النَّاسُ، قال^(٤): فبعث أبا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ^(٥).

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه، قال^(٦): أشهدُ على رسول الله ﷺ أنني سمعته يقول: «عَشْرَةٌ فِي الْجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ»، ولو شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الْعَاشِرَ، قال: فقالوا: مَنْ هُوَ؟ قال: سعيدُ بنُ زيدٍ، قال: لَمَشْهُدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَغْبِرُّ مِنْهُ وَجْهُهُ، خَيْرٌ مِنْ عَمَلٍ أَحَدِكُمْ، وَلَوْ عُمَرُ عُمَرُ نُوحٍ^(٧). رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي

(١) أخرجه البخاري (٣٧٤٤) و(٤٣٨٢) و(٧٢٥٥)، ومسلم (٢٤١٩)، وأحمد ١٢٥/٣ و١٣٣ و١٤٦ و١٧٥ و١٨٩ و٢١٢ و٢٤٥ و٢٨١ و٢٨٦، وابن سعد ٤١٢/٣، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٩٦)، والبيهقي (٣٩٢٨) و(٣٩٢٩)، والترمذي (٣٧٩٠) و(٣٧٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٧٥/٧، وابن أبي شيبة ١٣٥/١٢.

(٢) في (ب) و(ج): لنا.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) أخرجه البخاري (٣٧٤٥) و(٤٣٨٠) و(٤٣٨١) و(٧٢٥٤)، ومسلم (٢٤٢٠)، والترمذي (٣٧٥٩). وأحمد ٣٨٥/٥ و٤٠١، وفي «فضائل الصحابة» (١٢٧٦)، وابن ماجه (١٣٥)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (٩٤)، وابن سعد ٤١٢/٣، والطبرسي (٤١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٧٦/٧، والبيهقي (٣٩٢٩).

(٦) في (ب): فقال.

(٧) حديث صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٤٩) و(٤٦٥٠)، والترمذي (٣٧٤٨) و(٣٧٥٧)، وابن ماجه (١٣٤)، وأحمد ١٨٧/١ و١٨٨ و١٨٩، وفي «فضائل الصحابة» (٨٧) و(٩٠) و(٢٢٥)، وابن أبي عاصم (١٤٢٨) و(١٤٣١) و(١٤٣٣) =

وصححه، ورواه الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف.

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ»^(١).

رواه الإمام أحمد في «مسنده»، ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة^(٢)، وقَدَّمَ فيه عثمانَ على علي، رضي الله عنهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جِرَاءٍ^(٣)، هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اهْدَأْ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ شَهِيدٌ». رواه مسلم والترمذي وغيرهما^(٤) ورُوِيَ مِنْ طُرُقٍ.

= و(١٤٣٦)، الحاكم ٤/٤٤٠، والنسائي في «الفضائل» (٨٧) و(٩٠) و(٩٢) و(١٠٦)، وأبو نعيم ٩٥/١.

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٤٨)، وأحمد ١/١٩٣، وفي «الفضائل» (٢٧٨)، والنسائي في «الفضائل» (٩١)، والبخاري (٣٩٢٥) وسنده صحيح.

(٢) في (ب): «ابن خيثمة» وهو خطأ. وأبو بكر هذا هو الحافظ الحجة الإمام أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة النسائي، ثم البغدادي، صاحب التاريخ الكبير، المتوفى سنة ٢٧٩ هـ. قال الخطيب: كان ثقة عالماً متقناً حافظاً بصيراً بأيام الناس، راوية للأدب، أخذ علم الحديث عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وعلم النسب عن مصعب الزبيري، وأخذ أيام الناس عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني، والأدب عن محمد بن سلام الجمحي، وله «كتاب التاريخ» الذي أحسن تصنيفه، وأكثر فائدته، فلا أعرف أغزر فوائد منه. «السير» ١١/ رقم الترجمة (١٣١).

(٣) جِراء - بالكسر والمد -: جبل من جبال مكة، معروف، ومنهم من يؤنثه ولا يصرفه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤١٧) والترمذي (٣٦٩٦)، وأحمد ٢/٤١٩، وفي «فضائل الصحابة» (٢٤٨) و(٦٤١)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٠٣)، والبخاري (٣٩٢٤)، وابن أبي عاصم (١٤٤١) و(١٤٤٢).

وقد اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى تَعْظِيمِ هَؤُلَاءِ الْعَشْرَةِ وَتَقْدِيمِهِمْ، لَمَا اشْتَهَرَ مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ، وَمَنْ أَجْهَلُ مِمَّنْ يَكْرَهُ التَّكَلَّمَ بِلَفْظِ الْعَشْرَةِ، أَوْ فَعَلَ شَيْءٌ يَكُونُ عَشْرَةً!! لِكُونِهِمْ يُبْغِضُونَ خِيَارَ الصَّحَابَةِ، وَهُمْ الْعَشْرَةُ الْمَشْهُودُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ يَسْتَنُونَ مِنْهُمْ عَلِيًّا عليه السلام! فَمِنْ الْعَجَبِ: أَنَّهُمْ يُوَالُونَ لَفْظَ التَّسْعَةِ! وَهُمْ يُبْغِضُونَ التَّسْعَةَ مِنَ الْعَشْرَةِ! وَيُبْغِضُونَ سَائِرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله تَحْتَ الشَّجَرَةِ^(١)، وَكَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعِ مِئَةٍ^(٢)، وَقَدْ صلى الله عليه وآله، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨].

وُثِّبَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» وَغَيْرِهِ عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(٣).

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَيْضًا، عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ غُلَامَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: لِيَدْخُلَنَّ حَاطِبُ النَّارَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «كَذَبْتَ، لَا

(١) تحرفت في (ب) إلى: العشرة.

(٢) فِي الْبُخَارِيِّ (٤١٥٢)، وَمُسْلِمٍ (١٨٥٦) (٧٢) (٧٣) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ، وَفِيهِمَا أَيْضًا: الْبُخَارِيُّ (٤١٥٤) وَ(٤٨٤٠)، وَمُسْلِمٍ (١٨٥٦) أَنَّهُمْ كَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعِ مِئَةٍ، وَفِيهِمَا: الْبُخَارِيُّ (٤١٥٥)، وَمُسْلِمٍ (١٨٥٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى: «كُنَّا أَلْفًا وَثَلَاثَ مِئَةٍ» وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ (٤١٥٣) مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ زُرَيْعٍ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ: بَلَّغْنِي أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ: كَانُوا أَرْبَعِ عَشْرَ مِئَةٍ، فَقَالَ لِي سَعِيدٌ: حَدَّثَنِي جَابِرُ كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةَ الَّذِينَ بَايَعُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَرَوَاهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ كَمَا فِي «الْفَتْحِ» ٣٤١/٧ مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ عَلِيٍّ الْفَلَّاسِ، عَنْ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ، حَدَّثَنَا قُرَّةٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ: كَمْ كَانَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَيْعَةَ الرُّضْوَانِ؟ قَالَ: خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً، قَالَ: قُلْتُ: فَإِنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانُوا أَرْبَعِ عَشْرَةَ مِئَةً، قَالَ: يَرْحَمُهُ اللَّهُ أَوْهَمَ، هُوَ حَدَّثَنِي أَنَّهُمْ كَانُوا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (١٨٥٨) عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ: وَنَحْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ مِئَةً، وَفِي الْبُخَارِيِّ (٤١٥٠) مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَرْبَعِ عَشْرَةَ مِئَةً، وَفِي رَوَايَةٍ (٤١٥١): كَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعِ مِئَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَانْظُرِ الْجَمْعَ بَيْنَهَا فِي «الْفَتْحِ» ٤٤٠/٧، وَ«زَادَ الْمَعَادَ» ٢٨٧/٣ - ٢٨٨. نَشْرُ مُؤَسَّسَةَ الرِّسَالَةِ.

(٣) تَقْدِمْ تَخْرِيجَهُ ص ٦٩٣.

يَدْخُلُهَا، فَإِنَّهُ^(١) شَهِدَ بَذَرًا وَالْحَدِيثِيَّةُ^(٢).

والرافضة يبرؤون من جمهور هؤلاء، بل يبرؤون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ، إلا من تفر قليل، نحو بضعة عشر رجلاً!! ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس، لم يجب هجر هذا الاسم لذلك، كما أنه سبحانه لما قال: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سِتْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]، لم يجب هجر اسم التسعة مطلقاً، بل اسم العشرة قد مدح الله مُسَمَّاهُ في مواضع من القرآن: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]. ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ﴾ [الأعراف: ١٤٢]. ﴿وَالْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١ - ٢].

وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان^(٣).

وقال في ليلة القدر: «الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»^(٤).

(١) في (أ): كذبت إنه.

(٢) هو في صحيح مسلم (٢٤٩٥)، وأخرجه أحمد ٣/٣٢٥ و٣٤٩، والترمذي (٣٨٦٤)، والنسائي في «فضائل الصحابة» (١٩١)، والطبراني في «الكبير» (٣٠٦٤)، وأبو نعيم في «الحلية» ٧/٣٢٥، وابن أبي شيبة ١٢/١٥٥، والحاكم ٣/٣٠١.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٢٦)، ومسلم (١١٧٢)، وأبو داود (٢٤٦٢)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٢/٦١، والترمذي (٧٩٠)، وأحمد ٦/٥٠ و٩٢ و١٦٨ و٢٣٢ و٢٧٩، وفي الباب عن ابن عمر عند البخاري (٢٠٢٥)، ومسلم (١٧١)، وأبي داود (٢٤٦٥)، وأحمد ٢/١٣٣، وعن أنس عند الترمذي (٨٠٣)، وعن أبي بن كعب عند أبي داود (٢٤٦٣)، وابن ماجه (١٧٧٠)، وأحمد ٥/١٤١، وعن أبي هريرة عند البخاري (٢٠٤٤) و(٤٩٩٨)، وأبي داود (٢٤٦٦)، وابن ماجه (١٧٦٩)، والترمذي (٧٩٠)، وأحمد ٢/٢٨١، و٣٣٦ و٣٥٥ و٤٠١ و٦/١٦٩ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) أخرجه من حديث عائشة البخاري (٢٠١٧) و(٢٠١٩) و(٢٠٢٠)، ومسلم (١١٦٩)، والترمذي (٧٩٢)، والبيهقي (١٨٢٢) و(١٨٢٤)، وأحمد ٦/٥٠ و٥٦ و٧٧ و٢٠٤، وابن أبي شيبة ٣/٧٥. وفي الباب عن أبي هريرة عند مسلم (١١٦٦)، وأحمد ٢/٢٩١ و٥١٩.

وقال: «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيْهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ»^(١). يعني عشرَ ذي الحجة.

الأئمة الاثنا
عشر عند
الإمامية

والرافضة ثوالي بَدَلَ الْعَشْرَةِ المبشرين بالجنة، الاثني عشرَ إماماً، وهُمْ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، ويَدْعُونَ أَنَّهُ وصيُّ النبي صلى الله عليه وآله دعوة مُجَرَّدَةٌ عن الدليل، ثم الحسن عليه السلام، ثم الحسين عليه السلام، ثم عليُّ بن الحسين زين العابدين^(٢)، ثم مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْبَاقِرِ^(٣)، ثم جعفرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ^(٤)، ثم مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاطِمِ^(٥)، ثم عليُّ بْنُ مُوسَى الرُّضِيِّ^(٦)، ثم مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَوَادِ^(٧)، ثم عليُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَادِي^(٨)، ثم الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيِّ^(٩)، ثم مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ^(١٠) وَيَتَعَالَوْنَ فِي محبتهم، ويتجاوزون الحدَّ! ولم يأت ذِكْرُ الْأَئِمَّةِ الاثني عشر، إلا على صِفَةِ تَرَدُّ قَوْلِهِمْ وَتُبْطُلُهُ، وهو ما خرجناه في «الصحيحين»، عن جابر بن سَمُرَةَ، قال: دخلتُ مع أبي علي النبي صلى الله عليه وآله، فسمعتُهُ يقول: «لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِياً مَا وَلِيَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا»، ثم تكلَّم النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله بكلمة خَفِيَتْ عَنِّي فسألتُ أبي: ماذا قال النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله؟ قال: «كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ».

٣٠٧

- (١) في (أ) و(ج) و(د): من أيام العشر. والحديث أخرجه البخاري (٩٦٩)، والترمذي (٧٥٧)، والطيالسي في «مسنده» (٢٦٣١)، وأبو داود (٢٦٣٨)، وأحمد ٢٢٤/١ و٣٣٨، والبيهقي (١١٢٥)، وابن ماجه (١٧٢٧)، وابن حبان (٣٢٤)، والدارمي ٢٥/٢، والطبراني (١١١٦)، و(١٢٣٢٦)، و(١٢٣٢٧) و(١٢٣٢٨) و(١٢٤٣٦).
- (٢) المتوفى سنة أربع وتسعين. مترجم في «السير» ٤/ رقم الترجمة (١٥٧).
- (٣) المتوفى سنة (١١٤هـ). مترجم في «السير» ٤/ رقم الترجمة (١٥٨).
- (٤) المتوفى سنة (١٤٨هـ). مترجم في «السير» ٦/ رقم الترجمة (١١٧).
- (٥) المتوفى سنة (١٨٣هـ). مترجم في «السير» ٦/ رقم الترجمة (١١٨).
- (٦) المتوفى سنة (٢٠٣هـ). مترجم في «السير» ٩/ رقم الترجمة (١٢٥).
- (٧) المتوفى سنة (٢٢٠هـ). مترجم في «تاريخ بغداد» ٣/ ٥٤، و«منهاج السنة» ٢/ ١٢٧، و«وفيات الأعيان» ٤/ ١٧٥.
- (٨) المتوفى سنة (٢٥٤هـ). مترجم في «تاريخ بغداد» ١٢/ ٥٦، و«وفيات الأعيان» ٣/ ٢٧٢.
- (٩) المتوفى سنة (٢٦٠هـ). مترجم في «وفيات الأعيان» ٢/ ٩٤.
- (١٠) انظر الصفحة: ٥٩٠.

وفي لفظ: «لا يَزَالُ الإسلامُ عَزِيزاً إلى اثني عَشَرَ خَلِيفَةً».

وفي لفظ: «لا يَزَالُ هَذَا الأمرُ عَزِيزاً إلى اثني عَشَرَ خَلِيفَةً»^(١).

وكان الأمرُ كما قال النبي ﷺ، والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعَبْدُ الملكِ بنُ مروان^(٢)، وأولاده الأربعة^(٣)، وبينهم^(٤)، عُمَرُ بنُ عبد العزيز، ثم أخذ الأمرُ في الانحلال^(٥). وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسداً مُنْعَصَفاً، يتولَّى عليهم الظَّالِمُونَ المعتدون، بَلِ المنافِقُونَ الكافرون، وأهلُ الحَقِّ أَذَلُّ من اليهود!! وقولهم ظاهرُ البطلان، بل لم يزل الإسلامُ عزيزاً في ازديادٍ في أيام هؤلاء الاثني عشر.

قوله: «وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ مِنْ كُلِّ دَنْسٍ، وَذُرِّيَّاتِهِ الْمُقَدَّسِينَ مِنْ كُلِّ رِجْسٍ، فَقَدْ بَرِيَ مِنْ النَّفَاقِ».

ش: تقدم بَعْضُ ما وَرَدَ في الكتاب والسُّنة من فضائل الصحابة ﷺ.

وفي «صحيح مسلم»، عن زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ خطيباً، بماءٍ يُدعى: حُماً^(٦)، بينَ مَكَّةَ والمدينة، فقال: «أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي، فَأُجِيبُ رَبِّي، وَإِنِّي تَارِكُ

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٢) و(٧٢٢٣) ومسلم (١٨٢١)، والترمذي (٢٢٢٤)، وأحمد ٨٦/٥ و٨٧ و٨٩ ز ٩٠ و٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩ و١٠٠ و١٠١ و١٠٦ و١٠٧ و١٠٨ والطبراني (١٧٩١) - (١٨٠١).

(٢) وفاته سنة (٨٦هـ). مترجم في «السير» ٤ / رقم الترجمة (٨٩).

(٣) وهم الوليد ت (٩٦هـ)، وسليمان ت (٩٩هـ)، ويزيد ت (١٠٥هـ)، وهشام ت (١٢٥هـ). انظر تراجمهم في «السير» ٤ / رقم الترجمة (١٢٠) و٥ / رقم (٧٤)، ورقم (٥٣)، ورقم (١٦٢).

(٤) أي بين سليمان ويزيد. انظر «السير» ٥ / رقم الترجمة (٤٨).

(٥) انظر «فتح الباري» ١٣ / ٢١١ - ٢١٥.

(٦) حُم: اسم لغیضة على ثلاثة أميال من الجحفة، غدير مشهور يضاف إلى الغیضة، فيقال: غدير خم.

فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالتُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ
وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي،
أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، ثَلَاثًا»^(١).

وَحَرَّجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ عليه السلام، قَالَ: ارْزُقُوا مُحَمَّدًا فِي
أَهْلِ بَيْتِهِ^(٢).

وإنما قال الشيخ رحمته الله: «فقد برئ من الثَّقَافِ» لَأَن أَضْلَ الرِّفْضِ إِنَّمَا
أَحْدَثَهُ مَنَافِقُ زَنْدِيقٍ، قَضَدَهُ إِبْطَالُ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَالْقَدْخُ فِي الرَّسُولِ عليه السلام،
كَمَا ذَكَرَ ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ، فَإِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَبَأٍ^(٣) لَمَّا أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، أَرَادَ أَنْ

أصل الرفض
أحدثه منافق
زنديق

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨)، وأحمد ٣٦٦/٤، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٦٨/٤،
وابن أبي عاصم في «السنة» (١٥٥٠)، والدارمي ٤٣١/٢ - ٤٣٢ من طريقين عن
أبي حيان، عن يزيد بن حيان، عن زيد بن أرقم، وأخرجه أحمد بسند صحيح ٤/
٣٧١، وفي «فضائل الصحابة» (٩٦٨)، والطبراني (٥٠٤٠)، والطحاوي ٣٦٨/٤
من طريق علي بن ربيعة الأسدي، قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على
المختار أو خارج من عنده، فقلت له: أسمعت رسول الله عليه السلام يقول: إني تارك
فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل، وعترتي. قال: نعم. وللحديث طرق أخرى
عند الطبراني (٤٩٦٩) و(٤٩٧١) و(٤٩٨٠) و(٤٩٨٢) و(٥٠٤٠)، و«المستدرک»
٣/ ١٠٩ و ١٤٨ و ٥٣٣. قال التوربشتي في ما نقله عنه القاري في «مرقاة المفاتيح»
٥/ ٦٠٠: عترة الرجل: أهل بيته ورهطه الأدنون، ولاستعمالهم «العترة» على أنحاء
كثيرة، بينها رسول الله عليه السلام بقوله: «أهل بيتي» ليعلم أنه أراد بذلك نسله وعصابتهم
الأدنين وأزواجه. وقال الإمام أبو جعفر في «مشكل الآثار» ٣٦٨/٤: وعترته: هم
أهل بيته الذين على دينه، وعلى التمسك بأمره. وقال علي القاري: إن أهل البيت
غالباً ما يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، وهذا يصلح أن يكون مقابلاً
لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٣) و(٣٧٥١). وارقبوا من المراقبة للشيء، وهو المحافظة
عليه، يقول: احفظوه فيهم، فلا تؤذوهم، ولا تسيئوا إليهم.

(٣) قال الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» ٤٣١/٧ تهذيب بدران: عبد الله بن سبأ الذي
تنسب إليه الطائفة السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، وكان يهودياً،
فأظهر الإسلام، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويلقي بينهم الشر،
وكان قد بدأ أولاً بالحجاز، ثم بالبصرة، ثم بالكوفة، ثم دخل دمشق أيام عثمان بن
عفان، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، =

يُفْسِدَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِمَكْرِهِ وَخَبْثِهِ، كَمَا فَعَلَ بُولُصُ^(١) بَدِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، فَأَظْهَرَ التَّنَسُّكَ، ثُمَّ أَظْهَرَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، حَتَّى سَعَى فِي فِتْنَةِ عِثْمَانَ وَقَتْلِهِ، ثُمَّ لَمَّا قَدِمَ عَلَيَّ الْكُوفَةَ، أَظْهَرَ الْعُلُوَّ فِي عَلَيٍّ وَالنَّصْرَ لَهُ، لِيَتِمَّكَنَ بِذَلِكَ مِنْ أَغْرَاضِهِ^(٢)، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا، فَطَلَبَ قَتْلَهُ، فَهَرَبَ مِنْهُ إِلَى قَرْقِيسِيَا^(٣)، وَخَبَرَهُ مَعْرُوفٌ فِي التَّارِيخِ. وَتَقَدَّمَ أَنَّهُ مَنْ فَضَّلَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ جَلَدَهُ جَلْدَ الْمُفْتَرِي. وَبَقِيَتْ فِي نَفُوسِ الْمُبْطَلِينَ خَمَائِرُ بَدْعَةِ الْخَوَارِجِ، مِنَ الْحُرُورِيَّةِ وَالشَّيْعَةِ، وَلِهَذَا كَانَ الرَّفْضُ بَابَ الزُّنْدَقَةِ، كَمَا حَكَاهُ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الطَّيِّبِ^(٤) عَنْ الْبَاطِنِيَّةِ وَكَيْفِيَّةِ إِفْسَادِهِمْ لِدِينِ الْإِسْلَامِ، ٣٠٨

قَالَ: فَقَالُوا لِلدَّاعِي: يَجِبُ عَلَيْكَ إِذَا وَجَدْتَ مَنْ تَدْعُوهُ مُسْلِمًا أَنْ تَجْعَلَ التَّشْيِيعَ عِنْدَهُ دِينَكَ وَشِعَارَكَ، وَاجْعَلِ الْمُدْخَلَ مِنْ جِهَةِ ظُلْمِ السَّلَفِ لِعَلِّيٍّ وَقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنِ، وَالتَّبَرُّيِّ مِنْ تَيْمٍ وَعَدِي، وَبَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ، وَأَنْ عَلِيًّا

= وَأَظْهَرَ مَقَالَتَهُ بَيْنَهُمْ، وَكَانَ يَقُولُ: الْعَجَبُ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّ عَيْسَى يَرْجِعُ وَيَكْذِبُ بِرَجُوعِ مُحَمَّدٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ) فَمُحَمَّدٌ أَحَقُّ بِالرَّجُوعِ مِنْ عَيْسَى، فَقَبِلَ ذَلِكَ عَنْهُ، وَوَضَعَ لَهُمُ الرُّجْعَةَ، فَتَكَلَّمُوا فِيهَا، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّهُ كَانَ أَلْفُ نَبِيٍّ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ، ثُمَّ قَالَ: مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلَيٌّ خَاتَمُ الْأَوْصِيَاءِ، وَكَانَ يَلْقَبُ بِابْنِ السُّودَاءِ لِسَوَادِ أُمِّهِ.

وَقَالَ الْذَهَبِيُّ فِي «الْمِيزَانِ» ٤٢٦/٢: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سِبْأٍ مِنْ غِلَاةِ الزُّنَادِقَةِ، ضَالٌّ مُضِلٌّ، أَحْسَبَ أَنَّ عَلِيًّا حَرَقَهُ بِالنَّارِ. وَانْظُرْ «مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ» ص ١٥، وَالْمَلَلُ وَالنَّحْلُ ١٧٤/٦.

(١) هُوَ يَهُودِيٌّ كَانَ اسْمُهُ الْعِبْرِيَّ: «شَاوُول»، ثُمَّ تَسَمَّى بِ«بُولُصٍ»، رَاجِعِ سَفَرِ «أَعْمَالِ الرِّسْلِ» ٩: ١٣، ادَّعَى أَنَّ الْمَسِيحَ ظَهَرَ فِي دِمَشْقَ، وَهُوَ الَّذِي وَضَعَ لِلنَّصْرَانِيَّةِ عَقِيدَةَ بَنُوَّةِ عَيْسَى الْمَسِيحِ لِلَّهِ، وَكَذَلِكَ عَقِيدَةُ الْفِدَاءِ.

(٢) فِي الْأَصْلِ: «اعْتِرَاضُهُ».

(٣) بَلَدٌ عَلَى نَهْرِ الْخَابُورِ قَرِيبَ رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طُوقٍ عَلَى سِتَّةِ فَرَاسِخٍ، وَعِنْدَهَا مَصْبُ الْخَابُورِ فِي الْفَرَاتِ، فَهِيَ فِي مِثْلِ بَيْنِ الْخَابُورِ وَالْفَرَاتِ. «مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ» ٤/ ٣٢٨.

(٤) الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الْقَاسِمِ الْبَصْرِيُّ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ (٤٠٣هـ). مُتَرَجِّمٌ فِي «السِّيَرِ» ١٧/ رَقْمُ التَّرْجُمَةِ (١١٠).

يَعْلَمُ الْغَيْبُ! يُفَوِّضُ^(١) إِلَيْهِ خَلْقُ الْعَالَمِ!! وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم، إلى أن قال: فَإِذَا أَنْسَتَ^(٢) مِنْ بَعْضِ الشَّيْعَةِ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِجَابَةً وَرَشْدًا، أَوْقَفْتَهُ عَلَى مِثَالِ عَلِيٍّ وَوَلَدِهِ، ﷺ. انتهى.

ولا شك أنه يَتَطَرَّقُ مِنْ سَبِّ الصَّحَابَةِ إِلَى سَبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ، ثم إلى سَبِّ الرِّسُولِ ﷺ؛ إِذْ أَهْلُ بَيْتِهِ وَأَصْحَابُهُ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْفَاعِلِينَ الصَّانِعِينَ.

قوله: «وَعُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ السَّابِقِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ - أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْأَثَرِ، وَأَهْلِ الْفِقْهِ وَالنَّظَرِ - لَا يَذْكُرُونَ إِلَّا بِالْجَمِيلِ، وَمَنْ ذَكَرَهُمْ بِسُوءٍ، فَهُوَ عَلَى غَيْرِ السَّبِيلِ».

ش: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. فيجب على كُلِّ مسلم^(٣) بعد موالاة الله ورسوله موالاة المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرابتهم، إِذْ كُلُّ أُمَّةٍ قَبْلَ مُبْعَثِ مُحَمَّدٍ ﷺ، علماؤها شراؤها إِلا المسلمين، فَإِنَّ^(٤) علماءهم خيارهم، فإنهم^(٥) خلفاء الرسول من أُمَّته، والمُحْيُونَ لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقاً يقينياً^(٦) على وجوب اتباع الرسول ﷺ. ولكن إذا وجد لِمُوَاحِدٍ مِنْهُمْ قولٌ قد جاء حديث صحيح بخلافه: فلا بُدَّ لَهُ فِي تَرْكِهِ مِنْ عَذْرِ.

وجوب موالاة
المؤمنين
وبخاصة أهل
العلم

(١) في (أ) و(ب): «يعرض» والمثبت من (ج) و(د) ومطبوعة مكة.

(٢) تصحفت في (ب): إلى: «أيت».

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» ٢٠/٢٣١ - ٢٣٣.

(٤) في (أ) و(ب) و(ج): «وأن» وهو خطأ.

(٥) في الأصول: «فإن» والمثبت من «مجموع الفتاوى» ٢٠/٢٣٢.

(٦) في (ب): يقيناً.

وَجَمَاعُ الْأَعْدَارِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ:

أَحَدُهَا: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ [أَنَّ] النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ .

وَالثَّانِي: عَدَمُ اعْتِقَادِهِ أَنَّهُ أَرَادَ تِلْكَ الْمَسْأَلَةَ بِذَلِكَ الْقَوْلِ .

وَالثَّالِثُ: اعْتِقَادُهُ^(١) أَنَّ ذَلِكَ الْحُكْمَ مَنسُوخٌ .

فَلَهُمُ الْفَضْلُ عَلَيْنَا وَالْمِئْتَةُ بِالسَّبْقِ، وَتَبْلِيغِ مَا أُرْسِلَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ إِلَيْنَا،
وَلِيُضَاحَ مَا كَانَ مِنْهُ يَخْفَى عَلَيْنَا، فَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ
لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا
إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

٣٠٩

قوله: «وَلَا نُفْضِلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ» .

ش: يُشِيرُ الشَّيْخُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الرَّدِّ عَلَى الْإِتِّحَادِيَّةِ وَجَهْلَةِ
الْمُتَصَوِّفَةِ^(٢)، وَإِلَّا فَأَهْلُ الْإِسْتِقَامَةِ يُوضُونَ بِمُتَابَعَةِ الْعِلْمِ، وَمُتَابَعَةِ الشَّرْعِ،
فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَى الْخَلْقِ كُلِّهِمْ مُتَابَعَةَ الرَّسْلِ^(٣)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾
[النساء: ٦٤]، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وَقَالَ تَعَالَى:
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
[آل عمران: ٣١].

لا يفضل أحد
من الأولياء
على أحد من
الأنبياء

قال أبو عثمان النيسابوري^(٤): مَنْ أَمَرَ السُّنَّةَ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا،
نَطَقَ بِالْحِكْمَةِ، وَمَنْ أَمَرَ الْهَوَى عَلَى نَفْسِهِ، نَطَقَ بِالْبِدْعَةِ .

(١) في (ب): «عدم اعتقاده»، وهو خطأ.

(٢) انظر «جامع الرسائل» ص ٢٠٥ - ٢٠٧، و«الفرقان» ص ٧١ - ٧٤، و«مجموع
الفتاوى» ٢/ ٢١٩ - ٢٤٧، و١١/ ٢٢٥ - ٢٢٩، و«درء تعارض العقل» ٤/ ٥.

(٣) في (ب): الرسول.

(٤) هو إسماعيل بن عبد الرحمن، وقد تقدم في الصفحة ٢٦٩.

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئاً من السنة إلا لِكِبَرٍ^(١) في نفسه.

والأمر كما قال، فإنه إذا لم يكن مُتَّبِعاً للأمر الذي جاء به الرسول، كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون مُتَّبِعاً لهواه، بغير هُدى من الله، وهذا غِشٌّ^(٢) النَّفْسِ، وهو من الكِبَرِ، فإنه^(٣) شعبة من قول الذين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْفَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَكَلِمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وكثير من هؤلاء يَظُنُّ^(٤) أنه يصل^(٥) برياسته واجتهاده في العبادة^(٦)، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم!

ومنهم من يَظُنُّ أنه قد صار أفضل من الأنبياء!!

ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!! ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء!! ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجبٌ بنفسه، ليس له صانع مباينٌ له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مُتَّبِعاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود^(٧) الخالق، كابن عربي وأمثاله!! وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تُختم! وادّعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

(١) في (أ): الكبر.

(٢) تصحف في (أ) و(ج) و(د) إلى: «عيش».

(٣) في (أ) و(ب) و(ج): «فإن»، وفي مطبوعة مكة: فإنه شبهه بقول.

(٤) في الأصول: «لا يظن» بزيادة «لا»، وهو خطأ.

(٥) تصحفت في الأصول الثلاثة إلى: «يضل»، والمثبت من (د).

(٦) تحرفت في الأصول إلى: «العادة».

(٧) في الأصول الثلاثة: الموجود، والمثبت من (د).

مَقَامُ النُّبُوَّةِ فِي بَرَزَخٍ فُويق^(١) الرَّسُولِ وَدُونَ الْوَلِيِّ^(٢)!!
وهذا قلبٌ للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال
تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. والثبوت أخص من الولاية،
والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك.

وقال ابن عربي أيضاً في «فصوصه»^(٣): ولما مثل النبي ﷺ النبوة
بالحائط من اللبن، فرأها قد كملت إلا موضع لبنة، فكان هو ﷺ موضع
اللبن، وأما خاتم الأولياء، فلا بُدَّ له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله النبي ﷺ،
ويرى نفسه في الحائط في موضع لبنتين!! ويرى نفسه تنطبع في موضع
[تينك] اللبنتين، فيكمل الحائط^(٤)!! والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين:
أن الحائط لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، واللبننة الفضة هي ظاهره وما يتبعه
فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو في الصورة الظاهرة
متبع فيه^(٥)، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بُدَّ أن يراه هكذا، وهو

(١) في الأصول الثلاثة: «فوق»، وهو خطأ، وجاء على الصواب في (د).

(٢) رواية البيت في «الفتوحات المكية» ٢/٢٥٢:

بين الولاية والرسالة برزخ فيه النبوة حُكْمُهَا لَا يُجْهَلُ
ولفظه في «لطائف الأسرار» لابن عربي ص ٤٩:

سماء النبوة في برزخ دوين الولي وفوق الرسول
ورواية الشارح لم نجد لها إلا عند شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل»
١٠/٢٠٤، و«جامع الرسائل» ١/٢٠٩.

(٣) ٦٣/١.

(٤) النص في «الفصوص»: وأما خاتم الأولياء، فلا بُدَّ له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله
به رسول الله ﷺ، ويرى في الحائط موضع لبنتين، واللبن من ذهب وفضة، فيرى
اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما، وتكمل بهما لبنة ذهب ولبنة فضة، فلا بُدَّ أن
يرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين فيكمل
الحائط.

(٥) النص في «الفصوص»: والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم
الرسول في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضة، وهو ظاهره وما يتبعه فيه من
الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو بالصورة متبع فيه.

مَوْضِعُ اللَّبَنَةِ الذَّهَبِيَّةِ فِي الْبَاطِنِ! فَإِنَّهُ يَأْخُذُ مِنَ الْمَعْدِنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُوحَى إِلَيْهِ إِلَى الرَّسُولِ^(١)، قَالَ: فَإِنْ فَهِمْتَ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ، فَقَدْ حَصَلَ لَكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ!!

فَمَنْ أَكْفَرُ مِمَّنْ ضَرَبَ لِنَفْسِهِ الْمِثْلَ بِلَبَنَةِ ذَهَبٍ، وَلِلرَّسُولِ الْمِثْلَ بِلَبَنَةِ فِضَّةٍ، فَيَجْعَلُ نَفْسَهُ أَعْلَى وَأَفْضَلَ مِنَ الرَّسُولِ؟! تِلْكَ أَمَانِيهِمْ: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِيغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]. وَكَيْفَ يَخْفَى كُفْرُ مَنْ هَذَا كَلَامُهُ؟! وَلَهُ مِنَ الْكَلَامِ أَمْثَالُ هَذَا، وَفِيهِ مَا يَخْفَى مِنْهُ الْكُفْرُ، وَمِنْهُ مَا يَظْهَرُ، فَلِهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى نَاقِدٍ^(٢) جَيِّدٍ، لِيُظْهِرَ زَيْفَهُ، فَإِنْ مِنَ الزَّعَلِ مَا يَظْهَرُ لِكُلِّ نَاقِدٍ، وَمِنْهُ مَا لَا يَظْهَرُ إِلَّا لِلنَّاقِدِ الْحَاضِرِ الْبَصِيرِ، وَكُفْرُ ابْنِ عَرَبِي وَأَمْثَالِهِ فَوْقَ كُفْرِ الْقَائِلِينَ: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ حَتَّى تُؤَقِّ مِثْلَ مَا أَوْقَى رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وَلَكِنْ ابْنَ عَرَبِي وَأَمْثَالُهُ مُنَافِقُونَ زَنَادِقَةٌ، اتِّحَادِيَّةٌ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، وَالْمُنَافِقُونَ يُعَامِلُونَ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ، لِإِظْهَارِهِمُ الْإِسْلَامَ، كَمَا كَانَ يُظْهِرُهُ الْمُنَافِقُونَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَيُبْطِنُونَ الْكُفْرَ، وَهُوَ يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا يَظْهَرُ مِنْهُمْ، فَلَوْ أَنَّهُ ظَهَرَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَا يُبْطِنُهُ مِنَ الْكُفْرِ، لَأَجْرَى عَلَيْهِ حُكْمُ الْمَرْتَدِّ، وَلَكِنْ فِي قَبُولِ تَوْبَتِهِ خِلَافٌ، وَالصَّحِيحُ عَدَمُ قَبُولِهَا، وَهِيَ رَوَايَةٌ مُعَلَّى^(٣) عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

كفر ابن عربي
وأمثاله

قَوْلُهُ: «وَتُؤْمِنُ بِمَا جَاءَ مِنْ كَرَامَاتِهِمْ، وَصَحَّ عَنِ الثَّقَاتِ مِنْ رَوَايَاتِهِمْ». ش: الْمَعْجَزَةُ^(٤) فِي اللُّغَةِ تَعُمُّ كُلَّ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ وَفِي^(٥) عُرِفَ أَيْمَةٌ

ثبوت كرامات
الأولياء

(١) فِي «الْفُصُوصِ»: الَّذِي يُوحَى بِهِ إِلَى الرَّسُولِ...

(٢) تَحْرَفُ فِي الْأَصُولِ إِلَى: «نَقْلٌ» وَفِي هَامِشِ (د) صَوَابُهُ: «نَاقِدٌ جَيِّدٌ».

(٣) هُوَ الْعَلَامَةُ الْحَافِظُ الْفَقِيهُ أَبُو يَعْلَى مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورِ الْحَنْفِيِّ، نَزِيلُ بَغْدَادٍ وَفَقِيهٌ، حَدَّثَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَانَ ثِقَةً صَدُوقًا، وَهُوَ صَاحِبُ حَدِيثٍ وَرَأْيٍ وَفَقَهُ وَوَرَعَ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ أَبِي يُونُسَ وَمُحَمَّدٍ، وَمِنْ ثِقَاتِهِمْ فِي النُّقْلِ وَالرَّوَايَةِ، رَوَى عَنْهُمَا الْكُتُبُ وَالْأَمَالِيُّ وَالتَّوَادِرُ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ. مُتَرَجِمٌ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» ١٠/٣٦٥ - ٣٧٠.

(٤) انْظُرْ «مَجْمُوعَ الْفَتَاوَى» ١١/٣١١ - ٣٣٥، فَالْنَّصُّ مَنْقُولٌ عَنْهُ، وَمَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِنْهُ.

(٥) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَالْفَتَاوَى، وَفِي طَبْعَةِ أَحْمَدَ شَاكِرٍ: «وَكَذَلِكَ الْكَرَامَةُ فِي عَرَفٍ...».

أهل العلم المتقدمين، [كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونهم الآيات] ولكن كثيراً من المتأخرين يُفرّقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما^(١) الأمر الخارق للعادة.

٣١١ فصِفَاتُ الكمال ترجع إلى ثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، وهذه الثلاثة لا تَصْلُحُ على [وجه] الكمال إلا لِلَّهِ وَحْدَهُ، فإنه الذي أحاط بِكُلِّ شيءٍ علماً، وهو على كُلِّ شيءٍ قدير، وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبي ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وكذلك قال نوح ﷺ، فهذا أولُ أولي العزم، وأولُ رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وهذا خاتمُ الرسل، وخاتمُ أولي العزم، وكلاهما تَبَرَّأ من ذلك، وهذا لأنَّهُم يُطَالِبُونَهُم:

تارة بعلم الغيب، كقوله تعالى: ﴿يَسْتَلْزِمُونَكَ مِنَ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا﴾ [النازعات: ٤٢].

وتارة بالتأثير، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَكَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَلْبُوعًا﴾ [الإسراء: ٩٠].

وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْشِئُ فِي الْأَتْرَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

فأمر الرسول أن يُخبرهم بأنه لا يَمْلِكُ ذلك، وإنما يَنَالُ من تلك الثلاثة بقدر ما يُعْطِيهِ الله، فيعلم ما علّمه الله إياه^(٢)، ويُقَدِّرُ على ما أقدره عليه، ويستغني عما أغناه عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة غالب الناس، فَجَمِيعُ المعجزات والكرامات ما تَخْرُجُ عن هذه الأنواع.

(١) في الأصول: وجماعها، والمثبت من «مجموع الفتاوى».

(٢) سقطت من (ب):

ثم الخارق: إن حَصَلَ به فائدة مطلوبة في الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مُباح، كان من نِعَمِ اللَّهِ الدُّنْيَوِيَّةِ التي تقتضي شكرًا، وإن كان على وجه يتضمَّن ما هو مَنهِيٌّ عنه نَهْيٌ تحريم، أو نهْيٌ تنزيه، كان سبباً للعذاب أو البُغْضِ، كالذي أوتِيَ الآيات فانسَلَخَ منها بلعام بن باعورا^(١)، لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أو غلبة حال، أو عجز أو ضرورة.

المحمود من
الخوارق
والمذموم
والمباح

فَالْخَارِقُ ثلاثة أنواع: مَحْمُودٌ في الدين، وَمَذْمُومٌ، وَمُبَاحٌ، فإن كان المُبَاحُ فيه منفعة كان نِعْمَةً، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها. قال أبو علي الجوزجاني: كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، فإنَّ نَفْسَكَ متحرِّكة في طلب الكرامة، وربُّكَ يَطْلُبُ منك الاستقامة.

قال الشيخ الشهروردي^(٢) في «عوارفه»^(٣): وهذا أصل كبير في^(٤) الباب، فإن كثيراً من المجتهدين المتعبدین سَمِعُوا سلف الصالحين المتقدمين، وما مُنِحُوا به من الكرامات وخوارق العادات، فَنَفَسُوهُمْ لا تَزَالُ تَتَطَّلَعُ إلى شيء من ذلك، وَيُجِبُونَ أَنْ يُزَرَّقُوا شيئاً منه، وَلَعَلَّ أَحَدَهُمْ يَبْقَى مُنْكَسِرَ القلب، مُتَّهِماً لنفسه في صحَّةِ عمله، حيث لم يَحْصُلْ له خارق، ولو علموا بِسِرِّ ذلك، لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يَفْتَحُ على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً، والحِكْمَةُ فيه أن يَزْدَادَ بما يرى من خوارق العادات وأمارَة^(٥) القدرة يقيناً، فيقوى عَزْمُهُ على الزُّهْدِ في الدنيا،

٣١٢

(١) بلعام بن باعورا: كان من عبّاد بني إسرائيل، لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه، رجاء قومه أن يدعوا على موسى وقومه، فاستجاب بعد إلحاح، فسلخه الله مما كان عليه. راجع كتب التفسير: [سورة الأعراف/ الآية ١٧٥].

(٢) هو شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله الشهروردي الصوفي البغدادي، صاحب التّصانيف، المتوفى سنة ٦٣٢هـ. مترجم في «السير» ٢٣٩/٢٢.

(٣) «عوارف المعارف» ص ٥٤.

(٤) كذا في الأصول، وفي طبعة أحمد شاکر: «ولهذا ضل كثير في»، وهي: أوجه.

(٥) في «العوارف»: آثار.

والخروج عن دواعي الهوى، فَسَبِيلُ الصَّادِقِ مَطَالِبَةُ النَّفْسِ بِالِاسْتِقَامَةِ،
فَهِىَ ^(١) كُلُّ الْكَرَامَةِ.

ولا ريب أن لِّلقلوبِ مِنَ التَّأثيرِ أَغْظَمَ مِمَّا ^(٢) لِلأبدانِ، لكن إن كانت
صَالِحَةً كان تأثيرُها صَالِحاً، وإن كانت فَاسِدَةً، كان تأثيرُها فَاسِداً. فالأحوالُ
يكونُ تأثيرُها محبوباً لله تعالى تَارَةً، ومكروهاً لله أخرى.

وقد تكلمَ الفقهاءُ في وجوبِ القَوَدِ على من يَقْتُلُ غَيْرَهُ في الباطنِ،
وهؤلاء يشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمرَ الكوني، وَيَعْدُونَ مُجَرَّدَ خَرَقِ الْعَادَةِ
لأحدهم أنه كَرَامَةٌ من الله له، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الْكَرَامَةُ لِرُؤْمِ
الاستقامة، وأن الله تعالى لم يُكْرِمْ عبداً بِكَرَامَةٍ أَغْظَمَ من مُوَافَقَتِهِ فيما يُحِبُّه
ويرضاه، وهو طَاعَتُهُ وَطَاعَةُ رَسُولِهِ، وَمُؤَالَاةُ أَوْلِيائِهِ، وَمَعَادَاةُ أَعْدَائِهِ،
وهؤلاء هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ قالَ فيهم: ﴿أَلَا إِنَّكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

وأما ما يبتلي الله تعالى به عبده مِنَ السَّرَاءِ بِخَرَقِ الْعَادَةِ أو بغيرها أو
بالضَّرَاءِ فليس ذلك لأجل كَرَامَةِ الْعَبْدِ على ربه ولا هَوَانِهِ عليه، بل قد سَعِدَ
بها قَوْمٌ إِذْ ^(٣) أَطَاعُوهُ، وشقى ^(٤) بها قَوْمٌ إِذْ ^(٥) عَصَوْهُ، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا
الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ رَبُّهُ فَآكَرَّمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ^(٦) ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَيْنَاهُ
فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنَنِ﴾ ^(٧) ﴿كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥ - ١٧].

(١) في (ب): وهي.

(٢) في الأصول: ما.

(٣) في الأصول: «إذا»، وهو خطأ.

(٤) في (ب): ويشقى.

(٥) (أكرمني) (أهانني) قرأهما البزي بياء في الوصل والوقف، وقرأهما نافع بياء في
الوصل خاصة، وروي عن أبي عمرو أنه خير في إثباتهما في الوصل أو حذفهما،
والمشهور عنده الحذف، وإن كان الرجحان عنه صحيحين، وقرأ الباكون بحذفها في
الموضعين. انظر «الكشف عن وجوه القراءات» ٣٧٤/٢، و«حجة القراءات»
ص ٧٩٤، و«النشر» ١٩١/٢، و«زاد المسير» ١١٩/٩، و«البدور الزاهرة» ص ٣٤٢.

ولهذا كان النَّاسُ في هذه الأمور ثلاثة أقسام: قسم ترتفع دَرَجَتُهُمْ بِخَرْقِ العادة، وقسم يَتَعَرَّضُونَ بها لعذابِ الله، وقسم يكونُ في حَقِّهِم بمنزلةِ المباحات، كما تقدم.

وتنوعُ الكَشْفِ والتأثيرِ باعتبارِ تنوعِ كلماتِ الله، وكلماتِ الله نوعان: كونية ودينية^(١).

كلمات الله
نوعان كونية
ودينية

فكلماته الكونية: هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لَا يَجَاوِزُهُنَّ^(٢) بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ»^(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤) [يس: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الأنعام: ١١٥]. والكُونُ كُلُّه داخلٌ تحتِ هذه الكلمات، وسائر الخوارق.

والنوع الثاني: الكلمات الدينية، وهي القرآنُ وشرعُ الله الذي بعث به رُسُولَه، وهي أَمْرُه ونَهْيُه وخَبَرُه، وحَظُّ العبدِ منها العِلْمُ بها، والعَمَلُ، والأمرُ بما أمر الله به، كما أن حظَّ العبادِ عموماً وخصوصاً العِلْمُ بالكونياتِ والتأثير فيها، أي: بموجبها، فالأولى تدبيرية كونية، والثانية شرعية دينية، فَكَشَفُ الأولى العِلْمُ بالحوادث الكونية، وَكَشَفُ الثانية العِلْمُ بالمأمورات الشرعية.

وقُدْرَةُ الأولى التأثيرُ في الكونيات، إما في نفسه، كمشيه على الماء، وطيرانه في الهواء، وجلوسه في النار، وإما في غَيْرِه، بإصحاح وإهلاك، وإغناء وإفقار.

- (١) انظر «شفاء العليل» ص ٢٨٢، و«الفرقان بين أولياء الرحمن وبين أولياء الشيطان» ص ١١٨ وما بعدها، و«مجموع الفتاوى» ١١/ ٢٧٠ - ٢٧١.
- (٢) في الأصول: «لا يتجاوزهن»، والمثبت من موارد الحديث.
- (٣) صحيح، وقد تقدم ص ١٨٩.
- (٤) في الأصل: (كلمات) على الجمع، وهي قراءة أبي عمرو، ونافع، وابن كثير، وابن عامر، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب: (كلمة) على التوحيد. انظر «الكشف عن وجوه القراءات» ١/ ٤٤٧، و«حجة القراءات» ص ٢٦٨، و«زاد المسير» ١١٠/٣.

وَقُدْرَةُ الثَّانِيَةِ التَّأْثِيرُ^(١) فِي الشَّرْعِيَّاتِ، إِمَّا فِي نَفْسِهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَإِمَّا فِي غَيْرِهِ بِأَنْ يَأْمُرَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَيَطَاعَ فِي ذَلِكَ طَاعَةً شَرْعِيَّةً.

فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ عَدَمَ الْخَوَارِقِ عِلْمًا وَقُدْرَةً لَا تَضُرُّ الْمُسْلِمَ فِي دِينِهِ، فَمَنْ لَمْ يَنْكَشِفْ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَغِيبَاتِ، وَلَمْ يُسَخَّرْ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْكُونِيَّاتِ، لَا يَنْقُصُهُ ذَلِكَ فِي مَرْتَبَتِهِ عِنْدَ اللَّهِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ أَنْفَعَ لَهُ، فَإِنَّهُ إِنْ اقْتَرَنَ بِهِ الدِّينُ وَإِلَّا هَلَكَ صَاحِبُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَإِنَّ الْخَارِقَ قَدْ يَكُونُ مَعَ الدِّينِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَ عَدَمِهِ، أَوْ فَسَادِهِ، أَوْ نَقْصِهِ.

فَالْخَوَارِقُ النَّافِعَةُ تَابِعَةٌ لِلدِّينِ، خَادِمَةٌ لَهُ، كَمَا أَنَّ الرِّيَاسَةَ النَّافِعَةَ هِيَ التَّابِعَةُ لِلدِّينِ، وَكَذَلِكَ الْمَالُ النَّافِعُ، كَمَا كَانَ^(٢) السُّلْطَانُ وَالْمَالُ النَّافِعُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَمَنْ جَعَلَهَا هِيَ الْمَقْصُودَةَ، وَجَعَلَ الدِّينَ تَابِعًا لَهَا، وَوَسِيلَةً إِلَيْهَا، لَا لِأَجْلِ الدِّينِ فِي الْأَصْلِ، فَهُوَ شَبِيهٌ بِمَنْ يَأْكُلُ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، وَلَيْسَتْ حَالُهُ كَحَالِ مَنْ تَدَيَّنَ خَوْفَ الْعَذَابِ، أَوْ رَجَاءِ الْجَنَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مَأْمُورٌ بِهِ، وَهُوَ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَشَرْعِيَّةٍ صَحِيحَةٍ.

وَالْعَجَبُ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يَزْعَمُ أَنَّ هَمَّهُ قَدْ ارْتَفَعَ عَنْ أَنْ يَكُونَ خَوْفًا مِنَ النَّارِ، أَوْ طَلِبًا لِلْجَنَّةِ، يَجْعَلُ هَمَّهُ بِدِينِهِ أَدْنَى خَارِقٍ مِنَ خَوَارِقِ الدُّنْيَا!! ثُمَّ إِنَّ الدِّينَ إِذَا صَحَّ عِلْمًا وَعَمَلًا، فَلَا بُدَّ أَنْ يُوجِبَ خَرَقَ الْعَادَةِ، إِذَا احتَاجَ إِلَى ذَلِكَ صَاحِبُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا وَإِذَا لَأَقْبَلَنَّ اللَّهُ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ

(١) سقطت من (ب).

(٢) تكررت «كان» في (أ) و(ج).

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٧﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿يونس: ٦٢ - ٦٤﴾.

٣١٤

وقال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ». ثم
قرأ قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحجر: ٧٥] رواه الترمذي
من رواية أبي سعيد الخدري^(١).

وقال تعالى فيما يروي^(٢) عنه رَسُولُهُ ﷺ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ
بَارَزَنِي بِالْمَحَارَبَةِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ
عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ، حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ
بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا،
وَلَيْثُن سَالِنِي، لِأُعْطِيَنَّهُ، وَلَيْثُن اسْتَعَاذَنِي، لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا
فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي فِي نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ وَلَا بُدَّ لَهُ
مِنْهُ»^(٣). فظهر أَنَّ الاستقامة حَظُّ الرَّبِّ، وَطَلَبُ الْكِرَامَةِ حَظُّ النَّفْسِ. وبالله
التوفيق.

وقولُ المعتزلة في إنكارِ الكرامة ظاهرُ البطلان، فَإِنَّهُ بمنزلة إنكارِ

(١) أخرجه الترمذي (٣١٢٧)، وابن جرير ٣٠/١٤، وفي سنده عطية العوفي، وهو
ضعيف. وأخرجه الطبراني (٧٤٩٧) من طريق عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن
صالح، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ،
فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ». وعبد الله بن صالح - وهو كاتب الليث - سيء الحفظ، ومع
ذلك فقد حسن الهيثمي إسناده في «المجمع» ٢٦٨/١٠، ولعله لشواهد. وفي
الباب عن ابن عمر وثوبان عند ابن جرير ٣٢/١٤، وفي الأول فرات بن السائب
وهو متروك، وفي الثاني مؤمل بن سعيد الرحبي وهو منكر الحديث. وعن أنس بن
مالك عند البزار (٣٦٢٠) بلفظ: «إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ» وذكره
الهيثمي في «المجمع»، وزاد نسبه إلى الطبراني في «الأوسط» وقال: إسناده
حسن، وحسنه أيضاً السخاوي في «المقاصد الحسنة» ص ٢٠، وانظر «تفسير ابن
كثير» ٤٦١/٤.

(٢) في (ب): يرويه.

(٣) تقدم تخريجه ص ٥٠٩.

المحسوسات، وقولهم^(١): لو صحت، لاشتبهت بالمعجزة^(٢)، فيؤدي إلى التباس النبي^(٣) بالولي، وذلك لا يجوز. وهذه الدغوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق، ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة، لم يكن ولياً، بل كان متنبئاً كذاباً، وقد تقدم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبئ، عند قول الشيخ: «وأن محمداً عبده المجتبي، وبيته المصطفى».

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا: أن الفراسة ثلاثة أنواع^(٤):

أنواع الفراسة

إيمانية: وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحققتها أنها خاطر يهجم^(٥) على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها^(٦)، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً، فهو أحد فراسة، قال أبو سليمان الداراني^(٧) كَلَّمَ: الفِرَاسَةُ مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان. انتهى.

وفراسة رياضية: وهي التي تحصل بالجوع والسهرة والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق، صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان، ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاية، وأصحاب عبارة الرؤيا^(٨) والأطباء ونحوهم.

وفراسة خلقية: وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا

(١) في الأصول وقوله.

(٢) في (أ) و(ج) و(د): المعجزة.

(٣) تحرفت في الأصول إلى: «التي».

(٤) انظر «مدارج السالكين» ٤٨٤/٢ - ٤٨٧.

(٥) تحرفت في (أ) و(ب) و(ج) إلى «يهجر» والمثبت من (د) و«المدارج».

(٦) في (أ) و(د) «استغالها». وفي (ب) و(ج): اشتغالها.

(٧) هو عبد الرحمن بن أحمد الداراني، ولد في حدود الأربعين ومئة، وهو من كبار الزهاد، مترجم في «سير أعلام النبلاء» ١٠/١٠ رقم الترجمة ٣٤.

(٨) في الأصول: الرؤساء، والمثبت من «مدارج السالكين».

بِالْخُلُقِ عَلَى الْخُلُقِ، لِمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْإِرْتِبَاطِ، الَّذِي ^(١) اقْتَضَتْهُ حِكْمَةُ اللَّهِ، كَالِاسْتِدْلَالِ ^(٢) بِصِغَرِ الرَّأْسِ الْخَارِجِ عَنِ الْعَادَةِ عَلَى صِغَرِ الْعَقْلِ، وَبِكِبَرِهِ ^(٣) عَلَى كِبَرِهِ، وَسَعَةِ الصَّدْرِ عَلَى سَعَةِ الْخُلُقِ، وَبِضَيْقِهِ عَلَى ضَيْقِهِ، وَبِجُمُودِ الْعَيْنَيْنِ وَكِلَالِ نَظَرِهِمَا عَلَى بِلَادَةِ صَاحِبِهَا، وَضَعْفِ حَرَارَةِ قَلْبِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قوله: «وَنُؤْمِنُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ: مِنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام مِنَ السَّمَاءِ، وَنُؤْمِنُ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ دَابَّةِ الْأَرْضِ مِنْ مَوْضِعِهَا».

الإيمان بأشراط
الساعة

ش: عن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ: قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ [مِنْ] أَدَمَ، فَقَالَ: «اغْذُذْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مَوْتَانِ» ^(٤) [يَأْخُذُ] فِيكُمْ كَقُعَاصِ ^(٥) الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِيفَاضَةُ ^(٦) الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ فَيَظْلُ سَاحِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا. وَرَوَى

(١) فِي الْأَصُولِ: «الَّتِي»، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ «الْمَدَارِجِ» وَمَطْبُوعَةُ مَكَّةَ.

(٢) فِي الْأَصُولِ: «فَالِاسْتِدْلَالِ»، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ «الْمَدَارِجِ» وَمَطْبُوعَةُ مَكَّةَ.

(٣) الْهَاءُ، سَقَطَتْ مِنَ الْأَصُولِ.

(٤) بَضُمَ الْمِيمُ وَسُكُونُ الْوَاوِ، قَالَ الْقَزَازُ: هُوَ الْمَوْتُ، وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ الْمَوْتُ الْكَثِيرُ الْوُقُوعُ، وَيُقَالُ بِالضَّمِّ لُغَةً تَمِيمٌ، وَغَيْرُهُمْ يَفْتَحُونَهَا، وَيُقَالُ لِلْبَلِيدِ: مَوْتَانُ الْقَلْبِ، وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: يَغْلَطُ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ، فَيَقُولُ: «مَوْتَانُ» بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالْوَاوِ، وَإِنَّمَا ذَاكَ اسْمُ الْأَرْضِ الَّتِي لَمْ تُحْيَ بِالزَّرْعِ وَالْإِصْلَاحِ. انْظُرْ «غَرِيبَ الْحَدِيثِ» ٤/ ٨٦ لِأَبِي عُبَيْدٍ، وَ«الْفَائِقُ» ٣/ ٥٣:

(٥) بَضُمَ الْقَافُ وَتَخْفِيفُ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ، وَبَعْدَ الْأَلْفِ صَادُ الْمَهْمَلَةِ، (وَضَبُّهُ الْحِفَافُ فِي «الْفَتْحِ» بِتَقْدِيمِ الْعَيْنِ عَلَى الْقَافِ، وَهُوَ خَطَأً). وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الْغَنَمَ لَا يُلْبِثُهَا أَنْ تَمُوتَ، وَمِنْهُ أَخَذَ الْإِقْعَاصُ فِي الْقَتْلِ، يُقَالُ: رَمَيْتَ الصَّيْدَ، فَأَقْعَصْتَهُ: إِذَا مَاتَ مَكَانَهُ. «غَرِيبَ الْحَدِيثِ» ٤/ ٨٦.

(٦) تَحَرَّفَتْ فِي الْأَصُولِ إِلَى: اسْتِقَامَةٌ.

«راية»^(١)، بالراء والغين، وهما بمعنى^(٢). رواه البخاري^(٣) وأبو داود، وابن ماجه، والطبراني.

وعن حذيفة بن أسيد، قال: اطلع^(٤) النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «ما تذكرون»^(٥)؟ قالوا: نذكر الساعة، فقال: «إنها لن تقوم حتى ترى^(٦) عَشْرُ آيَاتٍ: الدُّخَانُ، والدَّجَالُ، والدَّابَّةُ، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم». رواه مسلم^(٧).

(١) هي عند أبي داود (٤٢٩٢) من حديث ذي مخبر، وقال ابن الجوزي: رواه بعضهم: «غابة» بالباء الموحدة، وهي الأجمة، شبه كثرة الرماح للعسكر بها، فاستعيرت له. «عمدة القاري» ١٥/١٠٠.

(٢) قال الجواليقي: غاية وراية واحد؛ لأنها غاية المتبع إذا وقفت، وقف، وإذا مشت تبعها.

(٣) رقم (٣١٧٦) من طريق الحميدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر، قال: سمعت بسر بن عبيد الله أنه سمع أبا إدريس قال: سمعت عوف بن مالك... ورجال إسناده كلهم شاميون إلا الحميدي شيخ البخاري، فإنه مكي. وأخرجه ابن ماجه (٤٠٤٢) من طريق عبد الرحمن بن إبراهيم، عن الوليد بن مسلم به. ورواه الطبراني في «الكبير» ٤٠/١٨ (٧٠) من طريق دحيم، عن الوليد بن مسلم به، إلا أنه زاد بين عبد الله بن العلاء وبين بسر بن عبيد الله زيد بن واقد، فهو من المزيدي متصل الأسانيد به عليه الحافظ في «الفتح» ٢٧٧/٦. ورواه مختصراً أبو داود (٤٢٩٣) عن مؤمل بن الفضل، وابن ماجه (٤٠٩٥) عن عبد الرحمن بن إبراهيم ثلاثتهم عن الوليد بن مسلم. ورواه مطولاً أحمد ٢٥/٦، والطبراني (٧٢) من طريقين، عن صفوان، حدثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك، وزاد في آخره: «فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها. الغوطة في مدينة يقال لها. دمشق» وللحديث طرق أخرى عند الطبراني، انظر رقم (٩٨) و(١١٩) و(١٢٢) و(١٥٠).

(٤) في (ب): اطلع علينا.

(٥) في مسلم: ما تذكرون.

(٦) في مسلم: حتى ترون قبلها.

(٧) مسلم برقم (٢٩٠١)، وأخرجه أحمد ٦/٤، وأبو داود (٤٣١١)، وابن ماجه =

وفي «الصحيحين»، واللفظ للبخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: ذُكِرَ الدُّجَالُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ، وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدُّجَالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ»^(١).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الدُّجَالَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَ فَ رَ»^(٢)، فسرّه في رواية: «أي: كافر».

وروى البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِزْيِرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَقْبِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». ثم يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَاقْرَءُوا»^(٣) «إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْكَذِبُ إِلَّا لِلْأَوَّلِينَ﴾ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا»^(٤).

٣١٦

وأحاديث الدجال، وعيسى ابن مريم عليه السلام، يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيَقْتُلُهُ، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بَعْدَ قَتْلِهِ الدُّجَالَ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ في

= (٤٠٥٥)، والترمذي (٢١٨٣)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ٢٠/٣، والطيالسي (١٠٦٧)، وابن أبي شيبة ١٣٠/١٥ - ١٣١ والطبراني (٣٠٢٨) و(٣٠٢٩) و(٣٠٣٤)، والبخاري (٤٢٥٠).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٩) و(٣٤٤١) و(٥٩٠٢) و(٦٩٩٩) و(٧٠٢٦) و(٧١٢٨)، ومسلم (١٦٩) و(٢٢٤٧/٤)، وأبو داود (٤٧٥٧)، والترمذي (٢٢٣٥) و(٢٢٤١)، وأحمد ٣٧/٢ و١٣١، وابن أبي شيبة ١٢٨/١٥ والبخاري (٤٢٥٥) و(٤٢٥٦).
(٢) أخرجه البخاري (٧١٣١) و(٧٤٠٨)، ومسلم (٢٩٣٣) والترمذي (٢٢٤٥)، وأبو داود (٤٣١٦)، والطيالسي (١٩٦٣).

(٣) في (ب): فاقروا.

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٢٢) و(٢٤٧٦) و(٣٤٤٨) و(٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥)، والترمذي (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٤٠٧٨)، وأحمد ٢/٢٤٠، و٢٧٢، و٢٩٠، و٣٩٤ و٤٠٦ و٤١١ و٤٨٢ و٤٩٤، و٥٣٨، والطيالسي (٢٢٩٧).

ليلة واحدة ببركة دُعائه عليهم، يضيق هذا المختصر عن بسطها^(١).

وأما خروج الدَّابَّةِ وطلوع الشمس من المغرب، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢) [النمل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وروى البخاري عند تفسير الآية، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَأَاهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَلِكَ جِئْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ»^(٣).

وروى مسلم، عن عبد الله بن عمرو، قال حَفِظْتُ^(٤) مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ آيَاتِ خُرُوجِ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحَى، وَآيُهُمَا^(٥) مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»^(٦).

أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدُّجَالُ، ونزولُ

(١) انظر «النهاية» للمحافظ ابن كثير ١١٨١ - ١٨٤.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٢٠/٦ - ٢٢٤، والنهاية ١/١٩٠، و«روح المعاني» ٢٤/٢٠ - ٢٥.

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٣٥) و(٤٦٣٦) و(٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧)، وأبو داود (٤٣١٢)، وابن ماجه (٤٠٦٨)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٠/٤٤٢، والبعثي (٤٢٤٣).

(٤) في (ب): حدث.

(٥) في الأصول: «فأيتها»، والمثبت من صحيح مسلم.

(٦) أخرجه مسلم (٢٩٤١)، وأبو داود (٤٣١٠)، وابن ماجه (٤٠٦٩)، والطيالسي (٢٢٤٨)، وأحمد ٢/٢٠١، والبعثي (٤٢٩١).

عيسى ﷺ من السماء قبل ذلك، وكذلك خُرُوجُ يأجوج ومأجوج، كُلُّ ذلك أمورٌ مألوفة، لأنهم بشر، مشاهدةٌ مثلهم مألوفة، أما خروجُ الدابة على شكل^(١) غريبٍ غيرِ مألوفٍ، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمرٌ خارجٌ عن مجاري العادات. وذلك أَوَّلُ الآياتِ الأرضية، كما أن طُلُوعَ الشمسِ من مغربها على خلافِ عاداتها المألوفة، أولُ الآياتِ السماوية.

وقد أفرد النَّاسُ أحاديثَ أشراطِ الساعة [في] مصنفاتٍ مشهورة، يَضِيقُ عن بسطها هذا المختصر.

قوله: «وَلَا تُصَدِّقُ كَاهِنًا وَلَا عَرَّافًا، وَلَا مَنْ يَدَّعِي شَيْئًا يُخَالِفُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ».

ش: روى مسلم والإمام أحمد عن صفية بنت أبي عبيد، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقَبَّلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٢).

٣١٧
كذب الكاهن
والعراف

وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»^(٣).

والمُنْجِمُ^(٤) يَدْخُلُ في اسم «العراف» عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه، فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟

وفي «الصحيحين» و«مسند الإمام أحمد»، عن عائشة، قالت: سَأَلَ^(٥)

(١) في (ب): بشكل.

(٢) أخرجه أحمد ٦٨/٤ و٣٨٠/٥، ومسلم (٢٢٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» ١٠/٤٠٦ - ٤٠٧، وفي «أخبار أصبهان» ٢٣٦/٢.

(٣) تقدم تخريجه ص ٤٤١.

(٤) انظر «مجموع الفتاوى» ٣٥/١٩٣ - ١٩٥.

(٥) في (ج): سئل.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَاسٌ عَنِ الْكُهَّانِ؟ فَقَالَ: «لَيْسُوا بِشَيْءٍ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أحياناً بِالشَّيْءِ فَيَكُونُ حَقًّا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطُفُهَا الْجَنِّي فَيَقْرُؤُهَا»^(١) فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا^(٢) [أَكْثَرَ مِنْ] مِائَةِ كَذِبَةٍ^(٣).

وَفِي «الصَّحِيحِ» عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ، وَحُلْوَانُ الْكَاهِنِ خَبِيثٌ»^(٤).

وَحُلْوَانُهُ: الَّذِي^(٥) تَسْمِيهِ الْعَامَّةُ حَلَاوَتَهُ.

وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا يُعْطَاهُ الْمُتَجَمُّ وَصَاحِبُ الْأَزْلَامِ الَّتِي يُسْتَقْسَمُ بِهَا، مِثْلَ الْخَشْبَةِ الْمَكْتُوبِ عَلَيْهَا «ا ب ج د» وَالضَّارِبُ بِالْحَصَى، وَالَّذِي يَخْطُ فِي الرَّمْلِ، وَمَا يُعْطَاهُ هَؤُلَاءِ حَرَامٌ، وَقَدْ حَكَّى الْإِجْمَاعُ عَلَى تَحْرِيمِهِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، كَالْبَغْيِيِّ وَالْقَاضِي عِيَاضُ وَغَيْرُهُمَا.

(١) يَقْرُؤُهَا: يُرَدُّدُهَا، وَهِيَ رَوَايَةٌ لِلْبُخَارِيِّ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا بِلَفْظٍ: «فَيَقْرُؤُهَا» بَفَتْحِ الْبَاءِ وَالْقَافِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ، أَيْ؛ يَصْبِهَا، قَوْلٌ: قَرَرْتُ عَلَى رَأْسِهِ دَلْوًا: إِذَا صَبَبْتَهُ، فَكَأَنَّهُ صَبَّ فِي أُذُنِهِ ذَلِكَ الْكَلَامَ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَيَصَحُّ أَنْ يَقَالَ: الْمَعْنَى: أَلْقَاهَا فِي أُذُنِهِ بِصَوْتٍ، يَقَالُ: قَرَّ الطَّائِرُ: إِذَا صَوَّتَ.

(٢) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: فِيهَا.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢١٠) وَ (٥٧٦٢) وَ (٦٢١٣) وَ (٧٥٦١)، وَعَلَقَهُ بِرَقْمٍ (٣٢٨٨) وَمُسْلِمٌ (٢٢٢٨)، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرَدِ» (٨٨٢)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «مَشْكَلِ الْأَثَارِ» ١١٤/٣ - ١٥٥، وَالْبَغْيِيُّ (٣٢٥٨).

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٥٦٨) (٤١) مِنْ حَدِيثِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ بِلَفْظٍ: «ثَمَنُ الْكَلْبِ خَبِيثٌ، وَمَهْرُ الْبَغِيِّ خَبِيثٌ، وَكَسْبُ الْحَجَّامِ خَبِيثٌ». وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٣٧) وَ (٢٢٨٢) وَ (٥٣٤٦) وَ (٥٧٦١)، وَمُسْلِمٌ (١٥٦٧)، وَمَالِكٌ ٢/٦٥٦، وَأَحْمَدُ ٤/ ١١٨ - ١١٩ وَ ١٢٠، وَالشَّافِعِيُّ (١٢٢٤)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٤٢٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٢٧٦)، وَالنَّسَائِيُّ ٧/٣٠٩، وَابْنُ مَاجَهَ (٢١٥٩)، وَابْنُ الْجَارُودِ (٥٨١)، وَالْبَغْيِيُّ (٢٠٣٧)، وَالطَّحَاوِيُّ فِي «شَرْحِ مَعَانِي الْأَثَارِ» ٥١/٤ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «نَهَى عَنْ ثَمَنِ الْكَلْبِ، وَمَهْرِ الْبَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الْكَاهِنِ».

(٥) تَحَرَّفَ فِي الْأَصُولِ إِلَى: «الْتِي».

وفي «الصحيحين» عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحَدِيثِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: «أَتَذَرُونَّ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ اللَّيْلَةَ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَضَبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَمَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي، كَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَمَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ»^(١).

وفي «صحيح مسلم» و«مسند الإمام أحمد»، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَزْبَعَ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَخْسَابِ، وَالطُّغْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاِسْتِسْقَاءُ بِالْأَنْوَاءِ، وَالنِّيَاحَةُ»^(٢).

والتَّصَوُّصُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَسَائِرِ الْأَثَمَةِ، بِالنَّهْيِ عَنْ ذَلِكَ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يَتَسَعَ هَذَا الْمَوْضِعُ لَذِكْرِهَا.

وَصِنَاعَةُ التَّنْجِيمِ - الَّتِي مَضْمُونُهَا الْإِحْكَامُ وَالتَّأْثِيرُ^(٣)، وَهُوَ الِاسْتِدْلَالُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨٤٦) وَ(١٠٣٨) وَ(٤١٤٧) وَ(٧٥٠٣)، وَمُسْلِمٌ (٧١)، وَأَبُو دَاوُدَ (٣٩٠٦)، وَالنَّسَائِيُّ ١٦٤/٣ - ١٦٥، وَمَالِكٌ ١/١٩٢، وَأَحْمَدُ ١١٧/٤، وَابِيهَقِي ٣٥٧/٣ - ٣٥٨، وَالسُّبْرَانِيُّ (٥٢١٣) وَ(٥٢١٤) وَ(٥٢١٥) وَ(٥٢١٦)، وَالحَمِيدِيُّ (٨١٣)، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ (٢١٠٠٣)، وَابْنُ حَبَانَ (١٨٨). قَالَ الْبَغَوِيُّ فِي «شرح السنة» ٤/٤٢٠: كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ: إِذَا سَقَطَ نَجْمٌ وَطَلَعَ آخَرٌ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ذَلِكَ مَطَرٌ، فَيَنْسُبُونَ كُلَّ غَيْثٍ يَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى النَّجْمِ، فَيَقُولُونَ: مَطَرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا، وَأَرَادَ سَقَانَا اللَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، فَذَلِكَ جَائِزٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩٣٤)، وَأَحْمَدُ ٥/٣٤٢ - ٣٤٣، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ (٦٦٨٦)، وَأَبُو يَعْلَى (١٥٧٧)، وَالْحَاكِمُ ١/٣٨٣، وَابِيهَقِي ٤/٦٣. وَرَوَاتُهُ عِنْدَ الْجَمِيعِ: «وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنَّجْمِ» غَيْرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، فَقَدْ رَوَاهُ: «بِالْأَنْوَاءِ» كَلْفُظَ الشَّارِحِ.

(٣) وَلَا يَصِحُّ فِي نَظَرِ الْعَقْلِ السَّلِيمِ مَا يَزْعُمُهُ الْبَعْضُ مِنْ أَنَّ لِلْكُوكَبِ تَأْثِيرًا فِي حَصُولِ الْأَحْوَالِ النَّفْسَانِيَّةِ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْبَلَادَةِ، وَالسَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَحَسَنِ الْخَلْقِ، وَقَبِيحِهِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ، وَالْهَمَّ وَالسَّرُورَ، وَاللَّذَّةَ وَالْأَلَمَ، وَقَدْ تَوَسَّعَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي بَيَانِ جَهْلِ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ وَضَلَالِهِ، وَبَعْدَهُ عَنْ هُدَى الْإِسْلَامِ وَتَعَالِيمِهِ أَيْمًا تَوَسَّعَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» ٢/١٢٦ - ٢٤٢. وَقَدْ أُثْبِتَتِ الْوَقَائِعُ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ فِي دَعَاوِهِمْ تِلْكَ أَكْثَرَ مِمَّا يَصْدُقُونَ لِأَنَّهُمْ يَعْتَمِدُونَ عَلَى مَجْرَدِ الْإِتْفَاقِ وَالْمَصَادَقَةِ وَالظَّنِّ وَالْأَوْهَامِ، وَهِيَ لَا تَغْنِي فِي بَابِ الْحَقِّ شَيْئًا.

على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمزيج بين القوى الفلكية والغوائل الأرضية -: صِنَاعَةٌ مُحَرَّمَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، بَلْ هِيَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى لِسَانِ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه وَغَيْرُهُ: الْجِبْتُ: السُّخْرُ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يَأْكُلُ مِنْ خَزَائِجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: تَذَرِي مِمَّ هَذَا؟ قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكْهَنُتُ لِلْإِنْسَانِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أُخْسِنُ الْكِهَانَةَ^(١)، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقَيْتَنِي^(٢)، فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ^(٣).

وَالْوَاجِبُ عَلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَكُلِّ قَادِرٍ أَنْ يَسْعَى فِي إِزَالَةِ هَؤُلَاءِ الْمُنْجِمِينَ وَالْكَهَّانَ وَالْعُرَّافِينَ وَأَصْحَابِ الضَّرْبِ بِالرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالْقِرْعِ وَالْفَالَاتِ، وَمَنْعِهِمْ مِنَ الْجُلُوسِ فِي الْحَوَانِيتِ أَوْ الطَّرُقَاتِ، أَوْ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَى النَّاسِ فِي مَنَازِلِهِمْ لِذَلِكَ، وَيَكْفِي مَنْ يَعْلَمُ تَحْرِيمَ ذَلِكَ، وَلَا يَسْعَى فِي إِزَالَتِهِ، مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٨) [المائدة: ٧٩]. وَهَؤُلَاءِ الْمَلَاعِينُ يَقُولُونَ الْإِثْمَ^(٤)، وَيَأْكُلُونَ السُّحْتَ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَثَبِتَ فِي «السُّنَنِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِرَوَايَةِ الصَّدِيقِ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ، فَلَمْ

(١) الْكِهَانَةُ - بِكسْرِ الْكَافِ -: هِيَ الْإِخْبَارُ بِالْغَيْبِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقٍ شَرْعِيٍّ، وَكَانَ كَثِيرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا سِيَّمَا قَبْلَ الْبُعْثَةِ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَأْيًا مِنَ الْجَنِّ يُلْقِي إِلَيْهِ الْأَخْبَارَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْعِي أَنَّهُ يَسْتَدْرِكُ ذَلِكَ بِفَهْمٍ أُعْطِيَهُ.

(٢) فِي الْأَصُولِ: «وَلَقَيْتَنِي»، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ مَطْبُوعَةِ مَكَّةَ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٨٤٣)، فِي مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ، بَابِ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ.

(٤) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

يُغَيِّرُوهُ أَوْ شَكَ أَنْ يَغْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»^(١).

وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع:

نوع منهم: أهلُ تلبيسٍ وكذبٍ وخداعٍ الذين يُظهِرُ أَحَدُهُمْ طَاعَةَ الجَنِّ له، أو يدَّعي الحالَ مِن أهلِ المَحَالِ، من المشايخ النصَّابين، والفقراءِ الكذَّابين، والطَّرِيقَةِ المَكَّارِينَ، فهؤلاء يستجِفُّون العُقُوبَةَ البليغةَ التي تَرُدُّعُهُمْ وأمثالهم عن الكذبِ والتلبيسِ، وقد يكونُ في هؤلاء مَنْ يستحقُّ القَتْلَ، كمن يدَّعي النبوةَ بمثلِ هذه الخُرُجِلات، أو يَطْلُبُ تَغْيِيرَ شيءٍ من الشريعة، ونحو ذلك.

ونوعٌ: يتكلَّمُ في هذه الأمور على سبيل الجدِّ والحقيقة، بأنواع السحر. وجمهورُ العلماء يُوجبون قتلَ الساحر، كما هو مذهبُ أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر وابنه، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم، ثم اختلف هؤلاء: هل ^(٢) يُستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر؟ أم يُقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟ وقالت طائفة: إن قَتَلَ بالسُّحْرِ قُتِلَ، وإلاَّ عُوقِبَ بدون القتل، إذا لم يكن في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وهو قولُ في مذهب أحمد رحمهما الله ^(٣).

وقد تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه، والأكثرون يقولون: إنه

التنازع في
حقيقة السحر
 وأنواعه

(١) أخرجه أحمد ٢/١ و ٥ و ٧ و ٩، والترمذي (٢١٦٨) و (٣٠٥٧)، وأبو داود (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» ٣٠٣/٥، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٦٢/٢ و ٦٣ و ٦٤، وأبو يعلى في «مسنده» (١٢٨) و (١٢٩) و (١٣٠) و (١٣١) و (١٣٢)، والحميدي (٣)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (٨٦) و (٨٧) و (٨٨) و (٨٩)، والبغوي (٤١٥٣) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم أنه سمع أبا بكر الصديق . . وإسناده صحيح، وصححه الترمذي، وابن حبان (١٨٣٧) وغيرهما.

(٢) تحرفت في الأصول إلى: «قيل».

(٣) انظر «مجموع الفتاوى» ٣٤٦/٢٨ و ٣٨٤/٢٩.

قد يُؤثّر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، ورزّعم بعضهم أنه مجرد تخيل^(١).

واتفقوا كلّهم على أنّ ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها، أو خطابها، أو السجود^(٢) لها، والتّقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك، فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه، بل سدّه، وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ۖ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۖ (٨٩)﴾ [الصفّات: ٨٨ - ٨٩]. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ (٧٦)﴾ [الأنعام: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۖ (٨٢)﴾ [الأنعام: ٨٢].

واتفقوا كلّهم أيضاً على أنّ كلّ رقية وتعزيم، أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به، وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كلّ كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، وكذلك الكلام الذي لا يُعرف معناه لا يتكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يُعرف. ولهذا قال النبي ﷺ: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً»^(٣).

ولا يجوز الاستعاذة^(٤) بالجن، فقد ذمّ الله الكافرين على ذلك^(٥)، فقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُوا رِجَالًا مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۖ (٦)﴾ [الجن: ٦]. قالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذُ بعظيم هذا الوادي من سفّهائه، فبييت في أمن وجوار حتى يصبح: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۖ﴾ يعني: الإنس للجن، باستعاذتهم بهم، رهقاً، أي إثمًا وطغيانًا وجراءة وشرًا،

(١) انظر «التفسير القيم» ص ٥٧١ - ٥٧٣.

(٢) في (أ) و(ب) و(ج): «والسجود»، والمثبت من (د) ومطبوعة مكة.

(٣) أخرجه من حديث عوف بن مالك الأشجعي مسلم (٢٢٠٠)، وأبو داود (٣٨٨٦) والبخاري في «التاريخ الكبير» ٥٦/٧، والطبراني ١٨/ (٨٨).

(٤) في الأصول: الاستعاذة.

(٥) انظر: «التفسير القيم» ص ٥٤٢.

وذلك، أنهم قالوا: قد سُذِنَا الْجَنُّ وَالْإِنْسُ! فالجنُّ^(١) تعاضم في أنفسها، وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِنَّا كُنَّا بِكُمْ عِبَادُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]. فهؤلاء^(٢) الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم: ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشِرَ الْجِنَّ فَدَاً اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَاصْبِرْ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأنعام: ١٢٨] فاستمتع^(٣) الإنسي بالجنّي: في قضاء حوائجه، وامتنال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، ونحو ذلك، واستمتع الجنّ بالإنس: تعظيمه إياه، واستعائته به، واستغاثته، وخضوعه له.

ونوع منهم [يتكلم] بالأحوال الشيطانية، والكُشوف ومخاطبة رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله! وكان من هؤلاء من يُعِينُ المشركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين قد عصوا!! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين. والناس من أهل العلم فيهم [على] ثلاثة أحزاب:

حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس، وثبت عمن عاينهم، أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم، وتيقنوا وجودهم، خضعوا لهم.

وحزب عرفوهم، ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثَمَّ في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء!.

(١) تحرفت في الأصول إلى: «الحق»، وقد جاءت على الصواب في هامش (د).
(٢) في (ب): وهؤلاء.
(٣) تحرفت في الأصول إلى: «فاستمتع».

وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً^(١) خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا: يكون الرسول هو مُجِداً للطائفتين، فهؤلاء مُعْظَمُونَ للرسول جاهلون بدينه وشرعه.

والحق: أن هؤلاء من^(٢) أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، ويُسمَّون رجالاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] وإلا فالإنس يُؤْتَسُونَ، أي يشهدون ويُروُونَ، وإنما يحتجب الإنسي أحياناً، لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظنَّ أنهم من «الإنس» فَمِنْ غلظه وجهله، وسَبَب الضلال فيهم، وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة عَدَمُ الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

وَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: الفقراء يُسَلِّمُ إِلَيْهِمْ خَالَهُمْ! وهذا كلام باطل، بل الواجبُ عرضُ أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قُبِلَ، وما خالفها رُدَّ، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»^(٣).

وفي رواية: «مَنْ أَخَذَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقة ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصلُ أحدٌ^(٤) من الخلق بعِده^(٥) إلى الله

(١) في (ب): أولياء.

(٢) سقطت من: (ب).

(٣) أخرجه البخاري من حديث عائشة (٢٦٩٧)، وعلقه في موضعين في «صحيحه» ٤/ ٣٥٥ و٣١٧/١٣، وأخرجه مسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤)، والطيالسي (١٤٢٢)، وأحمد ٦/ ٢٧٠، والبيهقي ١٠/ ١١٩، والدارقطني في «سننه» ٤/ ٢٢٤ و٢٢٥ و٢٢٧، والقضاعي في «مسنده» (٣٥٩)، وابن حبان (٢٦) و(٢٧).

(٤) في (أ) و(ج) و(د): «أحدًا»، والمثبت من (ب) ومطبوعة مكة.

(٥) «من الخلق بعده» سقطت من (ب).

والى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً.

وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُصَدِّقًا فِيمَا أَخْبَرَ، ملتزماً لطاعته فيما أمر في الأمور
الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان: لم يكن
مؤمناً، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى، ولو طَارَ في الهواء، ومشى على
الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الجيب، ولو حَصَلَ له مِنَ
الخوارق ماذا عسى أن يحصل!! فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مع تركه الفعل المأمور وعزل
المحذور إلا مِنْ أَهْلِ الْأَحْوَالِ الشَّيْطَانِيَّةِ، الْمُبْعَدَةِ لِمُصَاحِبِهَا عَنْ اللَّهِ تَعَالَى،
الْمُقَرَّبَةِ إِلَى سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ، لَكِنْ مَنْ لَيْسَ يُكَلِّفُ مِنَ الْأَطْفَالِ وَالْمَجَانِينِ، قَدْ
رُفِعَ عَنْهُمْ الْقَلَمُ، فَلَا يُعَاقَبُونَ وَلَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَتَقْوَاهُ^(١) باطناً
وظاهراً ما يكونون^(٢) به مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ، وَجَزِيَةِ الْمُفْلِحِينَ، وَجُنْدِهِ
الْغَالِبِينَ، لَكِنْ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ تَبْعاً لَأَبَائِهِمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ^(٣) بِإِيمَانٍ لَحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ
أَمْرٍ إِنَّمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

اعتماد الولاية
في بعض البله
بدعة وضلال

فَمَنْ اعتقد في بعض البله أو المولعين - مع تركه لمتابعة الرسول في
أقواله وأفعاله وأحواله - أنه مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَيُقَضِّلُهُ عَلَى مُتَّبِعِي طَرِيقَةِ
الرَّسُولِ ﷺ، فهو ضالٌ مبتدع، مخطئ في اعتقاده، فَإِنَّ ذَاكَ الْأَبْلَهَ، إِمَّا أَنْ

(١) تحرفت في الأصول إلى: «يقراه» والتصويب من «الفتاوى» ٤٣١/١٠.

(٢) في الأصول: يكون: والمثبت من «الفتاوى».

(٣) قرأ أبو عمرو: «وَاتَّبَعْنَاهُمْ» بالنون والألف، و«ذُرِّيَّتَهُمْ» جمعاً في الموضعين
بكسر التاء وقرأ نافع: «وَاتَّبَعْتَهُمْ» بالتاء والتشديد، «ذُرِّيَّتَهُمْ» بغير ألف ورفع
التاء، «الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» بالألف وكسر التاء، وقرأ ابن عامر «وَاتَّبَعْتَهُمْ»
بالتشديد، «ذُرِّيَّتَهُمْ» بالألف ورفع التاء، «الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» جماعة وكسر
التاء. وقرأ أهل الكوفة وأهل مكة: «وَاتَّبَعْنَاهُمْ» بالتشديد، «ذُرِّيَّتَهُمْ» على واحد،
وارتفعت «الذرية» بفعلها «الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ» على التوحيد أيضاً، وهي مفعولة.
وانظر «الكشف» ٢/ ٢٩٠ - ٢٩١، و«حجة القراءات» ص ٦٨١ - ٦٨٢، و«زاد
المسير» ٥٠/٨.

يَكُونُ شَيْطَانًا زَنْدِيقًا، أَوْ زُوكَارِيًّا^(١) مُتَحَيِّلًا، أَوْ مَجْنُونًا مَعْدُورًا! فَكَيْفَ يُفْضَلُ عَلَى مَنْ هُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، الْمَتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ؟! أَوْ يُسَاوَى بِهِ؟! وَلَا يُقَالُ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُتَّبِعًا فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ كَانَ تَارِكًا لِلتَّبَاعِ فِي الظَّاهِرِ؟ فَإِنْ هَذَا خَطَأٌ أَيْضًا، بَلِ الْوَاجِبُ مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا. وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى الصَّدْفِي^(٢): قُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ: إِنْ صَاحِبِنَا اللَّيْثُ^(٣) كَانَ يَقُولُ: إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، فَلَا تَعْتَبِرُوا بِهِ حَتَّى تَغْرَضُوا أَمْرَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: قَصَّرَ اللَّيْثُ ﷺ، بَلِ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ، وَيَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ، فَلَا تَعْتَبِرُوا بِهِ حَتَّى تَغْرَضُوا أَمْرَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا مَا^(٤) يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أُطْلِعْتُ عَلَى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْبُلَهَ»^(٥) فَهَذَا لَا يَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا

(١) قَالَ الْمُرْتَضَى فِي «شَرْحِ الْقَامُوسِ» ٢٤٠/٣: الزُّوَاكِرَةُ: مَنْ يَتَلَبَّسُ فَيُظْهِرُ النَّسَكَ وَالْعِبَادَةَ، وَيُطِيقُ الْفُسْقَ وَالْفُسَادَ. نَقَلَهُ الْمُقْرِي فِي «نَفْحِ الطَّيْبِ».

(٢) الْمَصْرِيُّ الْمُقْرِي الْحَافِظُ الْمَتُوفَى سَنَةَ ٢٦٤ هـ مُتَرَجِمٌ فِي «السِّيَرِ» ٣٤٨/١٢:

(٣) تَحْرَفُ فِي: (أ) وَ(ج) وَ(د) إِلَى: الْكُتُبِ.

(٤) سَقَطَتْ مِنْ: (أ) وَ(ب) وَ(د).

(٥) حَدِيثٌ ضَعِيفٌ أَخْرَجَهُ الْكَلَابَاذِيُّ فِي «مِفْتَاحِ الْمَعَانِي» ١/٢٧٥، وَابْنُ عَسَاكِرَ ١٢/٣٤٥، وَفِي سَنَدِهِ مَصْعَبُ بْنُ مَاهَانَ، وَهُوَ كَثِيرُ الْخَطَأِ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى الْخُشَابُ، قَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ: لَيْسَ بِالْقَوِيِّ، وَكَذَبَهُ ابْنُ طَاهِرٍ، وَقَالَ ابْنُ حَبَانَ فِي «الضُّعْفَاءِ» ١٤٦/١: يُرْوَى عَنِ الْمَجَاهِيلِ الْأَشْيَاءِ الْمَنَاقِيرِ، وَعَنِ الْمَشَاهِيرِ الْأَشْيَاءِ الْمَقْلُوبَةِ، لَا يَجُوزُ عِنْدِي الْاِحْتِجَاجُ بِمَا انْفَرَدَ بِهِ مِنَ الْأَخْبَارِ، وَأُورِدَ ابْنُ عَدِي فِي «الْكَامِلِ» ١/١٩٤ هَذَا الْحَدِيثَ فِي تَرْجُمَتِهِ، فَقَالَ: وَهَذَا حَدِيثٌ بَاطِلٌ بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَأَخْرَجَهُ الطُّحَاوِيُّ فِي «مَشْكَلِ الْأَثَارِ» ٤/١٢١، وَالْبَزَارُ وَالِدَيْلَمِيُّ فِي «مُسْنَدَيْهِمَا»، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «الشَّعْبِ»، وَالْخَلْعِيُّ فِي «فَوَائِدِهِ»، كُلُّهُمْ مِنْ حَدِيثِ سَلَامَةَ بْنِ رُوحٍ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَكْثَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْبُلَهَ» وَسَلَامَةُ بْنُ رُوحٍ قَالَ فِيهِ أَبُو زُرْعَةَ: مَنكَرُ الْحَدِيثِ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَيْسَ بِالْقَوِيِّ مَحَلُّهُ عِنْدِي مَحَلُّ الْغَفْلَةِ، وَقَدْ عُدَّ هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مَنَكَرَاتِهِ، ثُمَّ هُوَ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ جَدِّ أَبِيهِ، إِنَّمَا أَخَذَ مِنْ كُتُبِهِ. وَنَقَلَ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّحَاوِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عِمْرَانَ أَنَّ الْبُلَهَ الْمُرَادِينَ فِيهِ هُمُ الْبُلَهَ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى لَا مَنْ سِوَاهُمْ مِمَّنْ بِهِ نَقْصُ الْعَقْلِ بِالْبُلَه.

ينبغي نسبته إليه، فإنَّ الجنة إنما خُلِقَتْ لأولي الألباب، الذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه، فلم يذكر في أوصافهم البله الذي هو ضَعْفُ العقل^(١)، وإنما قال النَّبِيُّ ﷺ: «أُطْلِغْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ»^(٢). ولم يَقُلِ البُلهُ!

والطائفة الملامية، وهُم الذين يفعلون ما يَلامُونَ عليه، ويقولون: نحن مُتَّبِعُونَ فِي الْبَاطِنِ، وَيَقْصِدُونَ إِخْفَاءَ الْمُرَائِنِ! ردوا بِأَطْلَهُمْ بِأَطْلٍ آخَرَ! والصراطُ المستقيم بين ذلك.

وكذلك الذين يَضَعُقُونَ عِنْدَ سَمَاعِ الْأَنْعَامِ الْحَسَنَةِ، مبتدعون ضالُّون! وليس للإنسان أن يَسْتَدْعِيَ ما يكون سَبَبَ زَوَالِ عَقْلِهِ! ولم يكن في الصحابة والتابعين مَنْ يفعل ذلك، ولو عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى نَفَّسَهُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

تبسيع من
يصعق عند
سماع الأنعام
الحسنة
٣٢٢

وأما الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْعُلَمَاءُ بِخَيْرٍ مِنْ عُقْلَاءِ الْمَجَانِينِ، فأولئك كان فيهم

(١) في (ب): القلب.

(٢) أخرجه من حديث ابن عباس مسلم (٢٧٣٧)، والترمذي (٢٦٠٢)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٩٢/٥، وأحمد ٢٣٤/١ و٣٥٩ و٤٢٩/٤، وأبو نعيم في «الحلية» ٣٠٨/٢، والطبراني في «الكبير» (١٢٧٦٥) و(١٢٧٦٦) و(١٢٧٦٧) و(١٢٧٦٨) و(١٢٧٦٩)، والطيالسي (٨٣٣)، وأخرجه من حديث عمران بن حصين البخاري (٣٢٤١) و(٥١٩٨) و(٦٤٤٩) و(٦٥٤٦)، والترمذي (٢٦٠٣)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٩٨/٨، وأحمد ٤٢٩/٤ و٤٣٧ و٤٤٣، وأبو نعيم ٣٠٨/٣، والخطيب ١٥٩/٥، وعبد الرزاق (٢٠٦١٠)، والطبراني في «الكبير» ٢١٠/١٨ و(٢٧٥) و(٢٧٨) و(٢٧٩) و(٢٩٠)، والطيالسي (٨٣٣).

خَيْرٌ، ثم زالت عقولهم، ومن علامة هؤلاء أنه إذا حَصَلَ في جنونهم^(١) نوعٌ من الصَّحْوِ، تكَلَّموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، ويهذون بذلك في حالِ زوال عقلهم، بخلاف غيرهم ممن يتكلم إذا حَصَلَ لهم نوعٌ إفاقةٍ بالكُفْرِ والشُّرْكِ، ويهذون بذلك في حالِ زوال عقلهم، ومن كان قَبْلَ جنونه كافراً أو فاسقاً، لم يكن حُدُوثُ جنونه مُزيلاً لما ثبت مِنْ كفره أو فسقه، وكذلك مَنْ جُنَّ من المؤمنين المتقين، يَكُونُ محشوراً مع المؤمنين المتقين، وزَوَالَ العقل بجنون أو غيره، سواء سُمِّيَ صاحبه مُولِهاً أو مُتَوَلِّهاً^(٢) لا يُوجِبُ مزيدَ حال صاحبه من الإيمان والتقوى، بل يبقى على ما كَانَ عليه مِنْ خيرٍ وشرٍّ، لا أَنَّهُ يَزِيدُهُ أو يَنْقُصُهُ، ولكن جنونه يَحْرِمُهُ الزيادةَ من الخير، كما أَنَّهُ يَمْنَعُ عَقُولَهُ على الشَّرِّ، ولا يمحو عنه ما كان عليه قَبْلَهُ.

وما يَحْصُلُ لبعضهم عند سَمَاعِ الأنغام المطربة^(٣) من الهذيان، والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه!! فذلك شيطانٌ يتكَلَّمُ على لسانه، كما يَتَكَلَّمُ على لسانِ المصروع، وذلك كُلُّهُ من الأحوالِ الشيطانية! وكيف يَكُونُ زَوَالَ العقل سبباً أو شرطاً أو تَقَرُّباً إلى ولاية الله، كما يظنُّه كَثِيرٌ من أهل الضلال؟! حتى قال قائلهم:

هُم مَعْشَرٌ حَلُّوا النِّظَامَ وَخَرَقُوا الـ سِيَّاحَ فَلَا قَرَضَ لَدَيْهِمْ وَلَا نَفْلَ
مَجَانِينَ إِلَّا أَن سِرَّ جُسُونِهِمْ عَزِيزٌ عَلَى أَبْوَابِهِ يَسْجُدُ^(٤) الْعَقْلُ
وهذا كلام ضال، بل كافر، يَظُنُّ أَن للجنون^(٥) سرّاً يَسْجُدُ الْعَقْلُ على بابه!! لِمَا رآه مِنْ بعض المجانين مِنْ نوع مكاشفة، أو تَصَرُّفٍ عجيبٍ خارقٍ للعادة، وَيَكُونُ ذلك بسبب ما اقترنَ به من الشياطين، كما يكون للسحرة

(١) في (أ) و(ج): «حياتهم»، وفي (ب): «حيرتهم»، والمثبت من (د) و«الفتاوى» ٤٤٢/١٠.

(٢) في (ب): مولعاً.

(٣) في (ب): الطيبة.

(٤) في الأصول: مسجد، والتصويب من «الفتاوى».

(٥) في الأصول: «الجنون»، والتصحيح من «الفتاوى».

والكُهان! فيظن هذا الضالُّ أن كل من كاشف أو خَرَقَ عادةً^(١) كان ولياً لله!!
ومن اعتقد هذا، فهو كافر، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ
تَنْزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]. فكل من تَنَزَّلَ
عليه الشياطين لا بد أن يكونَ عنده كَذِبٌ وفُجُورٌ.

وأما الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات، وَيَتَرَكُونَ الْجُمَعَ
والجماعات، فهم من الذين ضَلَّ سَعِيْهُم في الحياة الدنيا، وهم يَحْسَبُونَ
أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا قد طَبَعَ اللَّهُ على قُلُوبِهِمْ، كما قد ثبت في «الصحيح»
عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعَ تَهَاوُنًا مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ، طَبَعَ اللَّهُ
عَلَى قَلْبِهِ»^(٢). وكلُّ مَنْ عَدَلَ عن اتِّباع [سُنَّةِ] الرسول، إن كان عالماً بها،
فهو مَغْضُوبٌ عليه، وإلا فَهُوَ ضَالٌّ، ولهذا شَرَعَ اللَّهُ لنا أن نسأله في كُلِّ

(١) في (ب): العادة.

(٢) حديث صحيح، لكنه ليس في «الصحيح» كما ذكر الشارح. فقد أخرجه من حديث
أبي الجعد الترمذي (٥٠٠)، وأحمد ٤٢٤/٣، وأبو داود (١٠٥٢)، والنسائي ٣/
٨٨، وابن ماجه (١١٢٥)، والدارمي ٣٦٩/١، وابن الجارود (٢٨٨)، والدولابي
في «الكنى» ٢١/١، ٢٢، والبيهقي ١٧٢/٣ و٢٤٧، والطبراني في «الكبير» ٢٢/
(٩١٥) و(٩١٦) و(٩١٧) و(٩١٨) والبغوي (١٠٥٣)، والطحاوي في «مشكل
الآثار» ٢٣٠/٤، وسنده حسن، وصححه ابن خزيمة (١٨٥٧)، وابن حبان
(٥٥٤)، والحاكم ٢٨٠/١، ووافقه الذهبي. وله شاهد من حديث جابر عند ابن
ماجه (١١٢٦)، وأحمد ٣٢٣/٣، والحاكم ٢٩٢/١، والطحاوي ٢٣٠/٤، ونسبه
المزي في «تحفة الأشراف» ٢٠٩/٢ إلى النسائي، وليس هو في المطبوع،
وصححه الحاكم وحسنه الحافظ، وقل البوصيري في «مصابح الزجاجة» ورقة ٧٤:
هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وفي الباب عن أسامة بن زيد عند الطبراني
(٤٢٢) بلفظ: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ، كَتَبَ مِنَ الْمَنَافِقِينَ»، وفي
سنده جابر بن يزيد الجعفي، وهو ضعيف، وعن ابن عباس وابن عمر عند النسائي
٣٨٨ - ٨٩، وعن ابن عمر وأبي هريرة عند مسلم (٨٦٥)، والبغوي (١٠٥٤)،
والدارمي ٣٦٩/١، ولفظه عندهم: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ دَعْوِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ
لَيُخْتَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ». وعن كعب بن مالك عند الطبراني
١٩/١٩٧) وحسن إسناده الهيثمي ١٩٤/٢، وعن أبي قتادة عند أحمد ٣٠٠/٥،
وسنده حسن، وصححه الحاكم.

صلاة أن يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ المستقيم، صِرَاطَ الذين أنعم عليهم مِنَ النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وَحَسُنَ أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وأما من^(١) يتعلّقُ بقصة موسى مع الخضرِ عليهما السلام في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني، الذي يدّعيه بعض من عليم التوفيق: فهو مُلْحَدٌ زنديق، فإن موسى ﷺ لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته^(٢)، ولهذا قال له: أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، ومحمد ﷺ مبعوثٌ إلى جميع الثقلين، ولو^(٣) كان موسى وعيسى حيين، لكانا من أتباعه، وإذا نزل عيسى ﷺ إلى الأرض، إنما يحكم بشريعة محمد ﷺ، فَمَنْ ادّعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جَوَزَ^(٤) ذلك لأحد من الأمة: فليجذذ إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنه مُفَارِقٌ لدين الإسلام بالكلية فضلاً عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان، وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة، فحرك تَر.

وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا!! فهلا خَرَجَتِ الكعبةُ إلى الحُدَيْبِيَّةِ فطافت برسول الله ﷺ حين أُخْصِرَ عنها، وهو يودُّ منها نظرة؟! وهؤلاء لهم شبهة بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول: ﴿يَلْ يَريْدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوقَىٰ صُحُفًا مُّثَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢]، إلى آخر السورة.

قوله: «وَنَرَى الْجَمَاعَةَ حَقًّا وَصَوَابًا، وَالْفُرْقَةَ زِينًا وَعَذَابًا».

ش: قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

الجماعة حق
والفرقة زيغ

(١) في (ب): ما.

(٢) تحرفت في (أ) و(ب) و(ج) إلى: «بمنا بعضه»، والمثبت من (د).

(٣) سقطت من (أ) و(ج).

(٤) في (أ) و(ب) و(ج): أجوز، والمثبت من (د).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ تُخَلِّفُونَ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ - ١١٩]. فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف.

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ٧٦].

وقد تقدم قوله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، يَغْنِي الْأَهْوَاءُ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»^(١).

وفي رواية: قالوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». فَبَيَّنَ أَنَّ عَامَةَ الْمُخْتَلِفِينَ هَالِكُونَ إِلَّا أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَنَّ الْاِخْتِلَافَ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةَ.

وروى الإمام أحمد، عن معاذ بن جبل، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ^(٢) ذُئِبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ يَأْخُذُ الشَّارِدَةَ الْقَاصِيَةَ، فَيَأْكُمُ وَالشُّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، وَالْعَامَةِ، وَالْمَسْجِدِ»^(٣).

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ: أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ أَقْدَرُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾ قال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ» ﴿أَوْ يَلْسَنُكُمْ شِيعًا وَيَذِيقُ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾

(١) حديث صحيح. تقدم تخريجه ص ٣٤٠ ت (٤).

(٢) في الأصول بياض، وأثبتنا كلمة: «الشيطان» من «المسند».

(٣) أخرجه أحمد ٢٣٢/٥ - ٢٣٣ من طريق روح، حدثنا سعيد، عن قتادة، حدثنا العلاء بن زياد، عن معاذ بن جبل، وهذا سند صحيح، إلا أَنَّ الْعَلَاءَ بْنَ زِيَادٍ وَرَوَاتِهِ عَنْ مُعَاذٍ مَّرْسَلَةٌ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ أَيْضًا ٣٤٣/٥ مِنْ طَرِيقِ قَتَادَةَ، عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ رَجُلٍ حَدَّثَهُ يَثْقُ بِهِ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» ٢/٢٤٧، وَطَبْرَانِي فِي «الْكَبِيرِ» ٢٠/٣٤٤ (و) ٣٤٥.

[الأنعام: ٦٥] قال: «هَاتَانِ أَهْوُنُ»^(١).

فدلَّ على أنه لا بُدَّ أن يَلْبِسَهُمْ شَيْعاً، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ مع براءة الرسول من هذه الحال، وهم فيها في جاهليَّة، ولهذا قال الزُّهري: وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ متوافرون، فأجمعوا على أن كُلَّ دَمٍ أَوْ فَرَجٍ^(٢)، أُصِيبَ بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ: فهو هَذَرٌ، أنزلوهم منزلةً الجاهلية^(٣).

وقد روى مالكٌ بإسناده الثابت، عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تَقُولُ: تَرَكَ النَّاسُ الْعَمَلَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، يعني قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾^(٤) [الحجرات: ٩]، فإنَّ المسلمين لما اقتتلوا كَانَ الْوَاجِبُ الْإِصْلَاحَ بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يُعْمَلْ بذلك، صارت فتنةً وجاهلية.

وجوب رد
المسائل
المتنازع فيها
إلى الله
ورسوله

وهكذا مسائلُ النزاع التي تَنَازَعُ فيها الأُمَّةُ في الأصول والفروع - إذا لم تُرَدَّ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ - لم يَتَبَيَّنْ فيها الحقُّ، بل يَصِيرُ فيها المتنازعون على غيرِ بيِّنة من أمرهم، فإنَّ رحمهم الله، أقر بعضهم بعضاً، ولم يَنْبَغِ بَعْضُهُمْ على بعضٍ، كما كان الصحابةُ في خلافة عُمَرَ وعثمان يتنازعون في بعضِ مسائل الاجتهاد، فَيَقْرُرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، ولا يَعْتَدِي^(٥) ولا يُعْتَدَى عليه، وإن

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٨) و(٧٣١٣) و(٧٤٠٦)، وأخرجه الترمذي (٣٠٦٥)، وأحمد ٣/٣٠٩، والبخاري (٤٠١٦)، والحميدي (١٢٥٩)، وأبو يعلى (١٨٢٩) و(١٩٦٧) و(١٩٨٢) و(١٩٨٣) من حديث جابر بن عبد الله. وليس هو في «مسلم»، كما ظن الشارح.

(٢) في (أ) و(د): «قرح»، وهو تصحيف.

(٣) انظر «المصنف» (١٨٥٨٤)، و«سنن سعيد بن منصور» رقم (٢٩٥٣)، و«سنن البيهقي» ١٧٥/٨.

(٤) وفي «سنن البيهقي» ١٧٢/٨ من طريق محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الأمة من هذه الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾.

(٥) «ولا يعتدي» سقطت من (أ) و(ب) و(ج).

لم يُزَحِّمُوا، وَقَعَ بَيْنَهُمُ الْاِخْتِلَافُ الْمَذْمُومُ، فَبَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، إِمَّا بِالْقَوْلِ مِثْلَ تَكْفِيرِهِ وَتَفْسِيْقِهِ، وَإِمَّا بِالْفِعْلِ، مِثْلَ حَبْسِهِ وَضَرْبِهِ وَقَتْلِهِ. وَالَّذِينَ امْتَحَنُوا النَّاسَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، كَانُوا مِنْ هَؤُلَاءِ، ابْتَدَعُوا بَدْعَةً، وَكَفَرُوا مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا، وَاسْتَحْلَوْا مَنْعَ حَقِّهِ وَعَقُوبَتَهُ.

فَالنَّاسُ إِذَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ بَعْضُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرَّسُولَ: إِمَّا عَادِلُونَ وَإِمَّا ظَالِمُونَ، فَالْعَادِلُ فِيهِمْ: الَّذِي يَعْمَلُ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا يَظْلِمُ غَيْرَهُ، وَالظَّالِمُ: الَّذِي يَعْتَدِي عَلَى غَيْرِهِ، وَأَكْثَرُهُمْ إِنَّمَا يَظْلِمُونَ مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ يَظْلِمُونَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَلْتُوا إِلَيْكُمُ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩]. وَإِلَّا فَلَوْ سَلَكُوا مَا عَلِمُوهُ مِنَ الْعَدْلِ، أَقَرَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، كَالْمَقْلَدِينَ لِأُتَمَةِ الْعِلْمِ، الَّذِينَ يَعْرِفُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مَعْرِفَةِ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي تِلْكَ الْمَسَائِلِ، فَجَعَلُوا أُتَمَّتَهُمْ نَوَابِأً عَنِ الرَّسُولِ، وَقَالُوا: هَذِهِ غَايَةُ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، فَالْعَادِلُ مِنْهُمْ لَا يَظْلِمُ الْآخَرَ، وَلَا يَعْتَدِي عَلَيْهِ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، مِثْلَ أَنْ يَدَّعِي أَنْ قَوْلَ مَقْلَدِهِ هُوَ الصَّحِيحُ بِلَا حُجَّةٍ يُبْدِيهَا، وَيَذُمُّ مَنْ يُخَالِفُهُ مَعَ أَنَّهُ مَعْدُورٌ.

الاختلاف
نوعان:
اختلاف تنوع
اختلاف تضاد

ثُمَّ إِنَّ أَنْوَاعَ الْاِخْتِلَافِ وَالْاِفْتِرَاقِ فِي الْأَصْلِ قِسْمَانِ: اخْتِلَافٌ تَنَوُّعٌ، وَاخْتِلَافٌ تَضَادٌّ:

وَاخْتِلَافُ التَّنَوُّعِ عَلَى وَجْهِهِ، مِنْهُ مَا يَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ أَوْ الْفِعْلَيْنِ حَقًّا مَشْرُوعًا، كَمَا فِي الْقُرْآنِ الَّتِي اخْتَلَفَتْ فِيهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حَتَّى زَجَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ^(١).

وَمِثْلُهُ اخْتِلَافُ الْأَنْوَاعِ فِي صِفَةِ الْأَذَانِ، وَالْإِقَامَةِ، وَالِاسْتِفْتَاحِ وَمَحَلِّ سَجُودِ السَّهْوِ، وَالتَّشْهَدِ، وَصَلَاةِ الْخَوْفِ، وَتَكْبِيرَاتِ الْعِيدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، مِمَّا قَدْ شُرِعَ جَمِيعُهُ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَنْوَاعِهِ أَرْجَحُ أَوْ أَفْضَلُ.

ثُمَّ تَجِدُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأُمَّةِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْاِخْتِلَافِ مَا أَوْجَبَ اقْتِتَالَ

(١) قطعة من حديث صحيح. تقدم تخريجه ص ٤٢٨.

طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك! ولهذا عَيَّنَ المحرَّم، وكذا تجد كثيراً منهم في قلبه مِنَ الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر والنهي عنه: ما دخل به فيما نهى عنه النبي ﷺ.

ومنه ما يكون كُلُّ مِنَ القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يَخْتَلِفُ كثيرٌ من الناس في ألفاظ الحدود، وصَوِّغَ^(١) الأدلة، والتعبير عن المسميات، ونحو ذلك. ثم الجهل أو الظلم يَحْمِلُ على حَمْدِ^(٢) إحدى المقاتلين، وذمُّ الأخرى والاعتداء على قائلها! ونحو ذلك.

٣٢٦ وأما اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون: المَصِيبُ واحدٌ، والخَطْبُ في هذا أشدُّ، لأن القولين يتنافيان، لكن نَجِدُ كثيراً مِنْ هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حَقٌّ ما، أو معه دليل يقتضي حَقًّا ما، فَيَرُدُّ الحقَّ مع الباطل، حتى يبقى هذا مُبْطَلًا في البعض، كما كان الأول مبطلاً في الأصل، ولهذا يجري كثيراً لأهل السنة.

وأما أهل البدعة، فالأمرُ فيهم ظاهر، ومن جعل الله له هدايةً ونوراً، رأى من هذا ما يُبين^(٣) له منفعة ما جاء في الكتاب والسنة مِنَ النهي عن هذا وأشباهه، وإن كانت القلوب الصحيحة تُتَكَرَّرُ هذا، لكن نورٌ على نور.

والاختلاف الأول الذي هو اختلاف التنوع: الذمُّ فيه واقعٌ على مَنْ بغى على الآخر فيه، وقد دَلَّ القرآن على حَمْدِ^(٢) كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك، إذا لم يحصل بغى، كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]. وقد كانوا يختلفوا في

(١) في هامش (ب): صيغ.

(٢) في (ب): حمل، وهو تحريف.

(٣) في (ب): تبين.

قطع الأشجار، فَقَطَعَ قَوْمٌ، وترك آخرون ^(١).

وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانٌ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ^(٢) [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، فَخَصَّ سليمان بالفهم، وأثنى عليهما، بالحكم والعلم.

وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قُرَيْظَةَ لمن صَلَّى العصر في وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة ^(٣).

وكما في قوله ﷺ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ، فَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ» ^(٤) ونظائر ذلك.

(١) في البخاري (٤٨٨٤)، ومسلم (١٧٤٦) من طريق ليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع - وهي البؤيرة - فأنزل الله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَاسِقِينَ﴾. واللينة: هي النخل كله ما خلا البرني والعجوة، قال الزجاج: أهل المدينة يسمون جميع النخيل: الألوان ما خلا البرني والعجوة. وأصل «لينة» لونة، فقلت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

(٢) في «تفسير الطبري» ٣٨/١٧ من طريق المحاربي، عن أشعث، عن أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود في قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ قال: كَرَّمْ قد أنبت عناقيده، فأفسدته، قال: ففَضَى داود بالغنم لصاحب الكرم، فقال سليمان: غير هذا يا نبي الله، قال: وما ذاك؟ قال: تدفع الكرم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه، ودفعت الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانٌ﴾. ومعنى نفشت: رعت ليلاً، يقال: نفشت الغنم بالليل، وهي إبل تُفَشُّ وتُفَاشُ، ونَفَاشٌ، والواحد نَفَاشٌ، وسرحت وسربت بالنهار، وقال قتادة: النفس بالليل، والهَمَلُ بالنهار، وقال ابن السكيت: النفس: أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع. «زاد المسير» ٣٧١/٥.

(٣) أخرجه البخاري (٩٤٦) و(٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠)، والبيهقي (٣٧٩٨) من حديث ابن عمر.

(٤) أخرجه من حديث عمرو بن العاص البخاري (٧٣٥٣)، ومسلم (١٧١٦)، وابن ماجه (٢٣١٤)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» ١٥٨/٨، وأحمد ١٩٨/٤ و٢٠٤ و٢٠٥، والطحاوي في «مشكل الآثار» ٣٢٦/١، والخطيب في «تاريخه»: =

والاختلاف الثاني: هو ما حُمدَ فيه إحدى الطائفتين، ودُمتِ الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾^(١) [البقرة: ٢٥٣]. وقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾^(٢) [الحج: ١٩]، الآيات.

= ٢٣٥/٤ - ٢٣٦، والبغوي (٢٥٠٩)، والشافعي في «الرسالة» ص ٤٩٤، وفي «المسند» ١٣٩/٢، وأخرجه من حديث أبي هريرة البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، والترمذي (١٣٢٦)، والنسائي ٢٢٣/٨ - ٢٢٤، وأحمد ٢٠٤/٤ - ٢٠٥، وأبو داود (٣٥٧٤)، وابن ماجه (٢٣١٤)، وأخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» ص ٢٢٧ - ٢٢٨ من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة.

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله تعالى في «جامع البيان» ٣٨٠/٥ عند تفسير هذه الآية: يعني - تعالى ذكره - بذلك: ولو أراد الله منا اقتل الذين من بعدهم، يعني من بعد الرسل الذين وصفهم بأنه فضل بعضهم على بعض، ورفع بعضهم درجات، وبعد عيسى بن مريم، وقد جاءهم من الآيات بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووقفه. ويعني بقوله: ﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾ يعني من بعد ما جاءهم من آيات الله ما أبان لهم الحق وأوضح لهم السبيل، ولكن اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل لما لم يشأ الله منهم تعالى ذكره أن لا يقتلوا، فاقتلوا من بعد ما جاءتهم البينات من عند ربهم بتحريم الاقتال والاختلاف وبعد ثبوت الحجة عليهم بواحدية الله ورسالة رسله، ووحى كتابه، فكفر بالله وبآياته بعضهم، وآمن بذلك بعضهم، فأخبر تعالى ذكره أنهم أتوا ما أتوا من الكفر والمعاصي بعد علمهم بقيام الحجة عليهم بأنهم على خطأ تعمداً منهم للكفر بالله وآياته.

(٢) ثبت في البخاري (٤٧٤٣)، ومسلم (٣٠٣٣) من حديث أبي مجلز، عن قيس بن عباد، عن أبي ذر أنه كان يقسم فيها قسماً أن هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر. لفظ البخاري عند تفسيرها، ثم قال البخاري: حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي قال: حدثنا أبو مجلز، عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: اختصم المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبكم، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب =

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة، من القسم الأول، وكذلك إلى سفك الدماء، واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء، لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك. ولذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ نَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَيِّنَاتٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

وقريب من هذا الباب ما خرجاه في «الصحيحين»، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر، فاتوا منه، ما استطعتم»^(١).

= كلها، ونبينا خاتم الأنبياء فتحن أولى بالله منكم، فأفلق الله الإسلام على من ناواه، وأنزل: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ وكذا روى العوفي عن ابن عباس. وقال الحسن وعطاء ومجاهد: إنها في جميع المؤمنين والكفار، واختاره ابن جرير، وقال: ولا يخالف المروي عن علي وأبي ذر، لأن الذين تبارزوا بيدروا كانوا فريقين مؤمنين وكفار، إلا أن الآية إذا نزلت في سبب من الأسباب لا يمتنع أن تكون عامة في نظير ذلك السبب. انظر «جامع البيان» ٩٩/١٧ - ١٠٠، و«زاد المسير» ٤١٦/٥ - ٤١٧، و«تفسير ابن كثير» ٤٠١/٥ - ٤٠٢، و«فتح الباري» ٤٤٤/٨.

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم ١٨٣١/٤ (١٣١)، وأحمد ٢/٢٥٨، وهو من طرق أخرى عن أبي هريرة في «المسند» ٢٤٧/٢ و٣١٣ و٤٢٨ و٤٥٦ و٤٥٧ و٤٦٧ و٤٨٢ و٤٩٥ و٥٠٨ و٥١٧، والترمذي (٢٦٧٩)، والنسائي ١١٠/٥ - ١١١، والبيهقي (٩٨) و(٩٩)، وابن ماجه (٢)، ومسلم (١٣٣٧)، والطبراني (١٢٨٠٥)، والدارقطني ٢/٢٨١، والبيهقي ٤/٣٢٥ - ٣٢٦. وذكر مسلم سبب هذا الحديث من رواية محمد بن زياد، فقال: عن أبي هريرة، خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج فحجوا»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت نعم، لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم...» وأخرجه الدارقطني ٢/٢٨٢ مختصراً، وزاد فيه: فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾.

فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللاً بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

ثم الاختلاف في الكتاب، من الذين يُقروْنَ به - على نوعين:

الاختلاف في
الكتاب

أحدهما: اختلاف في تنزيله.

والثاني: اختلاف في تأويله، وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض.

فالأول كاختلافهم في تكلم الله بالقرآن وتنزيله، فطائفة قالت: هذا الكلام حصل بقدرته ومشيئته، لكنه مخلوق في غيره لم يُقَمْ به، وطائفة قالت: بل هو صفة له قائم بذاته ليس بمخلوق، لكنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته. وكل من الطائفتين جمعت في كلامها بين حق وباطل، فأمنت^(١) ببعض الحق، وكذبت بما تقولهُ الأخرى من الحق، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وأما الاختلاف في تأويله، الذي يتضمَّن الإيمان ببعضه دون بعض، فكثير، كما في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فُقي في وجهه حب الرمان، فقال: أبهذا أُمِرْتُمْ؟ أم بهذا وكلتُمْ؟ أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ؟ انظُرُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَاتَّبِعُوهُ، وَمَا نُهِيتُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا^(٢).

وفي رواية: «يَا قَوْمُ بِهَذَا ضَلَّتِ الْأُمَمُ قَبْلَكُمْ، بِاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَضَرْبِهِمُ الْكِتَابَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ لِيَضْرِبُوا بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَلَكِنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، مَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا تَشَابَهَ، فَامْنُوا بِهِ».

وفي رواية: «إِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا، وَإِنَّ الْمِرَاءَ فِي

(١) تحرفت في (ب) إلى: «وقامت».

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٣٠.

الْقُرْآنِ كُفِّرَ». وهو حديث مشهور، مُخَرَّجٌ فِي «الْمَسَانِدِ»^(١) وَ«السِّنَنِ».

وقد روى أصل الحديث مسلمٌ في «صحيحه»، من حديث عبد الله بن رباح الأنصاري أن عبد الله بن عمرو^(٢) قال: هَجَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا، فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرِفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَذَا مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ فِي الْكِتَابِ»^(٣).

وجميع أهل البدع مختلفون في تأويله، مؤمنون ببعضه دون بعض، يُقِرُّونَ بِمَا يُوَافِقُ رَأْيَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ، وَمَا يُخَالِفُهُ، إِمَّا أَنْ يَتَأَوَّلُوهُ تَأْوِيلًا يُخَرِّفُونَ فِيهِ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَقُولُوا: هَذَا مُتَشَابِهٌ لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَعْنَاهُ، فَيَجْحَدُونَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنْ مَعَانِيهِ، وَهُوَ فِي مَعْنَى الْكُفْرِ بِذَلِكَ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّفْظِ بِلَا مَعْنَى هُوَ مِنْ جِنْسِ إِيْمَانِ أَهْلِ الْكِتَابِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا﴾^(٤) [الجمعة: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا﴾^(٥) [البقرة: ٧٨]، أي: إِلَّا تِلَاوَةً مِنْ غَيْرِ فُهُم مَعْنَاهُ. وَلَيْسَ هَذَا

(١) فِي (ب): الْمَسَانِيدُ.

(٢) تَحَرَّفَ فِي الْأَصُولِ إِلَى: «عَمْرٍ».

(٣) قَدَمَ تَخْرِيجَهُ ص ٢٣٠.

(٤) شَبَّهَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مَنْ حَمَلَهُ كِتَابَهُ لِيُؤْمِنَ بِهِ، وَيَتَذَكَّرَ بِهِ، وَيَعْمَلَ بِهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ خَالَفَ كُلَّ ذَلِكَ، وَاقْتَصَرَ عَلَى حِفْظِهِ وَاسْتِظْهَارِهِ بِالْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَى ظَهْرِهِ زَامِلَةً أَثْقَالَ لَا يَعْقِلُ مَا فِيهَا، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهَا، وَحَفْظَهُ مِنْهَا حَمْلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ لَيْسَ إِلَّا.

وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ هَذَا الْمَثَلَ، وَإِنْ كَانَ قَدْ ضَرَبَ لِلْيَهُودِ، فَهُوَ مُتَنَاوِلٌ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لِمَنْ حَمَلَ الْقُرْآنَ، فَتَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ، وَلَمْ يُوَدِّهِ حَقُّهُ، وَلَمْ يَرِعْهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ. انْظُرْ «زَادَ الْمَسِيرَ» ٨/٢٦٠، وَ«رُوحَ الْمَعَانِي» ٢٨/٩٥، وَ«جَامِعَ الْبَيَانِ» ٢٨/٦٣.

(٥) فِي مَعْنَى الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهَا الْأَكَاذِبُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «إِلَّا أَمَانِي» يَرِيدُ: إِلَّا قَوْلًا يَقُولُونَهُ بِأَفْوَاهِهِمْ كَذِبًا. وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ، وَاخْتِيَارُ الْفَرَاءِ أَنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ قَالَ لِابْنِ دَابٍّ وَهُوَ يَحْدُثُ (وَكُنَّ يَضَعُ الشَّعْرَ وَأَحَادِيثَ السَّمْرِ): أَهَذَا شَيْءٌ =

كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القرآن فَعَمِلَ به، واشتبه عليه بَغْضُهُ، فَوَكَّلَ عِلْمَهُ إلى الله، كما أمره النبي ﷺ بقوله: «فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ، فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ»^(١)، فامتثل أمر نبيه ﷺ.

قوله: «وَدَيْنَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَاحِدٌ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ»^(٢)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلَسَلَمُوا﴾ [آل عمران: ١٩]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وَهُوَ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالتَّقْصِيرِ، وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّغْطِيلِ، وَبَيْنَ الْجَبْرِ وَالْقَدَرِ، وَبَيْنَ الْأَمْنِ وَالْإِيَّاسِ.

ش: ثبت في «الصحيح» عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّا مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ دِينُنَا وَاحِدٌ»^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] عامٌ في كل زمان، وَلِكِنَّ الشَّرَائِعَ تَتَنَوَّعُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

الإسلام هو
دين الله وهو
واحد في
الأرض
والسما

= رويته أم شيء تمنيته؟ يريد: افعلته.

والثاني: أن الأمانى: التلاوة، فمعناه: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعون به يتلى عليهم. وهذا قول الكسائي والزجاج. والثالث: أنها أمانيتهم على الله. قاله قتادة.

ورجح الطبري الأول، فقال: وأولى ما روي في تأويل قوله: «إلا أمانى» بالحق، وأشبهه بالصواب الذين قاله ابن عباس الذي رواه عنه الضحاك، وقول مجاهد: إن الأمانى الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية أنهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله على موسى شيئاً، ولكنهم يتخرصون الكذب، ويقولون الأباطيل كذباً وزوراً. انظر «جامع البيان» ٢/٢٦٢، و«زاد المسير» ١٠٥/١ - ١٠٦، و«معاني القرآن» ٤٩/١ - ٥٠ للفرأ، و«معاني القرآن» ١٣٢/١ للزجاج.

(١) فقطعة من الحديث السابق، وهو رواية لأحمد ١٨١/٢.

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» ١٩/١٠٦ - ١١٦ و ١٨٠ - ١٨٦.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٣)، ومسلم (٢٣٦٥) (١٤٥) بلفظ: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لِعَلَاتٍ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»، وأخرجه أحمد ٤٠٦/٢ و ٤٣٧ بلفظ: «الأنبياء إخوة لِعَلَاتٍ دينهم واحد، وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه مربوع إلى الحمرة والبياض، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصيبه بلل...». وهو في «المسند» ٢/٣١٩، و«شرح السنة» (٣٦١٩).

فَقَدِينُ الْإِسْلَامِ: هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لِعِبَادِهِ عَلَى السَّنَةِ
رُسُلِهِ، وَأَصُولُ هَذَا الدِّينِ وَفُرُوعُهُ موروثةٌ عَنِ الرُّسُلِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ غَايَةً
الظُّهُورِ، يُمَكِّنُ كُلَّ مِمِّيزٍ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، وَفَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ، وَذِكْرِي وَبَلِيدٍ أَنْ
يَدْخُلَ فِيهِ بِأَقْصَرِ زَمَانٍ، وَإِنَّهُ يَقَعُ الْخُرُوجُ مِنْهُ بِأَسْرَعٍ مِنْ ذَلِكَ، مِنْ إِنْكَارِ
كَلِمَةٍ، أَوْ تَكْذِيبٍ، أَوْ مَعَارِضَةٍ، أَوْ كَذِبٍ عَلَى اللَّهِ، أَوْ ارْتِيَابٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ،
أَوْ رَدٍّ لِمَا أَنْزَلَ، أَوْ شَكٍّ فِيْمَا نَفَى اللَّهُ عَنْهُ الشُّكَّ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا فِي مَعْنَاهُ.

سهولة تعلم
الإسلام

فَقَدْ ذَلَّ الْكِتَابُ وَالسَّنَةُ عَلَى ظُهُورِ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَسَهُولَةِ تَعَلُّمِهِ، وَأَنَّهُ
يَتَعَلَّمُهُ الْوَاقِدُ، ثُمَّ يُؤَلِّي فِي وَقْتِهِ. وَاخْتِلَافُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ
الْأَلْفَاظِ بِحَسَبِ مَنْ يَتَعَلَّمُ، فَإِنْ كَانَ بَعِيدَ الْوَطَنِ، كَضِمَّامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ^(١)
وَالنَّجْدِيِّ^(٢)، وَوَفِدِ عَبْدِ الْقَيْسِ^(٣)، عَلَّمَهُمْ مَا لَا يَسْعُهُمْ جَهْلُهُ، مَعَ عِلْمِهِ أَنَّ
دِينَهُ سَيَتَشَرُّ فِي الْآفَاقِ، وَيُرْسَلُ إِلَيْهِمْ مِنْ يُفْقَهُهُمْ فِي سَائِرِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ،
وَمَنْ كَانَ قَرِيبَ الْوَطَنِ، يُمَكِّنُهُ الْإِتْيَانُ كُلَّ وَقْتٍ، بِحَيْثُ يَتَعَلَّمُ عَلَى التَّدْرِيجِ،
أَوْ كَانَ قَدْ عِلِمَ فِيهِ أَنَّهُ قَدْ عَرَفَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ، أَجَابَهُ بِحَسَبِ حَالِهِ وَحَاجَتِهِ،
عَلَى مَا تَذُلُّ قَرِينَةُ حَالِ السَّائِلِ، كَقَوْلِهِ: «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمَّ»^(٤).

٣٢٩

وَأَمَّا مَنْ شَرَعَ دِينًا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ، فَمَعْلُومٌ أَنَّ أَصُولَهُ الْمُسْتَلْزِمَةَ لَهُ لَا

(١) السَّعْدِيُّ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، أَرْسَلَهُ قَوْمُهُ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَنَةَ تِسْعٍ،
كَمَا جَزَمَ بِهِ ابْنُ إِسْحَاقَ وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَغَيْرُهُمَا. وَانْظُرْ خَبْرَهُ فِي ابْنِ هِشَامٍ ٥٧٣/٢ -
٥٧٥، وَابْنِ سَعْدٍ ٢٩٩/١، وَأَحْمَدُ (٢٣٨٢)، وَالْحَاكِمُ ٥٤/٣، وَأَبِي دَاوُدَ (٤٨٧)،
وَالْبُخَارِيُّ (٦٣)، وَمُسْلِمُ (١٢).

(٢) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْبُخَارِيُّ (٤٦) وَ(١٨٩١) وَ(٢٦٧٨)
و(٦٩٥٦)، وَمُسْلِمُ (١) وَمَالِكُ ١٧٥/١: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ
نَجْدٍ ثَائِرِ الرَّأْسِ...

(٣) خَبَرُ قَدُومِهِمْ فِي «الصَّحِيحِينَ»: الْبُخَارِيُّ (٥٣)، وَمُسْلِمُ (١٧)، وَأُورِدَهُ الْإِمَامُ ابْنُ
الْقَيْمِ فِي «زَادِ الْمَعَادِ» ٦٠٥/٣ - ٦٠٩، وَذَكَرَ مَا فِيهِ مِنَ الْفَوَائِدِ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٤١٣/٣ وَ(٣٨٥)، وَمُسْلِمُ (٣٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤١٠)، وَابْنُ مَاجَةٍ
(٣٩٧٢)، وَالتَّيَالِيسِيُّ (١٢٣١)، وَالدَّارِمِيُّ ٢٩٨/٢، وَالبُغْوِيُّ (١٦)، وَالتَّطْبِرَانِيُّ
(٦٣٩٦) وَ(٦٣٩٧) وَ(٦٣٩٨)، وَابْنُ حِبَّانَ (٢٥٤٣)، وَالْخَطِيبُ ٣٧٠/٢ وَ(٣٣٤/٩)
٤٥٤ وَ(٧٨/١١). وَابْنُ أَبِي عَاصِمٍ (٢١).

يجوز أن تكون منقولة عن النبي ﷺ ولا عن غيره من المرسلين، إذ هو باطل، وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق.

دين الإسلام
بين الغلو
والتقصير

وقوله: «بين الغلو والتقصير» قال تعالى: ﴿يَتَاهَلُ الْكَتِبَ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكَتِبَ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ ٨٧ ﴿وَكُلُوا مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ٨٧ - ٨٨].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا؟! لِكُنِّي^(١) أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَنَاامُ ، وَآكُلُ اللَّحْمَ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي^(٢)».

وفي غير «الصحيحين»: «سألوا عن عبادته في السر، فكانهم تقولوها»^(٣).

(١) في (ب): ولكني.

(٢) أخرجه من حديث أنس بن مالك بهذا اللفظ مسلم (١٤٠١)، وأحمد ٢٤١/٣ و٢٥٩ و٢٨٥، والنسائي ٦٠/٦، وابن سعد ٣٧١/١ - ٣٧٢، والبيهقي ٧٧/٧، وهو في البخاري (٥٠٦٣)، والبخاري (٩٦) بنحوه. وأخرج البخاري (٦٦٠١) و(٧٣٠١)، ومسلم (٢٣٥٦)، وأحمد ٤٥/٦، والنسائي في «اليوم والليلة» كما في «التحفة» ٣٢٠/١٢، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٣٦)، والبخاري (١٠٠) من حديث عائشة قالت: صنع رسول الله ﷺ أمراً فترخص فيه، فبلغ ذلك ناساً من أصحابه، فكانهم كرهوه وتنزهوا عنه، فبلغه ذلك، فقام خطيباً، فقال: «ما بال أقوام بلغهم عني أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله، وأشدهم له خشية».

(٣) أخرجه البيهقي ٧٧/٧ بلفظ: «يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا بها كأنهم =

وَذَكَرَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ الْكَرِيمَةِ: عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ أَنَّ عِثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنَ مَسْعُودٍ، وَالْمَقْدَادَ بْنَ الْأَسَدِ، وَسَلَامَةَ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي أَصْحَابِهِ - تَبَتَّلُوا، فَجَلَسُوا فِي الْبُيُوتِ، وَاعْتَزَلُوا النِّسَاءَ، وَلَبَسُوا الْمُسُوحَ، وَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ الطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ، إِلَّا مَا يَأْكُلُ وَيَلْبَسُ أَهْلُ السِّيَاحَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهَمُّوا بِالِاخْتِصَاءِ، وَأَجْمَعُوا لِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَصِيَامِ النَّهَارِ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحَرَّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

يقول: لا تسيروا بغير سُنَّةِ الْمُسْلِمِينَ، يُرِيدُ مَا حَرَّمَ مِنَ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ وَاللِّبَاسِ، وَمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَصِيَامِ النَّهَارِ، وَمَا هَمُّوا بِهِ مِنَ الْإِخْتِصَاءِ، فَنَزَلَتْ فِيهِمْ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «إِنَّ لَأَنْفُسِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَإِنَّ لَأَعْيُنِكُمْ حَقًّا، صُومُوا وَأَفْطَرُوا، وَصَلُّوا وَتَأَمُّوا، فَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تَرَكَ سُنَّتَنَا»، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ سَلِّمْنَا وَابْتَغْنَا مَا أَنْزَلْتَ^(١).

٣٣٠

وقوله: «وَبَيْنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ» تَقَدَّمَ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّ^(٢) أَنْ يُوصَفَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ، فَلَا يُقَالُ: سَمِعْتُ كَسَمِعْنَا، وَلَا بَصُرْتُ كَبَصَرْنَا، وَنَحْوَهُ، وَمِنْ غَيْرِ تَعْطِيلٍ، فَلَا يُنْفَى عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ أَعْرَفُ النَّاسِ بِهِ: رَسُولُهُ ﷺ، فَإِنْ ذَلِكَ تَعْطِيلٌ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

وهو بين التشبيه والتعطيل

= تَقَالُوهَا، وَلَفْظُ أَحْمَدَ ٢٥٩/٣: «سَأَلُوا عَنْ عِبَادَتِهِ فِي السَّرِّ» وَلِلْبَخَارِيِّ (٥٠٦٣) بِلَفْظٍ: «فَلَمَّا أَخْبَرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوهَا»، وَتَقَدَّمَ لَفْظُ مُسْلِمٍ: «سَأَلُوا عَنْ عَمَلِهِ فِي السَّرِّ».

(١) ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» بِرَقْمِ (١٢٣٤٨) مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ عَنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ حُجَّاجٍ، عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ عَنْ عِكْرَمَةَ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَهُ عَنْ ابْنِ جَرِيرٍ: وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ الْقِصَّةَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ مَرْسَلَةً، وَلَهَا شَاهِدٌ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ يَرِيدُ الْحَدِيثَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ قَبْلَ هَذَا. وَانْظُرْ «الدَّرَ الْمُنْتَوَر» ٢/ ٣٠٧ - ٣٠٨.

(٢) فِي (أ): يَجِبُ.

ونظيرُ هذا القول قوله فيما تقدّم: «ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زلَّ ولم يُصِبِ التنزيه». وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فقولُه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على المشبهة، وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على الْمُعْظَلَّة.

وهو بين الجبر
والقدر

وقوله: «وبين الجبر والقدر» تقدّم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأن العبدَ غَيْرُ مجبورٍ على أفعاله وأقواله، وأنها [لَيْسَتْ] بمنزلة حركات المرتعش، وحركات الأشجار بالرياح وغيرها، وليست مخلوقة للعبد، بل هي فعلُ العبد وكسبه، وخلقُ الله تعالى.

وهو بين الأمن
والبياس

وقوله: «وبين الأمن والبياس» تقدّم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عَذَابِ رَبِّه، راجياً رحمته، وأن الخَوْفَ والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.

قوله: «فَهَذَا دِينُنَا وَاعْتِقَادُنَا ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَنَحْنُ بُرَاءٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَنْ خَالَفَ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْإِيمَانِ، وَيُخَيِّمَ لَنَا بِهِ، وَيُغْصِمَنَا مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْآرَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ، وَالْمَذَاهِبِ الرَّدِّيَّةِ، مِثْلَ الْمُشَبَّهَةِ، وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَالْجَهَنِّيَّةِ، وَالْجَبَرِيَّةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ، مِنَ الَّذِينَ خَالَفُوا الْجَمَاعَةَ، وَحَالَفُوا الضَّلَالَةَ، وَنَحْنُ مِنْهُمْ بَرَاءٌ، وَهُمْ مِنْدَنَا ضَلَالٌ وَأَزْدِيَاءٌ، وَبِاللَّهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ».

البراءة من
الفرق الضالة

ش: الإشارة بقوله: «فَهَذَا» إلى كُلِّ ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا. والمشبهة: هم الذين شبَّهوا الله سبحانه وتعالى بالخلق في صفاته، وقولهم عَكْسُ قولِ النصارى، فإنَّ النصارى شبَّهوا المخلوق - وهو عيسى عليه السلام - بالخالق تعالى، وجعلوه إلهاً، وهؤلاء شبَّهوا الخالق بالمخلوق، كداود الجواربي وأشباهه.

٣٣١

والمعتزلة: هم عمرو بن عُبيد، وواصل بن عطاء الغَزَّال^(١)

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء المخزومي، مولا هم البصري الغَزَّال، رأس المعتزلة، =

وأصحابهما، سُمُوا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت^(١) الحسن البصري رحمه الله تعالى، في أوائل المائة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة.

أصول المعتزلة
الخمس

وقيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد، صنّف لهم أبو الهذيل كتابين، وبيّن مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سمّوها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! ولبسوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا، اشتغالها على حق وباطل.

وهم مشبهة الأفعال، لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه! وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا، بمقتضى ذلك القياس الفاسد! فإن السيد من بني آدم لو رأى عبده تزني بإمائه ولا يمنعه من ذلك، لعدّ إما مستحسناً للقبیح، وإما عاجزاً، فكيف يصح أفعاله سبحانه وتعالى على أفعال عباده؟! والكلام على هذا المعنى مبسوط في موضعه.

فأما العدل: فستروا تحتة نفي القدر، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر، ولا يقضي به، إذ لو خلقه، ثم يعدّبهم عليه يكون ذلك جوراً!! والله تعالى عادل لا يجور، ويلزمهم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في

= كان بليغاً، مفوهاً، صموتاً، توفي سنة (٣٣١). مترجم في «السير» ٥/ رقم الترجمة (٢١٠).

(١) جاء في حاشية (أ) و(ب) ما نصه: صوابه. اعتزلوا مجلس الحسن البصري رحمه الله لا أنهم اعتزلوا بعد موته؛ كما في الكتاب. وانظر «الفرق بين الفرق» للبغدادى ص ١١٧ - ١١٨، و«الملل والنحل» للشهرستاني ١/ ٦٤، و«التبصير في الدين» للإسفرابيني ص ٤٠ - ٤١، و«مفتاح السعادة» ٢/ ٣٢ لطاش كبرى زاده، و«وفيات الأعيان» ٨٥/ ٤، و«الرد على أهل الأهواء والبدع» ص ٤٠ - ٤١ لأبي الحسن الطرائفي الملطي الشافعي المتوفى سنة ٣٣٧.

ملكه ما يُريدُه، فيُريدُ الشيءَ ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز! تعالى الله عن ذلك.

وأما التَّوْحِيدُ، فستروا تَحْتَهُ الْقَوْلَ بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق، لزم تعدُّد القدماء!! ويلزمهم على هذا القولِ الْفَاسِدُ أَنْ عِلْمَهُ وَقُدْرَتُهُ وسائر صفاته مخلوقة، أو التناقض!.

وأما الْوَعِيدُ: فقالوا: إذا أَوْعَدَ بَعْضُ عبيده وعيداً، فلا^(١) يجوزُ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ وَيُخْلِفَ وَعِيدَهُ، لأنه لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يَغْفِرُ لِمَنْ يُريدُ عندهم!!.

وأما المنزلةُ بَيْنَ المنزلتين: فعندهم أَنْ مَنْ ارتكب كَبِيرَةً يَخْرُجُ مِنَ الْإِيمَانِ، ولا يَدْخُلُ فِي الْكُفْرِ!!.

وأما الْأَمْرُ بالمعروف، وهو أَنَّهُمْ قالوا: علينا أَنْ نَأْمُرَ غَيْرَنَا بما أمرنا به، وَأَنْ نَنْهَى ما يلزمنَا، وذلك هُوَ الْأَمْرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه أَنَّهُ يَجُوزُ الخروجُ على الأئمة بِالْقِتَالِ إذا جَازُوا!! وقد تقدم جوابُ هَذِهِ الشُّبُهَةِ الْخَمْسِ فِي مواضعها.

٣٣٢

وعندهم أَنَّ التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ مِنَ الْأُصُولِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي لَا يُعْلَمُ صِحَّةُ السَّمْعِ إِلَّا بَعْدَهَا، وإذا استدلوا على ذلك بِأَدْلَةٍ سَمْعِيَّةٍ، إِنَّمَا يَذْكُرُونَهَا لِلْإِعْتِضَادِ بِهَا، لَا لِلْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا، فَهَمْ يَقُولُونَ: لَا تَثْبُتُ هَذِهِ بِالسَّمْعِ، بَلِ الْعِلْمُ بِهَا مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْعِلْمِ بِصِحَّةِ النُّقْلِ! فَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَذْكُرُهَا فِي الْأُصُولِ، إِذْ لَا فَايِدَةَ فِيهَا عَنْدهم، وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْكُرُهَا لِيُبَيِّنَ مُوَافَقَةَ السَّمْعِ لِلْعَقْلِ، وَلِإِيْنَاسِ النَّاسِ بِهَا، لَا لِلْإِعْتِمَادِ عَلَيْهَا! وَالْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ فِيهِ عَنْدهم بِمَنْزِلَةِ الشُّهُودِ الزَّائِدِينَ عَلَى النَّصَابِ! وَالْمَدَدُ اللَّاحِقُ بِعَسْكَرٍ مُسْتَغْنٍ عَنْهُمْ! وَبِمَنْزِلَةِ مَنْ يَتَّبِعُ هَوَاهُ، وَاتَّفَقَ أَنْ الشَّرْعَ مَا يَهْوَاهُ!! كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَتَّبِعُ الْحَقَّ إِذَا وَافَقَ هَوَاهُ، وَيُخَالِفُهُ إِذَا خَالَفَ هَوَاهُ، فَإِذَا أَنْتَ لَا

(١) فِي الْأُصُولِ: لَا.

تُتَابَعُ عَلَى مَا وافقته من الحق، وتُعَاقَبُ عَلَى مَا تركته منه، لأنك إنما اتبعت هواك في المَوْضِعَيْنِ. وكما أَنَّ الأعمالَ بالنياتِ، وإنما لِكُلِّ امرئٍ ما نوى، والعَمَلُ يتبع قَصْدَ صاحبه وإرادته، فالاعتمادُ القوي يتبع أيضاً عِلْمَ ذلك وتصديقه، فإن كان ذلك تابعاً للإيمان، كان مِنَ الإيمان، كما أَنَّ العَمَلَ الصالح إذا كان عن نِيَّةٍ صالحة، كان صالحاً، وإلا فلا؛ فَقَوْلُ أَهْلِ الإيمان التابع لغير الإيمان، كَعَمَلِ أَهْلِ الصلاح التابع لِغَيْرِ قَصْدِ أَهْلِ الصلاح. وفي المعتزلة زنادقة كثيرة، وفيهم مَنْ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحياة الدنيا وهم يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صنْعاً.

الجهمية وأصل
مذهبهم

والجهمية: هم المنتسبون إلى جَهْمِ بْنِ صفوان الترمذي وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، الذي ضحى به خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ بواسطه، فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى، وقال: أَيُّهَا النَّاسُ، ضَحُّوا، تَقْبِلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَحُّ بِالْجَعْدِ^(١) بِنِ دِرْهَمٍ، فإنه زعم أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيماً، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الْجَعْدُ عُلوّاً كبيراً! ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بعدَ استفتاء عُلَمَاءِ زمانه، وَهُمْ السَّلَفُ الصَّالِحُ^(٢) رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

وكان جَهْمُ بَعْدَهُ بِخَرَّاسَانَ، فَأَظْهَرَ مَقَالَته هُنَاكَ، وَتَبِعَهُ عَلَيْهَا نَاسٌ، بَعْدَ أَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ أَرْبَعِينَ يَوْماً شَكّاً فِي رَبِّهِ! وكان ذلك لمناظرته قوماً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، يُقَالُ لَهُمُ السُّمَيَّةُ^(٣)، مِنْ فَلَاسِفَةِ الْهِنْدِ، الَّذِينَ يُنْكِرُونَ مِنَ الْعِلْمِ مَا سِوَى الْحِسِّيَّاتِ، قَالُوا لَهُ: هَذَا رَبُّكَ الَّذِي تُعْبُدُهُ، هَلْ يُرَى أَوْ يُشَمُّ أَوْ يُذَاق أَوْ يُلَمَسُ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالُوا: هُوَ مَعْدُومٌ!! فَبَقِيَ أَرْبَعِينَ يَوْماً لَا يَعْبُدُ شَيْئاً، ثُمَّ لَمَّا خَلَا قَلْبُهُ مِنْ مَعْبُودِ يَأْلَهُ، نَقَشَ الشَّيْطَانُ اعْتِقَاداً نَحْتَهُ فِكْرُهُ،

٣٣٣

(١) فِي (أ) وَ(ب) وَ(ج): عَلَى الْجَعْدِ.

(٢) فِي هَامِش (أ) وَ(ب): وَكَانُوا مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، وَالتَّعْلِيقُ عَلَيْهَا ص ٣٩٥ ت (٣).

(٣) بَضَمَ السِّينَ الْمَهْمَلَةَ، وَفَتَحَ الْمِيمَ: قَوْمٌ فِي الْهِنْدِ دَهْرِيُونَ، يَجْحَدُونَ الْإِلَهَ.

فقال: إنه الوجود المطلق!! ونفى جميع الصفات، واتَّصَلَ بالجعد^(١).
وقد قيل: إن الجعد^(٢) كان قد اتَّصَلَ بالصابئة الفلاسفة من أهل
حَرَآنَ، وأنه أيضاً أخذ شيئاً عَن بَعْضِ الْيَهُودِ الْمُحَرِّفِينَ لدينهم، المتصلين
بليبيد بن الأعصم الساحر الذي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُتِلَ جَهْمٌ بخراسان، قتله
سَلْمُ بْنُ أَخُوَز^(٣)، ولكن كانت قد فَشَتْ مَقَالَتُهُ فِي النَّاسِ، وَتَقَلَّدَهَا بَعْدَهُ
المعتزلة. ولكن كان الجهمُ أَدْخَلَ فِي التَّعْطِيلِ مِنْهُمْ، لِأَنَّهُ يُنْكِرُ الْأَسْمَاءَ
حَقِيقَةً، وَهُمْ لَا يُنْكِرُونَ الْأَسْمَاءَ بِلِ الصِّفَاتِ.

وقد تنازع العلماء في الجهمية: هل هم من الثنتين وسبعين فرقة أم
لا؟ ولهم في ذلك قولان: وممن قال إنهم ليسوا مِنَ الثَّانِيَيْنِ وسبعين فِرْقَةً
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ، وَيُوسُفُ بْنُ أَسْبَاطَ^(٤).

وإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره
من علماء السنة، فإنه من إمارة المأمون قَوُوا وَكَثُرُوا، فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَقَامَ بِخُرَاسَانَ
مُدَّةً، وَاجْتَمَعَ بِهِمْ ثُمَّ كَتَبَ بِالمحنة مِنْ طَرَسُوسَ سَنَةَ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمِائَتَيْنِ وَفِيهَا
مَاتَ، وَرَدُّوا الْإِمَامَ أَحْمَدَ إِلَى الْحَبْسِ بِبَغْدَادَ إِلَى سَنَةِ عِشْرِينَ، وَفِيهَا كَانَتْ
مِخْتَنَتُهُ مَعَ الْمُعْتَصِمِ وَمَنَازِلُهُ لَهُمْ بِالْكَلامِ، فَلَمَّا رَدَّ عَلَيْهِمْ مَا احْتَجُّوا بِهِ عَلَيْهِ،
وَبَيَّنَّ أَنَّهُ لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَأَنْ طَلَبَهُمْ مِنَ النَّاسِ أَنْ يُوَافِقُوهُمْ
وَامْتَحَنَهُمْ إِيَّاهُمْ، جَهْلٌ وَظُلْمٌ، وَأَرَادَ الْمُعْتَصِمُ إِطْلَاقَهُ، أَشَارَ عَلَيْهِ مِنْ أَشَارَ بِأَنْ
المصلحة ضَرْبُهُ، لثَلَا تَنْكَسِرَ حُزْمَةُ الْخِلافةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ! فَلَمَّا ضَرَبُوهُ، قَامَتْ
السَّاعَةُ فِي الْعَامَةِ، وَخَافُوا فَأَطْلَقُوهُ، وَقَصَّتْهُ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ^(٥).
ومما انفرد به جهم: أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ تَفْنِيَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ

(١) فِي (ب): بِجَعْدٍ.

(٢) فِي (ب): جَعْدًا.

(٣) فِي هَامِشِ (أ) وَ(ب): وَكَانَ ذَلِكَ فِي زَمَنِ صِغَارِ التَّابِعِينَ. وَقَدْ أَرَخَ الطَّبْرِي قَتْلَهُ
سَنَةَ ١٢٨ هـ.

(٤) الزَّاهِدُ، مِنْ سَادَاتِ الْمَشَايخِ، لَهُ مَوَاعِظُ وَجَكَمٌ. مُتَرَجِمٌ فِي «السِّيرِ» ٩/ (٥٠).

(٥) انْظُرْ «سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» ١١/ ٢٣٢.

فقط، والكفر هو الجهل فقط، وأنه لا فِعْلَ لأحدٍ في الحقيقة إلا الله وَخَدَهُ،
وَأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا تُنْسَبُ إِلَيْهِمْ أفعالُهُمْ على سبيلِ المجاز، كما يقال: تحركت
الشَّجَرَةُ، ودارَ الفَلَكُ، وزالتِ الشمسُ! ولقد أحسن القائل:

عَجِبْتُ لِشَيْطَانٍ دَعَا النَّاسَ جَهْرَةً إِلَى النَّارِ وَاشْتَقَى اسْمُهُ مِنْ جَهَنَّمَ
وقد نُقِلَ أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سئل عن الكلام في الأعراض والأجسام؟
فقال: لعن الله عمرو بن عُبيد، هو فَتَحَ على الناسِ الكلامَ في هذا^(١).

والجبرية: أصل قولهم مِنَ الجَهَمِ^(٢) بِنِ صَفْوَانَ، كما تَقَدَّمَ، وَأَنَّ فِعْلَ
العبد بمنزلة طُوبى ولونه، وَهُمْ عَكْسُ الْقَدَرِ نفاة القدر، فَإِنَّ الْقَدَرِيةَ إِنَّمَا
تُسَبِّحُ إِلَى الْقَدَرِ لِنَفِيهِمْ إِيَّاهُ، كما سُمِّيَتِ المَرَجَّةُ لِنَفِيهِمُ الْإِرْجَاءَ، وَأَنَّهُ لَا
أَحَدٌ مُرَجًّا لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ. وقد تَسَمَّى الجبرية «قَدَرِيةً»
لأنهم غَلَوْا فِي إثباتِ الْقَدَرِ، كما يُسَمَّى الَّذِينَ لَا يَجْزِمُونَ بِشَيْءٍ مِنَ الْوَعْدِ
وَالْوَعْدِ، بَلْ يَغْلَوْنَ فِي إِرْجَاءِ كُلِّ أَمْرٍ حَتَّى الْأَنْوَاعِ، فَلَا يَجْزِمُونَ بِثَوَابٍ مَنْ
تَابَ، كما لَا يُجْزِمُ بِعَقُوبَةٍ مَنْ لَمْ يَتُوبْ، وكما لَا يُجْزِمُ لِمُعَيَّنٍ. وكانت
المرجئة الأولى يُرْجَتُونَ عُثْمَانَ وَعَلِيًّا، وَلَا يَشْهَدُونَ بِإِيْمَانٍ وَلَا كُفْرٍ!!.

الجبرية وأصل
قولهم

٣٣٤

وقد ورد في ذَمِّ الْقَدَرِيةِ أَحَادِيثُ فِي «السنن»: منها ما رَوَى أَبُو دَاوُدَ
فِي «سُنَنِهِ»، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَمْرٍ،
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْقَدَرِيةُ مَجُوسٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ، إِنْ مَرَضُوا فَلَا تَعُودُواهُمْ،
وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُواهُمْ»^(٣). وَرُويَ فِي ذَمِّ الْقَدَرِيةِ أَحَادِيثُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ، تَكَلَّمَ
أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي صِحَّةِ رَفْعِهَا، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا مَوْقُوفَةٌ، بِخِلَافِ الْأَحَادِيثِ
الْوَارِدَةِ فِي ذَمِّ الْخَوَارِجِ، فَإِنَّ فِيهِمْ فِي «الصَّحِيحِ» وَخَدَهُ عَشْرَةَ أَحَادِيثَ،

(١) انظر آراء جهم الكلامية في «مقالات الإسلاميين» ص ٢٧٩ - ٢٨٠ وص ١٣٢ و ١٤١
و ١٥٢ و ٤٧٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٦٤ و ٤٧٤ و ٥٤٢، و ١٨١ و ٥١٨ و ٢١٢ و ٤٩٤
و ٦٣٦ و ٥٨٩.

(٢) فِي (ب): جَهَم.

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٥٦.

أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرَها. ولكن مشابِهُهم للمَجُوسِ ظاهرة، بل قَوْلُهُمْ أَرْدَأُ من قول المجوس، فإن المَجُوسَ اعتقدوا وجودَ خالِقَيْن، والقدرية اعتقدوا خالِقَيْن!!

وهذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفارقة بين الأمة، كما ذكر البخاري في «صحيحه»، عن سعيد بن المسيب^(١)، قال: وقعت الفتنة الأولى، يعني مقتل عثمان^(٢)، فلم تُبْقِ من أصحاب بدرٍ أحداً، ثم وقعت الفتنة [يعني الحرة]^(٣) فلم تُبْقِ من أصحاب الحُدَيْبِيَّةِ أحداً، ثم وقعت الثالثة، فلم ترتفع^(٤) وللناس طَبَاخٌ^(٥)، أي: عقل وقوة.

(١) هو الإمام العلم أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن القرشي المخزومي عالم أهل المدينة، وسيد التابعين في زمانه المتوفى سنة ٩٤هـ. له ترجمة حافلة في «السير» ٤/رقم الترجمة (٨٨).

(٢) في هامش (أ) و(ب): وكان مقتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين.

(٣) زيادة من البخاري، وفي هامش (أ) و(ب) تعليقاً على قوله: «والمرجئة» في الفتنة الثانية ما نصه: وهي الحرة، وكانت سنة ثلاث وستين.

(٤) في هامش (أ) و(ب): قالوا: صوابه: ولو قد وقعت الفتنة الثالثة لم ترتفع إلى آخره. وقد علق الحافظ في «الفتح» على قوله: «ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع» فقال: كذا في الأصول، ووقع في رواية أبي خيثمة: «ولو قد وقعت الثالثة» ورجحها الدمياطي بناء على أن يحيى بن سعيد قال ذلك قبل أن تقع الثالثة، ولم يفسر الثالثة كما فسر غيرها، وزعم الداودي أن المراد بها فتنة الأزارقة، وفيه نظر، لأن الذي يظهر أن يحيى بن سعيد أراد بالفتنة التي وقعت بالمدينة دون غيرها، وقد وقعت فتنة الأزارقة عقب موت يزيد بن معاوية، واستمرت أكثر من عشرين سنة. وذكر ابن التين أن مالكا روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري قال: «لم تُتْرَك الصلاة في مسجد النبي ﷺ إلا يوم قتل عثمان ويوم الحرة» قال مالك: ونسيت الثالثة. قال ابن عبد الحكم: هو يوم خروج أبي حمزة الخارجي. قلت: كان ذلك في خلافة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم سنة ثلاثين ومئة، وكان ذلك قبل موت يحيى بن سعيد بمدة. ثم وجدت ما أخرجه الدارقطني في «غرائب مالك» بإسناد صحيح إليه عن يحيى بن سعيد نحو هذا الأثر، وقال في آخره: «وإن وقعت الثالثة لم ترتفع وبالناس طباخ». وأخرجه ابن أبي خيثمة بلفظ: «ولو وقعت» وهذا بخلاف الجزم بالثالثة في حديث الباب. ويمكن الجمع بأن يكون يحيى بن سعيد، قال هذا أولاً ثم وقعت الفتنة الثالثة المذكورة، وهي حيٌّ، فقال ما نقله عنه الليث بن سعد.

(٥) أورده البخاري بإثر حديث (٤٠٢٤)، فقال: وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن =

فالخوارج^(١) والشيعية حَدَّثُوا فِي الْفِتْنَةِ الْأُولَى، وَالْقَدْرِيَّةُ وَالْمَرْجِئَةُ فِي الْفِتْنَةِ الثَّانِيَةِ، وَالْجَهْمِيَّةُ وَنَحْوَهُمْ بَعْدَ الْفِتْنَةِ الثَّلَاثَةِ، فَصَارَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا يُقَابِلُونَ الْبِدْعَةَ بِالْبِدْعَةِ، أَوْلَئِكَ غَلَّوْا فِي عَلَيٍّ، وَأَوْلَئِكَ كَفَرُوهُ! وَأَوْلَئِكَ غَلَّوْا فِي الْوَعِيدِ، حَتَّى خَلَّدُوا بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَوْلَئِكَ غَلَّوْا فِي الْوَعْدِ، حَتَّى نَفَّوْا بَعْضَ الْوَعِيدِ أَغْنِي الْمَرْجِئَةُ! وَأَوْلَئِكَ غَلَّوْا فِي التَّنْزِيهِ حَتَّى نَفَّوْا الصِّفَاتِ، وَهَؤُلَاءِ غَلَّوْا فِي الْإِبْطَاتِ، حَتَّى وَقَعُوا فِي التَّشْبِيهِ! وَصَارُوا يَتَدَبَّعُونَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْمَسَائِلِ مَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ، وَيُغَرِّضُونَ عَنِ الْأَمْرِ الْمَشْرُوعِ، وَفِيهِمْ مَنْ اسْتَعَانَ عَلَى ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْأَوَائِلِ: الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسِ وَالصَّابِئِينَ، فَإِنَّهُمْ قَرَأُوا كُتُبَهُمْ، فَصَارَ عِنْدَهُمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ مَا أَدْخَلُوهُ فِي مَسَائِلِهِمْ وَدَلَائِلِهِمْ، وَغَيَّرُوهُ فِي اللَّفْظِ تَارَةً، وَفِي الْمَعْنَى أُخْرَى، فَلَبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَكَتَمُوا حَقًّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ، فَتَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا، وَتَكَلَّمُوا حَيْثُذَ فِي الْجِسْمِ وَالْعَرَضِ وَالتَّجْسِيمِ، نَفْيًا وَإِبْطَاتًا.

٣٣٥

وَسَبَبُ ضَلَالِ هَذِهِ الْفِرْقِ وَأَمْثَالِهِمْ، عُذُولُهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ بِاتِّبَاعِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٣٥].
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

سبب الضلال
العدول عن
الصراط
المستقيم الذي
أمر الله باتباعه

فَوَحَّدَ لَفْظَ: «صِرَاطِهِ» وَ«سَبِيلِهِ»، وَجَمَعَ: «السَّبِيلَ» الْمَخَالَفَةَ لَهُ.
وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: خَطُّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطًّا، وَقَالَ: «هَذَا^(٢) سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ خَطَّ خَطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، وَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلٌ، عَلَى

= سعيد بن المسيب... قال الحافظ: لم يقع لي هذا الأثر من طريق الليث، وصله أبو نعيم في «المستخرج» من طريق أحمد بن حنبل، عن يحيى بن سعيد القطان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري نحوه.

(١) في (ب): والخوارج.

(٢) في (ب): هذه.

كُلَّ سَبِيلٍ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ^(١).

ومن هنا يعلم أن اضطراب العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله تعالى في الصلاة قراءة أم القرآن في كل ركعة، إما فرضاً أو إيجاباً، على حسب اختلاف العلماء في ذلك، لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر، المشتمل على أشرف المطالب وأجلها. فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ^(٢) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ^(٣) [الفاتحة: ٦ - ٧]. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون» ^(٤).

وثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذُو الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟!» ^(٥).

(١) أخرجه الدارمي ٦٧/١، وأحمد ٤٣٥/١ و٤٦٥، والطبري (١٤١٦٨) وسنده حسن، وصححه الحاكم ٣١٨/٢، وأقره الذهبي.

(٢) قطعة من حديث مطول أخرجه الترمذي (٢٩٥٤) و(٢٩٥٥)، وأحمد ٣٧٨/٤، والطيالسي (١٠٤٠) من حديث عدي بن حاتم وسنده حسن، وصححه ابن حبان (١٧١٥) و(٢٢٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) و(٧٣٢٠)، ومسلم (٢٦٦٩)، وأحمد ٨٤/٣ و٨٩ و٩٤، والطيالسي (٢١٧٨)، وابن أبي عاصم (٧٤)، والبخاري (٤١٩٦) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم...» وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩٤)، وأحمد ٣٢٧/٢ و٤٥٠ و٥١١ و٥٢٧، وابن أبي عاصم (٧٢)، والحاكم ٣٧/١، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي من حديث أبي هريرة بلفظ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم باعاً بباع وذراعاً بذراع، وشبراً بشبر حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتم فيه...» وأخرجه البخاري (٧٣١٩) من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمي بأخذ القرون فنلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع...» وأخرجه أحمد ١٢٥/٤ من =

قال طائفةٌ مِنَ السَّلَفِ: من انحرفَ مِنَ العُلَمَاءِ، ففيه شَبَّةٌ مِنَ اليهود، ومن انحرف من العُبَادِ، ففيه شَبَّةٌ مِنَ النصارى. فلهذا تَجِدُ أَكْثَرَ المنحرفين من أهل الكلام، من المعتزلة ونحوهم فيه شَبَّةٌ مِنَ اليهود، حتى إنَّ علماء اليهود يقرأون كُتُبَ شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقتهم، وكذا المنحرفين من العُبَادِ، مِنَ المتصوفة ونحوهم فيهم شَبَّةٌ مِنَ النصارى، ولهذا يميلون إلى نوعٍ مِنَ الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك. وشيوخ هؤلاء يذمون الكَلَامَ وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء، ويصنّفون في ذمّ السماع والوَجْدِ وكثير من الزُّهد والعبادة التي أحدثها هؤلاء^(١).

لفرق الضلال
طريقتان في
الوحي

وَلِفِرْقِ الضَّلَالِ فِي الْوَحْيِ طَرِيقَتَانِ^(٢): طَرِيقَةُ التَّبْدِيلِ، وَطَرِيقَةُ التَّجْهِيلِ، أَمَّا أَهْلُ التَّبْدِيلِ، فَهَمُ نَوْعَانِ: أَهْلُ الْوَهْمِ وَالتَّخْيِيلِ، وَأَهْلُ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ.

٣٣٦

فَأَهْلُ^(٣) الْوَهْمِ وَالتَّخْيِيلِ: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَخْبَرُوا عَنْ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِأُمُورٍ غَيْرِ مُطَابِقَةٍ لِلْأَمْرِ فِي نَفْسِهِ، لَكِنْهُمْ خَاطَبُوهُمْ بِمَا يَتَخَيَّلُونَ بِهِ وَيَتَوَهَّمُونَ بِهِ أَنَّ اللَّهَ شَيْءٌ عَظِيمٌ كَبِيرٌ، وَأَنَّ الْأَبْدَانَ تُعَادُ، وَأَنَّ لَهُمْ نَعِيمًا مَحْسُوسًا، وَعِقَابًا مَحْسُوسًا، وَإِنَّ كَانَ الْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ مَصْلَحَةَ الْجُمْهُورِ فِي ذَلِكَ، وَإِنَّ كَانَ كَذِبًا، فَهُوَ كَذِبٌ لِمَصْلَحَةِ الْجُمْهُورِ!! وَقَدْ وَضَعَ ابْنُ سِينَا وَأَمْثَالُهُ قَانُونَهُمْ عَلَى هَذَا الْأَصْلِ.

وَأَمَّا أَهْلُ التَّحْرِيفِ وَالتَّأْوِيلِ^(٤): فَهَمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يَقْصِدُوا بِهَذِهِ الْأَقْوَالِ^(٥) مَا هُوَ الْحَقُّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَإِنَّ الْحَقَّ فِي

= حديث شداد بن أوس بلفظ: «ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلقوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة».

(١) انظر «بدائع الفوائد» ٣٢/٢.

(٢) في الأصول: طريقتان.

(٣) انظر «درء تعارض العقل والنقل» ٨/١ - ٩.

(٤) انظر «درء تعارض العقل والنقل» ١٢/١ - ٢٠.

(٥) في (أ): «إلا ما» بزيادة إلا، ولم ترد في (ب) وقد اختلفت أصول تعارض العقل والنقل بعضها أثبتها، وبعضها الآخر حذفها، ويغلب على الظن أن حذفها أولى.

نفس الأمر هو ما عَلِمْنَاهُ بعقولنا! ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يُوافق رأيهم بأنواع التأويلات!! ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل، بل يقولون: يجوز أن يُراد كذا، وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

وأما أهل التجهيل والتضليل، الذين حَقِيقَةُ قولهم: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالّون، لا يَعْرِفُونَ ما أراد الله بما وَصَفَ به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء! ويقولون: يجوز أن يَكُونَ لِلنَّصِّ تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبريل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمداً ﷺ كان يقرأ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] وهو لا يَعْرِفُ معاني هذه الآيات! بل معناها الذي دَلَّتْ عليه لا يَعْرِفُهُ إلا الله تعالى!! ويظنون أن هذه طريقة السلف!!.

ثم منهم مَنْ يقول: إن المراد بها خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ولا يعرفه أحد! كما لا يُعْلَمُ وَقْتُ الساعة. ومنهم مَنْ يقول: بل تُجْرَى على ظاهرها وتُحْمَلُ على ظاهرها!! ومع هذا، فلا يعلم تأويلها إلا الله، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يُخَالِفُ ظاهرها، وقالوا مع هذا: إنها تحمل على ظاهرها وهؤلاء مشتركون في القول بأن الرسول لم يُبَيِّنِ المراد بالنصوص التي يجعلونها مُشْكِلَةً أو مُتَشَابِهَةً، ولهذا يَجْعَلُ كُلُّ فريقٍ المشكل من نصوصه غير ما يَجْعَلُهُ الْفَرِيقُ الْآخَرُ مُشْكَلًا.

ثم منهم مَنْ يَقُولُ: لم يَعْلَمْ معانيها أيضاً! ومنهم مَنْ يقول: عَلِمَهَا ولم يُبَيِّنْهَا، بل أحوال في بيانها على الأدلة العقلية، وعلى مَنْ يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص!! فهم مشتركون في أن الرسول لم يَعْلَمْ أو لم يَعْلَمْ، بل نحن عرفنا الحق بعقولنا، ثم اجتهدنا في حَمْلِ كلام الرسول على

ما يُؤَافِقُ مَعْقُولَنَا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يَعْرِفُونَ العقليات!! ولا يَفْهَمُونَ
السمعيات!! وكلُّ ذلك ضَلالٌ وتضليلٌ عن سواء السبيل. ٣٣٧
نسأل الله السلامة والعافية، من هذه الأقوال الواهية، المفضية بقائلها
إلى الهاوية.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفهارس

١ - فهرس الآيات القرآنية .

٢ - فهرس الأحاديث النبوية والآثار .

٣ - فهرس الشعر .

٤ - فهرس الأعلام .

٥ - فهرس الملل والنحل .

٦ - فهرس الأماكن .

٧ - فهرس الكتب .

٨ - فهرس الموضوعات .

obeikandi.com

فهرس الآيات

سورة الفاتحة

$270, 143/(4) - 228, 270, 143/(3) - 270, 143/(2) - 270, 143/(1)$
 $799, 007, 173/(7) - 799, 007, 143/(6) - 790, 007, 143/(5) -$

سورة البقرة

$226/(23) - 137/(21) - 164/(20) - 783/(19) - 328/(10) - 283/(2, 1)$
 $- 496, 409/(41, 40) - 277/(34) - 467/(31) - 740, 277/(30) - 603/(28) -$
 $778/(76) - 544/(70) - 721/(72) - 403/(49) - 269/(43) - 527, 118/(42)$
 $- 527/(98) - 290/(90) - 700/(81, 80) - 544/(79) - 787, 544/(78)$
 $- 527/(138) - 501/(137) - 378/(133) - 102/(131, 130) - 404/(124)$
 $- 266/(176) - 378/(170) - 168/(163) - 498/(160) - 717/(104)$
 $- 794/(187) - 174/(180) - 729/(181) - 490/(178) - 548, 400/(177)$
 $503, 496/(218) - 784, 476/(213) - 387/(200) - 399/(200) - 771/(197)$
 $100/(200) - 460, 243, 197, 174/(203) - 262/(224) - 248/(222) -$
 $- 534, 499/(271) - 720, 512/(260) - 438, 427, 184, 182, 178, 164,$
 $774, 773, 707/(487) - 470, 462, 400/(280) - 206/(284) - 540/(270)$

مسورة آل عمران

$324/(7) - 526, 283, 182/(3) - 450/(2) - 450, 283, 182/(1)$
 $- 334/(28) - 201/(20) - 780, 143/(19) - 472, 143/(18) - 326, 320,$
 $/(50) - 197/(40) - 470, 403/(33) - 749, 579, 536, 310, 242/(31)$
 $- 531/(80) - 209/(77) - 248/(76) - 501, 141/(64) - 736/(61) - 438$
 $- 741/(131) - 360, 223/(120) - 777, 580/(100) - 707, 429/(97)$
 $- 210/(140) - 234/(139) - 147/(138) - 209/(134) - 741/(133)$
 $- 522/(173) - 717/(169) - 522/(167) - 579/(160) - 240/(164)$
 $138/(184) - 148/(183)$

سورة النساء

- ٥٦٤/(٣١) - ٦٠١/(٢٩) - ١٧٤/(٢٨) - ١٧٤/(٢٧) - ١٧٤/(٢٦) - ٦٥٨/(٢٥)
 /(٤٠) - ٥٠١/(٤٨) - ٤٩٧/(٤٨) - ٥٠٢/(٥١) - ٥٦١/(٥١) - ٧٦٧/(٥٩) - ٣٢٣/(٥٩) - ٥٧٨/(٦٥)
 - ٣١٥/(٦٦) - ٧٥٧/(٦٨) - ٧٥٧/(٦٩) - ١٢٢/(٧٨) - ٥٥٤/(٧٨) - ٥٥٦/(٧٩)
 - ٢٥١/(٨٠) - ٣١٥/(٨٢) - ٤٧٥/(٨٧) - ٢٨٢/(٨٧) - ٥٧٩/(١١٥) - ٧٤٨/(١١٦)
 - ٤٩٧/(١٢٣) - ٥٠٠/(١٢٣) - ٤٤٩/(١٢٥) - ٤٣١/(١٢٦) - ٣٧٧/(١٣٥) - ٢٥٨/(١٦٤)
 - ٤٥٥/(١٣٦) - ٥٦١/(١٥٠) - ٥٦١/(١٥١) - ٤٣٨/(١٥٨) - ٧٦٢/(١٥٩) - ٢٥٨/(١٦٤)
 - ٤٧٤/(١٦٥) - ٣٧٥/(١٦٦) - ١٥٥/(١٦٦) - ١٥٣/(١٧١) - ٧٨٩/(١٧٢) - ٤٧١/(١٧٢)

سورة المائدة

- ٦٧٨/(١) - ١٤٧/(٣) - ٤٦٣/(٥) - ٥٣٢/(٦) - ١٧٤/(٦) - ٤٩٣/(٨) - ٣٠٦/(١٥)
 - ٦٧٨/(٢٦) - ٤٠٩/(٤٤) - ٤٨٧/(٤٤) - ٤٩٦/(٤٨) - ٧١٢/(٤٨) - ٥٢٧/(٥٥) - ٥٤٦/(٥٦)
 - ٧٨٩/(٧٧) - ١٥٤/(٧٧) - ٧٦٧/(٧٩) - ٥٢٠/(٨١) - ٧٩٠/(٨٧) - ٧٩٠/(٨٨) - ٧٩٠/(٨٩)
 - ٤٩٩/(٩٢) - ١٤٧/(٩٢) - ٥٢٧/(٩٣) - ٤٩٤/(٩٣) - ٣٣٤/(١١٦)

سورة الأنعام

- ٢٦٢/(١) - ٥٢٦/(٨) - ٢٩٥/(٨) - ١٨٥/(١٤) - ٤٣٢/(١٨) - ٤٣٧/(١٩) - ٢٥١/(١٩)
 - ٦٧٣/(٢٣) - ٢٢٠/(٢٨) - ٢٢٠/(٣٩) - ٢٢٠/(٣٩) - ٢٢٤/(٤٤) - ٦٦٩/(٤٤) - ١٣٧/(٤٦)
 - ٤٧٠/(٥٠) - ٧٥٣/(٥٣) - ٦٥٧/(٥٣) - ٦٧١/(٥٤) - ٣٣٤/(٥٤) - ٢١٣/(٥٩) - ٢١٣/(٦٠) - ٢١٣/(٦٠)
 - ٤٣٢/(٦١) - ٤٣٧/(٦١) - ٥٩٥/(٦٨) - ١١٦/(٦٨) - ٧٦٩/(٧٦) - ٧٦٩/(٨٢) - ٧٦٩/(٩٠) - ١٥١/(٩٠)
 - ٢٣٩/(٩١) - ٥٩٨/(٩٣) - ١٥٥/(٩٥) - ٢٨٦/(٩٩) - ١٦٤/(١٠٣) - ٢٨٩/(١٠٣) - ٢٩١/(١٠٣)
 - ٣٠٠/(١١٠) - ٤٤٨/(١١٢) - ٢٢٠/(١١٢) - ٣٢٢/(١١٤) - ٢٧٥/(١١٤) - ٤١٩/(١٢٢) - ٤١٩/(١٢٤)
 - ٦٥٧/(١٢٥) - ٧٥٠/(١٢٥) - ١٧٤/(١٢٥) - ٣٨٦/(١٢٥) - ٦٦٠/(١٢٨) - ٦٥١/(١٢٨) - ٧٧٠/(١٢٩)
 - ٥٧٩/(١٢٩) - ٥٠/(١٣٠) - ٧٩٨/(١٣٥) - ٢٢١/(١٤٨) - ٢٢٢/(١٥٣) - ٥٨٠/(١٥٣) - ٧٩٩/(١٥٨)
 - ٦٦٣/(١٥٨) - ٧٧٨/(١٦٠) - ٦٢٨/(١٦٠) - ٥٨٠/(١٥٩)

سورة الأعراف

- ٢٨٢/(١) - ٢٨٣/(٢) - ٣١٤/(١٢) - ٤٣٦/(١٧) - ٤٦٩/(٢٠) - ٦٢٠/(٢٤) - ٦٢٠/(٢٥)
 - ٢٤٥/(٣٣) - ٣٠٤/(٣٣) - ٥٨٣/(٤٠) - ٦٠٧/(٤٠) - ٣٢٣/(٥٣) - ٤٣٠/(٥٤) - ١٨٨/(٥٤)
 - ٢٦٠/(٦٥) - ٤٢٣/(٦٥) - ١٢٣/(٦٥) - ١٢٣/(٧٣) - ١٢٣/(٨٥) - ٢٦٠/(٨٥)
 - ٥٦٦/(١٢٦) - ٦٧٨/(١٣٧) - ٦٤٣/(١٤٢) - ٢٥٨/(١٤٣) - ٢٦٧/(١٤٣) - ٢٨٩/(١٤٣) - ٢٩٠/(١٤٣)
 - ٢٥٦/(١٤٨) - ٦٢٠/(١٥٦) - ٦٥٣/(١٥٦) - ٢٧٢/(١٥٦) - ٦٢٠/(١٥٦) - ٦٥٣/(١٥٨) - ٢٥١/(١٥٨)
 - ٣٧٥/(١٧٢) - ٣٦٧/(١٧٢) - ٣٧٦/(١٧٣) - ٦٥٤/(١٧٩) - ٢٨٦/(١٨٥) - ١٤٠/(١٩١) - ١٤٠/(١٩١)
 - ٥١٣/(٢٠١) - ٢٧١/(٢٠٤) - ٤٣٩/(٢٠٦) - ٤٦٢/(٢٠٦)

سورة الأنفال

٥٢٢/(٢) و ٥٢٥ و ٥٣٩ و ٥٥٢ و ٧٧٤ - ٥٣٩/(٣) - ٥٣٩/(٤) - ٥٩١/(١٠) - ٥٩١/(١١) - ٥٩١/(١٢) - ٦٦٤/(١٧) - ٢٢٠/(٢٣) - ٧٥٧/(٢٩) - ٤٩٩/(٣٣) - ٧٢/(٧٢) - ٥٤٥ و ٧٠٥ - ٣٧٩/(٧٥)

سورة التوبة

٢٧٣/(٦) - ١٤٥/(١٧) - ١٤٥/(٣١) - ٥٤٢/(٣٣) - ٦٥٨/(٤٣) - ٣٩٤/(٤٦) - ٣٩٤/(٤٧) - ٤٩٩/(٦٠) - ٥١٦/(٦١) - ٣٩٨/(٦٩) - ٥٤٥/(٧١) - ٦٥٨/(٩١) - ٩٣/(٩٣) - ٦٥٨ - ٧٠٥/(١٠٠) - ٧١٠/(١١٧) - ٥٢٢/(١٢٤) - ٣٢٨/(١٢٥) - ٥٢٢ - ١٥٥/(١٢٨)

سورة يونس

٢٨٣/(١) - ٢٥١/(٢) - ٢٥٤/(٥) - ٦٤٨/(١٦) - ١٣٢/(١٨) - ٥٩١/(٢١) - ٢٨٧/(٢٦) - ٢٨٨/(٣٨) - ٢٨٣ - ٦٢١/(٤٥) - ٢١٥/(٤٩) - ٢٢٢/(٥٧) - ٤٧٦ - ٥٣١/(٦٢) - ٥٤٥/(٦٣) - ٥٣١/(٦٢) - ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٨ و ٧٥١ و ٧٥٥ و ٧٥٨ - ٥٣١/(٢٣) - ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٨ و ٧٥١ و ٧٥٨ - ٥١٦/(٨٣) - ٣٨٥/(٩٩)

سورة هود

٣٢٧/(١) - ٢٠٢/(٧) - ٤٢٦ - ٢٨١/(١٣) - ٢٨٢ - ٦٥٩/(٢٠) - ١٧٤/(٣٤) - ٢٢٠ و ٢٢٣ - ٦٧١/(٣٦) - ٢٨٩/(٤٦) - ١٤٨/(٥٣) - ١٤٨/(٥٤) - ١٤٨/(٥٥) - ١٤٨/(٥٦) - ١٤٨/(٥٨) - ٦٣٤/(٦٦) - ١٢٢/(٨٨) - ٦٣٤/(٩٤) - ١٧٢/(٩٨) - ٦٥١/(١٠٦) - ٦٥١/(١٠٧) - ٦٤٧/(١٠٨) - ٤٩١/(١١٤) - ٥٠٠

سورة يوسف

١٤٧/(١) - ٣٠٦/(٢) - ٣٢٣/(٦) - ٦٦٨/(٢٤) - ٤٧٠/(٣١) - ٣٧٨/(٣٨) - ١٥٥/(٥١) - ٦٠١/(٥٣) - ١٥٧/(٦٨) - ٢٩٠/(٨٠) - ٣٢٣/(١٠٠) - ٥٦٦/(١٠١) - ٥٤٧/(١٠٦) - ٧٩٨/(١٠٨) - ١٦٢/(١١١) - ٣٠٦

سورة الرعد

٥٩١/(١١) و ٥٩٣ و ٥٩٤ - ٢٥٩/(١٦) - ٢٦٢ - ٢٧٥/(١٧) - ٦٤٩/(٣٥) - ٢١٩/(٣٨) - ٢١٩/(٣٩) - ٤١٢

سورة إبراهيم

٣٠٦/(٤) - ١٢٧/(١٠) و ١٣٣ و ٣٧٦ - ٦٢٠/(٤١) - ٦٢٩/(٤٨)

سورة الحجر

١٤٧/(١) - ٥٩٦/(٢٩) - ٥٠٧/(٣٦) - ٥٦٥ - ٢٢١/(٣٩) - ٥٠٧ - ٦٦٨/(٤١) - ٦٤٩/(٤٨) - ٤٧٠/(٧٠) - ٢٦٣/(٩١) و ٣٣٥

سورة النحل

- ١٤٠/(١٧) و ٢٠٠ - ٢٢١/(٣٥) و ٣٠٦ - ١٢٣/(٣٦) - ٦٢٢/(٣٨) - ٦٢٢/(٣٩) - ١٨١/(٦٠) - ١٤٥/(٥١) - ٤٦٠ و ٤٣٧ و ٤٣٢/(٥٠) - ١٤٨ و ١٤٧/(٤٤) - ١٤٨/(٤٣) و ٢٨٠ - ٤٧٤/(٧٢) - ١٦١/(٧٨) - ٣٠٦/(٨٩) - ٢٦٢/(٩١) - ٢٧١/(٩٨) - ٢٧١/(١٠٢) - ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٤٣٨ - ٥١٥/(١٠٦) - ٣٢٢/(١٢٥)

سورة الإسراء

- ٢٢٦/(١) و ٣٤٤ - ٦٧٧/(١٦) - ١٤٥/(٢٣) - ٢٦٣/(٢٩) - ٢٦٩/(٣٢) - ٢٦٩/(٣٦) - ٣٠٤ و ٣٠٧ و ٥٧٥ - ٣٨٦/(٣٨) - ١٤٥/(٣٩) و ٢٦٣ - ١٤٠/(٤٢) - ٢٢٢/(٤٩) - ٢٢٢/(٥٢) - ٢٢٢ - ٢٤٣/(٥٥) و ٤٦٥ - ٤٩٦/(٥٧) - ٤٦٦/(٦٢) و ٤٦٧ - ٢٧١/(٧٨) - ٤٢٢/(٨٢) - ٥٩٦/(٨٥) و ٦٤٠ - ٦٤٨/(٨٦) - ٢٨٠/(٨٨) و ٢٨٢ - ٧٥٣/(٩٠) - ٦٢٢/(٩٧) - ٦٢٢/(٩٨) - ٦٢٢ - ٦٢٢/(٩٩) - ١٢٧/(١٠٢) و ٥٠٢ - ٢٧٤/(١٠٦) - ٥٤٦/(١١١)

سورة الكهف

- ٦٦٠/(١٧) - ٦٢٨/(٢١) - ٥٨٤/(٢٢) - ٥٨٤/(٢٦) - ١٦٤/(٤٥) - ٦٢٩/(٤٨) - ١٦٤/(٤٩) و ٦٢٩ و ٦٧٩ - ٦٥٩/(٦٧) و ٦٧٥ - ٦٥٩/(٧٢) - ١٥٥/(٧٩) - ٣٢٤/(٨٢) - ٤٣٤/(٩٧) - ٦٣٧/(١٠٥) - ١٩٧/(١٠٩)

سورة مريم

- ١٧٠/(٩) و ٢٠٧ و ٥٩٦ - ٤٩٨/(٦٠) - ٣٧٩/(٦٤) و ٤٦٣ - ٦٣٤/(٧١) - ٦٣٤/(٧٢) - ٦٣٤ - ٥٢٢/(٧٦) - ٢٤٨/(٩٦)

سورة طه

- ٣١٦/(٥) و ٤٢٣ و ٥٤٢ و ٨٠١ - ٦٢٠/(١٥) - ٦٢٠/(١٦) - ٦٢٠/(٤١) - ٣٣٤/(٧٣) - ٤٤٣ - ٢٥٦/(٨٩) - ١٧٧/(١١٠) و ٣٠٠ - ١٨٢/(١١١) - ٦٧٩/(١١٢) - ١١٢/(١٢٣) - ١١٢/(١٢٦) -

سورة الأنبياء

- ٦٢١/(١) - ٤٣٩/(١٩) و ٤٦١ - ٤٢١/(٢٠) - ١٢٩/(٢٢) و ١٤٠ - ٣٨٢/(٢٣) - ١٢٣/(٢٥) - ٢٢٦/(٢٦) و ٤٦٢ - ٤٦٩/(٢٧) و ٤٦٠ - ٤٦٠/(٢٨) - ٢٦٢/(٣٠) - ٢٦٢/(٣١) - ٢٦٢ - ٦٣٦/(٤٧) - ٧٨٢/(٧٨) - ٧٨٢/(٧٩) - ٢٤٥/(٨٧) - ٦٧٨/(٩٥) - ٢٠٢/(١٠٥) و ٦٧٨ - ٢٤٠/(١٠٧) - ٦٧٨/(١١٢)

سورة الحج

- ٢٠٧/(١) - ٥٨٣/(٣) - ٥٨٣/(٤) - ٦٢٦/(٥) - ٦٢٦/(٧) - ٢٢٦/(٨) - ٣٠٧/(٩) - ٦٠٧/(٣١) - ٣٠٧

سورة المؤمنون

(١٢)/(٦٢٦) - (١٤)/(٦٦٥) - (١٥)/(١١٠) - (١٦)/(٦٢٦) - (٣٥)/(١٥٥) - (٥٥)/(٢٢٣) - (٦٠)/(٤٩٦) - (٧١)/(٦٧٦) - (٨٤)/(١٣٠) - (٨٥)/(١٣٠) - (٥٦٥) - (٩١)/(١٣٨) - (١٠٨)/(٢٥٩) - (١١٥)/(٦٢٥) و٦٨١

سورة النور

(٢٥)/(٦٢٨) - (٣٩)/(٥٤٠) - (٤٠)/(٥٤٠) - (٥٢)/(٤٠٩) - (٥٤)/(٣٠٦) و٤٧٤ و٥٧٩ - (٦١)/(٦٠١) - (٦٢)/(٥٢٥)

سورة الفرقان

(١)/(٢٥١) و٤٧٠ - (٢)/(٢١٤) و٣٨٣ و٤١٥ و٤١٨ - (٧)/(٤١٢) و٤٧٢ و٧٥٣ - (٣٣)/(١٧١) - (٦٥)/(٢٤٨) و٦٥٤

سورة الشعراء

(٢٤)/(١٢٧) - (٢٥)/(١٢٧) - (٢٦)/(١٢٧) - (٢٨)/(١٢٧) - (٢٩)/(٢٩١) - (٦٢)/(٢٩١) - (٦٧)/(٢٣٥) - (٦٨)/(٢٣٥) - (٧٥)/(١٧٢) - (٧٦)/(١٧٢) - (٨٢)/(٦٢٠) - (١٦٥)/(٤٧٠) - (١٩٢)/(٢٧٤) - (١٩٣)/(٢٧٤) و٤٨١ و٦٠١ - (١٩٤)/(٢٧٤) و٤٨١ - (١٩٥)/(٢٧٤) و٤٨١ - (١٩٦)/(٢٧٢) - (٢٢١)/(٢٢٨) و٧٧٦ - (٢٢٢)/(٢٢٨) و٧٧٦ - (٢٢٣)/(٢٢٨) - (٢٢٤)/(٢٢٨) - (٢٢٥)/(٢٢٨) - (٢٢٦)/(٢٢٨)

سورة النمل

(١٤)/(١٢٧) و٥٠٦ - (٢٣)/(٢٦٢) و٤٢٥ - (٢٦)/(٤٢٣) - (٤٨)/(٧٤٣) - (٥٩)/(١٣٦) و٤٤٣ - (٦٠)/(١٣٦) - (٦١)/(١٣٧) - (٦٦)/(٦٢٢) - (٨٢)/(٧٦٣)

سورة القصص

(١٦)/(٢٤٥) - (٢٠)/(١٧٦) - (٣٠)/(٢٦٣) - (٤٩)/(٢٧٥) - (٥٠)/(٣٠٧) و٥٨٣ - (٥٦)/(٢٢٤) - (٨٤)/(٦٢٨) - (٨٨)/(١٤٥) و٣٣٤ و٦٠٢ و٦٤٤ و٦٤٦

سورة العنكبوت

(١)/(٢٣٤) - (٢)/(٢٣٤) - (٨)/(٣٧٨) - (٢٦)/(٥١٦) - (٤٩)/(٢٨١) - (٥١)/(١٥١) - (٦٤)/(١٨٣)

سورة الروم

(١٩)/(١٥٥) - (٢٦)/(٢٠٩) - (٢٧)/(٢٠٨) و٢٠٩ - (٣٠)/(١٣٣) و٦٦٧ - (٣٦)/(١٣٣) - (٥٤)/(١٥٧)

سورة لقمان

(٢٥)/(٣٧٦) و٥٦٥ - (٢٧)/(١٩٧) و٢٦٩ - (٣٤)/(٤٠٣)

سورة السجدة

٢٩٧/(٥) - ٥٩٥/(١١) - ٢٢٤/(١٣) و ٢٧٤ و ٣٨٥ - ١٥٥/(١٥) - ٥٠٣/(١٦) -
٢٢٨/(١٧) - ١٥٥/(١٨) - ٢٧٥/(٤٢)

سورة الأحزاب

٤٧٥/(٧) و ٥٢٧ - ٣٢٨/(٣٢) - ١٧٤/(٣٣) - ٥٣٤/(٣٥) - ٥٤١/(٣٦) - ٣٨/(٣٨)
٢١٤ و ٤١٥ - ٢٤٠/(٤٠) - ٣٧٩ - ٤٦٢/(٤٣) - ٢٩٧/(٤٤)

سورة سبأ

١٦٤/(٣) و ٦٢١ - ٢٥١/(٢٨) - ٢٥٢ - ٧٧٠/(٤٠) - ٧٧٠/(٤١)

سورة فاطر

٣١٦/(١٠) و ٤٣٨ - ١٥٥/(١١) و ٢١٨ و ٦٧٨ - ١٨٥/(١٥) و ٤٢٩ - ٥٢٩/(٣٢)
٦٥٤/(٣٦) - ١٦٤/(٤٤) و ١٦٧

سورة يس

١٧٢/(٣٩) و ٤٤٣ - ٦٨٩/(٥٤) - ٢٥٨/(٥٨) و ٤٣٣ و ٤٤٢ - ٢٥٧/(٦٥)
٦٢٤/(٨٠) - ٣٣٤/(٨١) و ٦٢٤ - ٢٠٧/(٨٢) و ٦٧٧ و ٧٥٦ - ٧٢٥/(٨٣)

سورة الصافات

١٥١ - ١٤٦/(١٥٤) - ١٥٥/(١٠١) - ٢٢٤/(٥٧) - ٤٦٢/(٨) - ٦٦٦/(٩٦)
٧٦٩/(٨٩ ، ٨٨)

سورة ص

١٣٧/(٥) - ٦٨١/(٢٨) - ٦٤٩/(٥٤) - ٣٣٤/(٧٥) و ٤٦٨ و ٨٠١ - ٦٢٠/(٧٩)
٦٢٠/(٨١) - ٥٠٧/(٨٢) و ٥٦٥ و ٦٦٨ - ٥٦٥/(٨٣)

سورة الزمر

٢٧٤/(١) و ٤٣٨ - ١٣٢/(٣) و ١٤١ - ٢٧٥/(٦) - ٣٨٦/(٧) - ٥٠٣/(٩) - ٢٣/(٢٣)
٧٧٤ - ٥٩٥/(٤٢) و ٥٩٨ - ٤٩٩/(٥٣) و ٥٦٥ - ٤٩٩/(٥٤) - ٥٥٦/(٦٢) و ٥٩٦ -
٢٤٦/(٦٥) - ٣٣٤/(٦٧) - ٦٢١/(٧١) - ٤٢٣/(٧٥) - ٥٩١/(٨٠)

سورة غافر

٢٧٤/(١) و ٤٩٥ - ٢٧٤/(٢) و ٤٣٨ - ٤٩٥/(٣) و ٥٢٧ - ٤٢٣/(٧) و ٦٥٣ و ٤٦٢
٦٠٣/(١١) - ٤٢٣/(١٥) و ٦٢٩ - ٦٢٩/(١٧) و ٦٧٩ - ٦٢٠/(٣٢) - ٦٢٠/(٣٣)
٥٨٣/(٣٥) - ٤٤١/(٣٦) - ٦٢٠/(٣٩) - ٦٠٤/(٤٥) - ٤٥٣/(٤٦) و ٦٠٤ و ٦١٣ و ٦٢٠
٦٢٤/(٥٧) - ٦٢٢/(٥٩) - ١٨٥/(٦٥) - ٤٧٤/(٧٨)

سورة فصلت

٢٧٥/(٢) - ٤٣٨ - ٣٧٤/(١١) - ٢٥٧/(٢١) و ٢٦٠ - ٤٧٦/(٤١) - ٤٣٨/(٤٢) و ٤٧٦ - ١١١/(٤٤) و ٤٢٢ و ٤٧٦ - ١٤٩/(٥٢) - ١٤٩/(٥٣) - ١٣٩/(٥٤) و ٤٣١

سورة الشورى

١٥٤/(١١) و ١٦٦ و ١٧٨ و ١٨٠ و ٢٠٧ و ٢٠٩ و ٢٧٥ و ٢٨٣ و ٣١٦ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٤٥٣ - ٤٧٥/(١٣) - ١٤٨/(١٧) - ٦٢١/(١٨) - ٢٣٩/(٢٤) و ٦٤٨ - ٥٥٤/(٣٠) و ٥٧٨ و ٦٥٦ - ٤٣٨/(٥١) - ٦٠١/(٥٢)

سورة الزخرف

١٤٧/(١) و ٣٠٦ - ١٤٧/(٢) و ٣٠٦ - ٢٦٢/(٣) و ٢٦٣ - ١٤٤/(١٩) - ٢٢١ - ٢٩٣/(٣٩) - ٣٠٨/(٥٨) - ٦٦٤/(٧٢) - ٢٩٠/(٧٧) - ١٤٣/(٨٦)

سورة الدخان

٣٠٦/(١) و ٤٣٩ - ٣٠٦/(٢) - ٢٧٥/(٣) - ٢٧٥/(٥) و ٤٣٩ - ٤٧٠/(٣٢) - ٦٤٩/(٥٦)

سورة الجاثية

٧١١/(١٧) - ٦٨١/(٢١) - ٥٩١/(٥٩)

سورة الأحقاف

١٧٢/(١١) - ٦٢٨/(١٤) - ٥١٤/(٢٢) - ٢٦١/(٢٥) - ٢٥٠/(٣٠) - ٢٥٠/(٣١) - ٦٢٤/(٣٣) - ٢٤٦/(٣٥)

سورة محمد

٥٤٥/(١١) - ٥٧٣/(١٩) - ٢٢٩/(٣٠) - ١٨٥/(٣٨)

سورة الفتح

٥٢٢/(٤) - ٧٠٠/(١٨) و ٧٠٥ و ٧٤٢ - ٥٣٧/(٢٧) - ٧٠٥/(٢٩)

سورة الحجرات

٨٥٩/(٧) - ٤٩٠/(٩) و ٧٧٩ - ٤٩٠/(١٠) - ٥٧٥/(١١) - ٥٧٥/(١٢) - ٥٤٩ - ٥٣٢/(١٤) و ٥٤٧ - ٣٣/(١٥) و ٥٢٥ و ٥٣٩ و ٥٥٢

سورة ق

١٦٤/(٣٨) - ٢٨٧/(٣٥) - ٥٩١/(١٨ ، ١٧)

سورة الذاريات

٤٥٨/(٤) - ١٥٥/(٢٨) - ٥٣٥/(٣٥) - ٥٣٥/(٣٦) - ١٨٥/(٥٦) و ٢٢٠ - ٥٧/(٥٧) - ١٨٥ - ١٥٥/(٥٨) و ١٨٥

سورة الضّور

- ٦٠٤/(٤٥) - ١٧١/(٣٥) - ٢٣٨/(٣١) - ٢٣٨/(٣٠) - ٧٧٢/(٢١) - ٢٧٢/(٣)
٦٠٤/(٤٦) - ٦٠٤/(٤٧) - ٦٥٥/(٥٠).

سورة النجم

- ٣٤٣/(١١) - ٢٢٥/(١٠) - ٣٤٣/(٨) - ٣٤٣/(٧) - ٣٤٣/(٦) - ٣٤٣/(٥)
٦٨٣/(٣٩) - ٦٨٩/(٣٨) - ٤٧٨/(٢٣) - ٦٤٢/(١٥) - ٦٤٢/(١٤) - ٦٤٢ و ٣٤٣/(١٣)
٦٨٨ و ٦٨٩

سورة القمر

٣٨٣ و ٢١٤/(٤٩) - ٤٥٣/(٤٣) - ٦٢١/(١)

سورة الرحمن

٦٠٢ و ٣٣٤ و ١٧٣/(٢٧) - ٦٤٦ و ٦٠٢ و ١٧٣/(٢٦) - ٢٥١/(٢٢) - ١٨٢/(١٠)

سورة الواقعة

٢٧٢/(٢٨)

سورة الحديد

١٧٠/(٣) - ٤٣٣ و ٧٠٥/(١٠) - ٢٨٦/(١٣) - ٥٣١/(٢١) - ١٤٨/(٢٥) - ١٢٩/(٢٩)
٦٧١

سورة المجادلة

٦٢٦/(٣٠) - ٦٢٦/(٢٠) - ٦٠١/(٢٢) - ٦٥٨ و ٤٩٩/(٤) - ٤٣٥/(١)

سورة الحشر

- ٧٤٩ و ٧٣٤ و ٦٨٥ و ٧٠٥/(١٠) - ٧٠٥/(٩) - ٧٠٥/(٨) - ٧٨١ و ٦٧٧/(٥)
١٧٨ و ١٥٠/(٢٣)

سورة الممتحنة

٦٧٨/(١٠)

سورة الصف

٤٤٨/(٥) - ٥٨٢/(٤)

سورة الجمعة

٧٨٦/(٥)

سورة المنافقون

٥٣٣/(١)

سورة التغابن

٢٢٤/(٢) - ٦٢١/(٧) - ٤٧٦/(٨) - ٤٧٤/(١٢) - ٦٥٨/(١٦)

سورة الطلاق

٤١١/(٢) و ٥٤٩ - ٤١١/(٣) - ٥٤٩/(٢) - ٥٤٩/(٣) و ٧٥٧ - ٦٥٦/(١١٢)

سورة التحريم

٦٤٥/(١١)

سورة الملك

١٨٦/(٢) و ٢٢٠ - ٢١٣/(١٤) و ٤١٣

سورة القلم

٤٠٦/(١) - ١٤٦/(٣٥) - ١٤٦/(٣٦) - ٢٤٥/(٤٨)

سورة الحاقة

٤٢٦/(٧) - ٦٢٩/(١٥) - ٦٢٩/(١٦) - ٦٢٩/(١٧) - ٦٢٩/(١٨) - ٤٢٣/(١٧) - ٤٨١/(٤٠) - ٤٨١/(٤١) - ٥٥٧/(٤٤) - ٥٥٧/(٤٥) - ٥٥٧/(٤٦) - ١٥٠/(٤٧ ، ٤٤)

سورة المعارج

٦٢١/(١) - ٦٢١/(٢) - ٤٣٧/(٤) - ٦٢١/(٦) - ٦٢١/(٧)

سورة نوح

١٣٠/(٢٣) - ٦٢٠/(١٨) - ٦٢٠/(١٧)

سورة الجن

٧٦٩/(٦) و ٧٧١ - ٥٥٦/(١٠) - ٢٢٦/(١٩) - ٤٠٣/(٢٦) - ٤٢٢ و ٤٠٣/(٢٧)

سورة المدثر

٢٥٤/(٢٦) - ٢٨٢ و ٢٥٤/(٢٥) - ٢٥٤/(٣١) - ٢٢٤ و ٣٥٥/(٤٨) - ٧٧٧/(٥٢) - ٤٠٩/(٥٦)

سورة القيامة

٦٠١/(٢) - ٢٨٤ و ٢٨٥/(٢٣ ، ٢٢) - ٢٨٥/(٣٦) - ٦٢٥/(٣٧) - ٦٢٥/(٣٨) - ٦٢٥/(٣٩) - ٦٢٥/(٤٠)

سورة الدهر

٢٥٧/(١) و ٥٩٧ - ١٥٤/(٢) - ٦٥٤/(٣) - ٦٥٤/(٢٩) و ١٤٠ - ٢٢٠ و ٣٨٦/(٣٠)

سورة النبأ

٣٤١/(٢١) - ٦٤١/(٢٢) - ٦٥١/(٢٣) - ٦٢٨/(٢٦)

سورة النازعات

٤٥٨/(٥)

سورة عبس

٢٩٤/(٣١) - ٤٦٢/(١٦) - ٢٨١/(١٤) - ٢٨١/(١٣)

سورة التكوير

٤٨١/(٢١) - ٢٦٣ ، ٤٨١/(١٩)

سورة الانفطار

٥٩٤/(١٢) - ٤٦٢/(١١)

سورة المطففين

٤٦٢/(٢١) - ٢٨٩ و ٢٨٨/(١٥)

سورة الانشقاق

٦٢٩/(١٥) - ٦٢٩/(٨ ، ٧) - ٦٢٩/(٦)

سورة البروج

١٩٧/(١٥) و ٢٠٠ و ٤٢٣ - ١٩٧/(١٦) و ٢٠٠ - ٤٣١/(٢٠) - ٤٠٥/(٢١) - ٤٠٥ و ٢٧٢/(٢٢)

سورة الأعلى

٢١٥/(٣ ، ٢)

سورة الفجر

٧٤٣/(٢ ، ١) - ٥٥٠/(١٥) و ٧٥٥ - ٧٥٥/(١٧) - ٥٩٩/(٢٧) و ٦٠١ - ٥٩٩/(٣٠)

سورة البلد

١٦١/(٩ ، ٨)

سورة الشمس

٦٦٦/(٧) - ٦٦٦/(٩ ، ١٠)

سورة الليل

٣٨٠/(٥) - ٣٨٠/(٦) - ٣٨٠/(٧) - ٣٨٠/(٨) - ٣٨٠/(٩) - ٣٨٠/(١٠)

سورة البينة

٧٠٠ و ٦٥٣/(٨)

سورة الفيل

٣٢٠/(١)

سورة الكافرون

٥٥١/(١)

سورة الإخلاص

٣٢٩/(١) و ٥٥١ - ٣٢٩/(٢) - ٣٢٩/(٣) - ٣٢٩/(٤) و ٢٢٤ و ٣٢٩

سورة الفلق

٨٠١/(١٠) - ٥٥٦/(٢)

obeikandi.com

(٢) فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٥٥١ ، ٥٢٨	أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله
٤٦٨	ابعث من ذريتك بعثاً إلى النار
٧٥٨	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
٥٨٤	اتهموا الرأي في الدين (عمر)
٢٢٨	اخسأ فلن تعدو قدرك
٧١٣	ادعي لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً
٧١٣	ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي بكر كتاباً
٢٢٦	اذهبوا إلى محمد عبد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
٧٤٦	ارقبوا محمداً في أهل بيته [أبو بكر]
٧٣٨	ارم فذاك أبي وأمي
٦٨٥	استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل
٣٦٥	اشفعوا توجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء
٧٧٣	اطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله
٧٧٤	اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء
٧٦٠	اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس
٣٨٠	اعملوا فكل ميسر لما خلق له
٧٣٧ ، ٧٢٣ ، ٧١٣	اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر
٧٤٣	التمسوها في العشر الأواخر من رمضان
٧٤١	اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد
٧٤١	أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة
٧٨٥	أبهذا أمرتم، أم بهذا وكلتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض
٧٦٦	أتدرون ماذا قال ربكم الليلة

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٣٤٩	أتى رسول الله ﷺ بلحم
٦٧٤	أحيوا ما خلقتكم
٧٨٢	إذا بويح لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما
٧٨٢	إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران
٤٤٤	إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله (أثر)
٤١١	إذا أحب الله العبد نادى: يا جبريل إني أحب فلاناً
٢٨٧	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد
٥١٤	إذا زنى العبد نزع منه الإيمان فإن تاب أعيد إليه
٤٢٤	إذا سألتكم الله الجنة، فسلوه الفردوس
٥٧٣	إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء
٦٠٨	إذا قبر الميت - أو قال الإنسان - أتاه ملكان أسودان
٣٥٧	إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض [حديث الشفاعة]
٦٨٩ ، ٦٨٤	إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث
٤٩٤	إذا مت فاسحقوني ثم ذروني
١٥٥	إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة
٤٢٦	أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل
٢٢٨	أرى عرشاً على الماء (ابن صياد)
٧٦٦	أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن
٥٤٧ ، ٤٨٨	أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن
٣٦٠	أسألك بحق ممشاي هذا وبحق السائلين عليك
١٥٢	أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد
٧٠٧	أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم
٢٥١	أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي
٢٦٨	أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك
١٩١	أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر
٢٦٨	أعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا
٦٧٩ ، ١٩٢	أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق
٧٥٦	أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر
٦٠٥	أعوذ بالله من عذاب القبر... إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال
١٩٣	أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٧٧٨	أعوذ بوجهك... هاتان أهون
٣٤٦	أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة
٥١٩	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً
١٣١	ألا أبعثك على ما بعثني رسول الله ﷺ : أمرني ألا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته
٧٣١	ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة
٢٨١	أما إني لا أقول: آلم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف
٧٤٥	أما بعد، أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي
٧٢٠	أما صاحبكم فقد غامر
٥٣٣ ، ١٢٣	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
٧٠٤ ، ٥٥١ ، ٤٥٥ ، ٤١٥	أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك
٥٥١	أن تؤمن بالله وملائكته
٥٥١	أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
١٨٧	إن أعمال العباد تصعد إلى السماء
٧٢١	أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسَّح
٥٠١	أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار
٧١٧	إن أستخلف، فقد استخلف من هو خير مني
٧١٣	إن لم تجديني فأتي أبا بكر
٣٥٥	أنا أول شفيع في الجنة
٦٣٠	أنا أول من تنشق عنه الأرض
٣٤٩ ، ٢٤٢	أنا سيد الناس يوم القيامة... «حديث الشفاعة»
٢٤٢	أنا سيد ولد آدم ولا فخر
٢٤٢	أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر
٣٤٧ ، ٣٤٦	أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظماً أبداً
٥٨٠	أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة
٣٢٥	أنا من الراسخين في العلم (عبد الله بن عباس)
٤٣٣	أنت الأول فليس قبلك شيء
٧٣٥	أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي
٢٤٨	إن إبراهيم خليل الله ألا وأنا حبيب الله ولا فخر
٧٣٣	إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
٣٩٨ ، ٣٨	إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم

- إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ٦٤٢
- إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ٣٨١
- إن الأرض تمطر مطراً كمنّي الرجال ٦٢٧
- إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة ٥٨٠، ٧٧٨
- إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ٧٦٣
- إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ١٣٢
- إن خليلي أوصاني، أن أسمع وأطيع ولو لحبشي كان رأسه زبيبة ٥٧٦
- إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ١٨٩، ٧٠٣
- إن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة ٥٣٠
- إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ٣٨١
- إن الروح إذا قبض تبعه البصر ٥٩٩
- إن السماء أطت ٤٦٠
- إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاردة القاصية ٧٧٨
- إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ٢٧٨
- إن عرشه على سمواته كهكذا، وقال بأصابعه مثل القبة ٤٢٤
- إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم ٦٠٧
- إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ٥٢١
- إن فيك خلتين يحبهما الله: الحلم والأناة ٦٧٢
- إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن ٢٤٥
- إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ٤٥١
- إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة ٢٤٢
- إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم ﷺ بنعمان - يعني عرفة - ٣٦٧
- إن الله بعثني إليكم ٧٢١
- إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به ٢٧٩
- إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة؟ فيقولون: لبيك ٧٠٣
- إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ٥٠٩
- إن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية، فقال ٣٦٨
- إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها ياقوتة حمراء ٤٠٥
- إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ٦٣٦
- إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدوها ٤٦٣

- إن الله قبض أرواحكم حين شاء ٥٩٩
- إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال ٣٨٦
- إن الله لا يخفى عليكم وإن الله ليس بأعور ٧٦٢
- إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ٢٩٩، ١٨٢
- أن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه ٦٨١
- إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد [عبد الله بن مسعود] ٧١٠
- إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة ٢٧٩
- إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته ٣٨٧
- إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً ٤٤٠
- إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، صوموا وأفطروا ٧٩٠
- إن لكل أمة أميناً، وإن أميناً أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح ٧٤٠
- إن لكل نبي حوضاً، وإن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأجلها ٣٤٨
- إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي ٢٤١
- إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء، وعند الجماع فاستحيوهم وأكرمهم ٥٩٢
- إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ٤٦٨
- إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ١٣٢
- إن المؤمن الذي إذا عمل الحسنة سرته، ورجا ثوابها ٥٢٨
- إن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ٦٤٠، ٥٠٢
- إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجرة الجنة ٦١٧
- إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه ٧٦٧
- إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أو لمن تنشق عنه الأرض ٦٣٠
- إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أو لمن يفيق ٦٣٠، ٤٢٥
- إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ٢٧١
- إن هذا والذي جاء به موسى ﷺ ليخرج من مشكاة واحدة (النجاشي) ٢٣١
- إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ٦١٢
- إننا معاشر الأنبياء ديننا واحد ٧٨٧
- إنكم ترون ربكم عياناً كما ترون الشمس ٣٢٠، ٣٠١
- إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر ٢٩٢
- إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى ٢٦٥
- إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجرة الجنة ٦٤٣

- ٧٨٦ إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب
- ٢١٨ إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل
- ٦٣٧ إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة
- ٣٤٦ إنه نزلت عليّ آنفاً سورة
- ١٨٦ إنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن والعمل القبيح على أقبح صورة
- ١٨٦ إنه يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون
- ١٨٦ إنه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار
- ١٨٧ إنها توضع في الميزان (الأعمال)
- ١١٣ إنها ستكون فتن... كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم
- ٤٣٥ إنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله
- ٦٠٨ إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير
- ٤٥٠، ٢٤٧ إني أبرأ إلى كل خليل من خلته
- ٦٤٣ إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلت منه
- ٢٣٠ إني قد خشيت على نفسي
- ٥٣٧ إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله
- ٢٤٦ أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد
- ٧٣٥ أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً
- ٥٨٠ أو غير ذلك يا عائشة! إن الله خلق للجنة أهلاً
- ٥٣٤ أو مسلماً
- ٤٠٥ أول ما خلق الله تعالى القلم
- ٥٣٦ أي الإسلام أفضل
- ٢٣١ أي عم اسمع من ابن أخيك ما يقول
- ٧٢٣ إية يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً
- ٣٤٧ إني فرطكم على الحوض، من مرّ علي شرب
- ٣٤٧ إني الله
- ٦٨٧ الآن بردت عليه جلده
- ٧٠١ الاستواء معلوم والكيف مجهول (مالك بن أنس)
- ٤١٧، ٢٩٤ الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
- ٥٣٤، ٥٢٩ الإسلام علانية والإيمان في القلب
- ٥١٨ الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٤٤١	أين الله؟ (حديث الجارية)
٥٨٤	الله أعلم بما كانوا عاملين
٧١١	الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي
٤٤٠	اللهم اشهد
٢١٥	اللهم أمتعني بزوجي رسول الله (أم حبيبة)
٢٤٥	اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي، وأنا عبدك
٢٠٤، ١٧٠	اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء
١٦٦	اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك
١٩٥	اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة... وأعوذ بعظمتك
٣٨٨، ١٩٢	اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك
٣٦٣	اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا (عمر بن الخطاب)
٢١٧، ١٥٦	اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي
٣١٩	اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض
٤٥٤	اللهم صل على آل أبي أوفى
٣٢٥	اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل
٥٣٤، ٥٣١	اللهم لك أسلمت، وبك آمنت
٦٩٠	اللهم هذا عن أمتي جميعاً
٦٩٠	اللهم هذا عن محمد وآل محمد
٧٣٥	اللهم هؤلاء أهلي
٥٨٥	أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم (أبو بكر)
٥١٩	البداذة من الإيمان
٦٨٩	بسم الله، والله أكبر، اللهم هذا عني وعن من أمتي
٤٨٩	بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة
٧١٤	بيننا أنا نائم رأيتني على قلب عليها دلو
٤٤٢، ٤٣٣، ٢٥٨	بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا أبصارهم
٤٥٧	بيننا جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه
٤٧٣	بيننا أنا جالس، إذ جاء جبريل فوكز بين كتفي
١٨١	بينما ثلاثة نفر يتمشون أخذهم المطر، فأووا إلى غار
١٨١	تخلقوا بأخلاق الله
٥٨٤	تراني قد رضيت، وتأبى

- ٣٢١ ترون ربكم كما ترون الشمس ف بالظهيرة ليس دونها سحاب
- ٤٠٠ تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنين وسبعين فرقة
- ٦٣٥ تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جزيا مئمن، فقد أطفأ نورك لهبي
- ١١٣ تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا (ابن عباس)
- ٣٩٧ تلك محض الإيمان
- ٥٧٤ توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار
- ٦٣٧ توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل فيوضع في كفه
- ٥٨٢ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما
- ٧٦٥ ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وحلوان الكاهن خبيث
- ٦١٣ ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر مقعده فيها حتى تقوم الساعة
- ٤٩٠ ثنتان في أمتي هما كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت
- ٧٢٣ جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر
- ٢٩٣ جنتان ممن فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب
- ٦١٥ الجنة... إلا الدين سارني به جبريل آنفاً
- ٣٣٥ حجاباه النور، ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه
- ٥١٩ الحياء شعبة من الإيمان
- ٧٣٢، ٧١٧ خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله الملك أو ملكه من يشاء
- ٧١٦ خلافة نبوة، ثم يأتي الله الملك
- ١٣٤ خلقت عبادي حنفاء كلهم - فاجتالهم الشياطين
- ٣٣٤ خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء
- ٥٩٠، ٥٧٨ خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليهم ويصلون عليكم
- ٧٠٩ خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
- ٣٩٧ ذلك صريح الإيمان
- ٧٨٤ ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
- ٧١٦ رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ
- ٦١٦ رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة
- ٧٢٤ رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة
- ٦٤٢ رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به حتى لقد رأيته أخذ قطفاً من الجنة
- ٧١٧ رأيت كأن دلواً دلي من السماء فجاء أبو بكر
- ٧٣٨ رأيت يد طلحة التي وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد قد شلت

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٥٥٨	ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه
٤٣٥	زوجكن - أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات
٢٧١	زينوا القرآن بأصواتكم
٤٣٢	سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله، هذا القمر آية
٤٨٧، ٣٢٣	سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر
٣٢٣	سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي
٦٨٥	السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ...
٥٨٥	السنة ما سنه الله ورسوله ﷺ (عمر)
٣٥٦	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي
٦٥٨	صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب
٥٦٦	صلوا خلف كل بر وفاجر
٥٦٨	صلوا خلف من قال لا إله إلا الله وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله
٢١٦	صلة الرحم تزيد في العمر
٤١٧	صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب المرجئة والقدرية
٥٦٧	الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم بر أو فاجر وإن عمل بالكبائر
٦٣٨	الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان
٧٢٠	عائشة، قال فمن الرجال؟ قال: أبوها
٧٤٠	عشرة في الجنة، النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة
٥٧٦	على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره
١٤٣	عل مثلها فاشهد... وأشار إلى الشمس
٦٣٥	علم الناس ستي وإن كرهوا ذلك
٢٢٧	عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة
٤٩٧	عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين
٥١٧	العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع
٥٤٩	الغنى والفقر مطيتان لا أبالي أيهما ركبت (عمر بن الخطاب)
٧٣٩	فداك أبي وأمي
٢٤١	فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم
٧٨٧	فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه
٣٥٨	فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون
٥٩٤	قال الله عز وجل: إذا هم عبدي يسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكذبوها

- قالت الملائكة ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال: ارقبوه ٥٩٥
- قبض أرواحكم وردها عليكم ٥٩٩
- قد أردت منك ما هو أهون من ذلك ٣٧٤
- قد خبأت لك خبيئاً ٢٢٨
- القدر سرّ الله فلا تكشفه (علي) ٣٨٣
- قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ٤١٣، ٢١٥، ٢٠٣، ٤٠٦
- قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة ٢١٥
- قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد، فعمر ٧٢٤
- قل: آمنت بالله ثم استقم ٧٨٨
- قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ٦٨٢
- قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ٦٨٥
- قوم يستنون بغير سنتي ٥٧٧
- القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر (ابن عباس) ٤٢٨
- القدرة مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم ٧٩٦، ٤١٦
- كأنني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطفق أليانهن مشركات ٣٨٤
- كان رجلان في بني إسرائيل متآخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر ٤٨٥
- كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ٣٢٣
- كان ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر تارة بسورتي الإخلاص ٥٥١
- كان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان ٧٤٣
- كان الله ولم يكن شيء قبله ٢٠٢
- كان لأبي بكر غلام يأكل من خراجة، فجاء يوماً بشيء [عائشة] ٧٦٧
- كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بداراً والحديبية ٧٣٤
- كلا كما محسن، لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا ٧٨٠، ٤٧٨
- كلاً والله، لا يخزيك الله (خديجة) ٢٣٠
- كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم وفيه يركب ٦٢٧
- كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع ٣٤٧
- كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ١٣٣
- كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن ثقيلتان في الميزان ٦٣٨
- كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده: أبو بكر ٧٣٨

الكروسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى (ابن عباس)	٤٢٧
لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين	٧٤٠
لأعطين الراية غداً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله	٧٣٥
يصلني أحد عن أحد	٦٨٤
لبيك وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك	٦٦٨
لتأخذن أمتي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع	٣٩٩
لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة	٧٩٩
لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	١٣١
لقد أمر أمر ابن أبي كبشة (أبو سفيان)	٢٣٥
لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات	٤٣٤
لقد قف شعري ممّا قلت ... من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب (عائشة) ..	٢٩٧
لقيت إبراهيم ليلة أسري بي، فقال: يا محمد اقري أمتك مني السلام	٦٤٦
لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر	٤١٦
لكل نبي، حوارى، وحواري الزبير	٧٣٩
لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر	٦١٦
لما خلق الله آدم مسح على ظهره فسقط من ظهره كل نسمة	٣٧٠
لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال	٦٤٤
لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش	٤٣٣
لن يدخل أحد الجنة بعمله	٦٦٥، ٦٦٤
لن ينجي أحداً منكم عمله ... ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل	٦٨٢
لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم	٦٨١
لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً	٧١٥، ٤٥٠
لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه (عمر) ..	٦٥٢
لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم	٣٩٠
لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع	٦١٢
ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل	٣٩٩
ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرمني الليلة	٧٣٨
ليردن علي أناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم	٢٤٥
ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك	٦٢٩
ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الأعمال	
(الحسن البصري)	٥١٧

ليس المخبر كالمعاین	٥١٢
ليسوا بشيء... تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى	٧٦٥
ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا، ولكن أصوم وأفطر	٧٨٩
ما تذكرون... إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات	٧٦١
ما تعدون المفلس فيكم؟	٤٩١
ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ (عبد الله بن سلام)	٤٦٨
ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل	٣٠٧
ما السماوات السبع والأرضون السبع... إلا كخردلة في يد أحدكم (ابن عباس)	٤٣١
ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة	٤٢٨
ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه	٦٠٠
ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم	٣٩٨
ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من أيام العشر	٧٤٤
ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي الله «حديث باطل»	٥٤٧
ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم	٦٩٨
ما من نبي إلا أنذر قومه الأعور الدجال	٧٦٢
ما منكم من أحد - ما من نفس منفوسة - إلا وقد كتب الله مكانها	٣٨٠
ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة	٥٩٣
ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة	٥٠٠
مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بناؤه، وترك منه موضع لبنة	٢٤٠
مروا أبا بكر فليصل بالناس	٧١٤
مم تضحكون... والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد	٦٣٨
من أتى كاهناً فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد	٤٨٩
من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد	٧٦٤
من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة	٧٦٤
من أحب الله وأبغض الله، وأعطى الله، فقد استكمل الإيمان	٥٢٠
من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	٧٧١
من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس	٤١٠
من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله	٥٧٦
من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر طبع الله على قلبه	٧٧٦
من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه	٤٠٢

من حلف بغير الله فقد أشرك - كفر - ٣٦٢ ، ٤٩٠	
من حمل علينا السلاح فليس منا ٥٢٦	
من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ٥٧٧	
من رأى منكم رؤياً . . . خلافة نبوة ٧١٥	
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليسهه ٥١٩	
من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن ٦٠٢	
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم ٤٧٧	
من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي ٧٥٨	
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ٧٧١	
من غشنا فليس منا، من حمل علينا السلاح فليس منا ٥٢٦	
من قال إني خير من يونس بن متى، فقد كذب ٢٤٥	
من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة ٦٤٥	
من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ٢٩٤	
من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار ٢٩٤	
من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كل ليلة كفتاه ٤٥٧	
من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ١٢٥	
من كانت عنده لأخيه مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم ٤٩١	
من كان منكم مستناً، فليستن بمن قد مات (عبد الله بن مسعود) ٥٨١	
من لم يسأل الله يغضب عليه ٦٩٤	
من مات وعليه صيام صام عنه وليه ٦٨٦	
من يأتي بني قريظة فيأتي بني بخبرهم ٧٣٩	
من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ٦٥٠	
مهلاً يا قوم بهذا أهلكم الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ٣٠٤	
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ٤٧٣	
نزل إلى سماء الدنيا ٣٣٨	
نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة ٥٩٩	
نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ٦٨٧	
نعم، نعم وفيه دخن ٥٧٧	
نعم [إن أمتي اقتلت نفسها، ولم توص] ٦٨٥	
نعم [إن أمتي توفيت وأنا غائب] ٦٨٦	

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٥٤١	نهى عن بيع الولاء وهبته
٢١٨	نهى عن النذر
٢٩٩	نور أنى أراه
٥٢٩	هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم
٧٩٨	هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً
٢٣١	هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى
٧٧٢	هذه يد عثمان
٤٢٣	هل تدرون كم بين السماء والأرض.. بينهما مسيرة خمسمائة سنة
٣٤٦	هل تدرون ما الكوثر
٢٩٢	هل تضارون في القمر ليلة البدر
٦٧١	هل ظلمتكم من حقكم شيئاً... فذلك فضلي أوتي من أشياء
٣١٠	هلك المتنطعون
٤١٩	هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر (ابن مسعود)
٦٣٢	هم في الظلمة دون الجسر
٣٤٦	هو نهر وعدنيه ربي
٥٠٠	وأتبع السيئة الحسنة تمحها
٥٥٥	والخير كله بيدك، والشر ليس إليك
٢٣٤	والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له
٥٨٠	وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
٦٣٤	والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة
٧٦٢	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً
٤٣٣	وأنا أشهد
٤٨٨	وإذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما
٣٨١	وإنما الأعمال بالخواتيم
٢٤١	وإنه سيكون في أمي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي
٥٣٧	وإننا إن شاء الله بكم لاحقون
٤٥١	والله أني لأحبك
٦٤٣	وإم الذي نفسي بيده: لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً وبيئتم كثيراً
٥٧٤	وجبت... هذا أثنتم عليه خيراً وجبت له الجنة، وهذا
١٤٥	وجهت وجهي

- والخير كله بيدك والشر ليس إليك ١٤٥
- وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ٥٨٠
- ولشأنني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم فيّ بوحى يتلى ٢٦٨
- ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ٢٤٧
- وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ٢٩٣
- وما ترددت في شيء أنا فاعله، ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن ٥٨٢
- وما تعجبون من هذا، انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر [عائشة] ٧٠٨
- وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ٢٧٩
- ويحك أتدري ما تقول... إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ٤٢٣، ٤٣٤
- ويل للأعقاب ويطون الأقدام من النار ٥٨٦
- ويلك أتدري من هذه! هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات (عمر بن الخطاب) ٤٣٥
- لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا هو رب العرش العظيم ٤٢٣
- لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء ٣٦٦
- لا: الإيمان مكمل في القلب زيادته الكفر، ونقصانه كفر «باطل» ٥٢٣
- لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً ٧٦٩
- لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ٣٨٠، ٤٠٧
- لا تؤمنوا حتى تحابوا ٥٢٦
- لا تجالسوا أهل القدر ولا تفتاحوهم ٤١٧
- لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ٤٨٨
- لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ١١٥
- لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ٧٠٦
- لا تسبوا أصحاب محمد ﷺ فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل ٧٠٨
- لا تشددوا فيشدد الله عليكم ١٥٤
- لا تفضلوا بين الأنبياء ٢٤٣
- لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها ٧٦٣
- لا تلعه إنه يحب الله ورسوله ٤٨٧
- لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ٥٤١
- لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ٥٤٩
- لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ٥٥٩

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين	٥٢٤
لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث ...	٥٧٥
لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة	٧٤٢، ٧٠٩
لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله	٥٠٩
لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر	٢١٧
لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة	٧٤٤
لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً	٧٤٤
لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة	٧٥٤
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٦٠٢، ٥٢٦، ٥١٣، ٤٨٩
لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني	٢٥٢
لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد	٦٨٤
لا يا ابنه الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق	٤٩٦
لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه	٥٠٤
لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى	٢٤٤
لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى	٢٤٤
يا أبا بكر أأنت تنصب، أأنت تخزن، أأنت يصيبك اللأواء	٥٠٠
يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم	٥٤٩
يا ابن أخي إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس	٥٦٩
يا أهل الجنة خلود فلا موت «حديث ذبح الموت»	٦٥٠، ١٨٦
يا بني عبد مناف لا أملك لكم من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله	٣٦٦
يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها	٦٢٨
يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا	٦٧٩
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب	١٨٥
يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك	٤٠٧
يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم	٧٨٥
يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده	٣٦٠
يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار	٥٢٤
يا ولي الإسلام وأهله، مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه	٥٦٦
يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر	٧١٨
يأتيني صادق وكاذب (ابن صياد)	٢٢٨

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٦٣٩	يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتي الميزان
٦٣٩	يؤتى بالموت كبشاً أغبر فيوقف بين الجنة والنار
٤٦٨	يبعث من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة
٥٩١	يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار
٦٣٣	يجمع الله الناس يوم القيامة . فيعطون نورهم على قدر أعمالهم
٥٤١	يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
٥٦٢ ، ٥٤٧	يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان
٣٥٥	يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفاً تضيء وجوههم
٣٥٨	يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء ثم الشهداء
٥٧١ ، ٥٦٨	يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطأوا فلكم وعليهم
١٨٧	يظلان صاحبهما كأنهما غماتان (سورة البقرة وآل عمران)
٦٣٢	يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات، فعرضتان جدال ومعاذير
٤٣٧	يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم
٧٢٠	يغفر الله لك يا أبا بكر
٣٧٠	يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء
٥٠٤ ، ٤٧٣	يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني
٥٤٨	يقول الله عز وجل: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة
٥٠٣	يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء
٦٨٣	ينادي مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً
٦٤٢	ينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة
٦٩٨	ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا
٧٩٩	اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون
	* * *
٢٢٢	حديث محاجة آدم وموسى
٢٣٢	حديث قصة هرقل مع أبي سفيان وسؤاله عن النبي ﷺ
٥٤٢ ، ٢٢٥	حديث الإسراء
٣٥٧ ، ٣٥٣ ، ٣٤٠ ، ٣٣٤ ، ٢٤٢ ، ١٨٨	حديث الشفاعة
٦٣٧	حديث البطاقة

obeikandi.com

(٣) فهرس الشعر

٦٩٥	وبني آدم حين يسأل يغضب	الرب يغضب إذا تركت سؤاله
٣٩٥	مني ففعلي كله طاعات	أصبحت منفعلاً لما تختاره
١٤٤	تدل على أنه واحد	وفي كل شيء له آية
١٥٣	إذ كل من وحده جاحد	ما وخذ الواحد من واحد
١٥٣	عارية أبطلها الواحد	توحيد من ينطق عن نعته
١٥٣	ونعت من ينعت له لأحد	توحيده إياه توحيده
٣١٢	كتب التناظر لا المغني ولا العمد	لولا التناقص في الدنيا لما وضعت
٣١٢	وبالذي وضعوه زادت العقد	يحللون بزعم منهم عقداً
٥٨٨	فلسنا بالجبال ولا الحديد	معاوي إنا بشر فأسجح
٣٢٧	ل تغشاهم مسبل منهم	وقتل كمثل جذوع النخيل
٤٢٦	ربنا في السماء أمسى كبيراً	مجدوا الله فهو للمجد أهل
٤٢٦	ص وسوى فوق السماء سريراً	بالبناء العالي الذي بهر النا
٤٢٦	ن ترى الملائك حوله صوراً	شرجاً لا يناله بصر العي
٢١١	ما إن كمثلهم في الناس من بشر	سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم
٣١٨	حار أمري وانقضى عمري	فيك يا أغلوطة الفكر
٣١٨	ربحت إلا أذى السفر	سافرت فيك العقول فما
٣١٨	أنك المعروف بالتناظر	فلحى الله الألى زعموا
٣١٨	خارج عن قوة البشر	كذبوا، إن الذي ذكروا
٢٢٧	كانت بديهته تأتيك بالخبر	لو لم يكن فيه آيات مبينة
٥٠٥	ر ثوباً عجبت من كبره	لو قد رأيت الصغير من عمل الخي
٥٠٥	ر جزاء أشفقت من حذره	أو قد رأيت الحقير من عمل الشد

٣٩٣	وجاوزه إلى ما تستطيع	إن لم تستطع شيئاً فدعه
٣٦١	كلاً ولا سعيّ لديه ضائع	ما للعباد عليه حقٌ واجب
٣٦١	فبفضله، وهو الكريم الواسع	إن عُذِّبُوا فبعدله، أو نُعْمُوا
٦٣٢	فيها السرائد والأخيار تطلع	وطارت الصحف في الأيدي منشرة
٦٣٢	عماً قليل ولا تدري بما يقع؟	فكيف سهوك والأنباء واقعة
٦٣٢	أم الجحيم فلا تُبقي ولا تدع؟	أفي الجنان وفوز لا انقطاع له
٦٣٢	إذا رجوا مخرجاً منَ غَمِّها قَمِعُوا	تهوي بساكنها طوراً وترفعهم
٦٣٢	فيها ولا رقة تغني ولا جزع	طال البكاء فلم يُرحم تَضَرُّعُهم
٦٣٢	قد سال قومُ بها الرجعي فما رجعوا	لينفع العلم قبل الموت عالمه
٢٧٠	وكلُّ نعيم لا محالة زائل	ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطل
٣١٦	وغاية سعي العالمين ضلال	نهاية إقدام العقول عقال
٣١٦	وحاصل دنيانا أذى ووبال	وأرواحنا في وحشةٍ منَ جِسمِنا
٣١٦	سوى أن جميعنا فيه قيل وقالوا	ولم نستفد منَ بحثنا طول عمرنا
٣١٦	فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا	فكم قد رأينا منَ رجالٍ ودولةٍ
٣١٦	رجال، فزالوا والجبال جبال	وكم منَ جبالٍ قد علت شرفاتها
٧٧٥	سياج فلا فرضٌ لديهم ولا نفل	هم معشرٌ حلّوا النظام وخرقوا الـ
٧٧٥	عزيزٌ على أبوابه يسجد العقل	مجانين إلا أن سرَّ جنونهم
٤٣٢	رسول الذي فوق السماوات من عل	شهدت بإذن الله أن محمداً
٤٣٣	له عملٌ من ربّه متقبّل	وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما
٤٣٣	رسولٌ أتى من عند ذي العرش مرسل	وأن الذي عادى اليهود ابنَ مريم
٤٣٣	يسجاهد في ذات الله ويعدل	وأن أخاه الأحقاف إذا قار فيهم
٢٧٧	جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلاً	إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
٤٥٠	ولذا سُمي الخليل خليلاً	قد تخللت مسلك الروح مني
٢٦٤	بسقط اللوى بين الدخول فحومل	قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
١٢٠	كلُّ علم عبيدٌ لعلم الرسول	أيها المغتدي ليطلب علماً
١٢٠	كيف أغفلت علم أصل الأصول؟	تطلب الفرع كي تصحَّح أصلاً
٧٩٦	إلى النار واشتق اسمه من جهنم	عجبت لشیطان دعا الناس جهرة
٣١٧	وسيرت طرفي بين تلك المعالم	لعمري لقد طفت المعاهد كلها

٣١٧	على ذقنٍ أو قارعاً سنّ نادم	فلم أر إلا واضعاً كفّ حائرٍ
٤٢٠	ما لجرح بمسيّتٍ إيّلام	من يهن يسهل الهوان عليه
٣٢٦	وأفته من ألفهم السّقيم	وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً
٢١١		وصاليات ككما يؤثفين
٥٢٧	فألفى قولها كذباً وميناً	فقدمت الأديم لراهمشينة
٤٢٦	وأنّ النار مثوى الكافرينا	شهدت بأن وعد الله حقّ
٤٢٦	وفوق العرش ربّ العالمينا	وأنّ العرش فوق الماء طاف
٤٢٦	ملاكئة الإله مسؤمينا	وتحمله ملاكئة شداد
٥٠٧	من خير أديان البرية دينا	ولقد علمت بأنّ دين محمّد
٥٠٧	لوجدتني سمحاً بذاك مبينا	لولا الملامة أو حذار مسبة
١٦٥	ليسوا من الشرّ في شيء وإن هانا	لكن قومي وإن كانوا ذوي عددٍ
٣٠٨	قد يورث الذلّ إدمانها	رأيت الذنوب تميت القلوب
٣٠٨	وخير لنفسك عصيانها	وترك الذنوب حياة القلوب
٣٠٨	وأحبار سوء ورهبانها	وهل أفسد الدين إلا الملوك
١٢٠	إلا الحديث وإلا الفقه في الدين	كلّ العلوم سوى القرآن مشغلة
١٢٠	ما سوى ذاك وسواس الشياطين	العلم ما كان فيه: قال حدثنا
٤١٣	والشقيّ الجهول منّ لام حاله	ما قضى الله كائن لا محالة
٤١٣	فليس ينسى ربُّنا نملة	اقنع بما تُرزق يا ذا الفتى
٤١٣	وإن تولّى مدبراً نمّ له	إن أقبل الذّهر فقم قائماً
٧٥١	فويق الرسول ودون الولي	مقام الثبوة في برزخ
٤٤٣	إذا قيل إن السيف أمضى من العصا	ألم تر أن السيف ينقص قدره

obeikandi.com

(٤) فهرس الأعلام

ابن بطة = عبيد الله بن محمد بن محمد.
ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز.
ابن حبان = محمد بن حبان.
ابن حزم: علي بن أحمد.
ابن راهويه = إسحاق بن راهويه.
ابن رشد (الحفيد) = محمد بن أحمد بن
رشد.
ابن سيرين = محمد بن سيرين.
ابن سينا = الحسين بن عبد الله بن
الحسن.
ابن الصياد: ٢٢٨.
ابن عبد البر = يوسف بن عبد الله بن
محمد
ابن عدي = عبد الله بن عدي بن عبيد الله.
ابن عربي: محمد بن علي بن محمد
الطائي.
ابن العربي = محمد بن عبد الله بن
محمد.
ابن عطية = عبد الحق بن غالب بن
عبد الرحمن المحاربي.
ابن عقيل = علي بن عقيل بن محمد.
ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري.
ابن القيم = محمد بن أبي بكر بن أيوب.

(١)

آدم ﷺ: ١٣٢، ١٥١، ١٥٢، ١٦٠، ٢٢٢،
٢٢٣، ٢٥٠، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٥٠،
٣٥٢، ٣٥٣، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٥،
٤٠٨، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩.
إبراهيم ﷺ: ٢٣٥، ٢٤٧، ٣٢٢، ٣٤٢،
٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٧، ٤٤٩،
٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤،
٤٦٩، ٤٧٥، ٥١٢، ٦٢٠، ٦٦٦،
٧٦٩.
إبراهيم بن السري بن سهل.
إبراهيم النخعي: ٧١١
إيليس: ٣١٤، ٣٣٤، ٣٨٩، ٣٩١،
٣٩٢، ٤٦٦، ٥٠٧، ٥٣٦.
ابن أبي حاتم = عبد الرحمن بن أبي
حاتم.
ابن أبي الحديد = عبد الحميد بن هبة الله.
ابن أبي الدنيا = عبد الله بن محمد بن
عبيد.
ابن أبي شيبه = عبد الله بن محمد بن
إبراهيم.
ابن إسحاق = محمد بن إسحاق.
ابن الأثير = المبارك بن محمد.
ابن الأنباري = محمد بن عبد الكريم.

أبو الحجاج المزي = يوسف بن عبد الرحمن.

أبو الحسن الأشعري = علي بن إسماعيل.

أبو الحسن العنبري: ٣٣٣

أبو الحسن القاسبي = علي بن محمد بن خلف.

أبو الحسين البصري = محمد بن علي بن الطيب.

أبو الحسين الصالحي = ٥٠٦.

أبو حنيفة = النعمان بن ثابت.

أبو خليفة = حجاج بن عتاب العبدي البصري.

أبو داود = سليمان بن الأشعث السجستاني.

أبو داود الطيالسي = سليمان بن داود بن الجارود.

أبو الدرداء = عويمر بن عامر.

أبو ذر الغفاري = جندب بن جنادة.

أبو رزين = لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله.

أبو الزبير = محمد بن مسلم بن تدرس المكي.

أبو الزناد = عبد الله بن ذكوان.

أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك بن سنان.

أبو سفيان = صخر بن حرب.

أبو سليمان الداراني = عبد الرحمن بن أحمد العنسي.

أبو شامة = عبد الرحمن بن إسماعيل.

أبو صالح = باذام.

أبو صالح = عبد الله بن صالح.

أبن كثير = إسماعيل بن عمر بن كثير.

أبن كلاب = عبد الله بن سعيد كلاب.

أبن كيسان = محمد بن أحمد كيسان.

أبن مالك = محمد بن عبد الله بن مالك الطائي.

أبن المحزرم = يزيد بن سفيان.

أبن مردويه = أحمد بن موسى.

أبن وهب = عبد الله بن وهب.

أبو إسماعيل الأنصاري = عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن الأنصاري.

أبو أمانة الباهلي = صدي بن عجلان.

أبو أوفى = علقمة بن خالد بن الحارث.

أبو البركات = هبة الله بن ملكا.

أبو بكر الصديق = عبد الله بن عثمان.

أبو بكر بن أبي خيثمة = أحمد بن أبي خيثمة.

أبو بكر بن أبي الدنيا: عبد الله بن محمد بن عبيد.

أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد:

أبو بكر بن الطيب = محمد بن الطيب الباقلاني.

أبو بكرة = نفيح بن الحارث.

أبو جعفر الهمداني = أحمد بن محمد بن الضحاك.

أبو حاتم الرازي = محمد بن إدريس بن المنذر.

أبو حاتم محمد بن حبان = محمد بن حبان البستي.

أبو حازم = سلمة بن دينار.

أبو حامد الغزالي = محمد بن محمد بن محمد.

أبو طالب بن عبد المطلب = عبد مناف بن عبد المطلب.

أبو طالب المكي = محمد بن علي بن عطية.
أبو عبد الرحمن = عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي.

أبو عبد الرحمن السلمي = محمد بن الحسين بن موسى.

أبو عبيدة بن الجراح = عامر بن عبد الله.
أبو عثمان النيسابوري = إسماعيل بن عبد الرحمن.

أبو عثمان النهدي = عبد الرحمن بن مُل بن عمرو بن عدي بن وهب.

أبو عصام القسطلاني: ٣٨٥
أبو العلاء الهمداني = الحسن بن أحمد بن الحسن العطار.

أبو علي الجوزجاني: ٧٥٤
أبو علي الروذباري = محمد بن أحمد بن القاسم.

أبو عمرو بن العلاء = زبان بن العلاء.
أبو عوانة الأسفرايني = الوضاح بن عبد الله.
أبو القاسم الساباذي: ٥٢٣

أبو القاسم القشيري = عبد الكريم بن هوازن.
أبو قتادة = الحارث بن ربيع بن يلدمة بن خناس.

أبو لهب = عبد العزى بن عبد المطلب.
أبو الليث السمرقندي: نصر بن محمد بن إبراهيم.

أبو مالك الأشعري: ٦١١ - ٧٦١
أبو مسعود = عقبة بن عمرو.

أبو مطيع البلخي = الحكم بن عبد الله.
أبو المعالي الجويني = عبد الملك بن عبد الله.

أبو معاوية = محمد بن خازم (الضرير).

أبو المعين النسفي = ميمون بن محمد.

أبو منصور بن حمشاذ = محمد بن عبد الرحمن بن حمشاذ.

أبو منصور الماتريدي = محمد بن محمد بن محمود.

أبو المهزم = يزيد بن سفيان.

أبو موسى الأشعري = عبد الله بن قيس.

أبو نصر الوائلي = عبد الله بن سعيد بن حاتم.

أبو الهذيل العلاف = محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي.

أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر.

أبو الهياج الأسدي = حيان بن حصين.

أبو يعلى الموصلي = أحمد بن علي.

أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم الحميري.

أبي بن كعب: ٤٠٨

أحمد بن أبي دؤاد الإيادي: ٢١٠

أحمد بن الحسين البيهقي: ٢٣٧، ٣٦٦،

٤٨٢، ٦١٢

أحمد بن أبي خيثمة: ٧٤١

أحمد بن شعيب النسائي: ٥٢٣

أحمد بن علي (أبو يعلى): ٣٥٤، ٣٥٨

أحمد بن عمرو بن عبد الخالق: ٧٠٦

أحمد بن محمد بن إبراهيم (الثعلبي): ٣٧٣

أحمد بن محمد بن حنبل (الإمام): ١٩١،

٢١٨، ٣٠٩، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٩٨،

٤٢٤، ٤٤٢، ٥٠٥، ٥٢٣، ٥٧١،

٥٩٣، ٦٠٧، ٦١٣، ٦١٦، ٦٣٢،

٦٣٦، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٨٣، ٦٩٣،

٧٦٦، ٧٦٨، ٧٩٥.

أحمد بن محمد (الخلال).

أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي :
١١٦ ، ١٤٧ ، ٢٤٣ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ،

٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥٣٦ .

أحمد بن محمد بن الضحاك : ٤٤٥

أحمد بن موسى بن مردويه : ٢٨٦

الأخطل = غياث بن غوث .

الأخفش = علي بن سليمان بن الفضل :

إدريس عليه السلام : ٣٤٢

أرسطو : ٢٣٦

أسامة بن زيد : ٤٥١

إسحاق بن إبراهيم : ٥٢٨

أسلم مولى عمر : ٤٨٧

إسحاق بن إبراهيم : ٥٢٨

إسحاق بن راهويه : ١٧٩ ، ٥٠٥

إسرافيل عليه السلام : ٤٦١ ، ٣١٩

إسماعيل عليه السلام : ٤٥١ ، ٤٥١

إسماعيل بن حماد الجوهري : ٤٧١

إسماعيل بن حماد الجوهري : ٣٧١

إسماعيل بن عبد الرحمن السدي : ٣٧١ ،

٤٢٨

إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني : ٣٣٨ ،

٧٤٩

إسماعيل بن عمر بن كثير : ٣٤٤ ، ٥٢٣ ،

٦٣١

إسماعيل بن يحيى المزني : ٢٨٩

آسية امرأة فرعون : ٦٤٥

أشج عبد القيس : ٦٧٢

الأشعث بن قيس . ٧١٥

الأصم : عقبة بن عبد الله .

الأعرج = حميد الأعرج .

أفلاطون : ٢٣٦

أم حبيبة رضي الله عنها = رملة بنت أبي
سفيان .

أم سلمة رضي الله عنها = هند بنت أبي
أمية بن المغيرة .

أمروء القيس : ٢٦٤

الأمدي = علي بن أبي علي بن محمد .

الأموي = يحيى بن سعيد بن أبان .

أمية بن أبي الصلت : ٤٢٥

أنس بن عياض : ٣٠٣

أنس بن مالك : ٢٨٧ ، ٣٠٣ ، ٣٤٥ ،

٤٣٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٦٨ ،

٣٧٠ ، ٣٧٤ ، ٤٧٣ ، ٥٠٢ ، ٥٢٩ ،

٥٦٦ ، ٥٦٨ ، ٦٠٧ ، ٦٣٩ ، ٦٣١ ،

٦٣٢ ، ٦٣٧ ، ٧٤٠ ، ٧٦٢ .

الأنصاري : ٤٦٨

الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو بن
يحمد .

أوس بن حجر : ٢١٠

أيوب بن أبي تميمة السخيتاني : ٧٣٧

(ب)

بازام : ٢٨٧

البخاري = محمد بن إسماعيل بن

إبراهيم بن المغيرة بن بزذية .

البراء بن عازب : ٦٠٥ ، ٦١٣ ، ٦٤٢

بريدة بن الحصيب : ٦٨٥

البزار = أحمد بن عمرو بن عبد الخالق .

بشر بن غياث المريسبي : ١١٩ ، ٢١٣ ،

٢٦٠ ، ٤٤٣ ، ٤٤٨

بطليموس : ٢٣٦

البغوي = الحسين بن مسعود .

بقراط : ٢٣٦ ، ٥٤٣

بقية بن الوليد: ٣٨٣

بلال بن رباح: ٥٩٩

بلعام بن باعوراء: ٧٥٤

بلقيس: ٢٦٢

بولص: ٧٤٧

البيهقي: أحمد بن الحسين.

(ت)

تاج الدين الفزاري = عبد الرحمن بن

إبراهيم بن ضياء.

الترمذي = محمد بن عيسى بن سورة بن

موسى بن الضحاك.

(ث)

ثابت بن أسلم البناني: ٣٥٦

الثعلبي = أحمد بن محمد بن إبراهيم.

ثوبان بن بجدد: ٢٤١، ٢١٧

(ج)

جابر بن سمرة: ٧٤٤

جابر بن عبد الله: ١٥٥، ٢٥٨، ٣٨٠،

٤٢٣، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٨٩، ٥٠٥،

٦٤٥، ٦٨٩، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٦،

٧٣٩.

جالينوس: ٢٣٦، ٥٤٣

جبريل عليه السلام: ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٤، ٢٨٣،

٢٩٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤،

٣٩٠، ٤٦١، ٤٨١، ٥٠٩، ٥٢٩،

٥٥٠، ٥٥٢، ٥٥٣، ٦٠١، ٨٠١

جبير بن محمد: ٤٣٤

جبير بن مطعم: ٤٣٤، ٧١٢

جرير بن عبد الله البجلي: ٢٩٢

الجعد بن درهم: ٤٤٩، ٧٩٤، ٧٩٥

جعفر بن محمد الصادق: ٧٤٤

جندب بن عبد الله البجلي: ٣٤٦

جندب بن جنادة: ١٨٥، ٢٩٩، ٥٢٨

جهم بن صفوان: ١٢٦، ١٧٩، ١٩٦،

٢١٠، ٤٤٧، ٤٥٠، ٦٦٢، ٧٠٣،

٧٩٤، ٧٩٥.

الجوهري = إسماعيل بن حماد.

الجويني = عبد الملك بن عبد الله.

(ح)

حاطب بن أبي بلتعة: ٧٤٢

الحاكم النيسابوري = محمد بن عبد الله.

حباب بن المنذر: ٧٢٢

حجاج بن عتاب العبد البصري: ٣٥٨

الحجاج بن يوسف الثقفي: ٥٦٨

حذيفة بن أسيد: ٧٥١

حذيفة بن اليمان: ٢٨٨، ٤١٦، ٤٧٩،

٥٧٢، ٥٧٦

حسان بن ثابت: ٢٢٧، ٤٣٢

الحسن بن أحمد بن الحسن العطار: ٤٠٥

الحسن بن علي بن أبي طالب: ٧٣٢،

٧٤٤

الحسن بن علي بن محمد الهذلي الريحاني:

٥٨٥

الحسن بن علي العسكري: ٧٤٤

الحسن بن يسار البصري: ٣٣٩، ٤٢١،

٧١١، ٧١٢، ٧٩١

الحسين بن عبد الله بن الحسن: ٧٩٧

الحسين بن علي بن أبي طالب: ٢٨٥،

٧٤٤، ٧٤١

الحسين بن مسعود (البغوي): ٢٠٤،

٣٧٢، ٤٧٤، ٧٦٢

حطام المجاشعي.

حفصة أم المؤمنين: ٦٣٤، ٧٢٧
الحكم بن عبد الله بن سلمة: ٣٣٧، ٣٥٣، ٥٢٣

حماد بن زيد: ٣٣٢، ٣٥٦، ٥٣٥، ٥٨٥
حماد بن سلمة: ٣٣٢، ٥٢٣
حمزة بن حبيب الزيات.
حميد الأعرج: ٧٨٥
حميد بن عبد الرحمن: ٧٢٩
الحميدي = عبد الله بن الزبير الحميدي.
حيان بن حصين الأسدي: ١٣١

(خ)

خالد بن عبد الله القسري: ٤٤٩، ٧٩٤
خالد بن الوليد: ٧٠٦
خديجة بنت خويلد رضي الله عنها: ٢٣٠
الخشرو شامي = عبد الحميد بن عيسى.
الخضر: ٤٦٧، ٤٦٨، ٧٧٧
الخلال: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد.
الخليل بن أحمد: ٥٤٣
خولة بنت ثعلبة: ٤٣٥
الخونجبي = محمد بن نامور بن عبد الملك.

(د)

الدارقطني = علي بن عمر.
الدارمي = عثمان بن سعيد الدارمي.
داود بن أبي هند: ٣٩٨
داود الجواربي: ٣٣١، ٧٩١
الدجال: ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣
دلف بن جحدر الشبلي: ٤٧٧

(ر)

الرازي = محمد بن عمر بن حسين.

الربيع بن سليمان: ٢٨٨
ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ١٦٢
رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها:
٢١٥، ٢١٧

الروح الأمين = جبريل عليه السلام.

(ز)

الزاهدي = مختار بن محمود الغزميني.
زبان بن العلاء: ٢٥٨
الزبير بن العوام: ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٣٣،
٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١

الزجاج: إبراهيم بن السري بن سهل.

الزمخشري = محمود بن عمر.

زكريا: ٥٩٦

الزهري = محمد بن مسلم بن شهاب.

زهير بن حرب بن شداد: ٣٨٠

زيد بن أرقم: ٧٤٥

زيد بن ثابت: ٦١٢، ٦٨١

زيد بن حارثة: ٤٥١

زيد بن خالد: ٧٦٦

زينب بنت جحش رضي الله عنها: ٤٣٥

(س)

سالم مولى أبي حذيفة: ٧٩٠

السدي: إسماعيل بن عبد الرحمن.

سراقة بن مالك بن جعشم: ٣٨٠، ٤٠٧

سعد بن أبي وقاص: ٧٢٣، ٧٢٧، ٧٢٨،

٧٣٥، ٧٣٨

سعد بن عباد: ٦٨٦، ٧٢٠، ٧٢١

سعد بن مالك بن سنان: ٣٤٧، ٣٥٨،

٣٦٠، ٤٥٠، ٥٧٨، ٦٦٩، ٧٠٤،

٧٠٦، ٧١١، ٧٤٠، ٧٥٨.

سعد بن معاذ: ٤٣٤

سعید بن أبی صدقة: ٥٨٥

سعید بن أبی عروبة: ٦٠٧

سعید بن جمهان: ٧١٧

سعید بن زید: ٧٤٠، ٧٣٨، ٧٤٠، ٧٤١

سعید بن المسيب: ٧٣٨، ٧٩٧

سفيان بن عيينة: ٣٠٩، ٣٣٢، ٥٤٢

سفينة مولى رسول الله ﷺ: ٧٣٢

سقراط: ٢٣٦

سلم بن أحوز: ٤٥٠، ٧٩٥

سلمة بن دينار: ٣٤٧

سليمان بن عيسى: ٧٨٢

سليمان بن أحمد (الطبراني): ٣٥٤، ٤٠٥، ٤٦٨

سليمان بن الأشعث: ٥٢٣

سليمان بن حرب: ٣٥٦

سليمان بن داود بن الجارود: ٣٣١

سمرة بن جندب: ٧١٦

السهورودي = عمر بن محمد بن عبد الله.

سهل بن سعد: ٣٤٧، ٣٨١

سهل بن عبد الله التستري: ٣٣٣

سيبويه = عمرو بن عثمان:

(ش)

الشبلي = دلف بن جحدر، أبو بكر

الشبلي البغدادي.

شريك بن عبد الله: ٣٣٢

شعبة بن الحجاج: ٣٣١، ٥٢٣

شعيب بن عيسى: ١٢٢، ٣٩٥

شعيب بن عبد الله بن عمرو: ٣٩٨

الشهرستاني = محمد بن عبد الكريم.

الشيخ الطحاوي أحمد بن محمد =

(أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي).

(ص)

صالح بن عبد الله: ١٢٢، ١٣٣، ٣٩٥

صخر بن حرب: ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٥، ٧٠٦

صفية بنت أبي عبيد: ٢٨٧، ٧٦٤

صهيب بن سنان: ٢٩٣

(ض)

الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزب:

٣٧١، ٧١١

الضحاك بن مزاحم: ٢٥٠، ٧١١

ضمام بن ثعلبة السعدي: ٧٨٨

(ط)

الطبراني = سليمان بن أحمد.

الطبري = محمد بن جرير الطبري.

الطحاوي = أحمد بن محمد بن سلامة.

طلحة بن عبيد الله: ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٣٣، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١

(ع)

عائشة رضي الله عنها: ٢٦٨، ٢٩٧، ٣٠٨، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٤٣، ٣٩٨

٤١٠، ٤٥١، ٤٩٦، ٦٢٩، ٦٣٢، ٦٤٢، ٦٨٥، ٦٨٦، ٧٠٨، ٧١٣

٧١٨، ٧٢١، ٧٢٧، ٧٣١، ٧٦٤

٧٦٧، ٧٧٩، ٧٨٩

عازم = محمد بن الفضل السدوسي.

عامر بن عبد الله بن الجراح: ٧٢١، ٧٣٨

٧٤٠، ٧٤١

عبادة بن الصامت: ٤٠٥، ٦٨١

العباس بن عبد المطلب: ٣٦٤، ٤٢٣، ٧٢٠، ٧٢٦

عبد بن حميد: ٦٥١

عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل: ٤٦٩
عبد الله بن أحمد بن محمود: ٢٨٢
عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي: ٥٨٩
عبد الله بن ذكوان: ٧٨٥
عبد الله بن رباح الأنصاري: ٧٨٦
عبد الله رواحة: ٤٣٢، ٤٢٦
عبد الله بن الزبير الحميدي: ٢٠٤، ٥٤٠
عبد الله بن سبأ: ٧٤٦
عبد الله بن سعيد بن كلاب: ١٩٤، ٢٥٥، ٢٧٧، ٧٠٣
عبد الله بن سلام: ٤٦٨
عبد الله بن صالح:
عبد الله بن عثمان (أبو بكر):
عبد الله بن عدي بن عبد الله:
عبد الله بن العباس: ٧٢٥
عبد الله بن عمر بن الخطاب: ٢٠٣، ٣٧٣، ٣٩٩، ٤٠٦، ٤١٦، ٤٦٨
٤٨٨، ٥٤١، ٥٦٧، ٥٦٨، ٦٣٦
٦٤٢، ٦٩٣، ٧١٧، ٧٢٦، ٧٢٧
٧٢٨، ٧٣٧، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٨٦
عبد الله بن عمرو بن العاص:
عبد الله بن قيس:
عبد الله بن المبارك: ٣٣٢، ٥٤٢، ٧٩٥
عبد الله بن محمد بن إسماعيل:
عبد الله بن محمد بن أبي شيبة:
عبد الله بن محمد بن عبيد:
عبد الله بن مسعود: ٣٨١، ٣٩٧، ٤١٩، ٥٦٩، ٥٨١
عبد الله بن مسلم بن قتيبة:
عبد الله بن مغفل: ٧١١
عبد الله بن هارون الرشيد (المأمون):

عبد الجبار بن أحمد الهمداني: ١٧٩
عبد الحق بن غالب: ٣٧٧
عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي: ٣١٧
عبد الحميد بن هبة الله: ٣١٨
عبد الرحمن بن أحمد: ١٧٠، ٧٥٩
عبد الرحمن بن أبي بكر: ٧١٣
عبد الرحمن بن أبي حاتم: ٤٢٦، ٤٤٣
عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء: ٤٦٥
عبد الرحمن بن إسماعيل: ٤٢٠
عبد الرحمن بن الحبلي: ٦٣٦
عبد الرحمن بن صخر: ٢٩٢، ٢٩٨، ٣٥٠، ٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٩٧
٣٩٩، ٤٠٠، ٤٣٣، ٤٧٢، ٤٨٥
٤٨٦، ٥٢٣، ٥٤١، ٥٤٨، ٥٦٦
٥٧١، ٥٧٣، ٦٠٨، ٦٣٤، ٦٣٧
٦٣٩، ٦٤٤، ٦٥١، ٦٥٣، ٦٩٤
٧١٤، ٧٢٣، ٧٤٢، ٧٥٨، ٧٦٢
٧٦٣، ٧٦٤، ٧٨٥، ٧٨٧
عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي: ٥٢٧
عبد الرحمن بن عمرو بن يحمى: ٣٨٤، ٥٠٥
عبد الرحمن بن عوف: ٧٠٦، ٧٢٥
٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣٧
٧٣٨، ٧٤١
عبد الرحمن بن مل بن عمرو: ٧٢١
عبد السلام بن حرب: ٥٢٧
عبد العزيز بن عبد المطلب: ٦٧٤
عبد العزيز بن أبي حازم: ٧٩٦
عبد العزيز بن يحيى الكنانى المكي: ٢١٣، ٢٦٠
عبد الكريم بن هوازن القشيري: ٣٣٢

عبد الله بن وهب :

عبد الله بن يزيد المقرئ : ٥٢٨

عبيد الله بن يزيد الوائلي :

عبد الملك بن عبد العزيز :

عبد الملك بن عبد الله الجويني :

عبد مناف بن عبد المطلب :

عبد الملك بن مروان : ٧٤٥

عبد الوهاب بن أحمد بن عرب شاه .

عبيد الله بن محمد بن محمد :

عثمان بن حنيف : ٧٢٤

عثمان بن سعيد الدارمي : ٢٩٩ ، ١٩٨

عثمان بن عفان : ٢٨٥ ، ٣٥٨ ، ٤٧٩ ،

٥٦٩ ، ٦٨٥ ، ٧١٥ ، ٧٢٤ ، ٧٢٧ ،

٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ،

٧٣٣ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٤٧ ، ٧٦٨ ،

٧٩٦ ، ٧٧٨

عثمان بن مظعون : ٧٩٠

عدي بن حاتم : ٢٩٣

عدي بن زيد .

العرياض بن سارية : ٥٨٠ ، ٧٣٥

عرب شاه = عبد الوهاب بن أحمد .

عروة بن رُويم : ٤٦٩

عطاء بن أبي رباح .

العقيلي = محمد بن عمرو بن موسى بن

حماد .

عقبة بن عبد الله الأصم : ٢٨٩

عقبة بن عمرو : ٤٥٧

عكاشة بن محصن : ٣٥٥

عكرمة بن عبد الله (مولى ابن عباس) :

٢٨٧ ، ٥٩٣ ، ٧٩٠

العلاء بن الحجاج : ٣٨٤

علقمة بن خالد بن الحارث : ٤٥٣

علي بن أبي طالب : ٢٤٥ ، ٢٨٧ ، ٣٨٠ ،

٣٧٣ ، ٤٩٤ ، ٧٢٣ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ،

٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ،

٧٣٥ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧ ،

٧٩٠ ، ٧٩٦

علي بن أبي علي بن محمد الأمدي : ٣١٥

علي بن أحمد (ابن حزم) : ٣٧٠ ، ٦١٠ ، ٦١٤

علي بن أحمد الواحدي : ٣٧٢

عمر بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : ٣٢٦

علي بن إسماعيل (الأشعري) : ١٦٦ ،

١٩٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧٧ ، ٦٧٤

علي بن الحسين زين العابدي : ٧٤٤

علي بن سليمان بن الفضل .

علي بن عقيل بن محمد : ٦٩٥

علي بن عمر (الدارقطني) : ٥٢٣ ، ٥٧٦ ،

٥٦٨

علي بن محمد خلف القابسي : ٣٤٩

علي بن محمد الهادي : ٧٤٤

علي بن موسى الرضى : ٧٤٤

عماد الدين بن كثير : ٥٢٣ ، ٦٣١

عمار بن ياسر : ٢١٧ ، ٥٢٥

عمران بن حصين : ٢٠٢ ، ٦٥٨ ، ٧٠٣

عمر بن الخطاب : ٢٢٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ،

٣٧٣ ، ٤١٧ ، ٤٣٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٤ ،

٤٩٥ ، ٥٠٩ ، ٥٢٤ ، ٥٤١ ، ٥٤٩ ،

٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٨٤ ، ٦٩٧ ،

٧٠٨ ، ٧١١ ، ٧١٥ ، ٧١٧ ، ٧١٩ ،

٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ،

٧٢٥ ، ٧٢٧ ، ٧٣٢ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ،

٧٥٧ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٧٨

قدامة بن مظعون: ٤٩٤، ٤٩٥
القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر.
القفال: محمد بن علي بن إسماعيل
الشاشي.

قيس بن أبي حازم: ٧٣٨
قيس بن عمرو بن مالك.
قيصر: ٢٥٢

(ك)

كسرى: ٢٥٢
كعب الأحبار: ٦١٤
كعب بن مالك: ٦١٣، ٦١٧
(ل)

اللالكائي: هبة الله بن الحسن بن منصور.
ليد بن الأعصم: ٧٩٥
ليد بن ربيعة: ٢٧٠
لقيط بن عامر بن صبرة: ٤٣٢
لوط عليه السلام: ٣٩٥، ٤٥٣
الليث بن سعد: ٥١٣، ٧٧٣

(م)

المأمون (الخليفة): عبد الله بن هارون.
٧٩٥

مالك بن أنس: ١٨٨، ٣٠٩، ٤٢٩،
٤٤٣، ٥٠٥، ٥٧١، ٥٧٢، ٦٨٣،
٦٩٣، ٧٠١، ٧٦٨، ٧٧٩

مالك خازن النار عليه السلام.

مالك بن دينار: ٥٧٩

المبارك بن محمد (ابن الأثير): ٢٠٣

مجاهد بن جبر: ٢٥١، ٣٢٥، ٣٧١،
٥١٣

محمد بن أبي بكر بن أيوب: ٣٤٠، ٦٣١

محمد بن أبي الفضل المرسي: ١٦٨

عمر بن عبد العزيز: ٧٢٠، ٧٤٥، ٧٩٣
عمر بن محمد بن عبد الله.

عمر بن إسماعيل بن حماد: ٣٢٦

عمرو بن شعيب: ٣٠٣، ٣٩٨، ٧٨٥

عمرو بن العاص: ٤٥١، ٧٢٠، ٧٨٦

عمرو بن عبيد: ٣٨٤، ٤٥٠، ٧٩١،
٧٩٦، ٧٩٢

عمرو بن عثمان: ١٦٨، ٥٤٣

عمرو بن علي الفلاس: ٥٢٣

عمرو بن ميمون: ٧٢٢

عمرو بن الهيثم: ٣٨٤

عوف بن مالك: ٥٧٨، ٥٩٠، ٧٦٠

عويمر بن عامر: ٥٢٤، ٧٢٠

عياض بن موسى بن عياض: ٢٩٧، ٣٠٣،
٢٩٩، ٧٦٦

عيسى عليه السلام: ٢٧٠، ٢٧٨، ٣٤٢، ٣٥١،
٣٥٣، ٣٥٧، ٤٧٢، ٤٧٥

٧٦٤، ٧٦٢

(غ)

الغزالي: محمد بن محمد بن محمد.
غياث بن غوث: ٢٧٨

(ف)

فارس بن مردويه: ٥٢٣

فاطمة بنت النبي عليه السلام: ٧٣٥

الفراء: يحيى بن زياد.

فرعون: ١٢٧، ١٦٢، ١٧٥، ٢٣٥، ٢٣٧،
٢٦٣، ٢٦٦، ٣٩٥، ٥٠٦، ٧٥٠

(ق)

القاسم بن عبد الرحمن بن أبي بكر: ٥٢٨

قتادة بن دعامة السدوسي: ١٤٠، ٤٧٤

٦٠٧، ٧٩٢

محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي):
 ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٥، ٣٧٢، ٣٧٣،
 ٤٠٠، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٤١
 محمد بن أحمد بن رشد: ٣١٦
 محمد بن أحمد بن القاسم: ٥٠٣
 محمد بن أحمد بن كيسان: ١٤٤
 محمد بن إدريس الرازي: ٣٦٨، ٣٦٩،
 ٥٢٣
 محمد بن إدريس الشافعي: ١١٩، ١٧٢،
 ١٧٩، ٢١٤، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٩،
 ٣١٩، ٤٠٩، ٤١٤، ٤٤٣، ٤١٨،
 ٥٤٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٦٨٣، ٧٦٨،
 ٧٧٣
 محمد بن إسحاق: ٤٧٣
 محمد بن إسماعيل البخاري: ١٥٦،
 ٢٠٨، ٢٨٩، ٥٢٣، ٥٤٠
 محمد بن جبير: ٤٣٤
 محمد بن جرير الطبري: ١٤٠، ٢٥١،
 ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٢٤، ٣٥٣،
 ٣٦٨، ٣٦٩، ٤٢٧، ٤٨٠
 محمد بن حبان البستي: ٥٢٣
 محمد بن الحسن: ٧٤٤
 محمد بن الحسن الشيباني: ١١٦، ٢٨٤،
 ٣٢٦، ٣٦٢، ٦٨٣، ٦٩٣
 محمد بن الحسن العسكري: ٣٢٦، ٥٩٠،
 ٧٤٤
 محمد بن الحسين بن موسى الأزدي
 السلمي: ٣٣٣
 محمد ابن الحنفية: ٧٢٢
 محمد بن خازم: ٣٩٨
 محمد بن خزيمة: ٤٧٣

محمد بن الزبير الحنظلي: ٧٢٠
 محمد بن سيرين: ٤٨٢
 محمد بن شهاب الزهري: ٣٠٥، ٧٧٩
 محمد بن طاهر المقدسي: ٤٤٥
 محمد بن الطيب الباقلاني: ٧٤٧
 محمد بن عبد الرحمن بن حمشاذ: ٣٣٨
 محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: ٤١٦
 محمد بن عبد الله بن جحش: ٦١٥
 محمد بن عبد الله الإشبيلي: ٤٠٢
 محمد بن عبد الله بن مالك: ٢٥٣، ٢٩٠
 محمد بن عبد الله النيسابوري: ١١٣،
 ٢١٧، ٢٨٩، ٣٦٨، ٣٧٢، ٤٢٧،
 ٤٨٩، ٦٠٧، ٦٨١
 محمد بن عبيد المكي: ٣٨٤
 محمد بن علي الباقر: ٧٤٤
 محمد بن علي الجواد: ٧٤٤
 محمد بن علي بن الطيب: ٦٦٦
 محمد بن علي بن عطية: ٤٥٨
 محمد بن علي بن محمد الطائي: ٢٦٠،
 ٦٥٠، ٧٥٠، ٧٥١
 محمد بن عمر بن حسين الرازي: ٢٥٥،
 ٣١٦، ٣١٨، ٣٧٢، ٦٦٥
 محمد بن عمرو العقيلي: ٥٢٣
 محمد بن عيسى الترمذي: ١٧٩
 محمد بن الفضل: ٥٢٣
 محمد بن الفضل السدوسي: ٥٨٥
 محمد بن الفضل بن العابد: ٥٢٣
 محمد بن محمد بن محمد الغزالي: ٣٠٩،
 ٣١٦، ٣٤٩
 محمد بن محمد بن محمود الماتريدي:
 ٢٥٦، ٢٦٧، ٣٦٨، ٥٠٦، ٥٠٨

مكحول بن شهاب: ٥٦٦
 الملائي: عبد السلام بن حرب النهدي.
 منصور بن عبد الله: ٣٣٣
 منكر ونكير: ٦١٢
 موسى عليه السلام: ١٢٧، ١٧٦، ٢٢٢، ٢٢٣،
 ٢٣٥، ٢٤٣، ٢٥٨، ٢٦٣، ٢٦٦،
 ٢٦٧، ٢٧٦، ٢٨٩، ٢٩٩، ٣٢٢،
 ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٥٠، ٣٥٢،
 ٣٥٣، ٣٥٧، ٤٢٧، ٤٤١، ٤٤٩،
 ٤٥٠، ٤٥٢، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٧٥،
 ٥٠٦، ٥١٢، ٥٦٦، ٦٠٣، ٦٢٠،
 ٦٣١، ٦٧٦، ٧٧٧
 موسى بن جعفر الكاظم: ٧٤٤
 ميكائيل: ٣١٩، ٤٦١، ٥٠٩
 ميمون بن محمد النسفي: ٥٠٨، ٥٢١
 (ن)
 النجاشي: ٢٣١، ٢٥٢، ٥١١
 النسائي = أحمد بن شعيب بن علي بن بحر.
 النسفي: عبد الله بن أحمد بن محمود.
 نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي:
 ٥٢٣، ٥٢٢
 نصير بن يحيى البلخي: ٣٢٦
 النعمان بن أبي عياش: ٣٤٧
 النعمان بن ثابت (أبو حنيفة): ١٠٩، ١١٦،
 ١٣٥، ١٧٨، ١٨٠، ٢٦٦، ٢٧٠،
 ٢٨٢، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٦٢،
 ٤٤٢، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٧٤، ٤٧٧،
 ٤٨٤، ٥٠٦، ٥٠٨، ٥١٥، ٥١٦،
 ٥٣٦، ٥٥٤، ٥٧١، ٦٨٣، ٦٨٦،
 ٦٩٣، ٧١١، ٧٣٧، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٩٦
 نعيم بن حماد الخزازي: ١٧٨، ٢٠٨

محمد بن مسلم بن تدرس: ٣٨٠، ٦٤٤
 محمد بن مسلم بن شهاب: ٦١٤
 محمد بن نامور الخونجي: ٣١٨
 محمد بن نصر المروزي: ٥٢٨، ٥٩٦
 محمد بن هارون الرشيد: ٧٩٥
 محمد بن الهذيل العلاف: ١٩٦، ٦٤٧، ٧٩٢
 محمد بن حسن الوراق: ٥٠٤
 محمود بن عمر الزمخشري: ١٧٩، ٣٧٢،
 ٥٣٨
 مختار بن محمود الغزميني: ٦٩٢
 المزني: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن
 عمرو بن إسحاق المزني.
 مسروق بن الأجدع: ٢٢٢، ٦٣٢
 المسعودي: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة.
 مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري
 النيسابوري: ١٨٥
 المسور بن مخرمة: ٧٢٩، ٧٣٠
 المسيح عليه السلام: عيسى عليه السلام.
 مطرف بن عبد الله الشخير: ٦٩٧
 معاذ بن جبل: ٢٧٩، ٣٦٠، ٤٥١،
 ٥٢٥، ٧٧٨
 معاوية بن أبي سفيان: ٣٣٩، ٤١٠،
 ٧٠٦، ٧٣٢، ٧٤٥
 معاوية بن صالح: ٥٦٦
 معبد بن هلال العتري: ٣٥٦
 المتعصم: محمد بن هارون الرشيد.
 معلى بن منصور الرازي: ٧٥٢
 المغيرة بن شعبة: ٧٢٦
 مقاتل بن حيان: ٢٥٠
 المقداد بن الأسود: ٧٩٠
 مقوقس: ٢٥٢

نفع بن الحارث: ٧١٣

نوح عليه السلام: ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٨٩، ٣٥٠،
٣٥٢، ٣٥٣، ٣٩٥، ٤٧٥، ٤٢٠،
٧٤٠، ٧٥٣

(هـ)

هارون عليه السلام: ٣٤٢، ٥٠٦

هارون بن محمد بن منصور: ٥٧١، ٧٩٢

هبة الله بن الحسن: ٣٨٤

هبة الله بن ملكا: ٣٥٥

هبة الله = عبد الوهاب بن أحمد بن عرب
شاه.

هرقل ملك الروم: ٢٣١

هند بنت أبي أمية رضي الله عنها: ٤٣٠،
٧٠١

هود عليه السلام: ١٢٢، ١٤٨، ٣٩٥

(و)

وائل بن الأسقع: ٢٤٢

الواحد = علي بن أحمد بن محمد.

واصل بن عطاء: ٧٩١، ٧٩٢

ورقة بن نوفل: ٢٣١

الوضاح بن عبد الله: ٣٣٢

وكيع بن الجراح: ٧٠٨

الوليد بن عقبة بن أبي معيط: ٥٦٩

وهب بن منبه: ٢٢٤

(ي)

يأجوج وماجوج: ٧٦٢، ٧٦٤

يحيى بن زكريا عليه السلام: ٣٤٢

يحيى بن زياد: ٤٧١

يحيى بن سعيد بن أبان: ٤٣٥

يحيى بن عيسى: ١٤٦، ٥٢٣

يحيى بن معين: ٥٢٣

يزيد بن أبي سفيان: ٧٠٦

يزيد بن سفيان: ٧٠٦

يزيد بن معاوية: ٧٤٥

يعقوب عليه السلام: ٣٧٨، ٤٦٦، ٦٧٨

يعقوب بن إبراهيم الحميري: ١١٦، ١١٩،

٢٨٤، ٣٠٩، ٣٦٢، ٤٨٤، ٥٧٢،

٥٧٣

يعلي بن أمية: ٧٤٤

يوسف عليه السلام: ٣٤٢، ٣٧٨، ٤٤٣، ٤٦٦،

٤٧٠، ٥١٥، ٥٦٦

يوسف بن أسباط: ٧٩٥

يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف: ٦٣٠

يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر:

٣٤١، ٣٨١، ٤٠٠، ٤٢٦

يونس عليه السلام: ٢٤٤، ٢٤٥، ٦١٢، ٦١٥

يونس بن عبد الأعلى الصدفي: ٧٧٢

obeikandi.com

(٥) فهرس الملل والنحل

الرافضة (الروافض): ١٧٩، ٢٢٠، ٢٨٦، ٤٥٧، ٥٣٩، ٥٨٦، ٥٨٩، ٥٩٠، ٧١١، ٧٤٣، ٧٤٤.	الاتحادية: ١٨١، ٢٦٠، ٢٨٧، ٧٤٩، ٧٥٢.
الزنادقة: ١٧٩، ٢٢٢، ٧٥٢، ٧٩٤.	الأشعرية: ٧١٢.
السمنية: ٧٩٤.	الإمامية: ٢١٤.
الشافعية: ١٨٠.	أهل السنة: ١٧٣، ١٧٤، ١٧٩، ٢٠٦، ٢٦٥، ٣٣٣، ٣٧٣، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٥، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٩٠، ٤٩٢، ٥٠٨، ٥١٤، ٥٤٠، ٦٥٩، ٦٦٣، ٦٦٥، ٦٨١، ٧١١، ٧٤٢، ٧٣٧، ٧١٢.
الشيعة: ١٩٤، ٤٦٣، ٤٨٧، ٧١١، ٧٩٨، ٧٤٨، ٧٤٧.	الباطنية: ٧٤٧.
الصابئون: ٧٩٨.	الثنوية: ١٢٨، ١٣٨.
الصابئة الفلاسفة: ٧٩٥.	الجبرية: ١٧٣، ٢٠١، ٣٨٦، ٣٩٥، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٥، ٦٨١، ٧٩١، ٧٩٦.
الصوفية (المتصوفة): ١٢٧، ١٥٢، ٣٠٩، ٤٦٢، ٦٩٥، ٧٤٩.	الجهمية: ١٤٦، ١٧٩، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥، ٢٧٣، ٢٨٤، ٢٩٤، ٣٣٤، ٤٥٠، ٤٨٧، ٥٣٩، ٧٩١، ٧٩٤، ٧٩٨.
الفلاسفة (المتفلسفة): ١٧١، ١٧٩، ١٨١، ١٨٦، ٢٥٤، ٣١٥، ٣١٧، ٤٥٥، ٦٩٦، ٧٩٤.	الحرورية: ٧٤٧.
القدرية: ١٣٨، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ٢٠١، ٢٢٠، ٢٢٣، ٣٧٣، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٩٥، ٤١٦، ٤٨٧، ٥٠٦، ٥٥٥، ٦٤١، ٦٥٩، ٦٦٥، ٦٨١، ٧٩١، ٧٩٦، ٧٩٨.	الحلولية: ١٨١.
الفرامطة: ١٧٩.	الحنبلية: ٥٧٢.
النصارى: ١٢٨، ٦٧١، ٧١١، ٧٩١، ٨٠٠، ٧٩٨.	الحنفية: ٢٦٩.
الكرامية: ٥٠٦، ٥٠٨.	الخوارج: ١٥٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٣٥٢، ٣٥٦، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٦١، ٧٣٣، ٧٤٧، ٧٩٦، ٧٩٨.

٣٢١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢ ، ٣٥٤ ، ٣٥٦
٣٧٣ ، ٣٨٣ ، ٤١٣ ، ٤٥٠ ، ٤٥٦
٤٦٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢
٤٩٣ ، ٥٠٥ ، ٥١٢ ، ٥٣٩ ، ٥٦١
٦٤١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٧٥٨

٧٩١ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥

المعطلة: ١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ٢٠٧ ، ٥٣٩

النقا المعطلة: ٥٤٣

النواصب: ٧٠٤

اليهود: ١٩٧ ، ٦٧١ ، ٧٠١ ، ٧٩٥

٧٩٨ ، ٨٠٠

الكلائية: ٥٣٦

المالكية: ١٨٠

المانوية: ١٢٨

المجسمة

المجوس: ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨

المرجئة: ٤٨٣ ، ٤٨٧ ، ٤٩٢ ، ٧٩٦ ، ٧٩٨

المشبهة: ١٥٤ ، ١٦٠ ، ١٧٨ ، ٦٦٣ ، ٧٩١

المعتزلة: ١٤٧ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٩٤

٢٠٦ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٥٤

٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٣

٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦

٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٢٠

(٦) فهرس الأماكن

سامراء: ٥٩٠.	بشر برهوت: ٦١٤.
سقيفة بني ساعدة: ٧٢١.	بشر زمزم: ٦١٤.
السنح: ٧٢٢.	برهوت: ٦١٣.
الشام: ٢٣١، ٧٣٣.	البصرة: ٣٥٦، ٣٥٧.
صفين: ٧٣٤.	بصري: ٣٥١.
طرسوس: ٧٩٥.	بغداد: ٧٩٥.
العراق: ٣١٨، ٤٤٩، ٧٢٥، ٧٣٢.	بقيع الغرقد: ٣٨٠، ٦٠٥.
عرفات: ٦٩٠.	البيت الحرام: ٣٦٢.
فرقيساء: ٧٨٧.	بيت لحم: ٣٤١.
الكعبة المشرفة: ٤٦٦، ٤٧٧، ٤٤٢، ٧٧٧.	بيت المقدس: ٣٤١، ٣٤٤، ٤٩٣، ٤٩٥، ٧٦٠.
الكوفة: ٧٤٧.	تبوك: ٧٦٠.
ماء خم: ٧٤٥.	الجابية: ٦١٣.
المدينة المنورة: ٥٠٥، ٧٤٥.	الحديبية: ٧٦٦، ٧٧٧.
مسجد قباء: ٥٤٢.	حراء: ٧٤١.
المسجد الأقصى: ٣٤١.	حران: ٧٩٥.
مكة المكرمة: ٣٥١، ٧٤٥.	الحرّة: ٧٩٧.
نيسابور: ٣١٧.	حضر موت: ٦١٣.
واسط: ٧٩٤.	خراسان: ٧٩٤، ٧٩٥.
الهند: ٧٩٤.	خير: ٧٣٥.
	دمشق: ٦١٣.

(٧)
فهرس الكتب

٣٧٠، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٩٩	إحياء علوم الدين: ٣٠٩.
٤١٠، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٣٣، ٤٣٥	الاختيار: ٦٩١.
٤٥٧، ٤٧٣، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩١	الإرشاد: ١٩٩.
٥٠١، ٥١٧، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٤٩	الإشارة في البشارة: ٤٦٥.
٥٥٨، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧١	الإنجيل: ٢٦٩، ٢٨٥.
٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٨٢، ٥٩١	البداية والنهاية: ٣٤٥.
٦٠٧، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٩، ٦٣٨	تبصرة الأدلة: ٥٠٧.
٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣	التبصرة: ٣٢٦.
٦٥٢، ٦٨٥، ٦٨٦، ٧٠٣، ٧٠٩	التذكرة: ٣٤٩.
٧١٣، ٧١٥، ٧١٦، ٧٢٠، ٧٢١	تفسير أبي الليث السمرقندي: ٥٢٢.
٧٢٣، ٧٢٤، ٧٣٢، ٧٣٥، ٧٣٨	تفسير الطبري: ١٢٩، ٢٥١، ٢٨٧، ٢٨٨.
٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤٦، ٧٤٨، ٧٦١	٢٨٩، ٣٢٤، ٤٥٣، ٣٦٨، ٣٦٩.
٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٧	تفسير ابن حميد:
٧٧٨، ٧٨٥، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩	التمهيد: ٣٨٢.
٧٩٦، ٧٩٧.	تهافت التهافت: ٣١٥.
الجامع الصحيح (مسلم): ١٣١، ١٣٢،	التوحيد: ٣٥٦.
١٨٥، ٢٠٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٦	التوراة: ٢٥٥، ٢٦٩، ٢٨٥.
٢٣٢، ٢٤٠، ٢٤١، ١٤٣، ٢٤٦	الجامع الصحيح (البخاري): ١٢٩، ١٣٠.
٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٧٧، ٢٧٩	١٣١، ١٥٦، ٢٠٢، ٢١٨، ٢٢٧.
٢٨٧، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩	٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٩.
٣٠٨، ٣١٩، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٩	٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦.
٣٥١، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٤	٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٧، ٣٢٥، ٣٤٢.
٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٤، ٣٨٠، ٣٨١	٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥١.
٣٨٦، ٣٩٧، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١٦	٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٦.

٦٨٤، ٦٥٤
السنن: ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩١، ٤١٦،
٥٤٩، ٥٨٠، ٦٤٤، ٦٤٥، ٧١٣،
٧٣٦، ٧٦٧، ٧٨٦، ٧٩٦.
شرح التأويلات: ٣٧٧.
شرح معاني الآثار: ٢٤٤.
الشفاء: ٢٩٧.
صحيح أبي عوانة الإسفرائيني: ٦٠٧.
صحيح ابن حبان: ٣٦٩، ٦٠٧.
صحيح الحاكم «المستدرک»: ٦٨١،
١١٣، ٢١٧، ٢٨٩، ٣٦٩، ٣٧٣،
٤٢٧، ٤٨٩، ٦٠٧، ٦٨١.
الصحاح: ١٧٧، ٤٧١.
صفة العرش: ٤٢٧.
العمد: ٣١١.
عوارف المعارف: ٧٥٤.
الفاروق: ٤٤٢، ٥٦٦.
الفتاوى الظهيرية: ١٢٠.
فصوص الحكم: ٧٥٠.
الفقه الأكبر: ١٠٩، ٢٦٦، ٢٧٠.
القنية لتتميم الغنية: ٦٩١.
كتاب السنة: ٤٦٨.
كشف علم الآخرة: ٣٤٩.
مآل الفتاوى: ٤٦٣.
مسند أبي يعلى: ٣٥٤، ٤٥٨.
مسند الإمام أحمد: ٣٤٦، ٣٥١، ٣٥٦،
٣٦٠، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٨٧، ٣٩٨،
٤٢٤، ٤٤٢، ٤٩٦، ٥٠٠، ٥٢٩، ٥٩٣،
٩٠٥، ٦١٣، ٦١٦، ٦١٧، ٦٣٤، ٦٣٧،
٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤٥، ٦٩٠، ٧٤١، ٧٦٢،
٧٦٤، ٧٦٦.

٤٢٣، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٥٠، ٤٥٨،
٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٨٧، ٤٨٨،
٤٨٩، ٤٩١، ٥٠١، ٥٠٣، ٥١٧، ٥٢٠،
٥٢٨، ٥٦٧، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦،
٥٨٢، ٥٨٩، ٥٩٣، ٥٩٥، ٦٠٧،
٦١٧، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٣٤، ٦٣٩،
٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٥، ٦٥٤،
٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٨، ٧٠٣، ٧٠٦،
٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٥، ٧١٦، ٧٢٠،
٧٢١، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٣١، ٧٣٤،
٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤٢،
٧٤٣، ٧٤٤، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤،
٧٦٥، ٧٦٦، ٧٧٨، ٧٨٥، ٧٨٦،
٧٨٧، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩٦، ٧٩٩.
الحوادث والبدع: ٤٢١.
الحيدة: ٢٢٢، ٢٦٢.
الرسالة للقشيري: ٣٣٣.
ري الظمان: ١٦٨.
الزبور: ٢٦٩، ٢٧٢.
سنن ابن ماجه: ٦٩٤.
سنن أبي داود: ٣٦٨، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤١٦،
٤١٧، ٤٢٤، ٤٢٦، ٤٣٤، ٤٨٥، ٥٧٣،
٦٠٧، ٦١٧، ٦٥٤، ٦٨١، ٦٨٤، ٦٩٠،
٧١٦، ٧١٧، ٧٤١، ٧٦١، ٧٩٦.
سنن البيهقي: ٣٥٤، ٦٣٣.
سنن الترمذي: ١١٣، ٢٤٢، ٢٤٨، ٣٠٨،
٣٦٩، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤١٧، ٤٢٤،
٤٩٦، ٥٢٠، ٥٨٠، ٦٣٢، ٦٣٨، ٦٤٦،
٦٩٠، ٧١٣، ٧٣٦، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٥٨.
سنن الدارقطني: ٥٦٧، ٥٦٨.
سنن النسائي: ١٥٦، ٣٦٩، ٣٧٠، ٦٠٧،

المطالب العالية: ٢٥٥.	المنار: ٢٨١.
المعتبر: ٢٥٥.	منازل السائرين: ١٣٦، ٥٠٣.
المغني: ٣١٢.	المنتخب: ١٦٨.
معجم الطبراني: ٤٩٧، ٣٥٤، ٤٠٠،	الموطأ: ٦١٧، ٦٤٤.
٤٦٨، ٤٩٨، ٧٦١.	
المعاري للأُموي: ٤٣٥.	

(٨) فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإيمانُ باللوح المحفوظ والقلم	٤٠٥
اختلافُ العلماء في القلم والعرش أيُّهُمَا خُلِقَ أولاً	٤٠٥
جَفَّ القلمُ بنا هو كائن إلى يَوْمِ القيامة	٤٠٧
الأقلام أربعة	٤٠٨
الواجب إفراد الله بالخشية والتقوى	٤٠٩
تعاطي الأسباب لا يُنافي التوكل	٤١٢
سبقُ علم الله بالكائنات قَبْلَ خلقها	٤١٣
أحاديث في دَمِّ القدرية	٤١٦
تَضَمَّنَ القدر لأصول عظيمة	٤١٨
حياة القلب ومرضه وشفاءؤه	٤١٩
أنفعُ الأغذية الإيمان، وأنفعُ الأدوية القرآن	٤٢٢
العرشُ و الكرسي	٤٢٣
الله سبحانه مستغن عن العرش محيطٌ بكل شيء وفوقه	٤٢٩
بحث الفوقية	٤٣٢
النصوص الواردة المتنوعة في إثبات العلو	٤٣٧
كلامُ السلف في إثبات صفة العلو	٤٤٢
ثبوتُ علو الله سبحانه بالعقل من وجوه	٤٤٤
خطأ من ظن أن السماء قبلُ الدعاء	٤٤٧
اتخذ الله إبراهيم خليلاً وكَلَّمَ موسى تكليماً	٤٤٩
محبةُ الله وخُلته كما يليق به سبحانه	٤٥٠
الخُلة أخصُّ من المحبة	٤٥١
الجوابُ عما في الصلاة الإبراهيمية من إشكال متوهم	٤٥٢

الموضوع	الصفحة
ما خصَّ الله به بيت إبراهيم من الخصائص	٤٥٤
وجوب الإيمان بالملائكة والكتب المنزل والمرسلين	٤٥٥
إنكار الفلاسفة لحقيقة الإيمان بالله وكتبه ورسله	٤٥٥
أصول المعتزلة الخمسة	٤٥٦
أصول أهل السنة تابعة لما جاء به الرسول	٤٥٧
أصناف الملائكة وتنوع أعمالهم التي كُلِّفوا بها	٤٥٨
الملك رسول منفذ لأمر مُرسِلِه	٤٦٠
آيات كثيرة وردت في ذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم	٤٦١
مذاهب الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر	٤٦٢
وجوب الإيمان بمن سَمى الله في كتابه من رسله وأنبيائه	٤٧٤
أولو العزم من الرسل	٤٧٤
الإيمان بما سَمى الله من الكتب المنزل	٤٧٥
أهل القبلة مسلمون مؤمنون	٤٧٧
النهى عن الجدال في القرآن	٤٧٨
لا يجوز تكفير المسلم بذنوب لم يَسْتَحِلَّه	٤٨٢
من أعظم البغي أن يُشهد على معيّن أن الله لا يَغْفِرُ له	٤٨٥
أهل البدع يُكفر بعضهم بعضاً، وأهل السنة والجماعة يُخطئون ولا يُكفرون	٤٨٧
الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان والإسلام	٤٩٠
الكفر نوعان: اعتقادي وعملي	٤٩٢
ما ينبغي على المؤمن أن يعتقده في حق نفسه وحق غيره	٤٩٥
من رجا شيئاً استلزم رجاءه أموراً	٤٩٧
سقوط العقوبة عن المسيء بأحد عشر سبباً	٤٩٨
الجمع بين الخوف والرجاء	٥٠٢
الاختلاف فيما يقع عليه اسم الإيمان	٥٠٥
الاختلاف بين أبي حنيفة وسائر الأئمة فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلاف صوري	٥٠٨
الكلام في زيادة الإيمان إجمالاً وتفصيلاً	٥١١
النزاع في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه لفظي لا محذور فيه	٥١٤
أدلة أصحاب أبي حنيفة	٥١٥
الأحاديث الدالة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان	٥١٨
أدلة الكتاب والسنة على زيادة الإيمان ونقصانه	٥٢٢

الموضوع	الصفحة
نقول عن الصحابي في زيادة الإيمان ونقصانه	٥٢٤
الدينُ ينتظمُ الإيمانَ والإسلامَ والإحسانَ	٥٢٩
أقوال أهل العلم في مسمى الإسلام	٥٣٠
حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة أفراد أحدهما عن الآخر	٥٣١
أقوال العلماء في مسألة الاستثناء في الإيمان	٥٣٦
أهل السنة لا يَعدِلُون عن النص الصحيح	٥٤٠
خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول يُفيد العلمَ اليقيني	٥٤١
السنة نوعان: شرع ابتدائي، وبيان لما شرعه الله في كتابه	٥٤٤
المؤمنون كلهم أولياء الرحمن	٥٤٥
تفسير معنى الولاية	٥٤٦
أولياء الله الكاملون	٥٤٨
أكرم المؤمنين عند الله	٥٤٩
أركان الإيمان	٥٥٠
لا يثبت حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق	٥٥٢
الإيمان بالقدر خيره وشره	٥٥٤
لا يخلق الله شراً محضاً	٥٥٥
أنفع الدعاء دعاء الفاتحة	٥٥٧
تحقيق توحيد الربوبية والإلهية	٥٥٩
الإيمان بجميع الرسل	٥٦١
العصاة من أهل الكبائر لا يخلدون في النار إذا ماتوا وهم موحدون	٥٦١
اختلاف العلماء في تحديد الكبيرة	٥٦٢
الصلاة خلف كل برّ وفاجر من أهل القبلة	٥٦٦
الصلاة خلف مستور الحال	٥٦٨
الصلاة خلف المبتدع والفاسق	٥٦٨
المطاعون في مواضع الاجتهاد	٥٧١
لا يقطع لأحد معين من أهل القبلة بجنة ولا نار إلا بنص	٥٧٣
لا نشهد على أحد من أهل القبلة بالكفر ما لم يظهر منه ذلك	٥٧٥
وجوب طاعة ولي الأمر إلا في معصية	٥٧٦
الأمر باتباع السنة والجماعة	٥٧٩
حب أهل العدل من كمال الإيمان	٥٨١

٥٨٣	ما اشتبه علينا علمه نكَلُهُ إلى الله
٥٨٦	المسح على الخفين في السفر والحضر
٥٨٩	الحج والجهاد ماضيان إلى قيام الساعة
٥٩١	الإيمان بالملائكة الكرام الكاتبين
٥٩٥	الإيمان بِمَلَكِ الموت
٥٩٥	حقيقة النفس والروح
٥٩٦	الروحُ محدثة مخلوقة
٥٩٧	المضافُ إلى الله تعالى نوعان
٥٩٧	ماهية الروح
٥٩٨	الأدلة على أن النفسَ جسم مخالف بالماهية للجسم المحسوس
٦٠٠	الاختلاف في مسمى النفس والروح
٦٠٢	النفسُ واحدة ولها صفات
٦٠٢	الاختلافُ في موت الروح
٦٠٤	الإيمانُ بعذاب القبر ونعيمه
٦٠٩	تعلقات الروح بالبدن
٦١٠	السؤال في القبر للروح والجسم
٦١١	الدورُ ثلاثة ولكل دار أحكام
٦١٢	سؤال منكر ونكير
٦١٣	عذابُ القبر نوعان
٦١٣	الاختلافُ في مستقر الأرواح بعد الموت
٦١٥	تفاوت منازل الأرواح في البرزخ
٦١٩	الإيمان بالبعث والجزاء
٦٢٨	العرض والحساب
٦٣٤	معنى الورود في قوله تعالى: ﴿وإن كنتم إلا واردة﴾
٦٣٦	الإيمان بالميزان وحقيقته
٦٤١	الجنة والنار مخلوقتان وهما موجودتان الآن ولا تقينان أبداً
٦٥٠	الأقوالُ في أبدية النار
٦٥٥	لا موجود إلا بإيجاد الله
٦٥٧	الاستطاعة تكون مع الفعل وقبله
٦٦٢	أفعالُ العباد خلق الله وكسبُ من العباد

٦٦٤	الرّدُّ على الجبرية والمعتزلة في مسألة أفعال العباد
٦٦٥	لا يدخل في عموم «كل» إلا المخلوقات
٦٧١	العبد فاعل لفعله حقيقة، ولكنه مخلوق لله
٦٧٢	لا يُوصف الله بالإجبار
٦٧٤	التكليف بحسب الطاقة
٦٧٧	الفرق بين القضاء الشرعي والقضاء الكوني
٦٩٧	كتب الله على نفسه الرحمة
٦٨٣	انتفاع الأموات من سعي الأحياء
٦٨٨	معنى قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾
٦٩١	الاستحجار على تلاوة القرآن وإهدائه للميت
٦٩٢	قراءة القرآن وإهداؤها للميت بغير أجر
٦٩٣	اختلاف العلماء في حكم قراءة القرآن عند القبور
٦٩٣	استجابة الله دعاء عباده
٦٩٥	الرد على من يزعم عدم فائدة الدعاء
٦٩٧	بيان الحكمة في أن الداعي قد لا يُعطى شيئاً
٧٠٠	غضب الله ورضاه
٧٠٤	حب الصحابة إيمان، وبُغضهم جحد
٧٠٤	ما ورد من الآيات في الثناء على الصحابة
٧١١	لا يجوز التبرؤ من أحد من الصحابة
٧١٢	ثبوت الخلافة لأبي بكر بالنص
٧٢٢	خلافة عمر الفاروق
٧٢٤	خلافة عثمان
٧٣٢	ثبوت الخلافة لأمير المؤمنين علي
٧٣٦	الخلفاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون
٧٣٨	العشرة المبشرون بالجنة
٧٤٢	الاتفاق على تعظيم هؤلاء العشرة
٧٤٣	الأئمة اثنا عشر عند الإمامية
٧٤٥	البراءة من النفاق لمن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ وذرياته
٧٤٨	وجوب موالاة المؤمنين وبخاصة أهل العلم
٧٤٩	لا يفضل أحد من الأولياء على أحد من الأنبياء

٧٥٢	ثبوت كرامات الأولياء
٧٥٤	المحمود من الخوارق والمذموم والمباح
٧٥٦	كلمات الله نوعان: كونية ودينية
٧٥٧	الخوارق النافعة تابعة للدين، خادمة له
٧٥٦	أنواع الفراسة
٧٦٠	الإيمان بأشراط الساعة
٧٦٤	كذب الكاهن والعرفاء
٧٦٨	التنازع في حقيقة السحر وأنواعه
٧٧٢	اعتقاد الولاية في بعض البله بدعة وضلال
٧٧٤	خلال من يُصعق عند سماع الأنغام الحسنة
٧٧٧	الجماعة حق، والفرقة زيغ
٧٧٩	وجوب رد المسائل المتنازع فيها إلى الله ورسوله
٧٨٠	الاختلاف نوعان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد
٧٨٥	الاختلاف في الكتاب على نوعين
٧٨٧	الإسلام هو دين الله وهو واحد على الأرض والسماء
٧٨٨	سهولة تعلم الإسلام
٧٨٩	دين الإسلام بين الغلو والتقصير
٧٩٠	وهو بين التشبيه والتعطيل
٧٩١	وهو بين الجبر والقدر
٧٩١	وهو بين الأمن واليأس
٧٩١	البراءة من الفرق الضالة
٧٩٢	أصول المعتزلة الخمسة
٧٩٤	الجهمية وأصل مذهبهم
٧٩٦	الجبرية وأصل قولهم
٧٩٨	سبب الضلال العدول عن الصراط المستقيم الذي أمر الله باتباعه
٨٠٠	لفرق الضلال طريقتان في الوحي
٨٠٣	الفهارس